جامعة طنطا

كليّـة الآداب

قسم اللّغة العربيّة وآدابها

آياتُ الجهادِ في القرآنِ الكريمِ

(دراسةٌ تداوليةٌ)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية

(تخصص لغة)

إعداد الباحث:

مجدي محمد محمد عمارة

إشراف:

أ. د/ عبد الكريم محمد حسن جبل

أستاذ العلوم اللغوية

ورئيس قسم اللغة العربية

١٤٤٠هـ – ٢٠١٩م

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ {العنكبوت: ٦٩}

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله المتعالي عن الأشباه والأضداد، الذي جعل هذه الأمة أمةً وسطًا، وأعزَّها بالجهاد، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ، الهادي إلى سبيل الرشاد، وعلى آل بيته الطيبين الأطهار، والصحابة الأخيار، خير الدعاة وأنبل الأجناد، وبعد:

فهذه دراسة بعنوان (**آيات الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة تداولية**) اخترتُ فيها الآياتِ التي تتحدث عن الجهاد في القرآن الكريم بمفهومه الخاص، وهو القتال في سبيل الله، وعكفتُ على التأمل في معاني تلك الآيات ومقاصدها، وتحليلها وفق المنهج التداولي، الذي يصبُّ اهتمامَه ويسعى إلى فهم المعنى في الاستعمال.

وتهدف الدراسة في **جانبها النظري** إلى الوقوف على ماهية التداولية، وأهم نظرياتها ومصطلحاتها في اللسانيات الغربية، مع الوقوف على ما يقابل تلك الجهود في الفكر اللغوي العربي المتشعب في علوم شتى، كالنحو والبلاغة وأصول الفقه وغيرها.

كما تهدف هذه الدراسة في **جانبها التطبيقي** إلى الكشف عن مقاصد الآيات الكريمة، وتصنيفها وفق أغراضها الإنجازية، وتبحث عن معانيها الصريحة والضمنية، وأنواع الدلالات المتنوعة فيها، مع بيان الآليات الحجاجية التي اعتمدتْ عليها الآيات للتأثير في المخاطَبين؛ لتحقيق الإقناع أو زيادة الاقتناع، وأحيانًا للرد على المخالفين من المشركين والمنافقين، وبيان مغالطاتهم ودحضها.

أما عن **منهج البحث** فقد اتبعتُ في هذا البحث:

المنهج الوصفي في نقل الفكرة ثم شرحها، ناقدًا بالتفسير والتفصيل، وبالشرح والتعليل، في تسلسل منطقي، وتدرج تاريخي، وفق طبيعة المبحث المدروس، واختصار الجوانب النظرية قدر الاستطاعة. ثم التطبيق على المدونة المختارة من خلال توظيف آليات التحليل التداولي والاستفادة من الفكر اللغوي العربي وآلياته في الوصول للمعنى، وتطبيق ذلك على الآيات الكريمة؛ لمحاولة الوصول إلى الأهداف التي قامت عليها الدراسة.

وجاء **تقسيم البحث** في ثلاثة فصول، تتقدمها مقدمة، وتمهيد، وتلي الفصول الخاتمة، ثم ملحق المصطلحات وفهرس الموضوعات.

أما **التمهيد** فقد تناول ثلاث مسائل:

أ– التداولية: وفيه الحديث عن مفهوم التداولية، ونشأتها، وأبرز نظرياتها ومصطلحاتها.

ب– الجهاد: وفيه الحديث عن مفهوم الجهاد، وأنواعه، ومراحل تشريعه، وغاياته، ونُبذة عن آدابه وأحكامه.

ج– مادة البحث: وفيه الحديث عن عدد آيات الجهاد، ومراحل نزولها، وتوزيعها في القرآن الكريم.

وجاء **الفصل الأول** بعنوان (**الأفعال الكلامية في آيات الجهاد**) يبحث في نظرية الأفعال الكلامية مفهومها ونشأتها في اللسانيات الغربية، ويعرض نُبذة عن الجهود المقابلة لها في الفكر اللغوي العربي، ثم يأتي تطبيق المستفاد من ذلك على المدونة، وقد جاء الفصل في مبحثين:

المبحث الأول: الأفعال الكلامية في اللسانيات الغربية والعربية.

تناول مفهوم الأفعال الكلامية عند الغرب والعرب، وأهم العلوم والنظريات التي اهتمت بهذه الأفعال وصنفتها.

المبحث الثاني: تحليل الأفعال الكلامية في آيات الجهاد.

وفيه تصنيف للآيات وفق الأصناف المشهورة للأفعال الكلامية، مع تحليل المستويات المختلفة للفعل الكلامي.

والفصل الثاني بعنوان (**المتضمنات في آيات الجهاد**) يتناول الدلالة وأنواعها، وآليات استنباط الكلام المتضمن في اللسانيات الغربية، وما يقابل ذلك في اللسانيات العربية، ثم تطبيق بعض تلك الآليات على المدونة، وجاء في مبحثين:

المبحث الأول: المتضمنات في اللسانيات الغربية والعربية.

يتحدث عن أنواع الدلالات المختلفة، ومفهوم المتضمنات وأنواعها في اللسانيات الغربية، ومثيلاتها في الفكر اللغوي العربي عند الأصوليين والنحويين والبلاغيين.

المبحث الثاني: تحليل المتضمنات في آيات الجهاد.

وفيه محاولة لاستخراج الأشكال المختلفة من الدلالات اللفظية وغير اللفظية في الآيات، من خلال تطبيق بعض آليات أصول الفقه والنحو العربي، بجانب بعض الآليات الغربية؛ لمحاولة كشف أمثلة من المتضمنات في آيات الجهاد.

والفصل الثالث بعنوان (**الحجاج في آيات الجهاد**) يناقش مفهوم الحجاج وأهم نظرياته وآلياته عند الغربيين والعلماء العرب، ثم تطبيق المستفاد من ذلك على المدونة، وهو في مبحثين:

المبحث الأول: الحجاج في اللسانيات الغربية والعربية.

يعرض لمفهوم الحجاج في اللغة والاصطلاح، وعلاقته بالتداولية، وأهم نظرياته واتجاهاته في الثقافتين الغربية والعربية، بالإضافة إلى عرض لأبرز الآليات الحجاجية، وأنواع الحجج المختلفة.

المبحث الثاني: تحليل آليات الحجاج في آيات الجهاد.

وفيه دراسة لآليات الحجاج البلاغية واللغوية والعقلية، وأنواع الحجج التي وردت في الآيات، من خلال توظيف بعض آليات الحجاج العربية والغربية، وعرض لأبرز المغالطات التي حذرت منها الآيات والرد عليها، إضافةً إلى محاولة الكشف عن القيمة الحجاجية للاختلافات بين بعض الآيات المتشابهات.

ثم **الخاتمة**: وتناولت ملخص البحث وأهم النتائج والتوصيات.

أما عن **الدراسات السابقة** التي اهتمت بدراسة آيات الجهاد في القرآن الكريم، فهنالك العديد من الدراسات التي أولت اهتمامًا بهذا الجانب، من اتجاهات مختلفة، شرعية وبلاغية ونحوية ودلالية، أذكر منها:

١- آيات الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية وتاريخية وبيانية، للباحث كامل سلامة الدقس، وهي رسالة دكتوراه من كلية الآداب، جامعة القاهرة، طُبِعتْ في دار البيان بالكويت عام ١٩٧٢م. وتهتم هذه الرسالة بمفهوم الجهاد في سبيل الله، والمراحل التاريخية لتشريعه، مع بيان الجوانب البلاغية في الآيات وفق علوم البلاغة العربية.

٢- آيات الجهاد في القرآن الكريم، للباحث حامد محمد علي جريشة، وهي رسالة دكتوراه من كلية أصول

الدين جامعة الأزهر، عام ١٩٧٢م. وهي رسالة تهتم بالجوانب الشرعية للجهاد.

٣- النظم في آيات الجهاد، للباحث ناصر بن عبد الرحمن بن ناصر الخنين، وهي رسالة دكتوراه من كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، السعودية، عام ١٤١٣هـ. وتهتم هذه الرسالة بدراسة النواحي البلاغية وخصائص اللفظ والتركيب والتصوير في آيات الجهاد.

٤- تطور الدلالة القرآنية فى آيات الجهاد لدى مفسرى عصر النهضة فى القرن العشرين؛ دراسة تطبيقية فى علم الدلالة واللغة، للباحث أحمد موسى الموسى، من كلية الدراسات الإسلامية والعربية، جامعة الأزهر.

٥- ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة دلالية، للباحثة تهاني جبر شعث، وهي رسالة ماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، ٢٠١١م. وتقوم على دراسة الألفاظ المرادفة للجهاد والإعداد والخروج له، والألفاظ التي تدل على نتائج الجهاد الإيجابية والسلبية، وبيان العلاقات الدلالية بين تلك الألفاظ، مثل: الترادف والتضاد والعموم والخصوص والمشترك اللفظي والعلاقات السياقية اللغوية وغير اللغوية.

وهذه كلها جهود طيبة لها قيمتها ومكانتها في مسيرة البحث العلمي، **والمختلف في هذه الدراسة** أنها قائمة على توظيف المنهج التداولي وآلياته في التحليل، وتحاول الاستفادة من اللسانيات العربية والغربية في فهم الآيات واستنباط الغايات، وبيان المتضمنات، وكشف آليات الحجاج والردود على المغالطات، فهي إضافة إلى ما سبق من جهود، لا تلغيها ولا تغني عنها، ويقينًا فإن عطاء القرآن لا يتوقف، ومعينه لا ينضب.

وبعيدًا عن جدلية التأثير والتأثر بين العرب والغرب، فإن هذه الدراسة تحاول أن تقف موقفًا وسطًا يسعى للجمع بين الحفاظ على **الأصالة** المتمثلة في التراث العربي، والاستفادة من **المعاصرة**، من خلال الاطلاع على الجهود اللسانية الغربية، وكما قيل في الحكمة (أفتح نوافذي لكل رياح العالم، ولكن دون أن تقتلعني من جذوري).

وقبل أن أختم، فإن الحق لأصله عائد، والشكر لأهله واجب، وأخص بالشكر هنا العلّامة الأستاذ الدكتور **عبد الكريم جبل** الذي وضع أساس هذه الدراسة، وأقر خُطتها، ورسم منهجها، ثم وجّه وصوّب، وقارب وسدد، ووعد وأنجز، ولولا فضله بعد الله ﷻ ومتابعته المستمرة، وحثه الدؤوب، لما تحقق ما تحقق.

وأدعو الله أن يبارك في أستاذي المناقشين العالمين الجليلين الأستاذ الدكتور **خالد فهمي إبراهيم** والأستاذ الدكتور **صبحي إبراهيم الفقي** الذيْن شرفاني بقبولهما مناقشة هذه الرسالة، وتصويب فكرتها، وتسديد منهجها، وتصحيح أخطائها، وإقالة عثرتها، وإفادتي بما أكرمهما الله من سعة الحلم وغزارة العلم.

كما أشكر كل صاحب فضل عليّ وكل من قدّم لي مساعدة كبرت أم صغرت، فجزاهم الله عني خيرًا.

فللجميع مني الشكر والتقدير، ومن الله السداد والتوفيق.

﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴾

الباحث

التّمهيد

أ- التّداوليّـــة.

ب- الجهـــــاد.

ج- مادة البحث.

أ- التّداوليّة.

بدأتُ بالحديث عن التداولية كونها المنهج المختار لتطبيق مفاهيمه وآلياته في التحليل على المدونة، والحاجة للوقوف على ماهية هذا المنهج وظروف نشأته وأهم نظرياته ومصطلحاته مهمة للانطلاق في هذا البحث.

أ. ١- نشأة التّداوليّة ومفهومها:

شهدت علوم اللسان منذ حوالي قرن تطورًا عجيبًا، إذ تعاقبت النظريات وتباينت الاتجاهات، يحدو أصحابها الطموح إلى الفوز بمنهج علمي يمكّن من وصف نظم الألسن وصفًا علميًا بالاعتماد على منهج يضاهي منهج العلوم البحتة ضبطًا ودقةً وموضوعيةً، ويسمح من ثم باستنباط قوانين وكليات تتوافر في كل الألسن مهما كانت الفصائل اللغوية التي تنتمي إليها، ابتداءً من النظريات التي تقصي كل ما يُعدّ حائلًا دون تحقيق صرامة المنهج العلمي من معنى ومقام وكلِّ ملابسات الاستعمال، مرورًا بالتي تأخذ المعنى في الحسبان، إلى التي تعير كل الاهتمام إلى المقام وسائر ملابسات الخطاب، إلى التي تبحث عن علاقة النشاط اللغوي بالذهن(١).

ومن هذا المنطلق يعرف العلماء علم اللغة أو اللسانيات Linguistics بأنها:" The scientific study of language"(٢)؛ أي الدراسة العلمية للغة. ويشكل اليوم حقلًا واسعًا من حقول المعرفة الإنسانية؛ لأنه يتناول بالدرس والتحليل إحدى الظواهر الاجتماعية وهي (اللغة) التي تعد أداةً للتواصل الفكري والحضاري(٣).

وهنالك من الباحثين من يفرق بين (اللغة) و(الكلام)، ومن هؤلاء العالم السويسري فرديناند دي سوسير Ferdinand de Sussure (١٨٥٧-١٩١٣م) رائد اللسانيات الحديثة، والذي يرى أن (اللغة) وحدها هي الجديرة بالدراسة العلمية دون (الكلام)، وذلك في معرض حديثه عن التفريق بينهما، إذ يقول:"(اللغة) تختلف عن (الكلام) في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة، فاللغات البائدة مع أنها لم تعد تستخدم الكلام، نستطيع بسهولة أن نتعلم أنظمتها اللغوية، فنتخلص من بقية عناصر اللسان الأخرى، بل إنَّ علم اللغة لا وجود له إلا إذا أقصيت العناصر الأخرى"(٤).

يقول زياد عز الدين:"قامت (التداولية) في جوهرها على رفض تلك الثنائية (اللغة-الكلام) التي نادى بها رائد اللسانيات الحديثة دي سوسير القائلة بأن (اللغة) وحدها دون (الكلام) هي الجديرة بالدراسة العلمية"(٥).

ويرى ليفنسون Levinson أنّ هناك عددًا من الأسباب لنمو التداولية في الأونة الأخيرة، منها أنها كانت رد فعل على المعالجة التجريدية للغة عند تشومسكي Chomsky، أو قصرها على كونها قدرة ذهنية بحتة، وإهمال استعمالها ومستعملها ووظائفها(٦).

---

(١) ينظر: عبد القادر المهيري: مدخل لفهم اللسانيات؛ إيبستيمولوجيا أولية لمجال علمي، تأليف: روبير مارتان، ت: عبد القادر المهيري، ص١٣.

(٢) D. Crystal: A Dictionary of Linguistics and Phonetics, P.283.

(٣) نوزاد حسن أحمد: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، ص١٣.

(٤) فرديناند دي سوسير: علم اللغة العام، ت: يوئيل يوسف عزيز، ص٣٣.

(٥) زياد عز الدين العوف: التداولية، تأليف: فرناند هالين، ت: زياد عز الدين عوف، ص٦٧.

(٦) Levinson: Pragmatics, p.35.

وبنظرة عامة يمكننا تقسيم النظريات اللسانية المعاصرة بالنظر إلى تصورها لوظيفة اللغات الطبيعية إلى مجموعتين اثنتين: نظريات لسانية صورية، ونظريات وظيفية (أو تداولية)، تضم المجموعة الأولى جميع النظريات اللسانية التي تعد اللغات الطبيعية أنساقًا مجردة، يمكن وصفها بمعزل عن وظيفتها التواصلية، في حين أنَّ المجموعة الثانية تشمل النظريات اللسانية التي تعتمد كأحد مبادئها المنهجية المبدأ الآتي: اللغات الطبيعية بنيات تحدد خصائصها –جزئيًا على الأقل– ظروف استعمالها في إطار وظيفتها الأساسية وظيفة التواصل(١).

ولا يظهر لي التعارض بين هذين الاتجاهين –الشكلي والتواصلي– إذ يكمل أحدهما الآخر، وهذا ما يشير إليه محمود نحلة بقوله:"إنَّ الاتجاهين في مدى النظر متكاملان في دراسة الظاهرة اللغوية، إذ ليس من الممكن دراسة الاستخدام اللغوي دون معرفة بالنظام، وليس من الممكن أن تظل دراسة النظام اللغوي معلقة في فراغ"(٢).

ويؤكد المعنى ذاته عبد الهادي الشهري بقوله:"ورغم وجود هذين الاتجاهين العامين عند العرب قديمًا أو عند الغربيين ومن نحا نحوهم من المحدثين؛ فدراسة اللغة تظل دراسة تكاملية، إذ لا يستطيع الدارس الاستغناء بأحد الاتجاهين عن الآخر، مثلما هو الحال عند مستعمل اللغة الذي لا يستطيع أن ينتج خطابًا دون أنْ يتوفر على الكفاءة اللغوية، وأن يوظف كل مستوياتها فيه، وإنما كان التفريق من وجهة نظر إجرائية؛ إذْ يقف أصحاب الأول عند حدود معينة، بينما يتقدم أصحاب الاتجاه الآخر إلى حدود أوسع"(٣).

ويعدّ محمد صلاح التداولية، أو كما يسميها الأطروحات البرغماتية، تيارًا ناتجًا من التقاء الفلسفة واللسانيات والاهتمام المشترك ببعض القضايا حيث يقول:"يوجد تيار ناتج عن التقاء تيارين نابعين من أصلين مختلفين ومتداخلين في الآن نفسه: تيار ينبع من أطروحات فلسفية ومنطقية مختلفة، يمكن جمعها تحت العنوان (الفلسفة اللغوية) ويجمع نظريات مختلفة ومتداخلة، كالفلسفة التحليلية والنماذج المنطقية المختلفة، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب، ويتجمع التياران في مجال عام مشترك بين اللغويين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس نضعه تحت عنوان عام جدًا هو (الأطروحات البراجماتية)" (٤).

مفهوم التداولية pragmatics: تعني لفظة Pragma في الإغريقية فعالية أو عملا أو مسألة(٥)، والمصطلح Pragmaticus يوجد فى اللاتينية المتأخرة، كما أنَّ المصطلح Pragmaticos يوجد في اليونانية، كلا المصطلحين بمعنى العملى(٦)، ولفظة pragmatic(al) تعني (الأساليب) العملية، Pragmatism المذهب العملي أو الذرائعي (يقيس الأمور طبق نتائجها العملية)(٧)، وغالب اشتقاقات الكلمة في الإنجليزية واللغات الأوروبية تدور حول معنى (العملي)، وهذا المعنى اللغوي يشير إلى اهتمام التداولية بالجانب العملي للغة أثناء عملية التواصل.

---

(١) أحمد المتوكل: الوظائف التداولية في اللغة العربية، ص٨.

(٢) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٨.

(٣) عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، ص١١.

(٤) محمد صلاح الدين الشريف: الشرط والإنشاء النحوي للكون، ٢١١/١.

(٥) مجيد الماشطة: شظايا لسانية، ص٥٩.

(٦) عيد بلبع: التداولية؛ البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، القاهرة، ربيع ٢٠٠٥م.

(٧) N.S. Doniach: Oxford English Arabic Dictionar, p.960.

يقول ليفنسون Levinson:"الاستخدام الحديث لمصطلح Pragmatics يُعزى إلى الفيلسوف تشارلز موريس Charles Morris سنة ١٩٣٨م، الذي كان مهتمًا (بعد لوك Locke و Peirce) بوضع مخطط لعلم العلامات Singns أو السيميائية Semiotics (يفضل موريس استخدام Semiotic)، وميز موريس بين ثلاثة فروع للسيميائية، وهي: علم التراكيب Syntactics أو Syntax وهو يعني بدراسة العلاقات الشكلية بين العلامات بعضها ببعض، وعلم الدلالة Semantics وهو يدرس علاقة العلامات بالأشياء التي تدل عليها، أو تحيل إليها، التداولية Pragmatics وتدرس علاقة العلامات بمفسريها"(١). يقول محمد محمد يونس:"ثم عُمم هذا التعريف ليصبح علاقة العلامات بمستخدميها"(٢).

والذي استقر في ذهن موريس Morris أن التداولية تقتصر على دراسة ضمائر التكلم والخطاب وظرفي المكان والزمان (الآن، هنا) والتعابير التي تستقي دلالتها من معطيات تكون جزئيًا خارج اللغة نفسها، أي من المقام الذي يجري فيه التواصل، ومع ذلك ظلت التداولية كلمة لا تغطي أي بحث فعلي(٣).

ويعود هذا التصنيف الثلاثي إلى بيرس Peirce وإن كان موريس Morris هو أول من رسمه بوضوح وأيده رودولف كارناب Rudolf Carnap(٤)، الذي اقترح بعد سنة من ذلك التاريخ أن يُعرّف ذلك العلم على أنه:"حقل البحوث التي تأخذ في حسبانها نشاط الإنسان الذي يتكلم أو يسمع العلامة اللغوية وحالته ومحيطه"(٥).

ولا يمكننا عدّ هذه الفترة هي البداية الحقيقية للتداولية، وهذا ما يؤكده محمود نحلة حيث يقول:"التداولية لم تصبح مجالًا يعتد به في الدرس اللغوي المعاصر إلا في العقد السابع من القرن العشرين بعد أن قام على تطويرها ثلاثة من فلاسفة اللغة المنتمين إلى التراث الفلسفي لجامعة أكسفورد هم أوستن J.L.Austin وسيرل J.L. Searle وجرايس H.P. Grice"(٦)، ومن الغرابة بمكان أن مصطلح Pragmatics لم يظهر في أي عمل من أعمالهم(٧).

العلاقة بين المصطلحين Pragmatism / Pragmatics:

أول من صاغ هذا الاصطلاح Pragmatism هو بيرس Charles Peirce (١٨٣٩-١٩١٤م) عام ١٨٧٨م، ثم تناوله وليام جيمس William James (١٨٤٢-١٩١٠م) وفصّله في نظام فلسفي ونشره، حتى أصبحت هذه الفلسفة تعرف به ويعرف هو بها(٨). أما عن اللفظ نفسه Pragmatism فإن بيرس يعترف أنه قد توصل إليه بعد دراسته للفيلسوف الألماني إيمانويل كانط(٩). ويشير مصطلح pragmatism إلى المذهب الفلسفي

---

(١) Levinson: Pragmatics, p.1.

(٢) محمد محمد يونس: المعنى وظلال المعنى؛ أنظمة الدلالة في العربية، ص١٣٧.

(٣) ينظر: آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، ت: سيف الدين دغفوس وآخرون، ص٢٩.

(٤) ينظر: محمد محمد يونس: مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص١٤.

(٥) محمد محمد يونس: المعنى وظلال المعنى؛ أنظمة الدلالة في العربية، ص١٣٧.

(٦) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٩.

(٧) جيفري ليش وجيني توماس: البرغماتية؛ المعنى في السياق، ص٢٤٩.

(٨) ينظر: يعقوب فام: البراجماتزم أو مذهب الذرائع، ص١٣٧.

(٩) ينظر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة، مقالة عن البراغماتية. وينظر: نعمان بو قرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص١٧١-١٧٨.

الذي ظهر في أمريكا ويذهب إلى أن الفكرة النظرية لا تجدي نفعًا ما لم تكن لها تطبيقات عملية.

وعلى الرغم من التباين بين المصطلحين في المجال المعرفي، حيث يرتبط مصطلح Pragmatism بالجانب الفلسفي، ويرتبط مصطلح Pragmatics بالجانب اللساني، إلا أن ثمة علاقة بينهما يوضحها عيد بلبع بقوله:"ولعلّ أهم نقطة التقاء بين المذهب الفلسفى والتداولية يتحدد فى الواقع العملى الذى يجمع بينهما، فإذا كان المذهب الفلسفى ينطلق من أنّ الفكرة ليست فى الصور والأشكال التى تثيرها فى الذهن، وليست فى انطباقها على حقائق الموجودات، وإنما فى الأعمال التى تؤدي إليها هذه الفكرة، فإن التداولية تجنح إلى تجاوز تفسير اللغة فى ذاتها إلى تفسيرها حال استعمالها فى الواقع العملى"(١).

المصطلح العربي المقابل لكلمة Pragmatics:

تعددت الترجمات العربية للمصطلح الأجنبي (Pragmatique/Pragmatic)؛ فقيل: البراغماتية والبراغماتيك، البرجماتية والبراجماتيك، وقيل: المقامية، الوظيفية، السياقية، الذرائعية، النفعية، التخاطبية، علم الاستعمال.. إلخ.

ولكن أشهر تلك الترجمات هي مصطلح (التداولية) وأول من استخدم مصطلح (التداوليات) مقابلًا للمصطلح الأجنبي (Pragmatics) في العالم العربي الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن –وهو من أوائل الباحثين العرب في هذا المجال– حيث يقول:"وقع اختيارنا منذ ١٩٧٠م على مصطلح (التداوليات) مقابلًا للمصطلح الغربي (براغماتيقا)؛ لأنه يوفي المطلوب حقه، بالنظر إلى دلالاته على معنيي (الاستعمال) و(التفاعل) معًا، ولقي منذ ذلك الحين قبولًا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم"(٢).

ويؤيد محمود نحلة مصطلح التداولية فيقول:"تعددت تعريفات التداولية وكان لهذا التعدد أثره في ترجمة المصطلح إلى اللغة العربية؛ فقد ترجم إلى الذرائعية والمقصدية والمقامية والتداولية، والتداولية أكثرها شيوعًا، وأقربها إلى طبيعة البحث فيها إذ هو منظور فيه إلى (تداول) اللغة بين المتكلم والمخاطب الذي يدل على التفاعل الحي بينهما في استعمال اللغة"(٣).

وهناك من الباحثين من يرفض تلك الترجمة، ويفضل استخدام مصطلح (علم التخاطب) أو (التخاطبية)، ومن هؤلاء محمد محمد يونس، إذ يقول في ذلك:"علم التخاطب Pragmatics يترجمه بعض اللسانيين العرب بالذرائعية حينًا، وبالتداولية أو النفعية حينًا آخر، وهي تراجم غير موفقة؛ لأن هذا المصطلح –وهو إغريقي الأصل– يفسره الغربيون بأنه علم الاستعمال the science of use، الذي يتفق تمامًا مع مباحث (الاستعمال) المقابلة لما يعرف بـ (الوضع) عند علماء أصول الفقه، والبلاغيين العرب القدماء، وعلى الرغم من أن الاستعمال في التراث العربي والإسلامي لم يصبح علمًا لغويًا مستقلًا كما حدث للوضع، فإن تسمية Pragmatics بـ (علم الاستعمال) قد تكون أفضل من غيرها مما ذكر، وإن كنتُ أفضل ترجمته بـ (علم التخاطب)، وهي ترجمة تراعي (ماصدق) اللفظ لا

(١) عيد بلبع: التداولية؛ البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، القاهرة، ربيع ٢٠٠٥م.

(٢) طه عبد الرحمن: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص٢٨.

(٣) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٥٢.

(مفهومه) بالمعنى المنطقي للمصطلحين"[١].

ويفضل هشام خليفة استعمال مصطلح (الفعليات) بسبب كونه يشمل ما نعنيه حين نتكلم عن المعنى أو المغزى (الفعلي) للكلام تمييزًا عن المعنى اللغوي الوضعي الذي هو موضوع علم الدلالة، ويشير إلى كون اللغة نوعًا من الفعل، وهذا واضح في نظرية أفعال الكلام التي تشكل الجزء الأهم في (الفعليات)[٢].

أما (البراجماتيك) فمن الذين استخدموه سعيد حسن بحيري في ترجمته لكتاب (تطور علم اللغة منذ عام ١٩٧٠م) لمؤلفه جرهارد هلبش[٣]، وإن استخدم ترجمات أخرى في بعض مؤلفاته وترجماته، واستخدم محمد الراضي مصطلح (الذرائعية) في ترجمته لكتاب (النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن إلى الذرائعية) لمؤلفيه ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي[٤]، وهي –في نظري– أضعف مقابل عربي لمصطلح Pragmatics، وأبعدها عن مقاصده، وبعضهم يقترح ترجمتها بالعملية أو العملانية أو القصدية.

ويميل الباحث إلى استخدام مصطلح (التداولية) لشهرته بين الباحثين العرب، ولسهولته ودلالته على معنيي التفاعل والاستعمال معًا، أما الترجمات الأخرى للمصطلح مثل: النفعية، الذرائعية، التخاطبية، فلا توفي هذا المنهج حقه؛ للخلط الناتج بينها وبين علوم ومعارف وفلسفات أخرى.

التداولية لغة واصطلاحًا:

(التداولية) مصدر صناعي من الفعل المزيد (تَداوَلَ) على وزن تَفاعَلَ الذي من معانيه الدلالة على المشاركة ومادته (دول)، يقول الجوهري (٣٩٣هـ):"يقال: صار الفَيْءُ دُولَةً بينهم يَتَداوَلونَهُ، يكون مرّةً لهذا ومرّةً لهذا"[٥]، ويقول ابن فارس (٣٩٥هـ):"تداوَلَ القومُ الشّيءَ بينَهم: إذا صار من بعضهم إلى بعض"[٦]، وفي المعجم الوسيط:"ويقال تداول القوم الأمر"[٧]، وفي المعجم الاشتقاقي المؤصل (١٤٣٦هـ):"ومن ذلك المعنى الأصلي الفعل القاصر (دال الثوب يدول): بلي تحول من الجِدّة إلى البِلَى"[٨].

يقول خليفة بوجادي:"ومجموع هذه المعاني التحول والتناقل، الذي يقتضي وجود أكثر من حال ينتقل بينهما الشيء، وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ومتنقلة بين الناس يتداولونها بينهم، ولذلك كان مصطلح (تداولية) أكثر ثبوتا –بهذه الدلالة– من المصطلحات الأخرى الذرائعية، النفعية، السياقية، ... وغيرها"[٩].

---

(١) محمد محمد يونس: مدخل إلى اللسانيات، ص١٢.
(٢) ينظر: هشام الخليفة: نظرية الفعل الكلامي بين علم اللغة الحديث والمباحث اللغوية في التراث العربي والإسلامي، ص١٦.
(٣) جرهارد هلبش: تطور علم اللغة منذ عام ١٩٧٠م، ت: سعيد حسن بحيري، ص٢٢٤.
(٤) ماري آن بافو وجورج إليا سرفاتي: النظريات اللسانية الكبرى؛ من النحو المقارن إلى الذرائعية، ت: محمد الراضي، ص٣٤٩.
(٥) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، (د–و–ل)، ١٧٠٠/٤.
(٦) ابن فارس: مقاييس اللغة، (د–و–ل)، ٣١٤/٢.
(٧) مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، (د–و–ل)، ص٣٠٤.
(٨) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (د–و–ل)، ٦٧٢/١.
(٩) خليفة بوجادي: في اللسانيات التداولية؛ مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، ص١٤٨.

ويقول طه عبد الرحمن –صاحب المصطلح–:"من المعروف أن الفعل (تداول) في قولنا (تداول الناس كذا بينهم) يفيد معنى (تناقله الناس وأداروه فيما بينهم)؛ ومن المعروف أيضًا أن مفهوم (النقل) ومفهوم (الدوران) مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة، فيقال (نقل الكلام عن قائله) بمعنى رواه عنه، كما يقال (نقل الشيء عن موضعه) أي حركه منه، ويقال (دار على الألسن) بمعنى جرى عليها، كما يقال (دار على الشيء) بمعنى طاف حوله، فـ (النقل) و (الدوران) يدلان بذلك في استخدامهما اللغوي على معنى النقلة بين الناطقين، أو قل معنى (التواصل) ويدلان في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين، أو قل على معنى (التفاعل)، فيكون (التداول) جامعًا بين جانبين اثنين هما: التواصل والتفاعل؛ فمقتضى التداول إذن أنْ يكون القول موصولًا بالفعل[١].

تعريفات مصطلح التداولية Pragmatics:

لفهم مصطلح التداولية Pragmatics نحتاج للوقوف على نظرة الباحثين الغربيين والعرب لمفهومها، وأبدأ بعرض تعريفات الباحثين الغربيين:

تعريفات التداولية عند الباحثين الغربيين:

يعرفها تشارلز موريس Charles Morris ١٩٣٨م بقوله:"هي دراسة العلاقة بين العلامات ومفسريها"[٢]، يقول محمد محمد يونس:"ثم عمّم هذا التعريف ليصبح: علاقة العلامات بمستخدميها"[٣]. ويعلق نعمان بو قرة على هذا التعريف بقوله:"هذا تعريف واسع يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي، والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي[٤].

ويعرفها رودولف كارناب Rudolf Carnap بقوله:"حقل البحوث التي تأخذ في حسبانها نشاط الإنسان الذي يتكلم أو يسمع العلامة اللغوية وحالته ومحيطه"[٥].

وفي قاموس كامبردج للسانيات:"التداولية: في الاستخدام الحالي، تختص بالتعامل مع استعمال اللغة في السياق، وهي تهتم بالأفعال التي ينجزها المتكلمون والكتّاب حال استخدامهم للغة، والاستدلالات التي يوظفها المستمعون والقرّاء في بناء فهم وافٍ لما يستمعون له ويقرأونه، كما تهتم بالافتراضات التي يفترضها المتكلمون والكتّاب ويعدونها أمورًا مسلمًا بها، إنّ المقامات المختلفة تفرض المقالات المناسبة في مواقف معينة. العديد من المحللين يفرقون بصرامة بين التداولية والدلالة، ومع ذلك فإن تحليل اللغة الحقيقي يحتاج لكليهما. ومن المفاهيم الأساسية للتداولية: المتضمنات، مبادئ الحوار، الافتراض السابق، أفعال الكلام .. إن التداولية نشأت وتطورت في رحاب الفلسفة وعلم الدلالة"[٦].

---

(١) طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٤٤.

(٢) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٩.

(٣) محمد محمد يونس: المعنى وظلال المعنى؛ أنظمة الدلالة في العربية، ص١٣٧.

(٤) نعمان بو قرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص١٦٦.

(٥) ينظر: محمد محمد يونس: المعنى وظلال المعنى؛ أنظمة الدلالة في العربية، ص١٣٧.

(٦) Brown & Miller: The Cambridge Dictionary of Linguistics, P. 352.

وفي القاموس الموسوعي للتداولية:"دراسة استعمال اللغة مقابل دراسة النظام اللساني الذي تُعنى به تحديدًا اللسانيات، وإذا تحدثنا عن استعمال اللغة فلأنّ هذا الاستعمال ليس محايدًا من حيث تأثيراته في عملية التواصل، ولا في النظام اللغوي في حد ذاته، فمن نافل القول فعلًا أن نشير إلى أن بعض الكلمات (المشيرات الدالة على الزمان أو المكان أو الأشخاص من قبيل الآن وهنا وأنا) لا يمكن تأويلها إلا في سياق قولها، وأقل سذاجة أن نذكر أننا عند التبادل اللغوي نبلغ من المعاني أكثر مما تدل عليه الكلمات، وليس من الساذج أن نقول أخيرًا إن استعمال الأشكال اللغوية ينتج عنه بالمقابل إدراج للاستعمال في النظام نفسه، فمعنى القول يقوم على شرح لظروف الاستعمال أي لأداء ذلك القول"(١).

ويقول فان دايك Van Dijk عن التداولية:"الدراسة التي تعنى باستعمال اللغة، وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعية"(٢)، ويعرف الخطاب التداولي بأنه:"الخطاب الذي يهتم بالعلاقات المطردة الموجودة بين بنيات النص والسياق"(٣).

تقول فرانسواز أرمينكو Francoise Armingaud:"التداولية هي دراسة الشروط القبلية التواصلية كما هي، فلا يوجد لها طابع يرتبط بالظروف التجريبية، بل بشروط تواصلية عامة"(٤).

ومن تعريفات التداولية:"دراسة الارتباط الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي وبالمقام غير اللغوي، وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة"(٥).

ويرى بعض الباحثين التداولية أنها:"العلم الذي يدرس تأثير المقام في معنى الأقوال"(٦)، ومثله تعريف التداولية على أنها:"دراسة لهيمنة المقام على معنى العبارة"(٧).

ويعرفها ج.بول J.Paul بقوله:"دراسة اللغة في الاستعمال in use أو في التواصل in interaction"(٨). وعدّه محمود نحلة "أوجز تعريف للتداولية وأقربه للقبول؛ لأنه يشير إلى أن المعنى ليس شيئًا متأصلًا في الكلمات وحدها، ولا يرتبط بالمتكلم وحده، ولا السامع وحده، فصناعة المعنى تتمثل في تداول negotiation اللغة بين المتكلم والسامع في سياق محدد (مادي، واجتماعي، ولغوي) وصولًا إلى المعنى الكامل في كلام ما"(٩).

يقول وليم أوجرادي William O'Grady عن التداولية:"يطلق مصطلح التداولية عادة على حزمة المعارف ذات الدور المهم في تفسير معنى الجملة، وتشتمل حزمة المعارف هذه على مخزون المعتقدات والأعراف التي لدى كل

(١) جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ت: مجموعة من الباحثين، ص٢١.
(٢) فان دايك: النص والسياق؛ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص٢٧٣.
(٣) المرجع السابق، ص٢٧٥.
(٤) فرانسواز أرمينكو: المقاربة التداولية، ت: سعيد علوش، ص٨٤.
(٥) إمبرتو إيكو: السيميائية وفلسفة اللغة، ت: أحمد الصمعي، ص٤٥٥.
(٦) آن روبول وجاك موشلار: التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، ص٢٦٤.
(٧) أزفالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ص٦٧٧.
(٨) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص١٤.
(٩) المرجع السابق، ص١٤.

من المتكلم والمخاطب، كما تشتمل على استيعاب كل منهما للسياق الذي تستعمل فيه الجملة، وعلى معرفتهما – كذلك– بالطرق التي توظف بها اللغة لتوصيل المعلومات"(١).

وقيل:"تدرس التداولية استخدام اللغة في التواصل الإنساني على النحو الذي تحدده ظروف المجتمع"(٢).

تعريفات التداولية عند الباحثين العرب:

يُعرّف طه عبد الرحمن التداولية بقوله:"التداول عندنا متى تعلق بالممارسة التراثية، هو وصف لكل ما كان مظهرًا من مظاهر التواصل والتفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم، كما أن المجال في سياق هذه الممارسة هو وصف لكل ما كان نطاقًا مكانيًا وزمانيًا لحصول التواصل والتفاعل، فالمقصود بـ (مجال التداول) في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل والتفاعل بين صانعي التراث"(٣).

يقول صلاح فضل عن التداولية:"إنها أحدث فروع العلوم اللغوية، وهي التي تُعنى بتحليل عمليات الكلام والكتابة، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام، مما يجعلها ذات صبغة تنفيذية عملية"(٤).

ويؤكد مسعود صحراوي أن معظم الباحثين يقرون أن قضية التداولية هي:"إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي، وتصير (التداولية) من ثم جديرة بأن تسمى علم (الاستعمال اللغوي)"(٥).

ويقول زياد عز الدين:"التداولية تُعنى بالبحث في العلاقات القائمة بين اللغة ومتداوليها من الناطقين بها، فتأخذ على عاتقها تحليل عمليات الكلام، ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها لدى التواصل اللغوي"(٦).

وقيل عن التداولية:"اتجاه في الدراسات اللسانية، يعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، ولاسيما المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق"(٧)، وتشمل هذه المعطيات(٨):

– معتقدات المتكلم ومقاصده، وشخصيته وتكوينه الثقافي ومن يشارك في الحدث اللغوي.
– الوقائع الخارجية، ومن بينها الظروف المكانية والزمانية والظواهر الاجتماعية المرتبطة باللغة.
– المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، وأثر النص الكلامي فيها.

وقيل أيضًا عن التداولية:"دراسة الآثار اللغوية التي تظهر من الخطاب، وتنظر في عنصر الذاتية للخطاب،

---

(١) وليم أوجرادي: علم الدلالة، ت: عبد الكريم جبل، ص٢٣٨.
(٢) L. Mey: pragmatics; An Introduction, P.7.
(٣) طه عبد الرحمن: تجديد المنهج في تقويم التراث، ص٢٤٤.
(٤) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص٨.
(٥) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص١٦و١٧.
(٦) زياد عز الدين العوف: التداولية، تأليف: فرناند هالين، ت: زياد عز الدين، ص٦٧.
(٧) عثمان بن طالب: البراغماتية وعلم التركيب، ص١٢٥.
(٨) طه عبد الرحمن: البحث اللساني والسيميائي، ص٣٠١-٣٠٣.

ويشمل هذا التداول ضمائر الشخص ومبهمات الزمان والمكان، وينظر في الجانب الضمني والتلميحي والحجاجي للكلام، والسياق يفرض على الباحث احترام مجموعة من قوانين الخطاب في أثناء مخاطبته الآخر"(١).

ويعرفها عبد الحميد السيد بأنها:"اتجاه في الدراسات اللسانية يُعنى بأثر التفاعل التخاطبي في موقف الخطاب، ويستتبع هذا التفاعل دراسة كل المعطيات اللغوية والخطابية المتعلقة بالتلفظ، وبخاصة المضامين والمدلولات التي يولدها الاستعمال في السياق"(٢).

ويوضح عيد بلبع الرابط بين التعريفات المختلفة للتداولية بقوله:"ومن الواضح أن تعريفات التداولية جميعها ترتبط بفكرة الاستعمال التى ربما ترددت فى التعريفات جميعها بشكل أو بآخر"(٣).

ومن هذا يتضح أن التداولية تنتمي للسانيات الوظيفية، وتضم مجموعة من النظريات اللغوية التي تعنى بالعناصر التي أهملتها اللسانيات الشكلية، وتهدف إلى الوصول للمعاني الصريحة والضمنية، ومقاصد الكلام المقروء والمسموع المباشرة وغير المباشرة، ودراسة كيفية تأثير المتكلم في المخاطَب من خلال الآليات الحجاجية، واستنباط القواعد المثلى للحوار.

أ. ٢– أهم نظريات التداولية ومصطلحاتها:

يعد الهولندي هانسون Hansson أول من حاول التوحيد النسقي بين مختلف مكونات التداولية سنة ١٩٧٤م، وذلك بوضع برنامج ونظام يطور ويربط بين مختلف أجزائها بطريقة مستقلة نسبيًا، فميز بين ثلاث درجات للتداولية تتفق في اهتمامها بالسياق وتختلف في كيفية توظيفه، وهذه الدرجات هي:

أولًا– نظريات التداولية الخطية:

تنحدر هذه النظريات من تقاليد الوضعية الجديدة أو ذات النزعة المنطقية في تحليل اللغة، ويمثلها كارناب Carnap 1942 وموريس Morris 1938 وبيرس Pierce 1931-1958، وهي تذهب إلى أن أي نظام من العلامات (سيميائية) يرتكز على مراحل ثلاث(٤):

١– التركيب: ويعنى بقواعد التوليف بين المكونات اللغوية لتحديد نحويتها.

٢– الدلالة: وتعنى بالعلاقة بين العلامات ومراجعها والحكم على الجملة بالصدق أو الكذب.

٣– التداول: يعنى باستعمال الجمل في التخاطب للبحث في مدى مناسبتها للمقام أو خروجها عن الموضوع، وتحديد العمل القولي المتحقق هل تجيز ظروف التخاطب إنجازه؟ وما التأثير الذي يسعى إليه المتكلم من خلال ذلك القول؟

ثانيًا– نظريات التداولية المدمجة أو ذات الشكل (Y):

تبنى ديكرو Ducrot وأنسكومبر Anscombre في السبعينيات والثمانينات من القرن الماضي فكرة إدراج

---

(١) مجيد الماشطة: شظايا لسانية، ص٥٩.

(٢) عبد الحميد السيد: دراسات في اللسانيات العربية؛ التراكيب النحوية والتداولية، ص١١٩.

(٣) عيد بلبع: التداولية؛ البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، القاهرة، ربيع ٢٠٠٥م.

(٤) ينظر: شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ص٣٥٣و٣٥٤.

المظهر التداولي في الدلالة فيما يعرف بالتداولية المدمجة، والتي تعارض تيارًا منطقيًا قائمًا على تصور خطي للعلاقة بين التركيب والدلالة والتداول، ينحدر من تقاليد الوضعية الجديدة أو ذات النزعة المنطقية في تحليل اللغة(١).

ثالثًا– نظريات التداولية العرفانية:

ويمثل هذا التيار سبربر Sperber وولسون Wilson في أواخر الثمانينات، وهذا التيار يفترض أن العمليات المتصلة بتحليل الأقوال تحليلًا تداوليًا ليست موضوعة خصيصًا للنظام اللغوي، وإنما تتعلق بالمستوى المركزي للفكر.

وإذا كانت التداولية المدمجة لا صدقية لأنها تهدف إلى إبراز الفرق بين اللغة الطبيعية واللغة الصورية، فإن التداولية العرفانية نظرية تقوم على شروط الصدق، إذ لا تقتصر المظاهر الصدقية للأقوال على الدلالة(٢).

يقول نعمان بوقرة عن توجهات دراسة اللغة في التداولية:"تفرع اتجاه أوستن في دراسة اللغة إلى ثلاث توجهات هي:

أ– دراسة الأعمال في ذاتها، ورائدا هذا المجال أوستن وتلميذه سيرل.

ب– دراسة الأعمال عن طريق المحادثة، وسبيل المتكلم في التعبير عن نفسه بصورة تجعل المخاطب قادرًا على فهم مقصده، باستعمال عمليات ذهنية معينة، وأشهر أعلامه جرايس.

ج– دراسة متضمنات القول، والافتراضات السابقة، والمحاججة وأشهر أعلامها ديكرو"(٣).

ومن أشهر مصطلحات التداولية:

الأفعال الكلامية: ولدت في رحاب الفلسفة التحليلية الغربية التي مهد لها الفيلسوف الألماني غوتلوب فريجه G.Frege في مؤلفه "أسس علم الحساب" وعمق البحث فيها الفيلسوف النمساوي لودفيغ فيتغنشتاين L.Wittgenstein مؤسس تيار "فلسفة اللغة العادية"وعدد من الباحثين الآخرين الذين آمنوا أن السبيل إلى فهم الإنسان لذاته ولعالمه هي اللغة، فتنادوا إلى ضرورة اتخاذها موضوعًا للدراسة في أي مشروع فلسفي يروم فهم الكون ومشكلاته(٤).

ويعدّ أوستن Austin الوريث الشرعي لتيار "فلسفة اللغة العادية" الذي عُني بلغة التداول، فأوصى بمراعاة الجانب الاستعمالي طبقًا لمقامات التخاطب، بقوله:"موضوع الدراسة ليس الجملة، وإنما إنتاج التلفظ في مقام خطاب"، وكان قد رأى أن الفلسفة حادت عن الصواب لما اعتدّت بالأقوال الجازمة وحدها؛ لما تبين له أن اللغة ليست مجرد أداة لنقل الأفكار ووصف الأشياء، وإنما هي ميدان ننجز فيه أعمالًا Actes لا تنجز إلا في اللغة وباللغة، وكان الهاجس الذي يشغله هو الجواب عن السؤال: ماذا نفعل عندما نتكلم ؟ فوضع أسس نظرية الأفعال

---

(١) ينظر: جاك موشلار، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ت: مجموعة من الباحثين، ص٤٠-٤٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٨٣و٨٤.

(٣) ينظر: نعمان بو قرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص١٩٢و١٩٣.

(٤) ينظر: ملاوي صلاح الدين: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد الرابع، ٢٠٠٩م.

الكلامية[١].

وبعد ذلك تلقف سيرل Searle حصيلة أستاذه، فسعى سعيه إلى إكسابها نضجًا وضبطًا منهجيًّا، ومن ثم صياغتها ضمن نظرية محكمة، متداركًا ما وقع فيه أستاذه من أغلاط، حتى وصل بهذه النظرية إلى مرحلة من النضج.

الاستلزام الحواري: من الجهود المهمة في الدرس التداولي جهود بول جرايس H.P.Grice وهو الذي وضع مبدأ التعاون Cooperative Principle، ويقصد به ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المرسِل للتعبير عن قصده، مع ضمانة قدرة المرسَل إليه على تأويله وفهمه، وصاغه على النحو التالي :"ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"[٢].

وقد فرع جرايس على مبدأ التعاون أربعة مبادئ فرعية وهي: مبدأ الكم، مبدأ الكيف، مبدأ الترابط، مبدأ النوع، وهذه المبادئ تمثل عند الالتزام بها من قبل المتكلم الطريقة المثلى للحوار من وجهة نظر جرايس، ولكن أغلب الناس لا يلتزمون بهذه المبادئ في حوارتهم، ويتم خرقها في كثير من الأحيان، وجرايس نفسه يدرك هذه الحقيقة، وهو ما ترتب عليه ظهور المفهوم الثاني من مفاهيم نظريته للمحادثة.

المفهوم الثاني لجرايس مفهوم (الاستلزام الحواري Conversational Implicature) ولا ينجم إلا إذا تم خرق أحد المبادئ الفرعية الأربعة السابق ذكرها مع الاحتفاظ بأصل مبدأ التعاون، فالمخاطَب يسعى للوصول لهدف المتكلم من الحوار إذا انتهك مبدأ من مبادئ الحوار المتفق عليها.

وقد تابع الباحثون بعد جرايس جهودهم لنقد مبدأ التعاون والإضافة إليه ومن تلك الجهود: مبدأ التأدب لروبين لاكوف Lakoff، مبدأ التواجه لبراون Brown وليفنسون Levinson، مبدأ التأدب الأقصى لليتش Leech.

الحجاج: يمثل الفكر اليوناني القديم عند سقراط وأفلاطون وأرسطو والسفسطائيين الزاوية التاريخية لدراسة الحِجاج، إذ كان مزدهرًا جدًا ويوظف البرهان والحوار بغرض الإقناع والتأثير، ونجد أرسطو منبعًا لكل الدراسات التي تلته، كما أن العرب قد انتبهوا إلى هذا النمط الخطابي من خلال مصنفاتهم ودراساتهم التطبيقية، كما يتجلى ذلك في كتب العقائد والأصول، وفي الشروح والتفاصيل، وفي الخطب والمناظرات[٣]، ومفهوم الحجاج عند القدماء مرادف للجدل[٤] ومرتبط كذلك بالخطابة.

أما في العصر الحديث، فالحجاج هو نقطة التقاء بين علوم ومعارف شتى، منها على سبيل المثال (البلاغة، المنطق، اللسانيات) وترتب على هذا التنوع في الاهتمام بالحجاج ظهور نظريات متعددة له في العالم الغربي، من أهمها[٥]:

في البلاغة: نجد (نظرية الخطابة الجديدة) لشايم بيرلمان Chaim Perelman والتي تعد إحياءً وبعثًا للدرس

---

(١) ينظر: ملاوي صلاح الدين: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية (مقال).

(٢) ينظر: عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، ص٩٦.

(٣) ينظر: حسين بوبلوطة: الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ماجستير، ص١.

(٤) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص١٥.

(٥) ينظر: ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، دكتوراه، ث،ج.

الحجاجي في العالم الغربي؛ حاول من خلالها بيرلمان جعل النظرية البلاغية أداة لتفسير وتحليل الظواهر الفكرية والفلسفية والقانونية بالخصوص، ومن ثم إخراج الحجاج من الدائرة الضيقة التي حصرته فيها الدراسات التقليدية، ويكشف بيرلمان أن الحجاج ممارسة ذاتية اجتماعية، وأنه يتحرك داخل بنية حوارية، يتعدد فيها المخاطب كميًّا ويتنوع كيفيًّا، وأنه قائم أساسًا على طريقتين حجاجيتين هما الوصل والفصل.

والنظرية الثانية هي (نظرية المساءلة) لميشال ماير Michel Meyer الذي انطلق من الحقل الفلسفي الإبستيمولوجي في دراسته للحجاج، فضلًا عن أفكار نظرية بيرلمان، وهما معًا يمثلان أوج ما أنتجت المدرسة البلجيكية، وأهم نظريتين حجاجيتين قاربتا الحجاج بلاغيًّا.

في المنطق: نجد (نموذج المقطع الحجاجي) لستيفان تولمين Stephen Toulmin و"نظرية المنطق الطبيعي" لجون بليز جريز J-BL.Grize، وهما نظريتان حاولتا إعطاء الحجاج سمة عقلانية، وإكسابه مظهرًا منطقيًّا، لكنهما اختلفتا في الرؤية والمرجعية.

في اللسانيات: نجد (نظرية الحجاج في اللغة) لأوزفالد ديكرو O.Ducrot، وجون كلود أنسكومبر Anscombre التي تعد الحجاج ظاهرة لسانية في بنية اللغة نفسها، ودمجت بين الدلالة والتداولية.

أ. ٣- الفكر التداولي عند المسلمين:

المتأمل في ماهية التفكير التداولي يلاحظ الارتباط الوثيق بينها وبين التفكير اللغوي عند علماء الإسلام الأوائل من المفسرين، والأصوليين، والنحويين، والبلاغيين، الذين مارسوا التداولية واقعًا في كثير من مصنفاتهم، وإن لم تتبلور لديهم في صورة نظرية مكتملة الأركان، ويشير إلى هذه الممارسة التداولية لدى العلماء العرب الأوائل العديد من الباحثين المعاصرين الذين أسهموا بأعمالهم في المزج بين الدراسات العربية والدراسات الغربية، وحاول بعضهم تطوير بعض المفاهيم الغربية لتكون أكثر مناسبة للواقع اللغوي العربي، نذكر من هؤلاء:

- طه عبد الرحمن في كتابيه (في أصول الحوار) و(اللسان والميزان أو التكوثر العقلي)، حيث يعالج قضايا الحوار والخطاب والحجاج وهو الذي ترجم المصطلح الغربي Pragmatics بالتداولية.

- أحمد المتوكل الذي اتخذ من النحو الوظيفي منطلقًا في محاولة التوفيق بين النحو العربي وبين دراسات النحو الوظيفي عند سيمون ديك، ومن كتبه (الوظائف التداولية في اللغة العربية) و(آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي)، كما نذكر موازنته بين مفاهيم الطلب عند السكاكي وقواعد التخاطب عند جرايس ١٩٨٥م.

- طالب هاشم طبطبائي في رسالته للماجستير ١٩٩١م (نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب).

- محمد يونس علي الذي بحث في كيفية تحليل الفقهاء للخطاب الفقهي تحليلًا تداوليًا في كتابه (علم التخاطب الإسلامي)، صدر ٢٠٠٠م في نسخته الإنجليزية.

- عبد الله صولة والدراسة الحجاجية التي قام بها في كتابه (الحجاج في القرآن)، عام ٢٠٠١م.

- محمود نحلة وكتابه (آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر)، عام ٢٠٠٢م.

- مقبول إدريس في (البعد التداولي عند سيبويه)، عام ٢٠٠٤م.
- محمد العمري في دراسته (البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول)، عام ٢٠٠٥م.
- عيد بلبع في (التداولية البعد الثالث في سيموطيقيا موريس)، عام ٢٠٠٥م.
- مسعود صحراوي في (التداولية عند العلماء العرب)، عام ٢٠٠٥م.
- نعمان بو قرة في (ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين)، بحث منشور ٢٠٠٨م.
- بالإضافة إلى عشرات الرسائل العلمية التي اعتنت بدراسة البعد التداولي عند العلماء العرب.

يقول نعمان بو قرة:"لقد صدر التفكير البياني العربي في اللغة، والتفسير، وعلم القراءات، والحديث، والأصول، عن رؤية تداولية تتعامل مع النص المعطى في ضوء القرائن السياقية والمقامية، غير حاصرة للمعنى في الدلالة الحرفية، من خلال التركيز على الأغراض والمقاصد الأساسية للكلام، وهذا يجعلنا نقرر أهمية ما توصل إليه الفكر العربي الأصيل في مجال تحليل اللغة الطبيعية، بالنظر إلى المكونات الثلاثة التي تحرص التداولية الحديثة على العناية بها، وهي: النحوي والدلالي والتداولي"(١).

ويؤكد محمد سويرتي المعنى ذاته فيقول:"إن النحاة والفلاسفة المسلمين، والبلاغيين، والمفكرين مارسوا المنهج التداولي قبل أن يذيع صيته بصفته فلسفة وعلمًا، رؤية واتجاها أمريكيًّا وأوروبيًّا، فقد وُظف المنهج التداولي بوعي في تحليل الظواهر والعلاقات المتنوعة"(٢).

ويتحدث مسعود صحراوي عن الممارسة التداولية عند **الأصوليين**:"إن علماء أصول الفقه كانوا من أحسن المستثمرين لظاهرة الخبر والإنشاء في إطارها التداولي، معتمدين على مقولات ومبادئ: سياق الحال، ووضع المتكلم وموقعه من العملية التواصلية وغرضه من الخطاب، وطبقوها على نصوص القرآن والسنة، بغرض دراسة المعاني الوظيفية لتلك النصوص، وهي المعاني التي تطرأ على القول وتتغير من مقام إلى آخر، وعلاقة تلك المعاني بقائلها، وعلاقة ذلك كله بظروف القول وملابسات الخطاب، ودرسوا أيضًا ألفاظ العقود والمعاهدات وما تقتضيه من تشريعات اجتماعية وسياسية، والقوى الإنجازية لتلك المواضعات القولية وشروطها وأحكامها"(٣).

ويقول عن **النحاة العرب**:"إن كثيرا من النحاة العرب كانوا غير بعيدين عن هذا التصور التداولي في تطبيقهم لظواهر الخبر والإنشاء على موضوع بحثهم الخاص، ومن ثم في مراعاتهم لأهم (الأفعال الكلامية) المنبثقة عن تلك المبادئ التداولية"(٤).

أما **البلاغة العربية** فالعلاقة بينها وبين التداولية واضحة بينة فقد تنبه البلاغيون العرب ومن بينهم السكاكي إلى بعض المبادئ التداولية؛ كمبدأ القصد ومبدأ الإفادة، وأيضا وضعوا بعض الشروط التداولية التي ينبغي على المتكلم أن يراعيها ليصل ويكون كلامه ناجحًا واضحًا، وذلك لتحقيق غاية بلاغية تداولية وهي التأثير في السامع

(١) نعمان عبد الحميد بوقرة: ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، سنة ١٤، عدد ٥٤، ٢٠٠٨م.
(٢) ينظر: محمد سويرتي: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)، مجلة عالم الفكر، ص٣٠و٣١.
(٣) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٢٢٤.
(٤) المرجع السابق، ص٢٢٥.

وإقناعه، وذلك من خلال مراعاة المقام الذي يعدّ من أهم الأسس المكينة التي بنت عليها التداولية نظرياتها، وكذا مراعاة العلاقة بين المتكلم والسامع كطرفي خطاب، وأيضا تفطنهم لظاهرة الأفعال الكلامية وذلك من خلال دراستهم للأغراض البلاغية، وهذا كله يعكس الجانب أو البعد التداولي في دراساتنا العربية القديمة(١).

أما عن **التفسير** فإنه يمكننا الاطمئنان من جهة على أن دراسات المفسرين وتفاسيرهم تداولية قطعًا، فقد استأثروا بفهم طرق تأليف اللفظ، ووجه استعمال الكلام، وبفهم لمقاصد الخطاب وسياقه وأغراضه، كما بحثوا في المعنى وأنواعه، ومن هذه الزوايا ينخرط الخطاب التفسيري في مقولات التواصل/ الحوار/ المعنى/ التأويل، وهي مفاهيم لا ينفك الدرس التداولي يثريها.. ويشترك خطاب التفسير وعلمه مع التداولية في البحث عن المعنى، فالتداولية تبحث عن المعنى في علاقته مع الفعل المترتب عن القول، وخطاب التفسير يقوم على الغرض والمقاصد التي تتنوع بحسب الاعتقادات والمعارف من جهة وبحسب متداولي الخطاب من جهة أخرى، وهاتان النقطتان تشكلان قاعدة للتأويل والفهم في علوم التفسير وفي التداوليات اللسانية والمعرفية(٢).

يقول عبد الكريم جبل:"إن النظريات اللسانية الحديثة التي أنتجها الغربيون لها جذور وممارسات في الفكر اللغوي العربي لا تخفى على كل ذي بصيرة، وإن كانت بعض هذه الجهود لم تترجم في صورة نظريات مكتملة الأركان كما فعل الغربيون، إذ يحرص الغربيون على بلورة فكرهم في نظريات واضحة، وعلينا ألا ننغلق على أنفسنا ولا نفرط في تراثنا"(٣)، وهذا ما يشير إليه أيضا الشهري بقوله:"مع ورود هذه الشذرات وتعدد تلك الإشارات، إلا أن معالجتهم كانت متناثرة لا يجمعها رابط، ولا تندرج في إطار معين بوصفها منهجًا دراسيًا لغويًا متكاملًا؛ بالرغم من عمقها في بعض المواضع، وانضباطها في مواضع أخرى، ووحدة التفكير الإنساني بعامة وحاجته إلى إفهام الخطاب والقدرة على فهمه وتأويله هو ما يربط هذه الجهود بالدراسات التداولية المعاصرة"(٤).

---

(١) ينظر: أم الخير سلفاوي: البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي، ماجستير، ص٢١٩.

(٢) ينظر: بومنقاش الرحموني: الضوابط التداولية للنص الديني؛ التفسير أنموذجًا، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، ص٦.

(٣) كلمة قيلت في سيمنار لمناقشة خطة الماجستير.

(٤) عبد الهادي الشهري: إستراتيجيات الخطاب، صxi.

ب- الجهاد.

ب. ١- الجهاد لغة وشرعًا:

لغة: قال ابن فارس (٣٩٥هـ):"الجيم والهاء والدال أصله المشقة، ثم يُحمل عليه ما يقاربه"(١)، ويميز ابن الأَثِير (٦٠٦هـ) بين الجَهد والجُهد، ويعدد الأقوال في التفريق بينهما؛ فيقول:"قد تكرر لفظ الجَهْد والجُهْد في الحديث كثيّرًا، وهو بالضم: الوُسْع والطاقة، وبالفتح: المشقة، وقيل المبالغة والغاية، وقيل هما لغتان في الوسع والطاقة، فأما في المشقة والغاية فالفتح لا غير"(٢).

وذكر القسطلاني (٩٢٣هـ) أصل كلمة الجهاد، وربط بين مفهوم الجهاد وبين الجهد فتحًا وضمًا؛ فقال:"والجِهاد بكسر الجيم مصدر جاهدت العدو مجاهدة وجهادًا، أصله جيهاد كقيتال، فَخُفِّف بحذف الياء، وهو مشتق من الجَهْد بفتح الجيم، وهو التعب والمشقة؛ لما فيه من ارتكابها، أو من الجُهْد بالضم، وهو الطاقة؛ لأن كل واحد منهما يبذل طاقته في دفع صاحبه"(٣).

ونجد في المعجم الاشتقاقي (١٤٣٦هـ) المعنى المحوري للمادة وتأصيلها، حيث يقول:"الجَهاد -كسَحَاب: الأَرْضُ الصُلْبَةُ لا نباتَ بها.. المعنى المحوري: إفراغُ قوة الشيء وقِوامه الذي في باطنه فَيَيْبَس ويَجِف.. ومن ذلك الأصل جِهاد العدو أي بذل الطاقة واستفراغها في مدافعته (أو إضعافه) ﴿وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾ {الصف:١١} فالجهاد يكون ببذل المال وبذل النفس، ويؤخذ من ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ {التوبة:٧٣، والتحريم:٩} ومن ﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾ {الفرقان:٥٢} أن الجهاد بالكيد والتدبير والفكر لمقاومة المنافقين والكافرين، وبالعلم بكل مجالاته هي كلها صور شرعية للجهاد ينبغي عدم التقصير في أي منها، وكل فعل (جاهدَ) ومضارعه وأمره ومصدره جِهاد هي في القرآن للجهاد بالأنفس والأموال، أما ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ﴾ {العنكبوت:٨، ولقمان:١٥} فهما لمحاولة الوالدين جر ولدهما إلى الشرك، والجهاد والاجتهاد في العلم وفي طلب الأمر: بذل الوسع (وغاية القوة) في طلبه، ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ {التوبة:٧٩} غاية وسعهم وطاقتهم ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ﴾ {الأنعام:١٠٩} غاية أيمانهم وأقواها"(٤).

فنستخلص أن المعنى اللغوي للجهاد يدور حول بذل الوُسع والطاقة قولًا أو فعلًا والمبالغة في ذلك؛ لتحقيق الأمر المطلوب، ومادته اللغوية تدور حول معنى محوري وهو إفراغُ قوة الشيء وقِوامه الذي في باطنه فييبس ويجف، وهو مصدر لفعل رباعي (جاهد) على وزن فاعل الذي يدل على المشاركة.

شرعًا: عرّف فقهاء المذاهب الجهاد في كتبهم تعريفات متقاربة، ومن ذلك:

عرّفه الكاساني الحنفي (٥٨٧هـ):"يستعمل في بذل الوسع والطاقة بالقتال في سبيل الله ﷻ بالنفس والمال

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة، (ج-هـ-د)، ٤٨٦/١.

(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، ٣٢٠/١.

(٣) القسطلاني: إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، ص٣١.

(٤) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ج-هـ-د)، ٣٤٨/١و٣٤٩.

واللسان أو غير ذلك أو المبالغة في ذلك"[١]. وعرّفه ابن عرفة المالكي (٨٠٣هـ):"قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد لإعلاء كلمة الله، أو حضوره له، أو دخول أرضه"[٢]. وعرّفه ابن حجر الشافعي (٨٥٢هـ) بقوله:"بذل الجهد في قتال الكفار، ويطلق أيضًا على مجاهدة النفس والشيطان والفساق"[٣]. وعرّفه ابن إدريس البُهُوتِيّ الحنبلي (١٠٥١هـ) بقوله:"قتال الكفار خاصة بخلاف المسلمين من البغاة وقطاع الطريق، وغيرهم فبينه وبين القتال عموم مطلق"[٤]. وفي الموسوعة الفقهية:"قتال مسلم كافرًا غير ذي عهد بعد دعوته للإسلام وإبائه، إعلاءً لكلمة الله"[٥]، وهو تعريف المالكية بعد إضافة قيد الدعوة والإباء لها.

ومن ذلك يتبين أن الجهاد إذا أُطلق فهو: بذل المسلمين الوسع والطاقة لمنع الشرك وأهله من العلو في أرض الله ولتكون كلمة الله هي العليا؛ وذلك بقتال الكافرين الذين لا عهد لهم ولا ذمة، بعد دعوتهم للدخول في الإسلام أو الخضوع لحكمه وإبائهم ذلك وقتالهم عليه.

ونستخلص من تلك التعريفات للجهاد:

١- إطلاق لفظ الجهاد ينصرف إلى القتال وما يرتبط به، وهذا هو المفهوم الخاص للجهاد، وإن كان لا يمنع وجود أنواع أخرى من الجهاد تأتي مقيدة وتدخل في الجهاد بمفهومه العام، مثل جهاد النفس والشيطان وغير ذلك، كما سيأتي بيانه في أنواع الجهاد ومراتبه.

٢- لم أقف على استخدام لفظ الجهاد في الحرب والقتال عند العرب قبل الإسلام، فهو مصطلح إسلامي صرف، وقيل لا مرادف للجهاد في اللغات الأخرى فيبقون على لفظه العربي عند نقله للغاتهم، وترجمته بالحرب المقدسة بعيد عن معناه.

٣- الجهاد بمفهومه الخاص وهو القتال لا يكون إلا بين مسلمين وكفار، وليس كل كافر يُقاتل وإنما لذلك ضوابط شرعية، وهنالك أنواع أخرى من القتال قد تكون مشروعة أو غير مشروعة، تحدث بين المسلمين وغيرهم أو بين المسلمين بعضهم بعضًا وسيأتي بيانها.

٤- الجهاد يجب أن يكون في سبيل الله ولتكون كلمة الله هي العليا، قال مالك (١٧٩هـ):"سبل الله كثيرة، وأفضلها الجهاد"[٦]، وقال الطبري (٣١٠هـ):"سبيل الله هو طريقه الذي أوضحه ودينه الذي شرعه لعباده"[٧].

وجاء في الحديث عن أبي موسى ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل للذكر، والرجل يقاتل لِيُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟ قال ﷺ:"من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل

(١) الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ٣٧٩/٩.
(٢) الحطاب الرعيني: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ٥٣٥/٤و٥٣٦.
(٣) ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ٣/٦.
(٤) البُهُوتِيّ: كشاف القناع عن متن الإقناع، ٣٢/٣.
(٥) الموسوعة الفقهية، ١٢٤/١٦.
(٦) ابن العربي: أحكام القرآن، ٢٢٩/١.
(٧) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٥٦٣/٣.

الله"[١].

فإن كان الجهاد على غير ما سبق كان عدونًا منهيًا عنه كما ذكر ابن العربي (٥٤٣هـ) في معاني العدوان في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾{البقرة:١٩٠}: "أي لا تقاتلوا على غير الدين"[٢].

٥- يجب أن نصون مصطلح الجهاد عن الأوصاف التي تقلل من قيمته، فليس هناك جهاد إسلامي، وجهاد غير إسلامي، ولا جهاد مشروع، وجهاد غير مشروع، بل جهاد فحسب، وإنما يوصف بهذا القتال وغيره من المصطلحات.

سبب تفضيل لفظ الجهاد: هنالك ألفاظ أخرى متداولة مع لفظ الجهاد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية، ومن ذلك: القتال والبأس والحرب والنفير والغزو والبعث والخروج والسير والزحف، ولكن الملاحظ أن الشريعة الإسلامية تفضل استخدام لفظ الجهاد على غيره من الألفاظ المرتبطة به، فالجهاد يأتي في سياق المدح والتعظيم، على عكس غيره من الألفاظ التي قد تستخدم للمدح أو للقدح.

وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن تفضيل الشريعة لكلمة الجهاد مرده إلى أن هذه الكلمة أوسع مدى وأشمل غاية من غيرها، فهي تشمل جميع أنواع السعي وبذل الجهد، وهي أفضل من كلمة الحرب مثلا التي ارتبطت بالقتال بين الرجال والأحزاب والشعوب لمآرب شخصية وأغراض ذاتية، أما القتال المشروع في الإسلام فليس من هذا القبيل[٣].

ويمكننا القول إن اختيار لفظ الجهاد وتقديمه في الاستعمال على القتال والحرب والغزو وما شابه، له أسبابه ومنها:

١- حرص الإسلام على تأكيد سمو غايات وأهداف تلك الفريضة؛ فاستخدم لفظًا مغايرًا للألفاظ التي اعتادتها العرب كالحرب والقتال وغيرها، وإن لم يرفض استعمال تلك الألفاظ في مواضعها.

٢- ما في اللفظ من سعة وشمول لكل جهد مبذول في الإعداد والقتال والغزو والرباط والإنفاق وغير ذلك، كما أن الجهاد بمفهومه العام يشمل جهاد النفس والشيطان والمنافقين والظالمين والكفار ويشمل الجهاد بالنفس والمال واللسان، فهو لفظ واسع المدلول غزير المعاني، وهذا لا يتوفر في الألفاظ الأخرى، كما أشار الباحثون إلى ذلك.

٣- إن لفظ الجهاد له دلالة مهمة في تحديد مراد الله ﷻ من المؤمنين في هذه العبادة العظيمة، ويتمثل في بذل جهدهم وما في استطاعتهم؛ لنصرة الدين وإعلاء كلمة الله، وإن الأجر منه والثواب مقرون بهذا الجهد المبذول لا بالثمرة التي تترتب عليه، وهذا من رحمته سبحانه بعباده، فالله لا يكافئ المؤمنين على اتساع الأراضي التي غزوها، ولا على كثرة من حاربوا وقتلوا، أو عظم ما غنموا، وإنما على ما بذلوا من طاقة وجهد في سبيل دينه وإعلاء كلمته،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، رقم (٢٨١٠)، ٢٨/٦.

(٢) ابن العربي: أحكام القرآن، ١٤٧/١.

(٣) ينظر: كامل سلامة الدقس: آيات الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية وتاريخية وبيانية، ص١١و١٢.

وجعل أعظم الثواب لمن أدى به بذل الجهد إلى الموت في سبيله سبحانه، حتى وإن أخفق المجاهدون وأصيبوا فهم مأجورون على جهدهم وسعيهم وبذلهم الأموال والأنفس لله، فهم أعظم أجرًا ممن سلم وغنم، ويؤكد ذلك حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"ما من غازية أو سرية تغزو فتغنم وتسلم إلا كانوا قد تعجلوا ثلثي أجورهم، وما من غازية أو سرية تخفق وتصاب إلا تم أجورهم"[(١)]، وأجر الشهيد عند الله أعظم أجرًا من الحي الذي رأى النصر بعينيه وتمتع بالغنائم، فالنصر والثمرة منه سبحانه، وما على المؤمنين إلا بذل الجهد وهذا له أثره في التوكل عليه سبحانه واليقين بأن النصر منه وحده.

٤- تقديم لفظ الجهاد ليس على إطلاقه وليس في كل موضع، فقد يقدم غيره من الألفاظ لفائدة يقتضيها السياق، فأحيانًا يوظف القرآن لفظ القتال في كثير من المواضع، وذلك إذا اقتضت الضرورة؛ حتى لا ينصرف الذهن إلى غير القتال؛ إذ إن الجهاد يشمل القتال وغير القتال، وقد ورد ذكر القتال في القرآن أكثر من ذكر الجهاد.

ب. ٢- أنواع الجهاد ومراتبه:

للجهاد مفهومان: عام وخاص، ولكل منهما أنواعه ومراتبه، وبيانه كما سيأتي:

أنواع الجهاد بمفهومه العام: الجهاد بمفهومه العام يشمل جهاد النفس والشيطان والكفار والمنافقين وأرباب الظلم والبدع والمنكرات ويدخل فيه أمور كثيرة ومتنوعة، ويمكن حصره في ثلاث عشرة مرتبة فرعية تندرج تحت أربع مراتب رئيسة ذكرها ابن القيم (٧٥١هـ)، من خلال استقرائه لأدلة الكتاب والسنة وكلام العلماء السابقين[(٢)]، وهي: جهاد النفس، جهاد الشيطان، جهاد الكفار، جهاد المنافقين.

الأولى- جهاد النفس: وهي أربع مراتب: **العلم:** أن يجاهدها على تعلم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها، ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها علمه، شقيت في الدارين. **العمل:** أن يجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها. **الدعوة:** أن يجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان مِن الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات، ولا ينفعه علمه، ولا ينجيه مِن عذاب الله. **الصبر:** أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى الله، وأذى الخلق، ويتحمل ذلك كله لله.

فإذا استكمل هذه المراتب الأربع، صار من الربانيين، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يُسمى ربانيًّا حتى يعرِف الحق، ويعمل به، ويعلِّمه، فمن علم وعمل وعلَّم فذاك يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات.

الثانية- جهاد الشيطان، مرتبتان: **الشبهات:** جهاده على دفع ما يُلقى إلى العبد مِن الشبهات والشكوك القادحة في الإيمان. **الشهوات:** جهاده على دفع ما يُلقى إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات.

فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر، قال تعالى:﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾{السجدة: ٢٤} فأخبر أن إمامة الدين، إنما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقينُ يدفع الشكوك والشبهات.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب بيان قدر ثواب من غزا فغنم ومن لم يغنم، رقم (١٩٠٦)، ١٥١٥/٣.

(٢) ينظر: ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٩/٣و١٠.

الثالثة– جهاد الكفار والمنافقين، أربع مراتب: **بالقلب، واللسان، والمال، والنفس.**

وجهاد الكفار أخصُّ باليد، وجهاد المنافقين أخصُّ باللسان، وجهاد المنافقين أصعب مِن جهاد الكفار، وهو جهاد خواصِّ الأمة، وورثة الرسل، والقائمون به أفراد في العالَم، والمشاركون فيه، والمعاونون عليه، وإن كانوا هم الأقلين عددًا، فهم الأعظمون عند الله قدرًا.

الرابعة– جهاد أرباب الظلم، والبدع، والمنكرات، ثلاث مراتب: الأولى **باليد** إذا قدر، فإن عجز، انتقل إلى **اللسان،** فإن عجز، جاهد **بقلبه.**

وأفضل الجهاد بمفهومه العام كلمة حق عند سلطان جائر كما ورد في السنة النبوية، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله، أي الجهاد أفضل؟ ورسول الله ﷺ يرمي الجمرة الأولى فأعرض عنه، ثم قال له عند الجمرة الوسطى فأعرض عنه، فلما رمى جمرة العقبة ووضع رجله في الغرز، قال: أين السائل؟ قال: أنا ذا يا رسول الله، قال: أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر"[١].

وورد في السنة أن أفضل الجهاد للنساء الحج المبرور؛ لحديث عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، نرى الجهاد أفضل العمل، أفلا نجاهد؟ قال:"لا، لَكُنَّ أفضلُ الجهاد حج مبرور"[٢].

أنواع الجهاد بمفهومه الخاص: أما الجهاد بمفهومه الخاص، فهو كما ذكر الفقهاء نوعان[٣]:

الأول– جهاد الدفع: ويقصد به الدفاع عن بلاد المسلمين إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين.

الثاني– جهاد الطلب: وهو غزو الكفار في بلادهم، حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله[٤].

ب. ٣– القتال في الأمم السابقة ومراحل تشريعه:

شرع الله القتال لبعض أنبيائه الذين بعثوا قبل محمد ﷺ ودليل ذلك من القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ {آل عمران: ١٤٦} على قراءة (قَاتَلَ) قال الطبري (٣١٠هـ) في تفسيرها:"هلا فعلتم كما كان أهل الفضل والعلم من أتباع

---

(١) الألباني: سلسلة الأحاديث الصحيحة، رقم (٤٩١)، ٨٨٧/١و٨٨٨. قال الخطابي (٣٨٨هـ):"إنما كان هذا أفضل الجهاد؛ لأن من جاهد العدو كان على أمل الظفر بعدوه ولا يتيقن العجز عنه؛ لأنه لا يعلم يقينًا أنه مغلوب، وهذا يعلم أن يد سلطانه أقوى من يده، فصارت المثوبة فيه على قدر عظيم المؤونة" (الخطابي: العزلة، ص٢٢٨).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، رقم (١٥٢٠)، ٣٨١/٣. قال ابن حجر في فتح الباري (٣٨٢/٣): اختلف في ضبط (لَكُنَّ) فالأكثر بضم الكاف خطاب للنسوة.اهـ

(٣) ينظر: الزيلعي: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، ص٢٤١.

(٤) الإجماع منعقد على مشروعية غزو الكفار في بلادهم، وإن لم يبدؤونا بقتال، وإنما الخلاف في كون جهاد الطلب فرض كفاية وهو ما اتفقت عليه المذاهب الأربعة، وإليه ذهبت الظاهرية أيضًا، وعامة الفقهاء، أو فرض عين وهو قول أبي أيوب الأنصاري، وأبي طلحة، والمقداد، وبه قال ابن المسيَّب، أو مستحب، أما القول بأن جهاد الطلب لا يجوز أو أنه عدوان منهي عنه فقول شاذ ضعيف لم تعرفه الأمة إلا في هذا العصر، وإلى هذا المعنى أشار الجصاص (٣٧٠هـ) عند حديثه عن قوله تعالى: ﴿فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ {النساء: ٩٠}:"ولا نعلم أحدًا من الفقهاء يحظر قتال من اعتزل قتالنا من المشركين، وإنما الخلاف في جواز ترك قتالهم لا في حظره، فقد حصل الاتفاق من الجميع على نسخ حظر القتال لمن كان وصفه ما ذكرنا" (الجصاص: أحكام القرآن، ت: القمحاوي، ١٩١/٣).

الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم، من المضي على منهاج نبيهم، والقتال على دينه أعداء دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم، ولم تهنوا ولم تضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم"[١]، ففي هذا دليل على مشروعية القتال عند بعض الأنبياء السابقين، وقصص هؤلاء الأنبياء وقتالهم لأعدائهم مذكورة في كتب غير المسلمين وخاصة العهد القديم، ومن ذلك: قتال النبي موسى ، قتال النبي يوشع بن نون ، قتال بني إسرائيل مع الملك طالوت، وفيه قتْل النبي دواد لجالوت، قتال النبي سليمان ، قتال ذي القرنين.

أما في **شريعة الإسلام** فقد مر تشريع الجهاد في سبيل الله بمراحل كثيرة، ومر بأطوار متعددة من المنع ثم الإباحة ثم الفرض، ويمكننا أن نلخص تلك المراحل التي مر بها الجهاد في تشريعه في أربع مراحل رئيسة وهي[٢]:

المرحلة الأولى: الأمر بالصبر والعفو والصفح والإعراض عن المشركين وتحمل أذيتهم للمسلمين في بداية الدعوة الإسلامية، ثم السماح بالهجرة من الأماكن التي يتعرضون فيها للاضطهاد والبطش، والاقتصار في هذه المرحلة على الجهاد بالحجة والبراهين لضحد أباطيل الكفر.

المرحلة الثانية: الإذن بقتال المشركين ممن يعلم المسلمون أنهم يعتقدون وجوب قتال المسلمين وقتلهم، وكانت هذه المرحلة في بداية الهجرة للمدينة النبوية.

المرحلة الثالثة: الأمر بقتال من قاتل المسلمين مع النهي عن الاعتداء، وكان ذلك في السنوات الأولى من الهجرة النبوية.

المرحلة الرابعة: الأمر بقتال المشركين كافة بالضوابط الشرعية، وبدئهم بالقتال وغزوهم في بلادهم، إذا رفضوا دعوة الإسلام، أو الاستسلام لأحكامه، وذلك في ختام التشريع الإسلامي في السنتين الأخيرتين من حياة النبي ﷺ مع نزول سورة التوبة.

ولما أُذن للمسلمين بالقتال بعد الهجرة، مارس النبي ﷺ القتال في حياته ممارسة عملية، وقاد الرسول ﷺ الجيوش وخاض المعارك بنفسه، وتعرض لمخاطرها وأهوالها، في سبيل الله سبحانه لا من أجل دنيا أو مصلحة شخصية، وكان النبي ﷺ في ذلك أحسن قدوة لمن بعده، وقد قاتل النبي ﷺ المشركين من العرب الوثنيين وأهل الكتاب اليهود والنصارى، وكان جهاده ﷺ بكل أنواع الجهاد، يقول ابن القيم (٧٥١هـ):"لما كان الجهاد ذروة سنام الإسلام وقبته، ومنازل أهله أعلى المنازل في الجنة، كما لهم الرفعة في الدنيا، فهم الأعلون في الدنيا والآخرة، كان رسول الله ﷺ في الذروة العليا منه، واستولى على أنواعه كلها؛ فجاهد في الله حق جهاده بالقلب والجنان والدعوة والبيان والسيف والسنان، وكانت ساعاته موقوفة على الجهاد بقلبه ولسانه ويده؛ ولهذا كان أرفع العالمين ذكرًا، وأعظمهم عند الله قدرًا"[٣].

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٧/٢٦٤و٢٦٥.

(٢) ينظر: الشافعي: الأم، ٤/١٥٩-١٦١.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ج٣ ص٥.

وقد قاتل النبي ﷺ والصحابة الكرام أمم الكفر في زمانهم، فمن ذلك(١):

١- قتال النبي ﷺ لمشركي العرب من الوثنيين: وذلك في غزوة بدر الكبرى، غزوة أحد، غزوة الأحزاب، صلح الحديبية، فتح مكة، غزوة حنين، غزوة الطائف.

٢- قتال النبي ﷺ لليهود: وذلك في غزوة بني قينقاع، غزوة بني النضير، غزوة بني قريظة، غزوة خيبر.

٣- قتال النبي ﷺ للنصارى: وذلك في معركة مؤتة، وغزوة تبوك.

ب. ٤- من أحكام وآداب الجهاد في الإسلام:

للجهاد أحكام شريعة كثيرة محلها كتب الفقه، وأكتفي في هذا المطلب بالحديث عن بعض الأحكام العامة للجهاد في الشريعة الإسلامية:

مشروعية الجهاد: الجهاد في سبيل الله مشروع بالكتاب والسنة والإجماع:

الكتاب: من الأدلة قول الله ﷻ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ {البقرة: ٢١٦}.

السنة: الدليل حديث ابن عمر ﵄ أن رسول الله ﷺ قال:"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"(٢)، وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ:"من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاق"(٣).

الإجماع: فالإجماع منعقد على مشروعية الجهاد، وحكاه غير واحد من أهل العلم وفقهاء المذاهب(٤).

حكم الجهاد: ذكر العلماء في حكم الجهاد ثلاثة أقوال وهي: فرض عين(٥)، مندوب (مستحب)(٦)، فرض كفاية(٧).

قال ابن القيم (٧٥١هـ):"والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين إما بالقلب، وإما باللسان، وإما بالمال، وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع. أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية، وأما الجهاد بالمال ففي

---

(١) ينظر: ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٤٦/٣-٥٢١. وينظر: المباركفوري: الرحيق المختوم؛ بحث في السيرة النبوية.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة فخلوا سبيلهم)، رقم (٢٥)، ٧٥/١. وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، رقم (٢٢)، ٥٣/١.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب ذم من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بالغزو، رقم (١٩١٠)، ١٥١٧/٣.

(٤) ينظر: المقدمات الممهدات لابن رشد الجد (٢٤٧/١) الاختيار للموصلي (١١٧/٤) مغني المحتاج للشربيني (١١٧/٤) وكشاف القناع للبهوتي (١٢٥٣/٤)

(٥) وهو قول أبي أيوب الأنصاري، وأبي طلحة، والمقداد ﵃ وبه قال سعيد بن المسيَّب رحمه الله، وبه قال بعض الشافعية، وذكره ابن قدامة في المغني ورد عليه. ينظر: المغني لابن قدامة (١٩٦/٩).

(٦) وهو منقول عن بعض العلماء، منهم: عبد الله بن الحسن، وابن شبرمة، وسفيان الثوري، واختلفت فيه الرواية عن ابن عمر ﵄. ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١٤٦/١).

(٧) وعلى هذا القول المذاهب الأربعة والظاهرية وعامة الفقهاء وعلماء المسلمين.

وجوبه قولان: والصحيح وجوبه؛ لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس في القرآن سواء"[١].

وعلى هذا فالجهاد بمفهومه العام فهو فرض عين على كل مسلم، أما الجهاد بمفهومه الخاص فهو فرض كفاية على الأمة جميعها. وقد يكون فرض عين في أحوال ذكرها العلماء[٢].

شروط الجهاد: يشترط فيمن يخرج للجهاد الشروط التالية: الإسلام، العقل، البلوغ، الذكورة، القدرة على مؤنة الجهاد، السلامة من الضرر[٣]. ولا يخرج من توفرت فيه الشروط السابقة للجهاد إلا بعد استئذان من يجب استئذانهم وهم: الوالدان، الدائن، الإمام (الحاكم)[٤].

من يُشرع قتاله: اشترط الإسلام فيمن يجوز قتاله من الكفار شروطًا، وهي: ألا يكون ذميًا، ولا معاهدًا، ولا مستأمنًا، وأن يكون من أهل القتال، ليس بصبي، ولا امرأة، ولا شيخًا كبيرًا، ولا من انقطع عن الناس وترك القتال، وأن يكون قد بلغته الدعوة.

وجاءت أحاديث النبي ﷺ بالنهي والوعيد عن قتل كل نفس معصومة ممن له عهد وأمان عند المسلمين، ومن ذلك: حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:"من قتل نفسًا معاهدًا لم يرح رائحة الجنة؛ وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عامًا"[٥]، وقوله ﷺ:"وذمة المسلمين واحدة، يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلمًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل"[٦].

أنواع أخرى من القتال: هنالك أنواع أخرى من القتال المشروع وغير المشروع قد يحدث بين المسلمين أنفسهم، وحدث بعضه بين الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، واختُلف في المشروع من هذه الأنواع هل تعد من الجهاد في الاصطلاح الشرعي أم لا؟ وإن كان هذا القتال في بعضها عملًا مبرورًا، ومن هذه الأنواع:

١- قتال أهل البغي: والبغاة:"هم الخارجون من المسلمين عن طاعة الإمام الحق بتأويل ولهم شوكة"[٧]، وقتال أهل البغي هو قتال لمسلمين خرجوا عن الطاعة لتأديبهم وإعادتهم إلى حكم الطاعة[٨]، ومنهم الخوارج. قال تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ {الحجرات: ٩}

٢- قتال المحاربين (من قطاع الطرق): والحرابة: هي الخروج على المارة لأخذ المال على سبيل المغالبة، على وجه يمنع المارة من المرور، فينقطع الطريق، سواء أكان القطع من جماعة أم واحد، بعد أن يكون له قوة القطع، وسواء

---

(١) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/٦٤.

(٢) ينظر: ابن قدامة: المغني، ١٠/٣٦٥و٣٦٦.

(٣) ينظر: الموسوعة الفقهية: ١٦/١٣٧-١٣٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ١٦/١٣٢-١٣٦.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب الديات، باب إثم من قتل ذميًا بغير جرم، رقم (٦٩١٤)، ١٢/٢٥٩.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب ذمة المسلمين وجوارهم واحدة يسعى بها أدناهم، رقم (٣١٦٦)، ٦/٢٦٩.

(٧) ينظر: الموسوعة الفقهية، ٨/١٣٠.

(٨) ينظر: محمد خير هيكل: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ١/٥١.

أكان القطع بسلاح أم بغيره من العصا والحجر ونحو ذلك، وتسمى الحرابة بالسرقة الكبرى[١]. قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ {المائدة: ٣٣}

٣- قتال الفتنة: وهو قتال غير مشروع بين طائفين أو أكثر من المسلمين[٢]، ومن صوره: قتال بين طائفتين لا يعلم فيه المحق من المبطل، أو يكونا ظالمتين، أو صراع غير مشروع في طلب الملك[٣].

٤- القتال للدفاع عن الحرمات الخاصة والعامة: والحرمات الخاصة هي حرمة النفس والمال والعرض، قال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ ﴾ {البقرة: ١٩٤} وقال رسول الله ﷺ:"من قُتل دون ماله فهو شهيد"[٤].

قال شهاب الدين (٧٤٩هـ):"حكمت علماء الأمة، واتفق قول الأئمة، أنّ سيوف الحق أربعة، وسائرها للنّار؛ سيف رسول الله ﷺ للمشركين، وسيف أبي بكر في المرتدين، وسيف عليّ في الباغين، وسيف القصاص بين المسلمين"[٥].

آداب الجهاد: آداب الجهاد والأمور الواجب اتباعها خلاله بيّنها النبي ﷺ فيما ورد عن سليمان بن بُرَيْدَةَ، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدِروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدًا، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال أو خلال فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، (ثم) ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك؛ فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله، ولكن أنزلهم على حكمك؛ فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا"[٦].

---

(١) ينظر: الموسوعة الفقهية: ١٣١/٨.

(٢) ينظر: محمد خير هيكل: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ١٤٦/١.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ١٤٦/١و١٤٧.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب المظالم والغصب، باب من قاتل دون ماله، رقم (٢٤٨٠)، ١٢٣/٥.

(٥) شهاب الدين: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ١٢/ ١١٧.

(٦) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم (١٧٣١)، ١٣٥٧/٣و١٣٥٨.

قال النووي (٦٧٦هـ):"وفي هذه الكلمات من الحديث فوائد مجمع عليها وهي تحريم الغدر، وتحريم الغلول، وتحريم قتل الصبيان إذا لم يقاتلوا، وكراهة المثلة، واستحباب وصية الإمام أمراءه وجيشه بتقوى الله تعالى، والرفق بأتباعهم، وتعريفهم ما يحتاجون في غزوهم، وما يجب عليهم، وما يحل لهم، وما يحرم عليهم، وما يكره وما يستحب"(١).

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال:"الناس في الغزو جزءان: فجزء خرجوا يكثرون ذكر الله والتذكير به، ويجتنبون الفساد في المسير، وَيُوَاسُونَ الصاحب، وينفقون كَرَائِمَ أموالهم، فهم أشد اغتباطًا بما أنفقوا من أموالهم منهم بما استفادوا من دنياهم، وإذا كانوا في مَواطن القتل، اسْتَحْيُوا من الله في تلك المواطن أن يَطَّلِعَ على رِيبَةٍ في قلوبهم، أو خِذْلَانٍ للمسلمين، فإذا قدروا على الغُلُولِ طَهَّرُوا منه قلوبهم، وأعمالهم. فلم يستطع الشيطان أن يفتنهم، ولا يُكَلِّمَ قلوبهم، فبهم يُعِزُّ الله دينه، ويَكْبِت عدوه. وأما الجزء الآخر، فخرجوا، فلم يكثروا ذكر الله، ولا التذكير به، ولم يجتنبوا الفساد، ولم يُوَاسُوا الصاحب، ولم ينفقوا أموالهم إلا وهم كارهون، وما أنفقوا من أموالهم رأوه مَغْرَمًا، وحزنهم به الشيطان فإذا كانوا عند مواطن القتال كانوا مع الآخر الآخر، والخاذل الخاذل، واعتصموا برؤوس الجبل، ينظرون ما يصنع الناس، فإذا فتح الله للمسلمين، كانوا أشدهم تخاطبًا بالكذب، فإذا قدروا على الغُلُول اجترأوا فيه على الله، وحدثهم الشيطان أنها غنيمة، إن أصابهم رخاء بطروا، وإن أصابهم حبس فتنهم الشيطان بالعرض، فليس لهم من أجر المؤمنين شيء، غير أن أجسادهم مع أجسادهم، ومسيرهم مع مسيرهم، دنياهم وأعمالهم شتى، حتى يجمعهم الله يوم القيامة، ثم يفرق بينهم"(٢).

انتهاء القتال: الجهاد بمفهومه العام فدائم لا ينقطع، أما القتال فقد اقتضت إرادة الله الشرعية أن يكون لقتال الكفار غاية يتوقف عندها إما توقف دائم أو توقف مؤقت، ومن أسباب توقف القتال في الإسلام:

١- الدخول في الإسلام: كما قال تعالى:﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾{التوبة: ٥} وكما قال ﷺ:"أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك، عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله تعالى"(٣)؛ وفي الحديث يقول النبي ﷺ فيه:"ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم، وكفَّ عنهم"(٤)؛ لأن مسوغ القتال زال فزال ما هو مبني عليه.

٢- الدخول في الذمة: وهو ما يعني تنازلهم عن حكم أرض الله تعالى؛ لأنه لم يستخلفهم فيها، وإنما الاستخلاف لمن قبل دينه ورضي أن تحكم أرض الله بشريعة الله، قال تعالى:﴿قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ﴾{التوبة: ٢٩} فإن بذلوا الجزية عقدت لهم الذمة، وكان لهم بذلك الأمان

---

(١) النووي: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، ٣٧/١٢.

(٢) عبد الله بن المبارك: الجهاد، ص٦٤. قال المحقق: أخرجه سعيد بن منصور في سننه (١٣٦/٣/٢).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، رقم (٢٥)، ٧٥/١.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، رقم (١٧٣١)، ١٣٥٧/٣.

والعصمة لدمائهم وأموالهم إلا بحقها[١].

٣- المعاهدات: وهي مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى:"﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ {الأنفال: ٦١} ومن السنة: مهادنته ﷺ قريشًا عام الحديبية عشر سنين، أما الإجماع: فقد أجمعت الأمة على مشروعية الموادعة مع غير المسلمين في الجملة، وهي جائزة لا واجبة ، وقد تجب لضرورة كأن يترتب على تركها إلحاق ضرر بالمسلمين لا يتدارك[٢].

ويجب الوفاء بهذه المعاهدات، وينتهي وجوب الالتزام بها في حالات: انقضاء مدة العهد، ونقض المعاهد لشرط أو أكثر من شروط المعاهدة، ومظاهرة المعاهد للعدو المحارب للمسلمين، والنَّبْذ من طرف المسلمين وذلك بإعلام المعاهد بأن المعاهدة قد انتهت[٣].

٤- الهزيمة والاستسلام والأسر: قال تعالى:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا﴾ {محمد: ٤} فالكفار الذين لم يدخلوا الإسلام، أو لم يستسلموا لأحكام الإسلام مع بقائهم على دينهم ودفع الجزية، أو لم يعقد معهم المسلمون هدنة، أو لم يكونوا من أهل الأمان، وقد وصلتهم دعوة الإسلام بحقها، ورفضوا كل ذلك؛ فليس لهم إلا القتال حتى ينتصر عليهم المسلمون فيقتلون منهم ويأسرون ما قدّر الله أن يكون، وتطبق عليهم أحكام الأسرى في الإسلام من المن أو الفداء أو الاسترقاق أو عقد الذمة معهم أو القتل إذا اقتضت الحاجة، وتصبح أموالهم وديارهم وأهلهم غنيمة للمسلمين[٤].

ب. ٥- غايات الجهاد وحكمة المنع والتشريع:

ما منع الله ﷻ القتال في بدء الدعوة الإسلامية إلا لحكمة، وما أذن به من القتال ثم أوجبه بعد ذلك إلا لحكمة، قد نعلمها وقد لا نعلمها، وإنما العلماء مجتهدون في الوصول لهذه الحكم، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب.

الحكمة من منع القتال: يقول الفخر الرازي (٦٠٦هـ) في حكمة منع القتال في بداية الدعوة:"في أول الأمر كان المسلمون قليلين، فكان الصلاح استعمال الرفق واللين والمجاملة، فلما قوي الإسلام وكثر الجمع، وأقام من أقام منهم على الشرك بعد ظهور المعجزات، وتكررها عليهم حالا بعد حال، حصل اليأس من إسلامهم، فلا جرم أَمَرَ الله تعالى بقتالهم على الإطلاق"[٥].

وقد حاول سيد قطب (١٣٨٧هـ) أن يجتهد في الوصول لحكمة الله ﷻ في منع القتال في بداية الدعوة

---

(١) اختلف الفقهاء فيمن تقبل منهم الجزية، فقيل: إن قبول الجزية لا يكون إلا من أهل الكتاب كاليهود والنصارى ومن اتخذ التوراة والإنجيل كتابًا كالسامرة وغيرهم، أو من لهم شبهة كتاب كالمجوس، أما عبدة الأوثان وسائر الكفار فلا يقبل منهم إلا الإسلام أو القتال، هذا مذهب الشافعي، وهو ظاهر المذهب عند الحنابلة، أما مذهب أبي حنيفة وهو رواية عن أحمد فإن الجزية تقبل من جميع الكفار إلا عبدة الأوثان من العرب؛ لأنهم يقرون على دينهم بالاسترقاق، فيقرون ببذل الجزية كالمجوس، وحكي عن مالك أنها تقبل من جميع الكفار إلا كفار قريش. (ينظر: الموسوعة الفقهية: ١٦/١٦٢و١٦٣).

(٢) ينظر: الموسوعة الفقهية: ١٦/٢٠٦و٢٠٧.

(٣) ينظر: محمد خير هيكل: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، ٣/١٤٧٨و١٤٧٩.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ٣/١٥٣٩-١٥٦٤.

(٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٥/٢٨٨.

الإسلامية فكان مما قاله(١):

١- ربما كان ذلك لأن الفترة المكية كانت فترة تربية وإعداد؛ في بيئة معينة، لقوم معينين، وسط ظروف معينة، ومن أهداف التربية والإعداد في مثل هذه البيئة بالذات، تربية نفس الفرد العربي على الصبر على ما لا يصبر عليه عادة من الضيم، وتربيته كذلك على ضبط أعصابه.

٢- لأن الدعوة السلمية أشد أثرًا وأنفذ، في مثل بيئة قريش ذات العنجهية والشرف، والتي قد يدفعها القتال معها -في مثل هذه الفترة- إلى زيادة العناد وإلى نشأة ثارات دموية جديدة، كثارات العرب المعروفة.

٣- اجتنابًا لإنشاء معركة ومقتلة في داخل كل بيت، فلم تكن هناك سلطة نظامية عامة، هي التي تعذب المؤمنين وتفتنهم، إنما كان ذلك موكولًا إلى أولياء كل فرد، يعذبونه هم ويفتنونه ويؤدبونه! ومعنى الإذن بالقتال في مثل هذه البيئة أن تقع معركة ومقتلة في كل بيت، ثم يقال: هذا هو الإسلام!

٤- لما يعلمه الله من أن كثيرين من المعاندين الذين يفتنون أوائل المسلمين عن دينهم، ويعذبونهم ويؤذونهم، هم بأنفسهم سيكونون من جند الإسلام المخلص، بل من قادته، ألم يكن عمر بن الخطاب من بين هؤلاء؟!

٥- لأن النخوة العربية في بيئة قبلية، من عادتها أن تثور للمظلوم، الذي يحتمل الأذى، ولا يتراجع! وبخاصة إذا كان الأذى واقعًا على كرام الناس فيهم، وقد وقعت ظواهر كثيرة تثبت صحة هذه النظرة -في هذه البيئة-.

٦- لقلة عدد المسلمين حينذاك، وانحصارهم في مكة، حيث لم تبلغ الدعوة إلى بقية الجزيرة، أو بلغت أخبارها متناثرة؛ حيث كانت القبائل تقف على الحياد، من معركة داخلية بين قريش وبعض أبنائها، حتى ترى ماذا يكون مصير الموقف.

٧- في الوقت ذاته لم يكن هناك ضرورة قاهرة ملحة، لتجاوز هذه الأمور كلها، والأمر بالقتال ودفع الأذى؛ لأن الأمر الأساسي في هذه الدعوة كان قائمًا وقتها ومحققًا، هذا الأمر الأساسي هو وجود الدعوة، وجودها في شخص الداعية ﷺ وشخصه في حماية سيوف بني هاشم.

حكمة تشريع الجهاد وغاياته: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ {الذاريات: ٥٦} والجهاد بكل أنواعه ومراتبه وصوره من أجل الطاعات وأفضل القربات، وقد شرع الله ﷻ هذه العبادة لأهداف سامية وغايات نبيلة منها:

١- حتى لا تكون فتنة: قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ {الأنفال:٣٩} والفتنة في الآية هي الشرك كما قال أئمة التفسير، قال ابن كثير (٧٧٤هـ):"قال الضحاك عن ابن عباس: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال ابن القيم (٧٥١هـ):"وأكثر السلف فسروا الفتنة ها هنا بالشرك.. وحقيقتها: أنها الشرك الذي يدعو صاحبه إليه، ويقاتل عليه، ويعاقب من لم يفتتن به"(٢).

٢- ليكون الدين كله لله: قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾

---

(١) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ٢/٧١٤و٧١٥.

(٢) ينظر: ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ٣/١٥١.

{الأنفال:٣٩} قال ابن حزم (٤٥٦هـ):"الدين في القرآن واللغة يكون: الشريعة، ويكون الحكم، ويكون الجزاء. فالجزاء في الآخرة إلى الله تعالى لا إلينا. والشريعة قد صح أن نقرهم على ما يعتقدون إذا كانوا أهل كتاب. فبقي الحكم، فوجب أن يكون كله حكم الله كما أمر"(١). فالجهاد شرع لدفع الضرر عن المسلمين ولإظهار الدين، وقد جمعت الآية هاتين الغايتين. وليس في دخول الإسلام إكراه، قال تعالى:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ {البقرة: ٢٥٦} ولم يشرع قتال الكفار لإلزامهم بالإسلام، بل لإلزامهم بالخضوع لحكم الإسلام.

وقد كان هذا الهدف من الجهاد هو الباعث على الفتوحات التي قام بها الصحابة ﷺ ومن بعدهم من أهل الإيمان، وكانوا يفهمون هذه الغاية جيدًا، فعن جُبَيْرِ بن حَيَّةَ قال: بعث عمر الناس في أفناء الأمصار يقاتلون المشركين ... قال: فندبنا عمر، واستعمل علينا النعمان بن مُقَرِّنٍ، حتى إذا كنا بأرض العدو وخرج علينا عامل كِسرى في أربعين ألفًا، فقام تَرْجُمَان فقال: ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة: سل عما شئت، قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نَمصُّ الجلد والنَّوَى من الجوع، ونلبس الْوَبَرَ وَالشَّعَر، ونعبد الشَّجَر والحَجَر، فَبَيْنَا نحن كذلك إذ بعث رب السماوات ورب الأرضين -تعالى ذكره وَجَلَّت عظمته- إلينا نبيًّا من أنفسنا نعرف أباه وأمه، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتِلَ منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قَطُّ، ومن بَقِيَ منا ملك رقابكم"(٢).

٣- صلاح الأرض ومنع فسادها: قال تعالى:﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ {البقرة: ٢٥١} وقال أيضًا:﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ {الحج: ٤٠}.

٤- رد العدوان وحماية المسلمين ونجدة المستضعفين: قال تعالى:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ {الحج: ٣٩} وقال تعالى:﴿وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ {النساء: ٧٥}.

٥- تحقيق العبودية: بالجهاد يستخرج الله ﷻ عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء، وفيما يحبون وما يكرهون، وفي حال ظفرهم وظفر أعدائهم بهم، فإذا ثبتوا على الطاعة والعبودية فيما يحبون وما يكرهون، فهم عبيده حقًا، وليسوا كمن يعبد الله على حرف واحد من السراء والنعمة والعافية(٣). قال القشيري (٤٦٥هـ):"العبودية الوقوف حيثما وقفت؛ إنْ أُمِرْتَ بالقتال فلا تُقَصِّرْ، وإنْ أُمَرْتَ بالموادعة فمرحبًا بالمسالَمة، وتوكل على الله في الحالين فإنه يختار لك ما فيه الخيرة، فيوفِّقُك لِمَا فيه الأَوْلى، ويختار لك ما فيه من قِسمي الأمر -في الحرب وفي الصُّلح-

---

(١) ابن حزم: المحلى بالآثار، ٥٢١/٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، رقم (٣١٩٥)، ٢٥٨/٦.

(٣) ينظر: ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٩٨/٣.

ما هو الأعلى"[١].

٦- ابتلاء واختبارًا من الله لعباده: قال تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ {آل عمران: ١٤٢} فبالجهاد يتبين الصادق من الكاذب والمؤمن من المنافق، ويُعلم المجاهد والصابر، ويرفع الله ﷻ به أقوامًا ويضع آخرين، فالجهاد في سبيل الله باب من أبواب الجنة، يُذهب الله به الهمّ والغمّ، وتنال به الدرجات العلى من الجنة، وتغفر به الذنوب والآثام، وتحصل به محبة الله للعبد، قال أحمد بن حنبل (٢٤١هـ):"لا أعلم شيئًا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد"[٢].

٧- اتخاذ الشهداء: الشهادة عند الله من أعلى مراتب أوليائه، والشهداء هم خواصه والمقربون من عباده، وليس بعد درجة الصديقية إلا الشهادة، وهو سبحانه يحب أن يتخذ من عباده شهداء، تراق دماؤهم في محبته ومرضاته، ويؤثرون رضاه ومحابه على نفوسهم، ولا سبيل إلى نيل هذه الدرجة إلا بتقدير الأسباب المفضية إليها من تسليط العدو[٣].

---

(١) القشيري: لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، ٦٣٦/١.

(٢) ابن قدامة: المغني، ٣٦٨/١٠.

(٣) ابن القيم: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٩٩/٣.

ج- مادة البحث:

مادة البحث هي آيات الجهاد في القرآن الكريم، وأقصد بها الآيات التي تتحدث عن الجهاد بمفهومه الخاص وهو القتال في سبيل الله، وأعرض في هذا المطلب مواضع الآيات في القرآن الكريم، ومراحل نزولها على النبي ﷺ:

ج. ١- عدد آيات الجهاد:

اختلف الباحثون في عدد آيات الجهاد في القرآن الكريم، فمنهم من عدّها أقل من مائة آية، ومنهم من أوصلها إلى ما يزيد عن أربعمائة آية، ومرد الخلاف في ذلك إلى طريقة كل باحث ومعاييره، فمنهم من يقتصر على الآيات الصريحة التي تضمنت لفظ الجهاد، وما يدل عليه كالقتال ومشتقات تلك الألفاظ، ومنهم من يتوسع فيضم إلى ذلك الموضوعات التي تتعلق بالجهاد بطريق مباشر أو غير مباشر، مثل الهجرة وفك الرقاب والقصص المتعلقة بالجهاد وغير ذلك.

ومن هؤلاء الباحثين الذين اعتنوا بدراسة آيات الجهاد:

كامل سلامة الدقس، وقد قام بدراسة آيات الجهاد دراسة موضوعية وتاريخية وفنية، وقد أشار إلى الحيز الذي شغلته آيات الجهاد في القرآن الكريم بقوله:"رأيت أن القرآن يعنى بالجهاد عناية فائقة، إذ شغلت الآيات الجهادية حيزًا كبيرًا يبلغ نصف القرآن المدني، وهذا يدل على أهمية هذا الموضوع في تاريخ الدعوة الإسلامية والتشريع الإسلامي"[١].

كذلك الباحث ناصر بن عبد الرحمن الخنين، الذي اهتم بدراسة النظم القرآني في آيات الجهاد، واتفق مع كامل الدقس فيما ذكره، إذ يقول:"لقد شغلت آيات الجهاد حيزًا كبيرًا من القرآن الكريم، وصل زهاء نصف القرآن المدني، ونزلت سورة كاملة في شأنه؛ كسورة (الأنفال) في غزوة بدر الكبرى، و(التوبة) التي فضحت معظم آياتها سيرة المنافقين، الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في ساعة العسرة، وسورة (الفتح) التي بين الله فيها جليل نعمته على عباده بذلك الفتح المبين، إضافة إلى آيات الجهاد الأخرى التي شغلت شطرًا من سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والحج، والأحزاب، ومحمد، والحشر، والممتحنة، والصف، وغيرها من السور"[٢].

فالباحثان متفقان على أن آيات الجهاد تشغل حيزًا كبيرًا من القرآن المدني يصل إلى نصفه، ويشيران إلى أن القرآن المكي خلا من آيات الجهاد بحكم تشريعه بعد الهجرة.

وألف صبحي عصر "المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم" وذكر تحت قسم الجهاد سبعًا وتسعين آية[٣]، وقد أغفل ذكر بعض الآيات التي تتحدث عن القتال في الأمم السابقة؛ كقصة طالوت وجالوت في سورة البقرة وغيرها.

وذكر مروان عطية في "المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم" تحت قسم الجهاد أكثر من أربعمائة آية[٤]، وهو

---

(١) كامل سلامة الدقس: آيات الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية وتاريخية وبيانية: ٥.

(٢) ناصر بن عبد الرحمن الخنين: النظم القرآني في آيات الجهاد: ٢.

(٣) ينظر: صبحي عبد الرؤوف عصر: المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم: ٢١٧-٢٣٠.

(٤) ينظر: مروان عطية: المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم، على هامش القرآن الكريم.

عدد كبير مقارنة بالباحثين الآخرين، والسبب في ذلك أنه أدخل في عداد آيات الجهاد بعض الآيات التي ترتبط بالجهاد، مثل الآيات التي تتحدث عن الهجرة، وعتق الرقبة، وبعض القصص القرآني، وغير ذلك.

وأعتقد أن مسألة الحصر مسألة اجتهادية، وما رأيته فيها من آراء لا يمكنني الحكم لرأي بالصحة أو الأفضلية على غيره، فهنالك آيات مجمعٌ على عدّها من آيات الجهاد بلا خلاف بين الباحثين، وأخرى لكل باحث فيها اجتهاده، منهم من يعدّها تخدم الموضوع، ومنهم من أغفلها أو لم ينتبه لها أو اعترض على دخولها في هذا الباب، وقد يصيب المجتهد وقد يخطئ وله في كلٍ أجر، لذلك فآيات الجهاد بين مائتين وأربعمائة آية، وقد اخترت في دراستي بعضًا من الآيات التي رأيت أنها تخدم أهداف البحث.

ج. ٢- نزول آيات الجهاد ومواضعها في القرآن.

والمقصود بالنزول معرفة المكي والمدني منها[١] والفترات الزمنية لنزولها، ويمكن تقسيم مراحل نزول آيات الجهاد إلى فترات زمانية على النحو التالي[٢]:

الأولى- المرحلة المكية:

يقول كامل سلامة:"لا نجد في هذه المرحلة أمرًا بقتال ولا حتى ما يشبه القتال برد الاعتداء عن النفس مثلًا، وكل ما نجده أوامر صريحة متكررة لنبي الله ﷺ والمؤمنين بالصبر على الأذى والفتنة التي تلحق بهم، وقد أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يجاهد الكفار بالحجة والبرهان والنصح والإقناع، ولقد خاض رسول الله ﷺ في هذه المرحلة معارك قاسية استمرت سنوات طويلة، لم تكن معارك حرب وقتال، بل كانت عقيدة وفكر، وكان سلاحه الوحيد هو القرآن الكريم الذي أمره مولاه سبحانه بمجاهدتهم به، قال تعالى:﴿فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ﴾{الفرقان: ٥٢} أي مجاهدتهم بالقرآن"[٣].

إن المرحلة المكية كانت مرحلة تشريع الجهاد باللسان قبل تشريع جهاد السنان، وهي وإن خلت من آيات الأمر بالقتال؛ كونه لم يشرع إلا بعد الهجرة، إلا أنها اشتملت على بعض الآيات التي تتحدث عن الجهاد بمفهومه الشامل، أو تمثل تمهيدًا لتشريع القتال وتهيئة لهذه الأمة لهذا الأمر الجلل، وقيل عن بعض الآيات التي ورد فيها ذكر الجهاد إنها آيات مدنية في سور مكية، ولا اتفاق بين المفسرين على مدنية تلك الآيات إلا فيما ندر.

ومعلوم أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة مجمع عليه بين أهل العلم، ووردت به كثير من النصوص الدالة على ذلك[٤].

---

(١) قد ذكر العلماء في تعريف القرآن المكي والمدني ثلاثة أقاويل، وهي: ١- المكي ما نزل بمكة والمدني ما نزل بالمدينة. ٢- المكي ما وقع خطابًا لأهل مكة، والمدني ما وقع خطابًا لأهل المدينة. ٣- المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكة، وهو المشهور. (ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص١٣٢).

(٢) اعتمدت في ذلك على رسالة آيات الجهاد في القرآن الكريم لكامل سلامة الدقس، وفي ترتيب نزول السور على التفسير الحديث لمحمد عزة دروزة.

(٣) ينظر: كامل سلامة الدقس: آيات الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية وتاريخية وبيانية، ص١٩٣.

(٤) قال ابن الزبير الغرناطي (٧٠٨هـ):"ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره، بلا خلاف في ذلك بين المسلمين، وإنما اختلف في ترتيب السور على ما هي عليه". (ابن الزبير الغرناطي: البرهان في تناسب سور القرآن، ص٧٩). وقال الزركشي (٧٩٤هـ):"أما الآيات في كل سورة ووضع البسملة أوائلها فترتيبها توقيفي بلا شك، ولا خلاف فيه" (الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ص١٨٠).

ومن تلك السور المكية التي وردت فيها آيات تشير إلى الجهاد:

١- سورة المزمل (مكية)، ترتيب نزولها (٣)، وفي المصحف (٧٣)، وهي من أوائل ما نزل من القرآن الكريم، وفيها قوله ﷻ: "﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ {المزمل:٢٠} فجمهور العلماء على أنها آية مدنية، ويُلحظ أن هناك مناسبة بين موضوع الآية وموضوع الآيات الأولى من السورة ، فقيام الليل موضوع مشارك بينهما، وفي الآيات الأولى معنى الإلزام به وفي هذه الآية تخفيف، وفي هذا صورة من صور التأليف القرآني وخاصة في وضع الآيات المدنية في السور المكية[(١)].

٢- سورة النمل (مكية)، ترتيب نزولها (٤٨)، وفي المصحف (٢٧)، وفيها ذكر سليمان عليه السلام وجنوده وقصته مع قوم سبأ وبيان أن القتال والغزو يكون إعلاءً لكلمة الله، ومنها قوله ﷻ: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ {النمل:٣٧}.

٣- سورة النحل (مكية)، ترتيب نزولها (٧٠)، وفي المصحف (١٦)، وفيها قوله ﷻ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {النحل: ١١٠} يقول ابن عطية (٥٤٢هـ):"وهذه الآية مدنية، ولا أعلم في ذلك خلافًا، وإن وجد فهو ضعيف"[(٢)]. ويخالف ابن عاشور (١٣٩٣هـ) فيقول:"والمراد بالمجاهدة هنا دفاعهم المشركين عن أن يردّوهم إلى الكفر، وهاتان الآيتان مكّيتان نازلتان قبل شرع الجهاد الذي هو بمعنى قتال الكفار لنصر الدين"[(٣)].

٤- سورة العنكبوت (مكية)، ترتيب نزولها (٨٥)، وفي المصحف (٢٦)، وهي من أواخر ما نزل من القرآن المكي، وفيها قوله ﷻ: ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ {العنكبوت:٦} وروي أنها من الآيات المدنية وقيل لا دليل على ذلك، وفيها قوله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ {العنكبوت:٦٩} قال الحسن البصري (١١٠هـ) قال:"إن العبد ليجاهد في الله حق جهاده وما ضرب بسيف"[(٤)]، قال يحيى بن سلام (٢٠٠هـ):"نزلت قبل أن يؤمر بالجهاد، ثم أمر بالجهاد بعد بالمدينة"[(٥)]. قال دروزة (١٤٠٤هـ):"ويلحظ أن بين جملة ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾ وبين ما جاء في أول السورة ﴿وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ﴾ شيء من التساوق والتوضيح حيث يمكن أن يكون من حكمة ذلك ربط أول السورة بآخرها، وأن يكون في ذلك دلالة على أن فصول السورة نزلت متوالية حتى تمت، وهذا يلحظ في كثير من السور على ما نبهنا عليه في

(١) ينظر: محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٤٢٦/١.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٤٢٥/٣.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٠٠/١٤.

(٤) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ٣٠٣٤/٩.

(٥) ابن سلام: تفسير يحيى بن سلام، ٦٤٢/٢.

المناسبات السابقة، وقد يكون في ذلك دليل على مكية الآيات الأولى للسورة ونقض آخر لرواية مدنيتها. والله أعلم"(١).

وهنالك سور مختلف في كونها مكية أم مدنية، مثل:

٥- سورة العاديات والراجح أنها سورة (مكية) ترتيب نزولها (١٤) وفي المصحف (١٠٠) وفيها قوله ﷻ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ {العاديات:١-٥} يقسم الله ﷻ فيها بالخيل التي تعدو نحو العدو وتغير عليهم، وما لها من دور عظيم في الغزو، وهي من أدوات الجهاد.

الثانية- المرحلة المدنية:

أ- الإذن في القتال: ونزل فيها قول الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ {الحج: ٣٩} وسورة الحج مدنية وترتيب نزولها (١٠٣) وفي المصحف (٢٢) ولكن الآية المقصودة نزلت قبل اكتمال السورة، وقيل أنها أول ما نزل في القتال.

ب- من غزوة بدر إلى صلح الحديبية: وقد فرض الله ﷻ القتال في هذه المرحلة على المسلمين لمن قاتلهم، والكف عمن لم يقاتلهم، ونزل فيها:

١- سورة البقرة، وهي سورة مدنية ترتيب نزولها (٨٧) وفي المصحف (٢) وإن كانت السورة نفسها نزلت في مرحلة مبكرة من الهجرة، ومنها الآية ١٥٤، والآيات من ١٩٠ إلى ١٩٥، والآيات من ٢١٦ إلى ٢١٨، والآيات من ٢٤٤ إلى ٢٥١.

٢- سورة الأنفال وهي سورة مدنية ترتيب نزولها (٨٨) وفي المصحف (٨) قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"هي مدنية كلها كذا قال أكثر الناس، وقال مقاتل (١٥٠هـ) هي مدنية غير آية واحدة وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ {الأنفال: ٣٠} الآية كلها، وهذه الآية نزلت في قصة وقعت بمكة، ويمكن أن تنزل الآية في ذلك بالمدينة، ولا خلاف في هذه السورة أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه"(٢)، وفيها الآية ١، والآيات من ٥ إلى ٢٦، والآيات من ٣٩ إلى ٧٥ أغلبها في الحديث عن الجهاد.

٣- سورة آل عمران وهي سورة مدنية ترتيب نزولها (٨٩) وفي المصحف (٣) وفيها الآيتان من ١٣ و١٤، والآية ١١١، والآيات من ١٢١ إلى ١٢٨، والآيات من ١٣٩ إلى ١٧٥ إلا قليلا، ومن ١٩٥ إلى ٢٠٠.

٤- سورة الأحزاب وهي سورة مدنية ترتيب نزولها (٩٠) وفي المصحف (٣٣) وفيها الآيات من ٩ إلى ٢٧.

٥- سورة الحشر وهي سورة مدنية وترتيب نزولها (١٠١) وفي المصحف (٥٩) وفيها الآيات من ٢ إلى ١٤.

ج- من صلح الحديبية إلى غزوة تبوك: ومن الآيات المتعلقة بالجهاد التي نزلت في تلك الفترة:

١- سورة الممتحنة وهي سورة مدنية ترتيب نزولها (٩١) وفي المصحف (٦٠) وفيها الآية ١.

---

(١) ينظر: محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٥/٥٠٥.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٢/٤٩٦.

٢- سورة النساء وهي سورة مدنية ترتيب نزولها (٩٢) وفي المصحف (٤) وفيها الآيات من ٧١ إلى ١٠٤ إلا قليلًا.

٣- سورة الحديد وهي سورة مدنية ترتيب نزولها (٩٤) وفي المصحف (٥٧) وفيها الآيتان ١٠ و ٢٥.

٤- سورة محمد وهي سورة مدنية وترتيب نزولها (٩٥) وفي المصحف (٤٧) وفيها الآيات من ٤ إلى ٧، والآيات من ٢٠ إلى ٢٣، والآيتان ٣١ و ٣٥، وسميت بسورة القتال.

٥- سورة الحجرات وهي سورة مدنية وترتيب نزولها (١٠٦) وفي المصحف (٤٩) وفيها الآيات ٩ و ١٠ و ١٥، وتتحدث عن القتال الذي يقع بين المسلمين.

٦- سورة التحريم وهي سورة مدنية وترتيب نزولها (١٠٧) وفي المصحف (٦٦) وفيها الآية ٩.

٧- سورة الصف وهي سورة مدنية وترتيب نزولها (١٠٩) وفي المصحف (٦١) وفيها الآية ٤، والآيات ١٠ إلى ١٤.

٨- سورة الفتح وهي سورة مدنية وترتيب نزولها (١١١) وفي المصحف (٤٨) وفيها الآيات من ١ إلى ٢٩.

٩- سورة المائدة وهي سورة مدنية وترتيب نزولها (١١٢) وفي المصحف (٥) وفيها الآية ٢ والآيات من ٣٣ إلى ٣٥ والآية ٥٤.

د- من غزوة تبوك إلى وفاة الرسول ﷺ: ونزل في تلك الفترة:

١- سورة التوبة وهي سورة (مدنية) وترتيب نزولها (١١٣) وفي المصحف (٩)، قال الماوردي (٤٥٠هـ):"ونزلت سنة تسع"(١)، وفي حديث البراء:"وآخر سورة نزلت براءة"(٢)، وهي أهم السور التي تناولت موضوع الجهاد، وجل آياتها في سياق الجهاد.

٢- سورة النصر وهي سورة (مدنية) وترتيب نزولها (١١٤) وفي المصحف (١١٠) قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وهي مدنية بإجماع"(٣).

ونلاحظ مما سبق:

- سورتا الأنفال والتوبة جمعتا العدد الأكبر من آيات الجهاد، ونلمس في تسمية سورة التوبة وهي أكبر السور التي تضمنت آيات الجهاد باسم (التوبة) إشارة إلى الغاية الأسمى من الجهاد في سبيل الله، وهي دفع المشركين والمنافقين إلى التوبة والإنابة إلى ربهم ﷻ. وإن كان ذلك لا يتعارض مع كونها سميت بذلك لما جاء فيها من ذكر توبة الثلاثة الذين خلفوا عن تبوك.

- توزعت بقية الآيات على سور متعددة في القرآن الكريم، وقد تضمن السورة آية واحدة أو عدة آيات، وفق منهج رباني له حكمته قد نعلمها أو لا نعلمها، وإن كان العلماء لهم اجتهادات طيبة في بيان التناسب بين الآيات والسياق الذي وردت فيه أو التناسب بينها وبين السور التي تضمنتها.

---

(١) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٣٧/٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين)، رقم (٤٦٥٤)، ٣١٦/٨.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٣٢/٥.

الفصل الأول

الأفعال الكلاميّة في آيات الجهاد.

- **المبحث الأول:**

الأفعال الكلاميّة في اللسانيّات الغربيّة والعربيّة.

- **المبحث الثاني:**

تحليل الأفعال الكلاميّة في آيات الجهاد.

المبحث الأول

الأفعال الكلاميّة في اللسانيّات الغربيّة والعربيّة

١ - مصطلح الأفعـــال الكلاميــّة ومفهومــه .

٢ - الأفعال الكلاميّة في اللسانيّات الغربيّة .

٣ - الأفعال الكلاميّة في اللسانيّات العربيّة .

توطئة

شغل الكلام وأقسامه أذهان الباحثين على مر العصور، منذ بدأ الإنسان يستكشف ذاته وفكره ولغته، يحدوه الأمل لوضع قواعد علمينة رصينة أشبه بقواعد المنطق والرياضيات تمكنه من فهم نفسه وفهم كلام الآخرين ومقاصدهم، وذلك لتحقيق أعلى درجات النجاح في التواصل الإنساني، ولا يكاد يخلو فكر حضارة من الحضارات التي وصلت إلينا من هذه المحاولات والتصنيفات للكلام وأغراضه.

والوصول إلى ذلك المبتغى ليس بالأمر اليسير، فإن اللغة حية ثريّة متقلبة ومتطورة، لا تكاد تحكمها قواعد صارمة ونظريات جامدة، يقول أبو حيان التوحيدي (٤٠٠هـ) في جواب من سأله عن مراتب النظم والنثر:"إنّ الكلام على الكلام صعب. قال: ولم؟ قلت: لأنّ الكلام على الأمور المعتمد فيها على صور الأمور وشكولها التي تنقسم بين المعقول وبين ما يكون بالحسّ ممكن، وفضاء هذا متّسع، والمجال فيه مختلف. فأمّا الكلام على الكلام فإنّه يدور على نفسه، ويلتبس بعضه ببعضه، ولهذا شقّ النّحو وما أشبه النّحو من المنطق، وكذلك النّثر والشّعر وعلى ذلك"(١).

وفي هذا الفصل أتعرض في مبحثه الأول لإحدى أهم النظريات في صرح التداولية المعاصرة، وهي نظرية الأفعال الكلامية، أتحدث عن مفهومها وظروف نشأتها، ومراحل تطورها في الفكر اللغوي الغربي حتى وصلت إلى ما وصلت إليه، وأعرض لنظرية الخبر والإنشاء في الفكر اللغوي العربي المتشعب بين النحو والبلاغة والفلسفة والمنطق وأصول الفقه.

وأحاول في المبحث الثاني من هذا الفصل تطبيق المفاهيم المستفادة من نظرية الأفعال الكلامية ونظرية الخبر والإنشاء على آيات الجهاد، فأعمل على تصنيفها، وبيان أغراضها ومقاصدها، وتحليل الأمثلة المختارة وفق آليات التحليل المستفادة من الجانب النظري لهذا الفصل.

وقد التزمت في الفصلين الثاني والثالث من هذه الدراسة، والخاصين بالحديث عن المتضمنات والحجاج في آيات الجهاد، الفصلَ بين الآليات العربية والآليات الغربية في التحليل، لكنني ارتأيت دمجهما في هذا الفصل، حيث إنني وجدت النظرية الغربية أشبه ما تكون بالإطار الخارجي في التصنيف وترتيب خطوات التحليل، أما البناء الداخلي والإجراءات الدقيقة في التحليل فالسبق فيها لآليات التحليل العربية، الصوتية والتركيبية والسياقية.

---

(١) أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص٢٤٩.

١ – مصطلح الأفعال الكلامية ومفهومه:

تُرجمت العبارة الإنجليزية Speech Acts theory، أو العبارة الفرنسية La Théorie des Actes، إلى عدة ترجمات في اللغة العربية منها: نظرية أفعال الكلام أو الفعل الكلامي، نظرية الأعمال الكلامية أو اللغوية، نظرية الحدث الكلامي أو اللغوي، والنظرية الإنجازية.

ومنشأ الخلاف في الترجمة مرده إلى أنّ الإنجليزية تُميّز بين كلمتي (Verb) و(Act) فالأولى تدل على (الفعل) المقاسم للاسم والحرف في النحو، بينما الثانية تدل على "فعل أو عمل أو إجراء أو صنيع"(١)، أما لفظ (الفعل) في اللغة العربية فلفظ مشترك له عدة دلالات، ومن ثم اختلفت الترجمات لكلمة Speech act، من قبيل:(العمل، الفعل، الحدث، ..) الكلامي أو اللغوي، وهكذا.

ويفضل عبد الكريم جبل ترجمة المصطلح Speech act بـ (الحدث الكلامي) وعلل ذلك بقوله:"آثرت استعمال (الحدث) بدلًا من (الفعل)، لما قد يسببه استعمال هذا الأخير من التباس بينه بمعناه المراد هنا: (الشيء المنجز) من جهة، ومعناه الآخر: كفصيل نحوي مقاسم للأسماء والحروف من جهة أخرى"(٢).

وترجمها شكري المبخوت في ترجمته للقاموس الموسوعي للتداولية بنظرية (الأعمال اللغوية)(٣)، ولكن أشهر تلك الترجمات هي (نظرية أفعال الكلام أو الأفعال الكلامية)(٤)، والتي بدأت مع ترجمة كتاب أوستن (كيف ننجز الأشياء بالكلام How To Do Things With Words) للعربية، وانتشر المصطلح بعد ذلك بين العديد من الباحثين العرب.

وينتقد نعمان بو قرة هذه التسمية –أفعال الكلام– قائلًا:"وقد شاع بين الدارسين استعمال مصطلح (الفعل الكلامي) على ما في هذه التسمية من تضليل ومجازفة، من حيث ارتباط الكلام بالمظهر المادي الصوتي، ويوصي (جون ليونز) بضرورة ألا يغيب على البال أن فعل الكلام شامل للمنجز الكلامي والمنجز الكتابي"(٥)، على أن هذا النقد لم يمنعه من استخدام المصطلح في مواضع كثيرة من مؤلفاته.

وارتبط مصطلح فعل الكلام Speech act بأوستن، ولكن تلميذه سيرل Searl يشير إلى أن المصطلح كان

---

(١) N.S. Doniach: Oxford English Arabic Dictionary,Oxford University,1981,p14.

(٢) عبد الكريم جبل: علم الدلالة، تأليف: وليم أوجرادي، ت: عبد الكريم جبل، مجلة علوم اللغة، ص٢٤٤. وارتضى هذه الترجمة العيد جلولي في مقاله: نظرية الحدث الكلامي من أوستن إلى سيرل.

(٣) جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ت: مجموعة من الباحثين، ص٤٣.

يقول ملاوي صلاح الدين في بحثه (نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية):"الأعمال اللغوية" هي الترجمة الرائجة في أوساط اللغويين التونسيين منذ أن نشر محمد صلاح الدين بحثًا بعنوان "تقديم عام للاتجاه البراغماتي" ضمن كتاب:"أهم المدارس اللسانية".

(٤) "الأفعال الكلامية" هي الترجمة التي ارتضاها عبد القادر قنيني في ترجمته لكتاب أوستين: نظرية أفعال الكلام العامة. وطالب طبطبائي في مؤلفه: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب. ومحمود نحلة في مؤلفه: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. ونعمان بو قرة في مؤلفه: المدارس اللسانية المعاصرة. ومسعود صحراوي في مؤلفه: التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. وملاوي صلاح الدين: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، وغيرهم.

(٥) نعمان بو قرة: المدارس اللسانية المعاصرة، ص١٨٩.

مستعملًا من قبل لغويين بنائيين -أمثال بلومفيلد Bloomfield- في العقد الثالث من القرن العشرين، غير أن معناه الحديث من إبداع أوستن[١].

وهذه النظرية جزء من اللسانيات التداولية Linguistic Pragmatics، نشأت في رحاب الفلسفة، وعدّها بعض الباحثين البداية الحقيقية للتداولية[٢]، بل إن التداولية في نشأتها الأولى كانت مرادفة للأفعال الكلامية[٣].

وتختلف نظرتها إلى اللغة فلا تعدّها مجرد أداة لوصف الأشياء ونقل المعلومات والأفكار وفقط، بل هي وسيلة للتأثير في العالم وميدان ننجز فيه أشياء لا تنجز إلا في اللغة وباللغة.

١. ١- معنى (الفعل) و(الكلام) لغة:

بالنظر إلى مقاييس اللغة والمعجم الاشتقاقي المؤصل نجد في معنى (الفعل) ما ذكره ابن فارس (٣٩٥هـ):"الفاء العين واللام أصلٌ صحيح يدلُّ على إحداث شيء من عملٍ وغيره"[٤].

ويقول محمد حسن جبل (١٤٣٦هـ):"الفِعال -ككتاب: نِصاب الفأس والقدوم والمطرقة وهو العود الذي يُجْعل في خُرْتها.. المعنى المحوري نفاذ أو مخالطة مادّية عنيفة أو جادّة (قَطْع أو فك أو حَمْل ثقل أو تحريك. .) يُغير شيئًا أو يحدثه.. ثم عُمِّمَ في كل ممارسة عملية تتطلب قوة زائدة تتمثل في تحمل المشقة أو التأثير أو الجِدّ "فالفعل كناية عن كل عمل" (أي لا كلام وينبغي أن يزاد قيد: فيه زيادة جِدّ)؛ ولذا قوبل بالقول"[٥].

أمّا في معنى (الكلام) فقال ابن فارس (٣٩٥هـ):"الكاف واللام والميم أصلان: أحدهما يدلُّ على نطقٍ مُفهِم، والآخَر على جراح"[٦].

ويجعلهما محمد حسن جبل (١٤٣٦هـ) أصلًا واحدًا إذ يقول:"الكُلَام -كغُراب: أرض غليظة صُلْبة أو طين يابس. المعنى المحوري اتصالُ مادةِ الشيء وتداخُلُها تداخُلًا يبلغ العمقَ مع غِلَظ أو حِدّة. ومنه كَلَمْتُه (ضرب وقتل): جَرَحْته (مخالطة بحدّة). ومثلها كلَّمته. ومن الاتصال والتداخل الماديين استُعمل التركيب في الاتصال والتداخل بالصوت، أي الكلام الذي هو القول. فكلَّمته حقيقتُها: أَوصلتَ إليه ما في نفسك بالصوت. وبالنظر إلى الأصل فـ (الكلمة) ينبغي أن تحمل معنى تُوصله"[٧].

فمعنى (الفعل) يدل على إحداث شيء من عمل وغيره، ومعنى (الكلام) يدل على الاتصال، وهما معًا يدلان على اتصال يحدث شيئًا، وهو قريب جدًا من مفهوم الفعل الكلامي في الاصطلاح.

---

(١) ينظر: صلاح إسماعيل عبد الحق: التحليل اللغوي عند مدرسة أكسفورد، ص١٨٤.

(٢) جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ت: مجموعة من الباحثين، ص٤٣.

(٣) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤١.

(٤) ابن فارس: مقاييس اللغة، (ف-ع-ل) ٤/ ٥١١.

(٥) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ف-ع-ل)، ١٦٩٢/٣.

(٦) ابن فارس: مقاييس اللغة، (ك-ل-م)، ٥/ ١٣١.

(٧) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ك-ل-م)، ١٩٢٢/٤.

١. ٢– مفهوم المصطلح:

اتجاه النظرية كما تقول جين إتشسن Jean Aitchison:"يمثل منهجًا يستعين به الفلاسفة واللسانيون في تصنيف الطرق التي يستعمل بها البشر اللغة، حيث يعدونها هاهنا وسيلة موازية لـ (أحداث/ أفعال) أخرى ينجزها البشر"(١).

ويقول فان ديك Van Dijk:"وما نعنيه بقولنا إننا نفعل شيئًا ما متى صغنا عبارة معينة، هو أننا نقوم بإنجاز فعل اجتماعي؛ كأن نعد وعدًا ما، ونطلب، وننصح، وغير ذلك مما شاع وذاع أنه يطلق عليه أفعال الكلام، ويطلق عليه على نحو أخص قوة فعل الكلام"(٢).

والمقصود بالفعل الكلامي كما يحدده دومينيك مانغونو:"الوحدة الصغرى التي بفضلها تحقق اللغة فعلًا بعينه (أمر، طلب، تصريح، وعد ...) غايته تغيير حال المتخاطبين، إن المتلفِّظ المشارِك لا يمكنه تأويل هذا الفعل إلا إذا اعترف بالطابع القصدي لفعل المتلفظ"(٣).

ويرى أحمد المتوكل أن تطبيق مفهوم الأفعال الكلامية على كثير من اللغات الغربية، واستثمار ما انبثق عنه من تصورات ومبادئ إجرائية وظيفية أثرت بقوة وعمق في مسار الدراسات اللسانية، هذا التطبيق قد حقق نجاحًا في وصفها وفي رصد خصائصها التداولية، ويرى مسعود صحراوي أن هذا الرأي ينسحب على اللغة العربية كذلك، وأن تطبيق هذا المفهوم التداولي على اللغة العربية سيسهم في وصفها ورصد خصائصها وتفسير ظواهرها الخطابية التواصلية، كما أنه يبرز دور العلماء القدامى في هذا الجانب(٤).

---

(١) جين إتشسن: اللسانيات؛ مقدمة إلى المقدمات، ت: عبد الكريم جبل، ص٢١٦.

(٢) فان ديك: النص والسياق؛ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ت: عبد القادر قنيني، ص٢٦٣.

(٣) دومينيك مانغونو: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ت: محمد يحياتن، ص٧.

(٤) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٥و٦.

٢- الأفعال الكلامية في اللسانيات الغربية.

عكف المناطقة والفلاسفة منذ أيام اليونان على دراسة القضايا Propositions مقدمة لدراسة المنطق، وميزوا الصيغ الخبرية عن صيغ التمني والأمر وغيرها، وخصوا الصيغ الخبرية بأنها تحتمل الصدق أو الكذب، وجعلوها موضوعًا للدراسة المنطقية، في مقابل الصيغ الأخرى التي ألحقها أرسطو بعلم البلاغة، وفي العصر الحديث انتقد كانط kant هذا الأمر مستدلًا بأن هناك جملًا خبرية لا تحتمل الصدق أو الكذب، فبالتالي هي خارجة عن مجال المنطق والفلسفة، مما ترتب عليه ظهور الاتجاه (المنطقي الوضعي) الذي أكد على إخراج جزء كبير من الجمل الخبرية – فضلًا عن الجمل غير الخبرية– من مجموعة الجمل التي تحتمل الصدق أو الكذب، بل من مجموعة الجمل ذات المعنى، وهم بذلك يخرجون من اللغة معظم أنواع الخطاب الأدبي والديني والأخلاقي، فهي بمعيارهم لا معنى لها(١).

٢. ١– التمهيد لنظرية الأفعال الكلامية:

مرت النظرية في الفكر الفلسفي الغربي بمراحل مختلفة وسبقها إرهاصات أدت لظهورها، ومن ذلك:

٢. ١. ١– جوتلوب فريجه والفلسفة التحليلية:

في مقابل هذه التوجهات نشأت الفلسفة التحليلية Analytic Philosophy والتي كانت سببًا في نشأة اللسانيات التداولية، ومنها انبثقت نظرية الأفعال الكلامية، وذلك في العقد الثاني من القرن العشرين في فيينا بالنمسا، على يد الفيلسوف الألماني جوتلوب فريجه Gottlob Frege (١٨٤٨-١٩٢٥م) في كتابه (أسس علم الحساب)، ويرى آخرون أن (الفلسفة التحليلية) لم تنشأ إلا مع فلاسفة المدرسة الإنجليزية الحديثة في أواسط القرن العشرين، من أمثال جورج مور George More (١٨٧٣-١٩٥٨م)، برتراند راسل Bertrand Russell (١٨٧٢-١٩٧٠م)، فيتجنشتاين Wittgenstein (١٨٨٩-١٩٥١م)، ثم كارناب Rudolf Carnap (١٨٩١-١٩٧٠م)، وألفرد جول آير A. J. Ayer (١٩١٠-١٩٨٩م)، ولكن التحليل كإجراء علمي قال به الفلاسفة منذ عصر أفلاطون(٢).

وقد وصفها شوفييه Chauvier بقوله:"تلك الفلسفة التي ترى أن التحليل الفلسفي للغة كفيل بإيصالنا إلى تحليل فلسفي للفكر، وتفسير الفكر كفيل بإيصالنا إلى الفهم الكلي للكون"(٣).

والجديد الذي جاء به فريجه Frege في نطاق البحث اللغوي هو رؤيته الدلالية، خصوصًا تمييزه بين اسم العلَم والاسم المحمول، وبين المعنى والمرجع، محدثًا قطيعة معرفية ومنهجية بين الفلسفتين القديمة والحديثة، كما ربط بين مفهومين تداوليين مهمين، هما الإحالة والاقتضاء(٤).

يقول فيليب بلانشيه Philippe Blanchet:"وضع فريجه حجر الأساس لعلم الدلالة، ومن ورائها التداولية،

---

(١) ينظر: طالب سيد هاشم طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٣. وينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤٢و٤٣.

(٢) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص١٨.

(٣) مسعود صحراوي: الأفعال المتضمنة في القول بين الفكر المعاصر والتراث العربي، ص٤٠.

(٤) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٢٠.

وذلك بمفْهمته الروابط الدلالية/ الموضوعية والتواصلية"[١].

٢. ١. ٢- فيتجنشتاين وفلسفة اللغة العادية:

وقد اقتفى فيلسوف اللغة النمساوي لودفيج فيتجنشتاين Wittgenestein (١٨٨٩-١٩٥١م) أثر فريجه، فانتقد مبادئ (الوضعانية المنطقية) وانضم إلى فلاسفة أكسفورد بقصد دراسة اللغة الطبيعية، مؤسسًا لاتجاه فلسفي جديد سماه (فلسفة اللغة العادية)، وقوامها الحديث عن طبيعة اللغة وطبيعة المعنى في كلام الرجل العادي، وأن المعنى ليس ثابتًا ولا محددًا والدعوة إلى تفادي البحث في المعنى المنطقي الصارم، وتعتمد هذه الفلسفة على ثلاثة مفاهيم أساسية هي: الدلالة، القاعدة، ألعاب اللغة Jeux du langage /Languag games[٢].

وقد نبه فيتجنشتاين Wittgenestein إلى أن اللغة قد تستخدم لوصف العالم من حولنا بيد أن هناك حشدًا من الاستعمالات الأخرى للغة لا تصف وقائع العالم، كالأمر، والاستفهام، والشكر، واللعن، والتحية، والدعاء، وقدم ثبتًا طويًا بهذه الاستعمالات المختلفة للغة، وأطلق عليها Language games، وأسمى كل استعمال لعبة؛ لأن له قواعد يتفق عليها مستعملو اللغة كما يتفق اللاعبون على قواعد اللعبة، ورأى أن كل نوع من ألعاب اللغة محكوم بنوع مخصوص من السياق الاجتماعي ومحدد بأعراف اجتماعية معينة، من ثم فإن كل لعبة من ألعاب اللغة أو استخدام من استخداماتها يستحق اهتمامًا مساويًا لأي استخدام آخر[٣].

وقد مر فكر فيتجنشتاين بمرحلتين[٤]:

المرحلة الأولى: والتي يعبر عنها كتابه (رسالة منطقية فلسفية Trachtatus Logico-Philosophicus)، وفيها يرى أن كل قضية هي صورة للواقع، وبالتالي فإن دور اللغة هو تصوير الواقع أو وصف العالم، ودور الفلسفة هو التوضيح المنطقي للأفكار فالفلسفة فاعلية وليست نظرية، واللغة التي يقصدها هنا هي اللغة الاصطناعية، والقضايا التي يعنيها ذات طابع تركيبي دلالي.

والمرحلة الثانية: ويمثلها كتابه (بحوث فلسفية Philosophical Investigation) وفيها الانتقال من نظرية الصورة إلى نظرية الألعاب اللغوية، ومن اللغة الاصطناعية إلى اللغة العادية، ومن الجانب التركيبي الدلالي للقضايا إلى الوظائف الفعلية للغة وكيفية استعمالها، إن فهم لفظ معين هو فهم معنى استعمالاته الفعلية في سياقات مختلفة، وبالتالي التأكيد على العلاقة بين الدلالة اللغوية والألعاب والممارسات اللغوية، وأهمية ذلك نابعة من أن هناك ألفاظا كثيرة كألفاظ الكُلِّيَّة لا يوجد مقابل لها في الوجود الخارجي، وأرسى بذلك مبدأ مثيرًا للجدل عند الفلاسفة وهو (المعنى هو الاستعمال Meaning is use).

---

(١) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى جوفمان، ت: صابر الحباشة، ص٣٠.

(٢) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٢٠. وينظر: ومحمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٤١-٤٢. وينظر: فيليب بلانشيه: التداولية من أوستين إلى جوفمان، ت: صابر الحباشة، ص٣٠-٣١.

(٣) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٦٠-٦١.

(٤) ينظر: العيد جلولي: نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، ص٥٧. وينظر: طالب سيد هاشم طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، أ. وينظر: الزواوي بغوره: الفلسفة واللغة؛ نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، ص١٠١-١٠٤.

٣. ١. ٣- ريناتش والأعمال الاجتماعية:

في الفترة قبل الحرب العالمية الأولى، عزل ريناتش Reinach الأعمال الاجتماعية وهي التي سماها أوستين أعمالًا لغوية (أفعال كلامية) متضمنة في القول، والعمل الاجتماعي هو عمل يختص بكونه يتحقق باللغة بمجرد قول شيء ما، فالكلام ذاته في هذه الحالة يخلق التزامات وحقوقًا لا تختلط بالحقوق والواجبات الأخلاقية، والمثال المفضل لدى ريناتش هو الوعد (أعدك بالمجيء غدًا)، بمجرد التلفظ بذلك يحقق المتكلم عمل الوعد فيلتزم بالمجيء غدًا، أما المخاطب فامتلك بموجب التلفظ بذلك الوعد حق في المطالبة بحضور المتكلم غدًا، وكان عمل ريناتش Reinach حول الأعمال الاجتماعية دراسة مفردة قصيرة نسبيًّا ومركزة على هذه الظاهرة اللغوية الخاصة، ودراسته ترتكز من جهة على تحليل طبيعة هذه الحقوق والالتزامات نفسها، وترتكز من جهة أخرى على خصوصيات التجربة المرتبطة بالأعمال الاجتماعية، وكان يبحث في تطوير تحليل هوسرل Husserl للأعمال الذهنية واستعمال العلامات، ويؤكد ضرورة إقامة حد فاصل بين الأقوال التي يمكن أن تسند إليها قيمة صدقية، والأقوال التي لا يمكنها ذلك(١).

٢. ١. ٤- جاردنر Gardiner والأعمال اللغوية:

وفي فترة ما بين الحربين العالميتين، انطلق جاردنر Gardiner من تمييز بين اللسان والخطاب شبيه بتمييز دي سوسير بين اللسان والكلام، فلئن انطلق سوسير من اللسان ليحد الكلام، فإن جاردنر Gardiner اتخذ الاتجاه المعاكس فانطلق من الخطاب ليصف اللسان، والجملة حسب جاردنر هي وحدة الخطاب وإن اختزلت في كلمة مفردة، أما الكلمة فهي وحدة اللسان، وعلى خلاف سوسير الذي يستخدم التمييز بين اللسان والكلام ليخرج الكلام من حقل دراسة اللغة، يضع جاردنر Gardiner الخطاب أصلا للسان، فاللسان هو ببساطة، نتيجة استعمالات خطابية لا حصر لها، ومن هذه الزاوية ينبغي أن يدرس الخطاب كما يدرس اللسان.

وإذا كانت الكلمة هي وحدة اللسان والجملة هي وحدة الخطاب، فإن جاردنر Gardiner يعمد إلى إدخال تقسيم فرعي في الجملة مشيرًا إلى أن جمل الخطاب تنقسم -في مستوى الخطاب- إلى مسند ومسند إليه وليس إلى كلمات، وهو يميز بين خمسة ضروب من الإسناد، وأربعة أنماط من الجمل: الاستفهامية والخبرية والطلبية والتعجبية، وهي توافق عددًا من الأعمال اللغوية (الأفعال الكلامية)، وليس للمتكلم القصد إلى تبليغ شيء ما فحسب، بل له هدف لاحق يمكن أن يكون متنوعًا تنوعًا شديدًا؛ لذلك يجب أن تكشف الجملة بصورة أو بأخرى هدف المتكلم(٢).

---

(١) ينظر: جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ت: مجموعة من الباحثين، ص٤٦-٥٠.

(٢) المرجع السابق، ص٥٠-٥٦.

٢. ٢- الأفعال الكلامية عند أوستن:

تأثر أوستن(١) Austin بما نبه عليه فيتجنشتاين، وتصدى للرد على فلاسفة الوضعانية المنطقية Logical Positivism، وأنكر أن تكون الوظيفة الوحيدة للعبارات الإخبارية هي (وصف) حال الوقائع State of Affairs وصفًا يكون إمَّا صادقًا أو كاذبًا، وأطلق عليها المغالطة الوصفية، وقسم الجمل الخبرية تقسيمًا جديدًا، ووضع شروطًا للملاءمة حتى تُؤدى العبارات الإنشائية بشكل صحيح، ووضع معيارًا لتقييم الجمل مخالفًا للحكم بالصدق أو الكذب وهو الحكم على الجملة بالنجاح أو الفشل، وميز أفعالًا ثلاثة ترتبط بالقول، ثم قدم تقسيمًا مبدئيًّا للأفعال الكلامية.

ويعدّ عبد القادر قينيني نظرية أفعال الكلام العامة لأوستن Austin أول محاولة جادة تتجاوز بالفعل الطرح الأرسطي في كتابه (الخطابة) للقول الخطابي والدراسة البلاغية، بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية على ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة(٢).

٢. ٢. ١- تقسيم الكلام عند أوستن:

إن الهدف الأساسي لأوستن في محاضرات وليام جيمس William James، هو أن يُدخل التناقض في الاعتقاد المنتشر انتشارًا واسعًا في الوسط الفلسفي الأنجلوسكسوني عصرئذ، والقائل بأن للإثباتات (الخبريات) خصوصًا وللغة عمومًا وظيفة وصف حالة الأشياء، وأنها إذن صادقة أو كاذبة، فلما كان عدد من الأقوال –حتى الإثباتية– لا يمكن عدّها على وجه مشروع، صادقة أو كاذبة، فقد أدى ذلك، ضمن هذا التصور، إلى عدّها إثباتات زائفة، وتم التشكيك في المسلمة المتعلقة بالطابع الوصفي أساسًا للغة، وهو ما أسماه أوستن بالوهم الوصفي (المغالطة الوصفية Descriptive Fallacy)، انطلاقًا من التمييز بين الإثباتات التي هي أوصاف حقًّا وسماها وصفية، والإثباتات التي ليست أوصافًا، وقد خصص أوستن بداية أعماله لعزل هذا الصنف الثاني من الإثباتات ووصفه(٣).

وعلى هذا قسم أوستن العبارات ذات الصيغ الخبرية إلى قسمين(٤):

١- جمل خبرية أو أفعال إخبارية Constative تخبر عن وقائع العالم الخارجي، وتكون إما صادقة وإما كاذبة.

٢- جمل أو أفعال إنشائية أو إنجازية أو أدائية Performative ننجز بها في ظروف ملائمة أفعالًا.

ويصف أوستن الجمل الإنشائية بقوله(٥):

A. they do not 'describe' or 'report' or constate anything at all, are not 'true or false'; and:

---

(١) جون لانجشو أوستن John Langshaw Austin فيلسوف إنجليزي (١٩١١- ١٩٦٠م) ولد في لانكستر عام ١٩١١م، وتوفي في أكسفورد عام ١٩٦٠، درس أولا أرسطو ولايبنتز ، ثم ترجم فريجه، كان من ممثلي "المدرسة التحليلية" التي سميت بمدرسة "اللغة العادية" أو مدرسة "أكسفورد" وله كتاب "كيف ننجز الأشياء بالكلمات"، وكتاب "المعنى والحساسية" نشر بعد وفاته ١٩٦٢م. (جورج طرابيشي: معجم الفلاسفة، ص١١٧)

(٢) عبد القادر قينيني: نظرية أفعال الكلام العامة؛كيف ننجز الأشياء بالكلام، تأليف: أوستين، ت: عبد القادر قينيني، ص٥.

(٣) جاك موشلار وآن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ت: مجموعة من الباحثين، ص٥٦-٥٧.

(٤) ينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٦٢، وينظر: طالب سيد هاشم طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٤.

(٥) Austin: How To Do Things With Words, P. 5.

B. the uttering of the sentence is، or is a part of، the doing of an action، which agin would not normally be described as saying something.

ويترجم عبد القادر قينيني وصف أوستن للجمل الإنشائية بقوله(١):

أ- لا (تصف) ولا (تخبر بشيء) ولا (تثبت) أمرًا ما على وجه الإطلاق، ومن ثم فهي لا تدل على (تصديق ولا تكذيب) وعليه:

ب- فالنطق بالجملة هو إنجاز لفعل أو إنشاء لجزء منه، مما لا يعني أننا -ولنكرر القول هنا- نصف بقولنا شيئًا ما على وجه الضبط.

توصل أوستن إلى معيارين أساسيين يكفي كل منهما على حدة لتحديد الجملة الإنشائية وهما(٢):

الأول: اشتمال الجملة على فعل بصيغة المضارع المعلوم للمتكلم المفرد.

الثاني: اشتمال الجملة على فعل بصيغة المبني للمجهول بضمير المخاطب أو الغائب.

ووجد أن هذه الجمل تقبل تقييمًا خاصًّا بها غير التقييم الذي تقبله الجمل الخبرية من الصدق والكذب، وأطلق عليها تارة (ناجحة Felicitous) و(فاشلة Nonfelecitous)، وتارة أخرى بـ(صائبة Happy) و(خائبة Unhappy)، كما أطلق عليهما تسميات أخرى، وهذا إذا لم يراع فيها المتكلم شروط أدائها، ولم يكن أهلًا لفعلها حكم عليها بالفشل.

وأطلق على الشروط التي تتحقق بها الأفعال الأدائية اسم (شروط الملاءمة Felicity Conditions)، وحصرها في ثلاثة أنماط أساسية كل نمط منها يحتوي على شرطين هي(٣):

١- وجود إجراء عرفي مقبول، وله أثر عرفي محدد، وينبغي أن تكون الظروف والقائمون به مناسبين لهذا الإجراء المحدد.

٢- يجب أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداءً صحيحًا، وذلك بالبعد عن استعمال العبارات الغامضة أو الملبسة، ويجب أن يؤدي هذا الإجراء جميع المشاركين فيه أداءً كاملًا .

٣- أن يشترك القائم بالإجراء والمشارك فيه في الأفكار والمشاعر نفسها، وعلى المشارك في الإجراء أن يوجه نفسه إلى ما يستتبعه ذلك من سلوك ظاهر.

وعدّ أوستن الشرطين الأولين لازمين لأداء الفعل، فإذا اختل شرط منها فإن الفعل لا يُؤدى، وسمى الأفعال التي تخالف هذين الشرطين اسم (الإخفاقات Misfires)، في حين إذا اختل الشرط الأخير فإن الفعل يؤدى تأدية سيئة، وسمى الأفعال التي تخالف الشرط الأخير اسم (الإساءات Abuses).

٢. ٢. ٢- تقسيم الإنشائيات إلى صريحة وأولية:

وفي مرحلة ثانية تبين لأوستن أن التقسيم السابق غير جامع ولا مانع، فهناك جمل لا تشتمل على المعايير التي

---

(١) أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة؛ كيف ننجز الأشياء بالكلام، ت: عبد القادر قينيني، ص١٦.

(٢) ينظر: طالب سيد هاشم طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٤-٦.

(٣) ينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٦٣-٦٥.

وضعها لتمييز الجملة الإنشائية، وبالرغم من ذلك فهي جمل إنشائية، وهناك جمل أخرى تشتمل على تلك المعايير ولكنها جمل خبرية تحتمل الصدق أو الكذب، فحاول أوستن مراجعة وتعديل هذه التقسيمات والشروط التي وضعها للتمييز بين الأفعال الإخبارية والأفعال الأدائية من خلال تقسيم الجمل الإنشائية إلى قسمين(١):

١- إنشائيات أو أدائيات صريحة Explicit Performatives، مثل: (أعدك بأنني سأكون هناك).

٢- إنشائيات أو أدائيات أولية Primary Performatives، مثل: (سأكون هناك).

يقول محمود نحلة:"وبرغم ما بذله أوستن من جهد في التمييز بين الأفعال الأدائية (الإنشائية) والإخبارية، فقد ظل يرجع النظر في هذا التقسيم، حتى تبين له في النهاية أن الحدود بين هذين النوعين من الأفعال لا تزال غير واضحة، وأن ما وضعه من شروط، وما أشار إليه من وسائل ليس كافيًا للتمييز بينها، إذ وجد أن شروط الأفعال الأدائية تنطبق أحيانًا على أفعال ليست أدائية، وأن أفعالًا غير أدائية تنطبق عليها شروط الأفعال الأدائية"(٢).

٢. ٢. ٣- تصنيف أوستن للأفعال الكلامية:

في هذه المرحلة تراجع أوستن عن فكرة التقسيم ومعايير التمييز، وتعامل مع الكلام على أنه قول وعمل، ويشتمل الفعل الكلامي على ثلاثة أنواع من الأفعال تشكل معًا كيانًا واحدًا، و تؤدى في الوقت نفسه الذي ينطق فيه بالفعل الكلامي، ولا يمكن تجزئة هذه الأفعال أو فصلها إلا من قبيل التيسير الإجرائي قصد الفهم والدراسة فقط، وهذه الأفعال هي(٣):

١- فعل القول (الفعل اللفظي/ اللغوي) Locutionary act: وهو نطق الألفاظ على صورة كلام مفيد ذي بناء نحوي سليم مع تحديد ما له من (معنى Sense) و(مشار إليه Reference)، وهذا الفعل وإن أعطى المعنى الأصلي أو الظاهر لذلك القول، فإنه لا يزال غير كافٍ لإدراكنا حقيقة هذا القول. ويشمل:

أ- الفعل الصوتي Phonetic act: هو التلفظ بسلسلة من الأصوات التي تنتمي إلى لغة ما.

ب- الفعل التركيبي Phatic act: هو إنتاج كلمات لها معانٍ في المعجم تخضع لقواعد النحو والتركيب.

ج- الفعل الدلالي Rhetic act: يتمثل في الربط بين الكلمات ودلالاتها حسب ما تحيل إليه.

٢- فعل متضمن في القول (الفعل الإنجازي) Illocutionary act: ويقصد به ما يؤديه (فعل القول) من وظيفة في الاستعمال، كالأمر، والاعتراض، والموافقة، والقبول، والنصح وغيرها.

٣- الفعل الناتج عن القول (الفعل التأثيري) Perlocutionary act: وهو ما يتركه الفعل الإنجازي من تأثير جسديًّا أم فكريًّا، والغاية منه حمله على اتخاذ موقف، أو تغيير رأي، أو القيام بعمل ما.

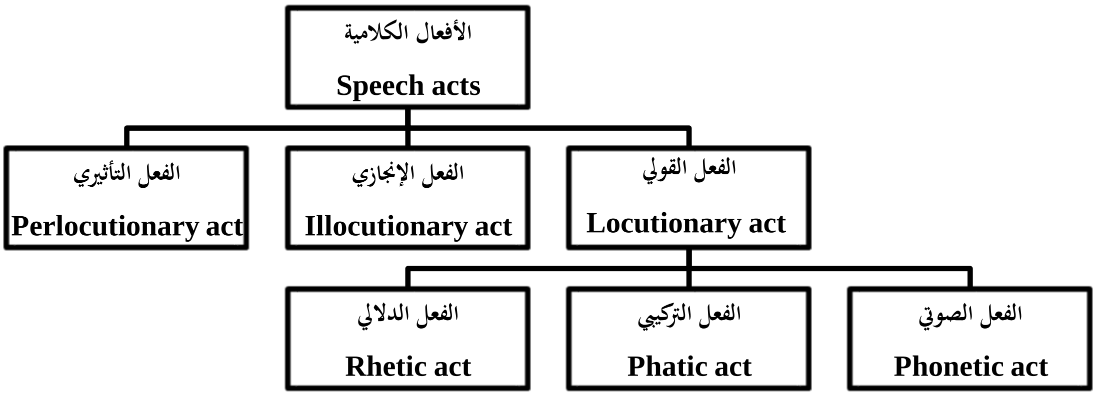
ويمثل الشكل التالي الأفعال الكلامية كما قسمها أوستن:

---

(١) ينظر: طالب طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٦و٧.

(٢) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٦٧.

(٣) ينظر: أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة؛ كيف ننجز الأشياء بالكلام، ت: عبد القادر قينيني، ص١١٥-١٢٨.



تقسيم أوستن للأفعال الكلامية

لقد ركز أوستن على النمط الثاني من هذه الأحداث، أما النمط الأول (التعبير) فينضوي تحت علم الدلالة المعتمد على شروط الحقيقة، ويقع النمط الثالث (التأثير) بدقة خارج تحريات المعنى واللغة؛ لأنه يتعامل مع سبب اللفظ أو نتيجته؛ لأن تأثير كلماتي في (إقناع) شخص ما بإقراضي عشرة دنانير يعتمد على عوامل (نفسية اجتماعية أو مادية) خارجة عن نطاق إرادتي، ولا يرتبط ذلك بما قلته إلا جزئيًّا(١).

ويعد الفعل أو الحدث الإنجازي هو العمدة والركيزة في الكلام وأهمها، وهذا الفعل يرتبط بمقصد المتكلم وعلى السامع أن يبذل جهده في سبيل الوصول إليه، ولهذا يلعب مفهوم قصد المتكلم (القصدية Intention) دورًا مركزيًّا في نظرية أفعال الكلام(٢).

٢. ٢. ٤– تصنيف أوستن للأفعال الإنجازية:

صنف أوستن الأعمال التي ننجزها من خلال اللغة إلى خمسة أصناف، ولكنه لم يتردد في القول بأنه غير راضٍ عن هذا التصنيف، وأن هناك إمكانات لظهور تصنيفات أخرى، وأقسامه الخمسة هي(٣):

١– أفعال الأحكام (الحكميات) Verdictives: حكم يصدره محلف، أو محكَّم، أو حكم، وليس من الضروري أن تكون الأحكام نهائية أو نافذة، فقد تكون تقديرية أو ظنية، مثل: يبرئ، يقدر، يعين.

٢– أفعال القرارات (الإنفاذيات) Exercitives: اتخاذ قرار، مثل: يأذن، يطرد، يحرم.

٣– أفعال التعهد (الوعديات) Commissives: تعهد المتكلم بفعل شيء، مثل: أعد، أتعهد، أضمن.

٤– أفعال السلوك (السلوكيات) Behabitives: رد فعل لسلوك الآخرين، كالاعتذار والشكر والتعاطف.

٥– أفعال الإيضاح (التبيينيات) Expositives: لتوضيح وجهة النظر أو بيان الرأي وذكر الحجة، مثل: الإثبات، الإنكار، المطابقة.

---

(١) جيفري ليش وجيني توماس: البراغماتية؛ المعنى في السياق، ص٢٥١.

(٢) ينظر: طالب طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٧–٩. ويترجم عبد القادر قينيني هذه الأفعال الثلاثة (فعل الكلام/ قوة الكلام/ لازم فعل الكلام) على الترتيب. وأطلق عليها طه عبد الرحمن (الفعل الكلامي/ الفعل التكلمي/ الفعل التكليمي).

(٣) ينظر: أوستن: نظرية أفعال الكلام العامة؛ كيف ننجز الأشياء بالكلام، ت: عبد القادر قينيني: ١٧٤–١٧٥، وينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٦٩–٧٠.

٢. ٣- الأفعال الكلامية عند سيرل:

وصلت نظرية الأفعال الكلامية مع جون سيرل J.R.Searle[(١)] إلى مرحلة من النضج، إذ قام سيرل بتعديلات مهمة على مقترحات أستاذه أوستن، تمثلت في تطويره لتقسيم سيرل للأفعال الكلامية، وشروط الملائمة، ومعايير التمييز بين الأفعال الإنجازية، ووضع تصنيفًا جديدًا لها، وهذا ما أحاول عرضه بصورة موجزة فيما هو آتٍ.

٢. ٣. ١- تقسيم الأفعال الكلامية عند سيرل:

قام سيرل بتعديل التقسيم الذي قدمه أوستن للأفعال الكلامية فجعله أربعة أقسام، أبقى منها على القسمين الإنجازي والتأثيري، لكنه جعل القسم الأول -وهو الفعل اللفظي- قسمين: نطقي وقضوي، وعلى ذلك فالأفعال الكلامية عند سيرل أربعة أفعال هي[(٢)]:

١- الفعل القولي Utterance Act: يشمل الجوانب الصوتية والنحوية والمعجمية، ويضم الفعل الصوتي Phonetic Act والتركيبي Phatic Act عند أوستن.

٢- الفعل القضوي Propositional Act: القضوي نسبة إلى القضية التي تقوم على المتحدَّث عنه أو المرجع Reference، والمتحدَّث به أو الخبر Predication، ويقابل الفعل الدلالي Rhetic Act عند أوستن، وينقسم إلى قسمين هما:

أ- الفعل الإحالي Reference Act: قد تكون الإحالة إلى أشخاص أو أماكن أو أشياء أو غير ذلك، داخل النص أو خارجه.

ب- الفعل الحملي Predication Act: وهو الإسناد، أي أن نسند نسبة المحمول أو الحمل إلى الموضوع المحال عليه.

والفعلان معًا -الإحالي والحملي أو الإسنادي- يشكلان معًا قضية واحدة Proposition وهي المحتوى المشترك بينهما Common Content.

٣- الفعل الإنجازي Illocutionary Act: يعدّ سيرل الفعل الإنجازي بمثابة الوحدة الصغرى Minimal Unit للاتصال اللغوي ككل.

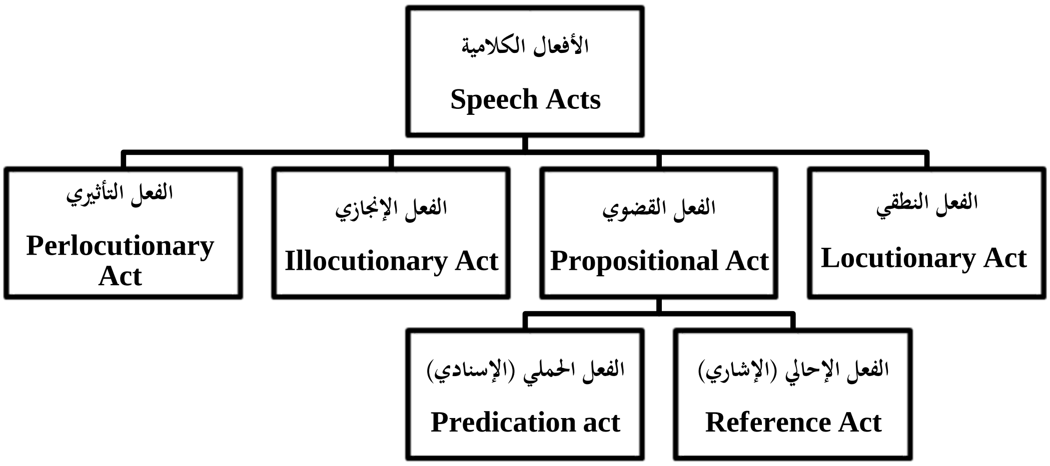
ويدل على القوة الإنجازية دليل يسمى دليل القوة الإنجازية Illocutionary Force Indicator يبين لنا نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم، ويتمثل في اللغة الإنجليزية في نظام الجملة Word Order، والنبر Stress، والتنغيم Intonation، وفي علامات الترقيم Punctuation في اللغة المكتوبة وصيغة الفعل Mood، وما يسمى الأفعال الأدائية Performative.

---

(١) واحد من أبرز الفلاسفة المحدثين الذين ينتمون لتيار الفلسفة التحليلية، درس الفلسفة في جامعة كاليفورنيا، وحاضر أستاذًا زائرًا في عدد كبير من الجامعات العالمية، من أشهر أعماله: الأعمال اللغوية، التعبير والمعنى، القصدية، العقول والأدمغة والعلم، إعادة اكتشاف العقل، بناء الواقع الاجتماعي، لغز الشعور.

(٢) ينظر: سيرل: الأعمال اللغوية؛ بحث في فلسفة اللغة، ت: أميرة غنيم، ص٥٠. وينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٧١و٧٢.

٤- **الفعل التأثيري Perlocutionary act**: يتمثل فيما يمكن أن يحدثه الفعل الإنجازي في متلقيه من تأثير على قناعاته وأفكاره ومشاعره وعواطفه، فقد يخيفه وقد يحفزه وقد يحزنه وقد يشعره بالسعادة أو الامتنان أو بالحماس حسب طبيعة الفعل الإنجازي وقوته أيضًا، ويظهر أثره في سلوك المتلقي.



(تقسيم سيرل للأفعال الكلامية)

ولكنه يرى أن هذا التقسيم ليس إلزاميًا حيث يقول:"لم أزعم إلى حد الآن أنه من الواجب تقسيم الأشياء على هذا الوجه، كل ما أقوله إن هذا وجه ممكن لتقسيمها، وإن يبدُ هذا مبهمًا، ولم أزعم على وجه التخصيص أن هذا هو الوجه الوحيد"(١).

ويرى سيرل أن الأفعال الإنجازية يجب أن تؤدى قصديًّا، أما التأثيرية فلا، حيث يقول:"يجب أن تؤدى الأفعال الإنجازية قصديًّا، إذا لم تقصد أن تعطي وعدًا أو تصدر حكمًا، إذًا فأنت لم تطلق وعدًا أو حكمًا، غير أن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدى قصديًا بالضرورة، قد تقنع شخصًا بشيء ما، أو تدفعه إلى فعل شيء، أو تزعجه، أو تحيره دون أن تقصد ذلك"(٢).

كذلك يرى سيرل أن الفعل الكلامي أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضًا بالعرف اللغوي والاجتماعي، حيث يقول:"غير أن ما يعنيه المتكلم بمنطوق الجملة يعتمد ضمن حدود معينة على مقاصده، وأقول ضمن حدود معينة؛ لأنك لا تستطيع أن تقول أي شيء وتعني كل ما يحلو لك، ومعنى الجملة هو بالكامل مسألة أعراف اللغة"(٣).

٢. ٣. ٢- شروط الملاءمة عند سيرل:

طور سيرل شروط الملاءمة Felicity Conditions وجعلها أربعة شروط قد تزيد وقد تنقص حسب طبيعة الفعل، وهذه الشروط هي(٤):

---

(١) سيرل: الأعمال اللغوية؛ بحث في فلسفة اللغة، ت: أميرة غنيم، ص٥٢.

(٢) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع؛ الفلسفة في العالم الواقعي، ت: سعيد الغانمي، ص٢٠٣.

(٣) المرجع السابق، ص٢٠٦.

(٤) ينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٧٤و٧٥.

١- شرط المحتوى القضوي Propositional Content: ويتحقق شرط المحتوى القضوي في فعل الوعد مثلا إذا كان دالًا على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه.

٢- الشرط التمهيدي preparatory: ويتحقق إذا كان المتكلم قادرًا على إنجاز الفعل (في الوعد)، والمتكلم على يقين من قدرة المخاطب على إنجاز الفعل (في الطلب)، وليس من الواضح أن المخاطَب سينجز الفعل المطلوب في الظروف العادية بصورة تلقائية.

٣- شرط الإخلاص Sincerity: ويتحقق حين يكون المتكلم مخلصًا في أداء الفعل، كأن يريد حقًا من المخاطب إنجاز الفعل (في الأمر).

٤- الشرط الأساسي Essential: ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

٢. ٣. ٣- معايير التمييز بين الأفعال الإنجازية:

وضع سيرل مجموعة من المعايير التي تساعد على التمييز بين الأفعال الإنجازية، ومن ثم تسهل عملية تصنيفها بحسب الاختلافات الموجودة بين كل فعل إنجازي وآخر، وهذه المعايير هي[١]: الهدف أو الغرض الإنجازي للفعل، اتجاه المطابقة بين الكلمات والعالم، الحالة النفسية التي يعبر عنها المتكلم، القوة التي يتم بها إنجاز الفعل، منزلة كل من المتكلم والسامع، طريقة ارتباط القول باهتمام المتكلم والسامع، طريقة ارتباط الملفوظات بسائر الكلام، المحتوى القضوي، الأفعال التي لا تكون إلا أفعالا كلامية والأفعال التي يمكنها أن تكون كلامية، الأفعال التي تتطلب أعرافًا لغوية لإنجازها والأفعال التي لا تتطلب ذلك، الأفعال التي يمكن أن تكون أدائية والأفعال التي ليست كذلك، أسلوب أداء الفعل الإنجازي.

٢. ٣. ٤- تصنيف سيرل للأفعال الإنجازية:

أعاد سيرل النظر في تصنيف أوستن للأفعال الإنجازية فبين ما فيه من أوجه الضعف، وقدم تصنيفًا بديلًا للأفعال الإنجازية، وقد أقام تقسيمه على أسس منهجية ثلاثة ورد ذكرها في الأبعاد (المعايير) التي يختلف بها كل فعل إنجازي عن الآخر، ونص على أنها أهم هذه الأبعاد جميعًا، وأنه سيبني عليها تصنيفه للأفعال الإنجازية:

١- الغرض الإنجازي Illocutionary Point:"الغرض الإنجازي يعد جزءًا من القوة الإنجازية لكنه ليس إياها، فالغرض الإنجازي من الرجاء مثلًا هو نفسه الغرض الإنجازي للأمر، لكن القوة الإنجازية في كل منهما تختلف اختلافًا بينًا، فالقوة الإنجازية نتاج عناصر عديدة ليس الغرض الإنجازي إلا واحدًا منها"[٢].

٢- اتجاه المطابقة Direction of Fit: مفهوم اتجاه المطابقة هو مفهوم مسؤولية المطابقة، أي: من الذي يفترض فيه أن يحقق المطابقة، وقد استخدم سيرل المثال الذي ضربه أنسكوم لتوضيح مفهوم اتجاه المطابقة[٣]، وهو على أربعة أقسام[٤]:

---

(١) ينظر: خالد ميلاد: الإنشاء في اللغة العربية بين التركيب والدلالة، ص٥٠٢و٥٠٣.

(٢) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٧٥.

(٣) ينظر: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع؛ الفلسفة في العالم الواقعي، ت: سعيد الغانمي، ص١٥٢-١٥٤.

(٤) طالب طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٢٩.

أ- اتجاه المطابقة من القول إلى العالم Words- to- World: يتحقق النجاح في حالة تطابق المحتوى القضوي مع واقعة State of Affairs مستقلة في العالم.

ب- اتجاه المطابقة من العالم إلى القول World- to- Words: يتحقق النجاح في المطابقة بتغير العالم ليطابق المحتوى القضوي.

ج- اتجاه المطابقة المزدوج Double: يتحقق النجاح في المطابقة بتغير العالم ليطابق المحتوى القضوي بتمثيل Representing العالم على أنه تغير على هذا النحو.

د- اتجاه المطابقة الفارغ The Null or Empty: لا توجد مشكلة في نجاح تحقق المطابقة بين المحتوى القضوي والعالم؛ لأنه عمومًا يقع القول مع افتراض حصول المطابقة قبل ذلك.

٣- شرط الإخلاص Sincerity Condition.

والأصناف الخمسة التي ذكرها سيرل للأفعال الإنجازية هي(١):

١- الإثباتيات أو الإخباريات Assertive:

أ- الغرض الإنجازي: هو التعهد للمستمع بحقيقة الخبر، فهي أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلًا لحالة موجودة في العالم، ومن أمثلتها: الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات.

ب- اتجاه المطابقة: من القول إلى العالم (words-to world)، فهي يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة.

ج- شرط الإخلاص: هو دائمًا "الاعتقاد"، وأبسط اختبار لتحديد هوية الإثبات هو أن نسأل ما إذا كان المنطوق صادقًا أو زائفًا .

٢- الطلبيات Directives:

أ- الغرض الإنجازي: محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائمًا مع المحتوى الخبري للتوجيه، ومن أمثلتها: الأوامر والنواهي والطلبات.

ب- اتجاه المطابقة: من العالم إلى القول (world-to-words)، وهي لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، ولكن يمكن أن تطاع أو تهمل، أو يخضع لها أو تستنكر ... إلخ.

ج- شرط الإخلاص: هو دائمًا "الرغبة" بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به.

٣- الالتزاميات Commissives:

أ- الغرض الإنجازي: تعهد من المتكلم بتنفيذ الفعل الممثل في المحتوى الخبري، ومن أمثلتها: المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات والتهديد ولكنه ضد مصلحة المستمع ولا يعود عليه بالنفع.

ب- اتجاه المطابقة: من العالم إلى القول (world-to words)، وهي لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، ولكن يمكن أن يتم تنفذيها أو يحافظ عليها، أو يحنث بها.

ج- شرط الإخلاص: هو دائمًا "القصد"، فكل وعد أو تهديد مثلا هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما.

---

(١) ينظر: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع؛ الفلسفة في العالم الواقعي، ت: سعيد الغانمي، ص٢١٧-٢٢٠..

٤- التبيينات Expressive:

أ- الغرض الإنجازي: التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي، ومن أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهاني والترحيب والتعزية.

ب- اتجاه المطابقة: الاتجاه الفارغ؛ لأن حقيقة المحتوى الخبري يسلم بها فحسب، إذا قلت "أعتذر لضربك"،"أو تهانينا على فوزك بالجائزة" فأنا أسلم تسليمًا بأني ضربتك، أو أنك فزت بالجائزة، ولذلك أفترض قبليًّا وجود اقتران بين المحتوى الخبري والواقع.

ج- شرط الإخلاص: يتغير مع تغير نمط التعبير، فالاعتذار صادق إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلًا عما يعتذر عنه، والتهاني صادقة إذا كان المتكلم يشعر بالبهجة حقًّا لما يهنئ المستمع عليه.

٥- التصريحات أو الإعلانيات Declaratives:

أ- الغرض الإنجازي: إحداث تغيير في العالم، بحيث يطابق العالم مضمون القضية بمجرد الإنجاز الناجح لمضمون الفعل الكلامي، ومن أمثلتها:(لذلك أعلن اندلا ع الحرب، أنت مطرود، أنا مستقيل).

ب- اتجاه المطابقة: قد يكون من القول إلى العالم أو من العالم إلى القول أي الاتجاه المزدوج.

ج- شرط الإخلاص: لا تحتاج إلى شرط إذ يكفي إنجازها بنجاح لتحقيق المطابقة .

٢. ٣. ٥- أفعال الكلام المباشرة وغير المباشرة عند سيرل:

ميز سيرل بين ما أسماه الأفعال الكلامية المباشرة direct والأفعال الكلامية غير المباشرة indirect، حيث يقول:"لا تؤدى جميع الأفعال الكلامية بنطق جمل يعبر معناها الحرفي عن المعنى الذي يقصده المتكلم، يمكن للمرء أن يطلب من جليسه أن يمرر له الملح بأن يقول:(أطلب منك أن تمرر لي الملح)، أو (مرر لي الملح)، لكن المرء يقول في العادة:(هل تستطيع أن تمرر لي الملح؟)، أو (هلا مررت لي الملح؟)، أو (أريد أخذ الملح)، أو (هل لي بقليل من الملح؟)، أو (هل الملح في متناول يدك) وما شابه ذلك، ومثل هذه الحالات التي يؤدي فيها المرء فعلًا كلاميًّا بصورة غير مباشرة، من خلال أدائه فعلًا آخر مباشرة، تسمى بـ(الأفعال الكلامية غير المباشرة)، وهناك أنواع أخرى من الحالات، حيث يختلف معنى الجملة نسقيًا عن المعنى الذي يقصده المتكلم، تشمل الاستعارة والكناية والسخرية والتهكم والتهويل والتهوين"(١).

وعلى هذا فالأفعال الكلامية المباشرة: هي التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقًا مطابقة تامة وحرفية لما يريد أن يقول، وهو يتمثل في معاني الكلمات في الجملة، وقواعد التأليف التي تنتظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معًا.

أما الأفعال الكلامية غير المباشرة: فهي التي تخالف فيها قوتها الإنجازية مراد المتكلم(٢)، ولا يمكن للمخاطب أن يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية متفاوتة من حيث الطول والتعقيد(٣).

---

(١) ينظر: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع؛ الفلسفة في العالم الواقعي، ت: سعيد الغانمي، ص٢٢٠-٢٢١.

(٢) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٨٠-٨١.

(٣) عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، ص١١٧.

وهنالك بعض الضوابط التي تمكننا من التمييز بين الأفعال المباشرة والأفعال غير المباشرة وهي[١]:

١- القوة الإنجازية للأفعال المباشرة تظل ملازمة لها في مختلف المقامات، أما الأفعال الإنجازية غير الحرفية فموكولة إلى المقام، لا تظهر قوتها الإنجازية إلا فيه.

٢- القوة الإنجازية للأفعال غير المباشرة يجوز أن تلغى، فإذا قال لك صاحبك: أتذهب معي إلى المكتبة؟ فقد تلغى القوة الإنجازية غير المباشرة وهي الطلب ليقتصر الفعل على قوته الإنجازية المباشرة وهي الاستفهام.

٣- القوة الإنجازية غير المباشرة لا يتوصل إليها إلا عبر عمليات ذهنية استدلالية تتفاوت من حيث البساطة والتعقيد، أما القوة الإنجازية المباشرة فتؤخذ مباشرة من تركيب العبارة نفسه.

وقد لفت سيرل إلى نوع آخر من الأفعال الكلامية غير المباشرة يرتبط بما يسمى الاستلزام الحواري Conversational Implicature وسيأتي بيانه في الفصل الثاني.

على أن أهم ما في هذه النظرية كما يقول مسعود صحراوي:"إن جوهر (الأفعال الكلامية) هو القسم المسمى (الأفعال المتضمنة في القول)، وعليه فهو الذي يستحق عناء الدراسة والتصنيف -كما فعل سيرل- إلى الأصناف الكلامية المعروفة"[٢].

---

(١) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٨٣.

(٢) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٢٢٢و٢٢٣.

٣- الأفعال الكلامية في اللسانيات العربية.

كان للفلسفة اليونانية تأثير على الفكر الفلسفي العربي عندما تُرجمت كتبها في عهد العباسيين، ونص على ذلك الفارابي (٣٣٩هـ) بقوله:"والفلسفة الموجودة اليوم عند العرب منقولة إليهم من اليونانيين"(١)، وكان المعتزلة من أهم الفرق التي تأثرت بكتب الفلاسفة عمومًا، يقول الشهرستاني (٥٤٨هـ):"ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزلة كتب الفلاسفة حيث نشرت أيام المأمون فخلطت مناهجها بمناهج الكلام، وأفردتها فنًا من فنون العلم، وسمتها باسم الكلام، إما لأن أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا عليها هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها، وإما لمقابلتهم الفلاسفة في تسميتهم فنًا من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق والكلام مترادفان"(٢).

ويشير طه عبد الرحمن لاستفادة البلاغة العربية من المنطق الصوري اليوناني في دراساتهم البلاغية إذ يقول:"اعلم أن الدراسات البلاغية قديمًا وحديثًا اقتبست من المنطق الصوري بعض أدواتها، ولم يقتصر هذا الاقتباس على أخذ بعض المفاهيم المنطقية من مصطلحات ومقولات، وإنما تعداه إلى أخذ المبادئ النظرية التي تستند إليها هذه المفاهيم، فقد انتقل إلى البلاغة معنى الخبر ومعه مبدأ الفائدة، ودخل إليها أيضًا المفهومان القيميان: الصدق والكذب، ومعهما المبدأ الذي يستندان إليه، وهو مبدأ مطابقة الحكم للواقع أو عدم مطابقته له، كما انتقل إليها معنى المقولة وحمل معه مبدأه القاضي بترتيب الأجناس، ودخل إليها كذلك المعنيان الدلاليان الحقيقة والمجاز، ومعهما المبدأ اللذان يرتكزان عليه وهو اللزوم"(٣).

وذكر درويش الجندي أن (فروتاغوراس) اليوناني هو أول من عني بالبحث في ضروب القول والأحوال التي تصاغ عليها العبارة باختلاف أحوال الشخص، ثم عرض (أرسطو) لأساليب الخبر والإنشاء في بحوثه المنطقية كما في كتابه المقولات، وأما في الفكر العربي فيرى درويش أن المعتزلة أول من اهتم بهذا الجانب، حيث يقول:"وأول ما ظهر الكلام في هذا الموضوع في ميدان الفكر العربي إنما كان في أغلب الظن في رحبة الاعتزال وساحة علم الكلام، حيث نجمت فتنة القول بخلق القرآن، واستدل فيما استدل به على أن القرآن مخلوق بأنه أمر ونهي وخبر؛ وذلك ينفي عنه صفة القدم، وفي بيئة الاعتزال هذه ظهر رأيان يدوران حول صدق الخبر وكذبه، أحدهما يعزى إلى (النظّام)، والآخر ينسب إلى تلميذه (الجاحظ) وكلاهما من زعماء المعتزلة وعلماء الكلام"(٤).

ولا يبخس القول بهذا التأثير للفلسفة اليونانية العلماء العرب حقهم في مسيرة الفكر الإنساني، فقد كانت لهم بصمات واضحة في التنظير والتطبيق لهذا المبحث، فلم يقتصروا على النقل من الآخرين، بل نقدوا وعدلوا وأضافوا وظهرت جهودهم واضحة جلية في مؤلفاتهم وتنوع الأفكار لديهم، في مناخ يسوده حرية الفكر والأخذ والرد، وأبعد ما يكون عن الجمود والتمسك بالآراء تقليدًا للسابقين دون وعي أو فهم، وهذا ما أحاول تسليط الضوء عليه من خلال عرض رؤية اللسانيات العربية لأقسام الكلام والتمييز بين أنواعه.

---

(١) الفارابي: الحروف، ت: محسن مهدي، ص١٥٩.

(٢) الشهرستاني: الملل والنحل، ٢٩/١.

(٣) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٩٦.

(٤) درويش الجندي: علم المعاني، ص١٤.

٣. ١- معايير تمييز الكلام عند العرب:

تنوعت معايير التمييز بين الخبر والإنشاء عند العلماء العرب وتطورت في مراحل زمنية مختلفة، وقد ذكر الباحثون من تلك المعايير(١):

١- معيار قبول الصدق والكذب: الخبر هو ما يقبل الصدق والكذب، والإنشاء خلافه، وتبناه الفارابي (٣٣٩هـ) وابن سينا (٤٤٧هـ)، وهو رأي أبي يعقوب السكاكي (٦٢٦هـ) ونجم الدين الكاتبي (٦٧٥هـ) وقطب الدين الرازي (٧٦٦هـ) وغيرهم.

٢- معيار مطابقة النسبة الخارجية: الخبر هو الذي لنسبته الكلامية نسبة خارجية، والإنشاء ليس له هذه النسبة، وينسب لمحمد بن علي الجرجاني (٧٢٩هـ)، وتبناه سعد الدين التفتازاني (٧٩٢هـ)، وجلال الدين القزويني (٧٩٣هـ) وابن خلدون (٨٠٨هـ).

٣- معيار إيجاد النسبة الخارجية وتبعيتها: الخبر يدل على وقوع النسبة الخارجية، أما الإنشاء فهو يوجدها أو يتسبب في إيجادها، وينسب إلى محمد بن علي الجرجاني (٧٢٩هـ)، وقال به بهاء الدين السبكي (٧٧١هـ)، وابن يعقوب المغربي (١١٠٨هـ).

ويتعلق بهذا المعيار ما أورده شهاب الدين القرافي (٦٨٤هـ) فقال:"الإنشاءات يتبعها مدلولها، والأخبار تتبع مدلولاتها، أما تبعية مدلول الإنشاءات فإن الطلاق والملك مثلًا إنما يقعان بعد صدور صيغة الطلاق والبيع"(٢).

٤- معيار القصد: الخبر إن كان غرض المتكلم الإخبار مع موافقة اللفظ إياه، وإن كان غرضه غير الإخبار فهو الإنشاء، وينسب إلى إبراهيم الشيرازي (٤٧٦هـ)، ووافقه في الأخذ بقصد المتكلم ابن يعقوب المغربي (١١٠٨هـ) ومحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي (١٢٣٠هـ) وإن كان يتميز عنهما بأنه جعل ذلك معيارًا أساسيًا للتمييز بين الخبر والإنشاء.

٥- معيار عدد النسب: للخبر ثلاث نسب: كلامية، وذهنية، وخارجية، ولا يكون للإنشاء إلا نسبتان: كلامية، وذهنية، وهذا المعيار ينسب للنظّام (٢٢١هـ) والجاحظ (٢٥٥هـ) والتفتازاني (٧٩٢هـ) والدسوقي (١٢٣٠هـ) وغيرهم.

---

(١) ينظر: هاشم طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص٤٧-٦٠. وينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب: ٥٧-٨٣.

(٢) القرافي: أنوار البروق في أنواء الفروق، ٢٣/١. قال بعدها:"وأما أن الخبر تابع لمخبره فنعني بالتبعية أنه تابع لتقرر مخبره في زمانه ماضيًا كان أو حاضرًا أو مستقبلًا فقولنا قام زيد تبع لقيامه في الزمان الماضي، وقولنا هو قائم تبع لقيامه في الحال، وقولنا سيقوم الساعة تبع لتقرر قيامه في الاستقبال، وليس المراد بالتبعية التبعية في الوجود، وإلا لما صدق ذلك إلا في الماضي فقط فإن الحاضر مقارن فلا تبعية لحصول المساواة والمستقبل وجوده بعد الخبر فكان متبوعا لا تابعا فكذا ينبغي أن يفهم معنى قول الفضلاء: الخبر تابع لمخبره، ومثله قولهم: العلم تابع لمعلومه أي تابع لتقرره في زمانه ماضيا كان المعلوم أو حاضرا أو مستقبلا فإنا نعلم الحاضرات والمستقبلات كما نعلم الماضيات، والعلم في الجميع تبع لمعلومه فالعلم بأن الشمس تطلع غدا فرع وتابع لتقرر طلوعها في مجاري العادات".

٣. ٢- أقسام الكلام عند العرب:

تصنيف الكلام وتحديد ضروبه وأشكاله من القضايا التي نالت حظًا كبيرًا من الاهتمام عند النحاة والبلاغيين والأصوليين والفلاسفة والمناطقة، وظهرت العديد من الآراء والتصنيفات، وكان لأرباب كل علم من العلوم بصمتهم في ذلك الأمر.

ويشير سعد مصلوح إلى أن هذا المبحث قد تفرق دمه بين العلماء قديمًا، وانتقد جهود المعاصرين التي اقتصرت على وصف الظاهرة وتقريرها، أو التأكيد على أسبقية العلماء العرب على غيرهم، فيقول:"ومعلوم أنَّ (الخبر والإنشاء) وما يتصل به من قضايا إنجاز الفعل بالكلام قد تفرق دمه في مباحث القدماء بين النحاة والبلاغيين والأصوليين والمناطقة، فتشابهت ملامحه، واشتبكت دروبه، كما أنه كذلكم من المباحث التي تعاورتها أقلام الباحثين المعاصرين وفهومهم؛ فمنهم من حكى الأمر على ما كان في مصنفات البلاغيين المتقدمين لا يزيد، فوقف عند حدود بيان القواعد والشواهد والأمثلة، ومنهم من شدا شيئًا من علم اللسانيات ففسح لنفسه خطوات قصارًا يستنطق بها ظواهر الأقوال والشواهد، وغايته هو أن يدلل على أن كل حوار بيننا وبين المنجز اللساني المعاصر هو دليل لا يُدفع على أننا نحن فيه السابقون وهم اللاحقون، وأن الأول لم يترك للآخر شيئًا، ولم يَعْرَ أي من هذين التوجهين من العيوب، فأولهما غايته التقرير والحفظ، وآخرهما غايته الرضا عن النفس، والقعود عن التحصيل، والقناعة بأيسر الزاد"(١).

٣. ٢. ١- أقسام الكلام عند المتكلمين والفلاسفة:

استبعد بعض الفلاسفة العرب التراكيب غير الخبرية في مباحثهم كما فعل فلاسفة اليونان؛ لأنهم يعدّونها غير نافعة في العلوم، يقول مسعود صحراوي:"أما الفلاسفة والمناطقة فاستبعدوا التراكيب غير الخبرية، ولو كانت دالة ومفيدة، وقصروا تحليلاتهم على التركيب الخبري وحده؛ لأن الخبر هو الذي يهم المنطقي أن يبحث فيه، ولكن بعد أن ميزوه عن الإنشائي بتدقيق شديد، وسبب اقتصارهم على التركيب الخبري أنه هو وحده النافع في العلوم، فاهتموا بالظاهرة اهتمامهم بالوسائل والأدوات، لا بالمقاصد والغايات"(٢).

ويرى خالد ميلاد أن الفلاسفة العرب تجاوزوا بعض ما طرحه أرسطو بتوسعهم في دراسة الإنشاء، إذ يقول:"الفلاسفة العرب تجاوزوا بعض ما ذهب إليه أرسطو، إذ سعوا بتأثير من النحاة إلى التوسع في دراسة الأقوال المتصلة بمفهوم الإنشاء"(٣).

٣. ٢. ١. ١- إبراهيم النظّام والجاحظ:

يتفق إبراهيم النظّام (٢٣١هـ) مع الجمهور في كون الخبر ينحصر في الصادق والكاذب، ويختلف معهم في تفسير الصادق والكاذب، فالخبر يكون صادقًا إذا طابق اعتقاد المخبر سواء طابق الواقع أو لم يطابقه، ويكون كاذبًا إذا خالف اعتقاد المخبر سواء لم يطابق الواقع أو طابقه(٤).

---

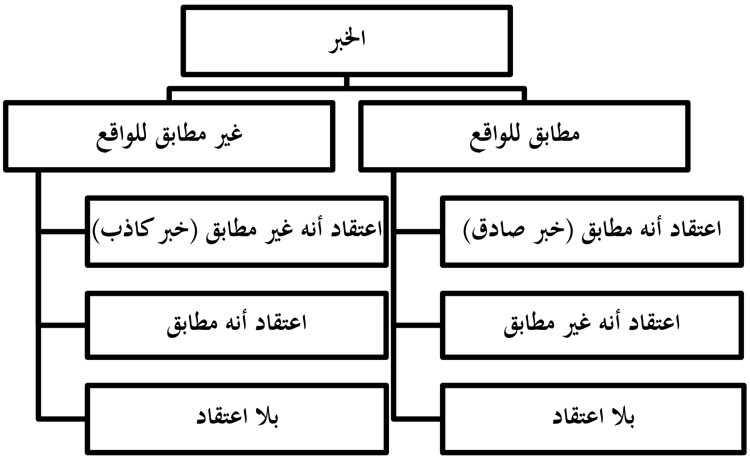
(١) سعد مصلوح: عرض لكتاب التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، ص١٩٨.

(٢) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٥٦و٥٧.

(٣) خالد ميلاد: الإنشاء في اللغة العربية بين التركيب والدلالة، ص٣٦٩.

(٤) ينظر: الدسوقي: شرح مختصر التفتازاني، ص١٩٠.

أما الجاحظ (٢٥٥هـ) فيرى -في تقسيم نسبه له التفتازاني (٧٩٢هـ)- أنّ الخبر لا ينحصر في الصادق والكاذب، بل منه ما ليس بصادق ولا كاذب، يقول التفتازاني (٧٩٢هـ):"الجاحظ: مطابقته مع الاعتقاد، وعدمها معه، وغيرهما ليس بصدق ولا كذب، بدليل؛ لأن المراد بالثاني غير الكذب؛ لأنه قسيمه، وغير الصدق؛ لأنهم لم يعتقدوه"(١). فيفهم منه أن الخبر عند الجاحظ قسمان ولكل قسم ثلاثة أنواع:



تقسيم الجاحظ للخبر

والنوعان الأخيران من كل قسم في الشكل السابق لا يوصفان بالصدق أو الكذب.

٣. ٢. ١. ٢- تقسيم الفارابي:

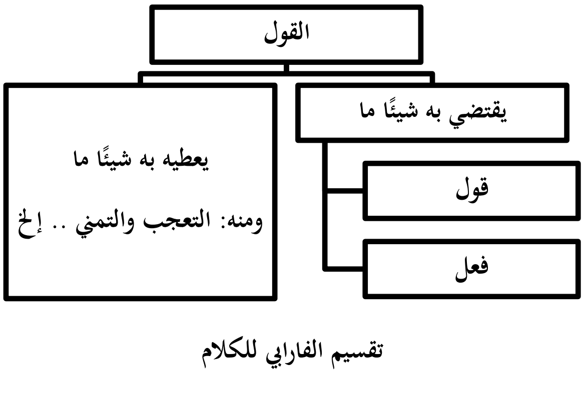
قسم الفارابي (٣٣٩هـ) القول الصادر من الإنسان إلى غيره قسمين(٢):

١- إما يقتضي به شيئًا ما: وهو نوعان:

أ- إما قول ما.

ب- وإما فعل شيء ما: منه نداء، وتضرع، وطِلبة، وإذن، ومنع، وحث، وكف، وأمر، ونهي.

٢- وإما يعطيه به شيئًا ما: وهو قول جازم إما إيجاب وإما سلب، حملي أو شرطي، ومنه التعجب، ومنه التمني، ومنه سائر الأقاويل التي تأليفها أو شكلها يدل على انفعال آخر مقرون به.



تقسيم الفارابي للكلام

وأشار الفارابي (٣٣٩هـ) إلى أن القول له **(قوة)** فيقول عن النداء مثلا:"قوته قوة قول تام، يقتضى به من الذي

---

(١) ينظر: التفتازاني: المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، ص٢٠.

(٢) ينظر: الفارابي: الحروف، ت: محسن مهدي، ص١٦٢.

نودي الإصغاء بسمعه وذهنه، ثم الإقبال وجهة الذي ناداه"(١). كما أن له **(جوابًا)** ويقول عن الجواب: "وكل مخاطبة يقتضى بها شيء ما فلها جواب، فجواب النداء إقبال أو إعراض، وجواب التضرع والطلبة بذل أو منع .."(٢).

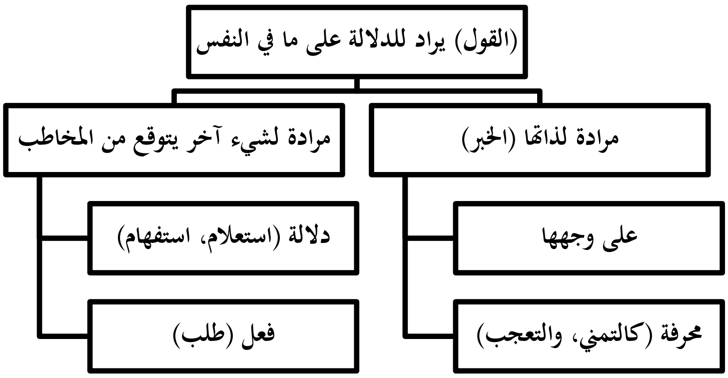
وهذا الذي ذكره الفارابي عن (القوة) و(الجواب) يماثله ما ذكره أوستن وسيرل عن (القوة الإنجازية) و(الفعل التأثيري).

٣. ٢. ١ .٣– تقسيم ابن سينا:

ذكر ابن سينا (٤٤٧هـ) أن الحاجة إلى القول هي للدلالة على ما في النفس، وهي قسمان(٣):

١– تراد لذاتها، وتكون إما على وجهها، وإما محرفة كالتمني والتعجب وغير ذلك، فإنها كلها ترجع إلى **الأخبار** (وهو النافع في العلوم).

٢– تراد لشيء آخر يُتوقع من المخاطَب ليكون منه، فإن أريدت الدلالة فتكون **استعلامًا** أو **استفهامًا**، وإن أريد عمل من الأعمال وفعل من الأفعال غير الدلالة فيقال إنه من المساوي التماس، ومن الأعلى أمر ونهي، ومن الأدون تضرع ومسألة.



تقسيم ابن سينا للكلام

٣. ٢. ١. ٤– تقسيم الكاتبي:

قسم نجم الدين الكاتبي (٦٧٥هـ) تقسيمًا أقرب إلى تقسيم البلاغيين، إذ قسم الكلام إلى خبر وإنشاء، وقسم الإنشاء إلى ما يدل على طلب، وما لا يدل على طلب، فقال: "والتام إن احتمل الصدق والكذب فهو الخبر والقضية، وإن لم يحتمل فهو الإنشاء، فإن دل على طلب الفعل دلالة أولية؛ أي وضعية، فهو مع الاستعلاء أمر، كقولنا: اضرب أنت، ومع الخضوع سؤال ودعاء، ومع التساوي التماس. وإن لم يدل فهو تنبيه يندرج فيه التمني والترجي والتعجب والقسم والنداء"(٤).

وتقسيمه للإنشاء الطلبي إلى أمر، وسؤال (دعاء)، والتماس، ذكرها البلاغيون عند التفريق بين الأمر الحقيقي والأمر غير الحقيقي.

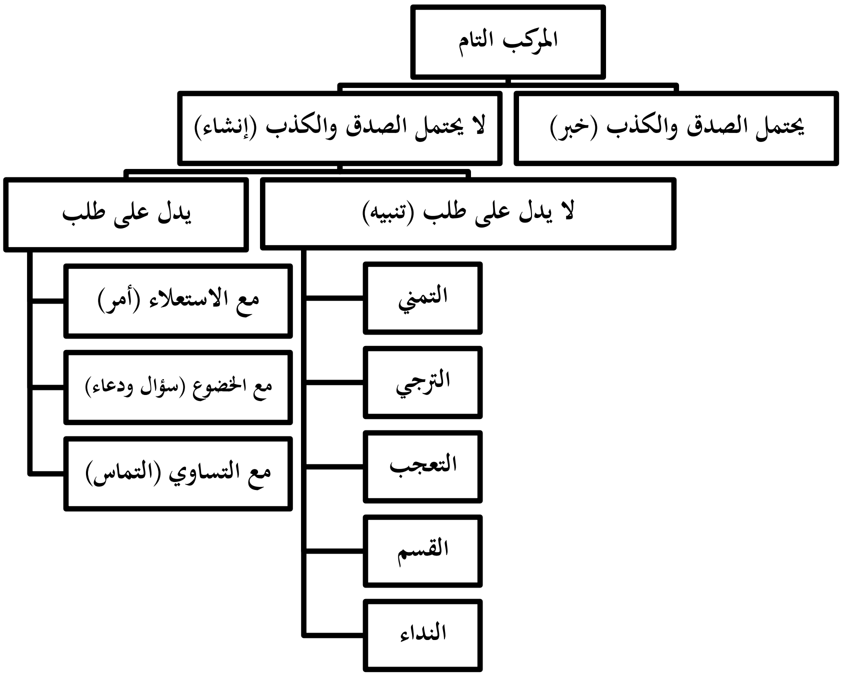
---

(١) الفارابي: الحروف، ت: محسن مهدي، ص١٦٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٣.

(٣) ينظر: ابن سينا: الشفاء؛ المنطق، العبارة، ٣١/١.

(٤) الكاتبي: الشمسية في القواعد المنطقية، ت: مهدي فضل الله، ص٢٠٦.



تقسيم الكاتبي للكلام

٣. ٢. ٢- أقسام الكلام عند الأصوليين والفقهاء:

اهتم الأصوليون والفقهاء في مرحلة مبكرة بدراسة الكلام وأقسامه انطلاقًا من الاهتمام بدراسة الأحكام الشرعية في الكتاب والسنة، والرغبة في وضع القواعد الأصولية والفقهية الجامعة التي تحكم عملية الفهم لنصوص الوحي، وكانت لهم آراء واجتهادات في هذا السياق.

٣. ٢. ٢. ١- الخبر:

قسم الآمدي (٦٣١هـ) الخبر إلى ثلاثة أقسام، حيث قال:"وإذا عرف معنى الخبر فهو ينقسم ثلاث قسم: القسمة الأولى: أن الخبر ينقسم إلى صادق وكاذب؛ لأنه لا يخلو إما أن يكون مطابقا للمخبر به، أو غير مطابق، فإن كان الأول فهو الصادق، وإن كان الثاني فهو الكاذب.. القسمة الثانية: أن الخبر ينقسم إلى ما يعلم صدقه، وإلى ما يعلم كذبه، وإلى ما لا يعلم صدقه ولا كذبه.. القسمة الثالثة: أن الخبر ينقسم إلى متواتر وآحاد"(١).

واهتم الأصوليون والفقهاء بالأفعال الكلامية التي تفرعت عن الخبر وحاولوا التمييز بينها، ويدل على ذلك قول القرافي (٦٨٤هـ):"الشهادة خبر، والرواية خبر، والدعوى خبر، والإقرار خبر، والنتيجة خبر، والمقدمة خبر، والتصديق خبر، فما الفرق بين هذه الحقائق، وبأي شيء تتميز مع اشتراكها كلها في مطلق الخبرية"(٢).

وإذا نظرنا في هذه الأنواع المتفرعة من الخبر نجد بينها فروقًا واضحة وضعها العلماء، أذكر منها:

أ- الشهادة والرواية: عدّ بعض الأصوليين، وخصوصًا شهاب الدين القرافي (٦٨٤هـ) نقلاً عن المازري (٥٣٦هـ) كلاً من الشهادة والرواية خبرًا، مع التفريق بينهما من وجهين(٣):

(١) ينظر: الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ٢/١٠-١٣.

(٢) القرافي: أنوار البروق في أنواء الفروق، ١/١٧.

(٣) ينظر: القرافي: أنوار البروق في أنواء الفروق، ١/٥.

– جهة المخبر عنه: إن كان أمرًا عامًا لا يختص بمعين فهو رواية، وإن كام معينًا خاصًا فهو شهادة

– جهة السياق: إن كان في مقام غير رسمي فهو رواية، أما إذا كان في هيئة رسمية مثل القاضي فهو شهادة.

وعلى هذا يكون الخبر كما قسمه القرافي (٦٨٤هـ):"الخبر ثلاثة أقسام: رواية محضة كالأحاديث النبوية، وشهادة محضة كإخبار الشهود عن الحقوق على المعينين عند الحاكم، ومركب من الشهادة والرواية وله صور أحدها الإخبار عن رؤية هلال رمضان"(١).

ويشير القرافي (٦٨٤هـ) إلى أن الشهادة قد تكون خبرًا، وقد تدخل في باب الإنشاء، وذلك وفق الصيغة التي وردت بها، فقولك (شهدت بكذا...) بصيغة الماضي تُعد خبرًا، أما قولك (أشهد بكذا ..) فهي إنشاء، والسبب في ذلك كما قال:"وسبب الفرق بين هذه المواطن الوضع العرفي فما وضعه أهل العرف للإنشاء كان إنشاء، وما لا فلا، فاتفقوا أنهم وضعوا للإنشاء الماضي في العقود، والمضارع في الشهادة، واسم الفاعل في الطلاق والعتاق، ولما كانت هذه الألفاظ موضوعة للإنشاء في هذه الأبواب صح من الحاكم اعتماده على المضارع في الشهادة؛ لأنه موضوع له صريح فيه، والاعتماد على الصريح هو الأصل، ولا يجوز الاعتماد على غير الصريح؛ لعدم تعين المراد منه، فإن اتفق أن العوائد تغيرت، وصار الماضي موضوعًا لإنشاء الشهادة، والمضارع لإنشاء العقود، جاز للحاكم الاعتماد على ما صار موضوعًا للإنشاء، ولا يجوز له الاعتماد على العرف الأول"(٢).

ب– الدعوى والإقرار: ميز الأصوليون كذلك بين نوعين آخرين من أنواع الخبر وهما الدعوى والإقرار، وذلك من جهة المخبر عنه، قال ابن الشاط (٧٢٣هـ):"الدعوى خبر عن حق يتعلق بالمخبر على غيره، والإقرار خبر عن حق يتعلق بالمخبر ويضر به وحده، عكس الدعوى الضارة لغيره"(٣).

٣. ٢. ٢. ٢– الإنشاء:

الإنشاء من المباحث التي اهتم الأصوليون والفقهاء بدراستها اهتمامًا بالغًا؛ لما ينبني عليها من فهم للشريعة ومرادها ومقاصدها، فكانت لهم وقفات مع ضروب الإنشاء المختلفة، وخاصة الأمر والنهي وألفاظ العقود والمعاهدات، وأشير في النقاط التالية إلى ملخص ما ذكره الأصوليون في أبحاثهم:

أ– الأمر: انطلق الأصوليون في دراسة الأمر والنهي عمومًا من منطلق خصوصية الآمر والناهي في النصوص الشرعية، لما يترتب على الاستجابة أو المخالفة للأمر أو النهي من ثواب أو عقاب، فوضعوا تعريفات محددة لكل منهما، وميزوا بين درجاتهما وصيغهما المختلفة، الصريحة وغير الصريحة.

أما الأمر فعرفه الشيرازي (٤٧٦هـ) بقوله:"الأمر قول يستدعي به الفعل ممن هو دونه، ومن أصحابنا من زاد فيه: على سبيل الوجوب، فأما الأفعال التي ليست بقول فإنها تسمى أمرًا على سبيل المجاز ومن أصحابنا من قال ليس بمجاز"(٤).

---

(١) القرافي: أنوار البروق في أنواء الفروق، ١/٨.

(٢) المرجع السابق، ٤/٥٩و٦٠.

(٣) ابن الشاط: أنوار البروق في تعقب مسائل القواعد والفروق، حاشية مطبوعة على هامش الفروق للقرافي، ١/٢٣.

(٤) الشيرازي: اللمع في أصول الفقه، ص١٢.

والأصل في الأمر إذا تجردت صيغته أن يكون للوجوب في رأي الأكثرين، وقال بعض الأشعرية لا يقتضي الوجوب ولا غيره إلا بدليل، وقالت المعتزلة الأمر يقتضي إرادة الفعل، فإن كان ذلك من حكيم اقتضت الندب، وإن كان من غيره لم يقتض أكثر من الإرادة(١).

وتحدث الأصوليون عن مسائل متعلقة بالأمر المجرد سواء ورد ابتداءً أو بعد حظر، من قبيل: هل الأمر يقتضي الفعل مرة واحدة أو التكرار؟ وهل يقتضي الفعل على الفور أم لا؟ وهل ما لا يتم الأمر إلا به يكون مأمورًا به أيضًا؟ كما تحدثوا عن المكلفين من يدخل في الأمر ومن لا يدخل فيه(٢).

وذكروا أن الأمر ينصرف عن الوجوب إلى غيره بقرينة، فقد يكون الأمر للإذن، أو للإباحة، أو للندب، أو للتخيير، ومثلوا لذلك كله بأمثلة كثيرة من الكتاب والسنة، وإن ظهرت الكثير من الاختلافات في كل ما سبق ذكره من مسائل، وهذا نتيجة طبيعية للاجتهاد والاستنباط في النصوص الشرعية.

ب- النهي: وعرفه الشيرازي (٤٧٦هـ) بقوله:"القول الذي يستدعي به ترك الفعل ممن هو دونه، ومن أصحابنا من زاد فيه على سبيل الوجوب"(٣).

وذكر الشيرازي (٤٧٦هـ) أن النهي إذا تجردت صيغته اقتضت التحريم، وقالت الأشعرية: لا تقتضي التحريم ولا غيره إلا بدليل. وإذا تجردت صيغته اقتضت الترك على الدوام وعلى الفور بخلاف الأمر.. وإذا نهى عن شيء فإن كان له ضدٌّ واحدٌ فهو أمر بذلك الضد، وإذا نهى عن أحد شيئين كان ذلك نهيًا عن الجمع بينهما، ويجوز له فعل أحدهما، وقالت المعتزلة: يكون ذلك نهيًا عنهما فلا يجوز فعل واحد منهما .. والنهي يدل على فساد المنهي عنه في قول أكثر أصحابنا(٤).

كما ذكر الأصوليون أن النهي تختلف شدته حسب القرائن، فقد يكون النهي للتحريم أو يكون للكراهة التنزيهية. واهتموا بدراسة صيغ الأمر والنهي غير الصريحة، من قبيل: ما جاء مجيء الأخبار عن تقرير الحكم، وما جاء مدحًا له أو لفاعله أو ذمًا له أو لفاعله، وما يتوقف عليه المطلوب(٥).

ج- ألفاظ العقود: بحث الأصوليون والفقهاء الألفاظ التي توقع الطلاق، وأجمعوا على أن الطلاق يقع إذا كان بنية ولفظ صريح نحو (أنت طالق، طلقتك، سرحتك ..)، وناقشوا الألفاظ غير الصريحة التي توقع الطلاق من قبيل الألفاظ الظاهرة (حبلك على غاربك..)، والألفاظ المحتملة (اعتدّي، استبرئي ..).

بحث الأصوليون والفقهاء كذلك صيغ البيع واشترطوا فيها أن تكون بصيغة الماضي نحو (بعتك)، ولا يعني ذلك وقوعها في الزمن الماضي، وأن البيع لا يتم إلا بإيجاب من البائع وقبول من المشتري.

---

(١) ينظر: الشيرازي: اللمع في أصول الفقه، ص١٣.

(٢) المرجع السابق، ص١٤-٢٢.

(٣) نفسه، ص٢٤.

(٤) نفسه، ص٢٤و٢٥.

(٥) الشاطبي: الموافقات، ت: مشهور بن حسن، ٤٢٢/٣و٤٢٣.

٣ . ٢ . ٣- أقسام الكلام عند النحاة والبلاغيين:

أمّا النحاة وعلى رأسهم سيبويه (١٨٠هـ) فقد انطلقوا من الإسناد عند الحديث عن الكلام وأقسامه، فالإسناد عندهم أعمّ من الخبر وغيره كما قال ابن يعيش (٦٤٣هـ):"الإسناد أعمّ من الخبر؛ لأنَّ الإسناد يشمل الخبر والنهي والاستفهام، فكل خبر مسند، وليس كل مسند خبرًا"(١).

درس النحاة في مؤلفاتهم وجوه الإسناد وما يتعلق به من قضايا، وهو عندهم كما يقول خالد ميلاد:"معنى أوّل دلالي نحوي مجرد، ينشئه المتكلم الواضع ليعرب بواسطته عن اعتقاداته وإراداته"(٢).

يقول مسعود صحراوي:"جُلُّ **البلاغيين** وكثير من **النحاة** توسعوا في بحث كل من أسلوبي الخبر والإنشاء باستفاضة بعدّهما مقصدًا وغاية في ذاتهما، بحكم أن طبيعة النصوص التي يدرسونها تقتضي التنظير والتطبيق للنوعين الأسلوبيين جميعًا، لكن مع تفاوت وظيفي بين البلاغيين والنحاة"(٣).

ويلخص السيوطي (٩١١هـ) آراء النحاة والبلاغيين في أقسام الكلام عند حديثه عن الخبر والإنشاء في القرآن بقوله:"اعلم أن الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة على انحصار الكلام **فيهما**، وأنه ليس له قسم ثالث. وادعى قوم: أن أقسام الكلام **عشرة**: نداء، ومسألة، وأمر، وتشفع، وتعجب، وقسم، وشرط، ووضع، وشك، واستفهام. وقيل: **تسعة** بإسقاط الاستفهام لدخوله في المسألة. وقيل: **ثمانية**، بإسقاط التشفع لدخوله فيها. وقيل: **سبعة** بإسقاط الشك؛ لأنه من قسم الخبر. وقال الأخفش: هي **ستة**: خبر، واستخبار، وأمر، ونهي، ونداء، وتمن. وقال بعضهم: **خمسة**: خبر، وأمر، وتصريح، وطلب، ونداء. وقال قوم: **أربعة**: خبر، واستخبار، وطلب، ونداء. وقال كثيرون: **ثلاثة**: خبر، وطلب، وإنشاء. قالوا: لأن الكلام إما أن يحتمل التصديق والتكذيب أو لا: الأول الخبر، والثاني: إن اقترن معناه بلفظه فهو الإنشاء، وإن لم يقترن بل تأخر عنه فهو الطلب. والمحققون على دخول الطلب في الإنشاء، وأن معنى (اضرب) مثلا -وهو طلب الضرب- مقترن بلفظه، وأما الضرب الذي يوجد بعد ذلك فهو متعلق الطلب لا نفسه"(٤).

والرأي الذي اتفق عليها الحذاق من النحاة وغيرهم وأهل البيان قاطبة كما ذكر السيوطي، هو أن الكلام خبر وإنشاء، وأن الإنشاء منه الطلبي وغير الطلبي.

٣ . ٢ . ٣ . ١- الخبر:

هو القسم الأول من أقسام الكلام، ويعرفه بعضهم بأنه: كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته. وقيل: هو ما يتحقّق مدلولهُ في الخارج بدون النطق به(٥).

وذكر السكاكي (٦٢٦هـ) بعض حدود الخبر ونقدها كلها إذ يتبنى الرأي القائل بغناهما -الخبر والطلب- عن

---

(١) ابن يعيش: شرح المفصل، ١/٢٠.

(٢) خالد ميلاد: الإنشاء في اللغة العربية بين التركيب والدلالة، ص٥٦. وقد تناول في كتابه جهود النحويين وآراءهم في هذا الجانب باستفاضة.

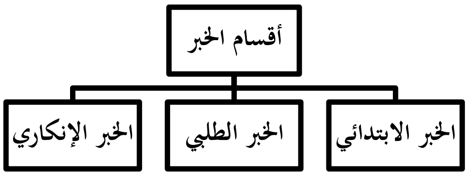
(٣) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٥٦و٥٧.

(٤) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، ٣/٢٥٦.

(٥) ينظر: الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ت: يوسف الصميلي، ص٥٥.

التعريف، حيث يقول:"اعلم أن المعتنين بشأنهما فرقتان: فرقة تحوجهما إلى التعريف، وفرقة تغنيهما عن ذلك، واختيارنا قول هؤلاء .. والحدود التي تذكر كقولهم: الخبر هو الكلام المحتمل للصدق والكذب أو التصديق والتكذيب، وكقولهم هو الكلام المفيد بنفسه إضافة أمر من الأمور على أمر من الأمور نفيًا أو إثباتًا بعد تعريفهم الكلام بأنه المنتظم من الحروف المسموعة المتميزة، وكقول من قال: هو المقتضى بصريحه نسبة معلوم على معلوم بالنفي أو الإثبات. ليتها صلحت للتعويل"(١).

ويقسم البلاغيون الخبر إلى ثلاثة أقسام(٢):



أقسام الخبر

١- الخبر الابتدائي: ويكون فيه المخاطب خالي الذهن من الحكم، فيكون الخبر خاليًا من أدوات التوكيد.

٢- الخبر الطلبي: وفيه يكون المخاطب مترددًا في الحكم طالبًا أن يصل إلى اليقين في معرفته، فيحسن توكيده.

٣- الخبر الإنكاري: وفيه يكون المخاطب منكرًا للخبر، فيجب أن يؤكد الخبر بمؤكد أو أكثر حسب قوة أو ضعف الإنكار.

والحكم على الخبر بأنه ابتدائي أو طلبي أو إنكاري إنما هو على حسب ما يخطر في نفس القائل من أن سامعه خالي الذهن أو متردد أو منكر.

وأغراض الخبر: إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته العبارة ويسمى (فائدة الخبر)، أو إفادة المخاطب أن المتكلم عالم بالحكم ويسمى (لازم الفائدة). يقول السكاكي (٦٢٦هـ):" ومرجع كون الخبر مفيدا للمخاطب على استفادة المخاطب منه ذلك الحكم ويسمى هذا فائدة الخبر كقولك زيد عالم لمن ليس واقفا على ذلك أو استفادته منه أنك تعلم ذلك كقولك لمن حفظ التوراة قد حفظت التوراة ويسمى هذا لازم فائدة الخبر"(٣).

خروج الخبر عن مقتضى الظاهر: ومن الأمور التي يلحظها المتكلم وتدعوه إلى الخروج بالكلام عن مقتضى الظاهر(٤):

أ- أن ينزل خالي الذهن منزلة السائل المتردد إذا تقدم في الكلام ما يشير إلى حكم الخبر ومضمونه.

ب- أن ينزل غير المنكر منزلة المنكر لظهور أمارات الإنكار عليه.

ج- أن ينزل المنكر منزلة غير المنكر، إن كان لديه شواهد وأدلة لو تأملها لعدل عن إنكاره.

أغراضه البلاغية: ذكر أحمد بن فارس (٣٩٥هـ) بعض الأغراض البلاغية للخبر فقال:"والمعاني التي يحتملها

(١) ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، ص٢٥١و٢٥٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٢٥٨و٢٥٩. وينسب هذا التقسيم إلى أبي العباس اللغوي (ثعلب أو المبرد على الراجح) في حوار مع الكندي الفيلسوف.

(٣) ينظر: نفسه، ص٢٥٤.

(٤) ينظر: علي الجارم ومصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص١٦٤و١٦٥.

لفظ الخبر كثيرة: فمنها (التعجب) نحو:ما أحسنَ زيدًا!، و(التمنّي) نحو: ودِدتُكَ عندنا، و(الإنكار): ما له عليَّ حق، و(النفي): لا بأسَ عليك، و(الأمر) نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿وَٱلۡمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصۡنَ﴾ {البقرة: ٢٢٨}، و(النهي) نحو قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ﴾ {الواقعة:٧٩}، و(التعظيم) نحو: سبحان اللهِ، و(الدعاء) نحو: عفا الله عنه، و(الوعد) نحو قوله جلّ وعزّ: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ {فصلت:٥٣}، و(الوعيد) نحو قوله: ﴿وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ {الشعراء:٢٢٧}، و(الإنكار والتبكيت) نحو قوله جلّ ثناؤه: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ {الدخان:٤٩}، وربّما كان اللفظ خبرًا والمعنى شرطٌ وجزاء، نحو قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ {الدخان:١٥} فظاهره خبر، والمعنى: إنّا إن نكشف عنكم العذاب تعودوا، ومثله: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾ {البقرة:٢٢٩} المعنى: مَن طلّق امرأته مرتين فليُمْسِكها بعدهما بمعروف أو يسرّحها بإحسان، والذي ذكرناه في قوله جل ثناؤه: ﴿ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ﴾ {الدخان:٤٩} فهو تبكيت.

وقد جاء في الشعر مثله، قال شاعر يهجو جريرًا: أبلغْ جريرًا وأبلغ مَن يُبَلّغُه ... أني الأغرُّ وأني زهرةُ اليَمَنِ

فقال جريرٌ مبكّتًا له: ألم تكن في وُسُوم قد وَسَمْتُ بها ... من حَانَ موعظةٌ يا زهرةَ اليَمَنِ

ويكون اللفظ خبرًا، والمعنى دعاء وطلب مَرّ في الجملة. ونحوه: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ {الفاتحة:٥} معناه فأعِنّا على عبادتك، ويقول القائل: أستغفر الله، والمعنى: اغْفِرْ، قال الله جلّ ثناؤه: ﴿قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ {يوسف:٩٢}، ويقول الشاعر: استغفرُ اللهَ ذنبا لست محصيه ... رب العباد إليه الوَجهُ والعملُ"(١).

ومن الأغراض البلاغية أيضًا: الفخر، المدح، الاسترحام والاستعطاف، إظهار التحسر، إظهار الضعف، الحث على السعي والجد .. إلخ.

٣. ٢. ٣. ٢- الإنشاء:

جعل السكاكي (٦٢٦هـ) الطلب قسيمًا للخبر، وقسمه إلى قسمين: نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول وهو التمني، ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول وهو الاستفهام والأمر والنهي والنداء(٢).

والمشهور عند البلاغيين في مؤلفاتهم تقسيم الإنشاء إلى نوعين:

أ- إنشاء طلبي، ويشمل: الأمر، والنهي، والاستفهام، والنداء، والتمني.

ب- إنشاء غير طلبي، ويشمل: الترجي، والتعجب، والمدح والذم، والقسم، وألفاظ العقود.

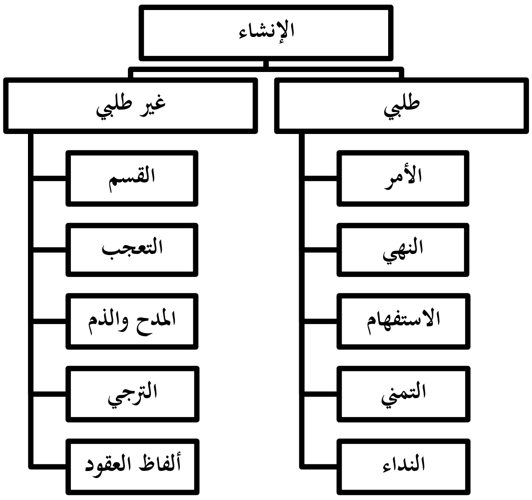
والإنشاء الطلبي هو موضع اهتمام البلاغيين، يقول عبد العزيز عتيق:"والإنشاء غير الطلبي ليس من مباحث علم المعاني؛ وذلك لقلة الأغراض البلاغية التي تتعلق به من ناحية، ولأن أكثر أنواعه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء من ناحية أخرى. أما الإنشاء الذي هو موضع اهتمام البلاغيين؛ لاختصاصه بكثير من الدلالات

---

(١) ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ت: أحمد حسن بسج، ص١٣٣و١٣٤.

(٢) ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ت: عبد الحميد هنداوي، ص٤١٤و٤١٥.

البلاغية فهو الإنشاء الطلبي"[١].



أقسام الإنشاء عند البلاغيين

الأول– الإنشاء الطلبي:

وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل وقت الطلب، أو ما يتأخر وجود معناه عن وجود لفظه، وأنواعه هي:

١– الأمر: طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

صوره: فعل الأمر، المضارع المقرون باللام، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر.

أغراضه البلاغية: الدعاء، الالتماس، التمني، النصح والإرشاد، التخيير، الإباحة، التعجيز، التسوية، التهديد، الإهانة والتحقير. وذكر ابن فارس أغراضًا أخرى منها: التكوين ويسميه بعض البلاغيين التسخير، التلهيف أو التحسير، التعجب، الندب، التسليم، الوجوب، الخبر.

٢– النهي: طلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام.

صوره: المضارع المسبوق بلا الناهية.

أغراضه البلاغية: الدعاء، الالتماس، التمني، النصح والإرشاد، التوبيخ، التحقير، التيئيس، التهديد، الحث.

٣– الاستفهام: طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل بأداة خاصة.

أدواته: (الهمزة) للتصديق وللتصور، (هل) للتصديق. (من، ما، متى، أيان، كيف، أنى، كم، أي ..) للتصور.

أغراضه البلاغية: النفي، التعجب، التمني، التقرير، التعظيم، التحقير، الاستبطاء، الاستبعاد، الإنكار، التهكم، الوعيد، التهويل، التنبيه، الأمر، النهي، العرض، التحضيض، التسوية، التشويق .. إلخ

٤– التمني: طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله، إما لكونه مستحيلًا، وإما لكونه ممكنًا غير مطموع في نيله.

لفظه: (ليت)، وقد يتمنى بهل، ولو، ولعل لغرض بلاغي. استخدام (هل) و(لعل) للتمني يكون بغرض إبراز المتمنى في صورة الممكن لكمال العناية به والتشوق إليه. استخدام (لو) للتمني يكون بغرض الإشعار بعزة المتمنى وندرته، إذ إن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط.

---

(١) عبد العزيز عتيق: علم المعاني، ص٧٤.

وإذا كان الأمر المحبوب مما يرجى حصوله كان طلبه ترجيًا، وألفاظه هي (لعل) و (عسى)، وقد تستعمل (ليت) في الرجاء لغرض بلاغي هو إبراز المرجو في صورة المستحيل مبالغة في بُعد نيله.

٥- النداء: طلب الإقبال بحرف مخصوص نائب مناب أدعو والإقبال قد يكون حقيقيًا وقد يكون مجازيًا.

أداوته: منها للقريب (الهمزة، أي) ، ومنها للبعيد (آ، آي، أيا، هيا، يا، وا).

تختص (وا) بنداء المندوب وهو المتفجع عليه أو المتخوف منه، وقد تنوب عنها (يا) بشرط وضوح معنى الندبة في السياق، وعدم وقوع لبس فيه.

قد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة وأي إشارة إلى قربه من القلب وحضوره في الذهن، وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بغير الهمزة وأي إشارة إلى علو مرتبته، أو انحطاط منزلته، أو غفلته وشرود ذهنه.

أغراضه البلاغية: الإغراء، الضجر، التحسر، الزجر، الاستغاثة، التعجب، الندبة، الاختصاص.

الثاني- الإنشاء غير الطلبي: ما لا يستدعي مطلوبًا، ويقترن فيه وجود اللفظ ووجود المعنى، وأنواعه:

١- المدح والذم: يُستعمل في المدح والذم: نِعْمَ، بِئْسَ، حَبَّذا، لا حبَّذا.

وتُستعمَل بعض الأفعال القياسية للدلالة على المدح أو الذم، وهي: كل فعل ثلاثي على وزن (فَعُلَ)، على سبيل المثال: سَاءَ، كَبُرَ، حَسُنَ، ضَعُفَ.

٢- القسم: وهو لتأكيد الجملة الخبرية، وله صيغ كثيرة منها الصريح وغير الصريح مثل: أقسم بالله لفعلت أو لأفعلن، أحلف بالله، يشهد الله، وحروف القسم: الواو، والباء، والتاء، واللام.

٣- التعجب: كلام يدل على الدهشة والاستغراب، وصيغه: ما أَفْعَلَ الشيء، أَفْعِل بالشيء. وهنالك أساليب أخرى يدل عليها الاستعمال المجازي، منها: استفهام تضمّنَ معنى التعجب، استعمال المصدر، نحو: سُبحانَ الله!، استعمال النداء التعجبي، نحو: فَيَا لَكَ مَنْ لَيْلٍ كَأنَّ نُجُومَهُ.

٤- الرجاء: وهو تمني وقوع الخبر، ويُعبّر عنه بالأفعال الآتية: عسى، حَرَى، اخْلَوْلَقَ.

٥- صيغ العقود: تدخل في كل بيع وشراء، أو عقد، أو ضمان، أو رهن، أو وكالة، أو دَيْن، وأكثر ما تكون صيغه في الماضي، نحو: بعتُ بضاعتي، اشتريتُ بيتًا، وهبتُ مالًا، أعتقتُ الجارية.

ومع القول بتأثير الثقافة اليونانية في تقسيمات العلماء العرب للكلام والتمييز بين أنواعه، إلا أن هذا التأثير لم يكن مجرد تقليد وتبعية خالية من التجديد والابتكار والنقد، بل إن العلماء العرب على اختلاف مشاربهم قد كانت لهم جهود واضحة سبقت أحيانًا ما وصل إليه اللسانيون في العصر الحديث، وقد أشار بعض الباحثين الغربيين إلى أن نظرية الخبر والإنشاء في الفكر اللغوي العربي الإسلامي سبقت ما ذهب إليه أوستن وسيرل في نظرية الأفعال الكلامية، ومن هؤلاء بيار لارشي P. Larcher في أطروحة للدكتوراه بعنوان: (الخبر والإنشاء في علم اللغة العربي الإسلامي) عام ١٩٨٠م

Information et Performance en science Arabo-Islamique du langage.

وفي بعض المقالات أهمها (تداولية قبل التداولية: قرون وسطى عربية وإسلامية) عام ١٩٩٨م

Une Pragmatique avant la Pragmatique: Médiéval, Arabe, et Islamique.

المبحث الثاني

تحليل الأفعال الكلامية في آيات الجهاد.

١ - الأفعال الإعلانيـة.

٢ - الأفعال الطلبيـــة.

٣ - الأفعال الالتزاميـة.

٤ - الأفعال التبيينيـة.

٥ - الأفعـال الإخباريـة.

إنّ القرآن الكريم بمجمله يمكن النظر إليه على أنه فعل كلامي واحد جاء ليحقق الفعل الإنجازي الأهم، والذي يتمثل في هداية البشرية جمعاء وإخراجها من الظلمات إلى النور، كونه الرسالة الخاتمة للناس من رب الناس، ويجد المتأمل في آيات القرآن عمومًا وآيات الجهاد على وجه الخصوص أنّ الكثير من الآيات تشكل معًا خطابًا واحدًا مترابطًا، بحيث يمكن عدّها فعلًا كلاميًا واحدًا، يسميه فان دايك بالفعل الكبير أو الكلي، وإن تعددت في بنيته الأفعال الكلامية الفرعية المتنوعة التي تخدم الفعل الإنجازي لمجمل الآيات، والذي بدوره يخدم الفعل الإنجازي الأهم للقرآن ككل، يقول محمد مدور:"إن النص الواحد بعدّه سلسلة من الأفعال الكلامية المترابطة التي تؤدي أغراضًا إنجازية، ترتبط لتشكل فعلًا كلاميًا واحدًا؛ ولهذا عرف ليو أبوستيل L.Apostil النص بقوله: سلسلة من أفعال الخطاب التي من الممكن أن تعتبر في حد ذاتها فعلًا خطابيًا موحدًا"[١].

والقرآن الكريم متنوع الأساليب كعادة العرب في كلامهم، فنجد أحيانًا أكثر من نوع من الأفعال الكلامية ربما في الآية الواحدة، ولهذا قد أتعامل مع بعض الآيات أثناء تحليلها على أنها خطاب واحد يمثل فعلًا كلاميًا مشتركًا، وقد نلجأ إلى التفصيل في بعض المواضع، على أن يكون الاهتمام منصبًا على الفعل الإنجازي أو المتضمن في القول، لأنه هو جوهر النظرية كما يقول مسعود صحراوي:"إن جوهر الأفعال الكلامية هو القسم المسمى الأفعال المتضمنة في القول، وعليه فهو الذي يستحق عناء الدراسة والتصنيف -كما فعل سيرل- إلى الأصناف الكلامية المعروفة"[٢].

وسأحاول في هذا المبحث دراسة نماذج من آيات الجهاد في ضوء نظرية الأفعال الكلامية، فأضع بعض الآيات تحت كل صنف من أصناف الأفعال الكلامية حسب تصنيف سيرل، وأحللها وفق تقسيمه للفعل الكلامي، مع الاستفادة من التراث العربي الأصيل في تقسيم الكلام وتحليل مضامينه، وذلك وفق الخطوات التالية:

١- تحليل الفعل النطقي، والذي فضلتُ تسميته بالفعل القولي، والذي يشمل القضايا الصوتية والتركيبية والدلالية في الآيات محل البحث، مستعينًا بالخطوات التي أشار إليها أحمد مختار عمر في كتابه (علم الدلالة)[٣] وبغيرها، فأعرض القراءات المتواترة إن وجدت في الآية، والإشارة إلى القضايا الصوتية وتأثيرها على الدلالة مثل التنغيم والنبر، ثم للقضايا الصرفية والنحوية، ثم للمعنى اللغوي والسياقي لبعض كلمات الآية أو تراكيبها، على حسب ما يظهر لي في الآية.

٢- تحليل الفعل القضوي واقتصرت على جانب الإحالة (الإشاريات) واستخلاص القضية التي تتناولها الآية، وأهملت الكلام عن الفعل الإسنادي في الآيات وتحديد المسند والمسند إليه وما يتعلق بهما من قضايا طلبًا للاختصار.

٣- تحليل الفعل الإنجازي من خلال تصنيف الآية وتبيين القوة الإنجازية لها، وفق اجتهاد يحتمل الخطأ والصواب مع الاستدلال بكلام المفسرين.

أما الفعل التأثيري فآثرت ألا أتعرض إليه، فهو مما يصعب بيانه مع كل خطاب، على أن يكون كلام العلماء من اللغوين والمفسرين هو المرجعية في كل ما نقوم به، حتى لا نتقوّل على الله سبحانه.

---

(١) محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم؛ سورة البقرة دراسة تداولية، دكتوراه، جامعة الحاج لحضر، الجزائر، ٢٠١٤م، ص١٦٠.

(٢) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٢٢٢و٢٢٣.

(٣) ينظر: أحمد مختار عمر: علم الدلالة، ص١٣و١٤.

١- الأفعال الإعلانية:

مرّ أن الغرض الإنجازي للإعلانيات هو إحداث تغيير في العالم، بحيث يطابق العالم مضمون القضية بمجرد الإنجاز الناجح لمضمون الفعل الكلامي، ومن أمثلتها:(أعلن اندلاع الحرب، أنت مطرود، أنا مستقيل، المتهم بريء)، واتجاه المطابقة في تلك الأفعال قد يكون من القول إلى العالم أو من العالم إلى القول أي الاتجاه المزدوج، ولا تحتاج إلى شرط إخلاص إذ يكفي إنجازها بنجاح لتحقيق المطابقة.

ويقترح الطبطبائي إلغاء اتجاه المطابقة المزدوج في الإعلانيات -والتي يترجمها بالإيقاعيات- وعدّه من العالم إلى القول، حيث يقول:"يبدو واضحًا أن الإيقاعيات لا يراد بها إيجاد الواقع، فالإيقاع (أنت طالق) يراد به تغيير العالم من عالم فيه المخاطَبة زوجة المتكلم إلى عالم فيه المخاطبة بائنة عن المتكلم، وهذا يعني بداهة أن اتجاه المطابقة في الإيقاعيات هو من العالم إلى القول"(١).

وقد يُلاحظ التداخل أحيانًا بين الأفعال الإعلانية وغيرها من أصناف الأفعال الكلامية، والفرق بين الإعلانيات من جهة والطلبيات والالتزاميات من جهة أخرى أن المتضمن في القول الإيقاعي (الفعل الإنجازي) هو بنفسه يشكل عملية المطابقة المتعلقة بالمحتوى القضوي، أما المتضمن في القول التوجيهي أو الالتزامي فلا يشكل بنفسه عملية المطابقة المتعلقة بالمحتوى القضوي، فهو في الطلبيات مجرد تهيئة لفعل لاحق يكون هو فعل المطابقة، وهذه الخاصية في المتضمن في القول الإيقاعي يشاركه فيها المتضمن في القول التقريري، ومثال ذلك: الإعلان (بعتك السيارة) هو نفسه عملية مطابقة من العالم إلى القول يراد به تغيير العالم من عالم فيه المتكلم مالكًا للسيارة إلى عالم فيه المخاطَب مالكًا لها، أما الالتزام (أعدك بشراء السيارة) أو التوجيه (اشترِ السيارة) فليس هو نفسه عملية المطابقة، إنما تمهيد للمطابقة بتعيين المحتوى القضوي المطلوب مطابقته وهو شراء المتكلم السيارة في الالتزاميات أو شراء المخاطَب في الطلبيات، أما فعل المطابقة نفسه وهو شراء السيارة في الحالتين فهو فعل مستقل لاحق(٢).

ويلخص الطبطبائي الفوارق بين المحتويات القضوية الصالحة للإعلانيات، والأخرى الصالحة للالتزاميات والطلبيات في الآتي(٣):

١- المحتويات القضوية للإعلانيات تصف شخصًا أو شيئًا بصفة اعتبارية أو تجعله موضوعًا لإجراء اعتباري تترتب عليه صفة اعتبارية، ولا يمكن أن تكون الصفة حقيقية خلافًا للالتزاميات والطلبيات اللتين تجمعان كلا النوعين من الصفات.

٢- الموضوع في المحتوى القضوي للإعلانيات يمكن أن يكون المتكلم أو المخاطب أو غيرهما شخصًا كان أو شيئًا، خلافًا للالتزاميات التي لا يكون الموضوع فيها غير المتكلم، والطلبيات التي لا يكون الموضوع فيها غير المخاطب.

---

(١) ينظر: طالب طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، ص١٣١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٣١و١٣٢.

(٣) نفسه، ص١٣٥.

ونجاح الأفعال الإعلانية متوقف على تغير العالم بعد صدورها، فإن طابق العالم محتواها القضوي كانت أفعالا ناجحة وإلا فلا؛ والسؤال هل الأفعال الإعلانية بهذا المفهوم من الله ﷻ حتمية الوقوع؟

يفرق العلماء بين الإرادة الكونية القدرية والإرادة الدينية الشرعية، فالإرادة الكونية القدرية لابد أن تقع، وقد تكون مما يحبه الله كالطاعات أو مما يبغضه الله كالمعاصي، وهذه الإرادة هي المطابقة لقولنا ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن؛ أي لا يقع في الكون خير أو شر إلا بمشيئة الله، أما الإرادة الدينية الشرعية فلا تكون إلا مما يحبه الله، كالأمر بالصلاة والزكاة والصيام وسائر الواجبات الشرعية، وقد تقع وقد لا تقع، والأفعال الإيقاعية هنا في آيات الجهاد من قبيل الإرادة الدينية الشرعية.

ويدخل في الإعلانيات في أساليب البلاغة العربية ألفاظ العقود، ويكثر مجيئها على صورة الخبر، ومجيء الأمر عمومًا على صورة الخبر من أقوى الأساليب، وفي ذلك يقول رافع العاني:"وهذا الأسلوب في الطلب آكد في الدلالة عليه من صيغة فعل الأمر؛ لأنه يدل على حرص الطالب على تحقيق مطلوبه، فإذا لم يفعل المخاطَب بمقتضى الطلب الذي جاء على صيغة الخبر كان تكذيبًا لمن وجه إليه الخطاب وهو غير لائق، كما أن صيغة الخبر تفيد تأكيد الطلب حتى كأنه سورع فيه إلى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه"(١).

١. ١– إعلان الإذن بالقتال للمسلمين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ۚ﴾ {الحج:٣٩}

السياق: كانوا يأتون رسول الله ﷺ من بين مضروب ومشجوج، فيقول لهم:«اصبروا فإني لم أومر بالقتال» حتى هاجر وهي أول آية أذن فيها بالقتال بعد ما نُهي عنه في نيف وسبعين آية. وقيل: نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم(٢).

الفعل القولي: قرأ نافع وأبو عمرو وعاصم وأبو جعفر ويعقوب (أُذِن)، والباقون (أَذِن). وقرأ نافع وابن عامر وحفص وأبو جعفر (يقاتَلون)، والباقون (يقاتِلون)(٣).

ومعنى القراءة بفتح الهمزة: أَذِن الله للذين يُقاتَلون أن يقاتِلوا، ومعنى القراءة الأخرى: أُذِنَ لهم أن يقاتِلوا وكلٌّ صواب(٤). والمصدر الإِذْن بالكسر بمعنى الإباحة أو القبول والتمكين(٥).

قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"﴿أُذِنَ﴾و﴿يُقَـٰتَلُونَ﴾ قرئا على لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعًا، والمعنى: أذن لهم في القتال، فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه(٦)". وعلى هذا تكون الباء سببية في قوله ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾.

ويخالف ابن عاشور (١٣٩٣هـ) الرأي القائل بأن المأذون فيه محذوف، فيقول:"والباء في ﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟﴾ أراها

(١) ينظر: رافع بن طه الرفاعي العاني: الأمر عند الأصوليين، دار المحبة، دمشق، سورية، ط١، ٢٠٠٦م، ٩٤.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٥١٥/٧.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٣٣٧.

(٤) ينظر: الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٢٢٧/٢.

(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (أ-ذ-ن)، ٧٢٦/٢.

(٦) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٦٩٧.

متعلقة بـ﴿أُذِنَ﴾ لتضمينه معنى الإخبار، أي أخبرناهم بأنهم مظلومون. وهذا الإخبار كناية عن الإذن للدفاع؛ لأنك إذا قلت لأحد: إنك مظلوم، فكأنك استعديته على ظالمه، وذكرته بوجوب الدفاع، وقرينة ذلك تعقيبه بقوله: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ ويكون قوله: ﴿بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾ نائب فاعل ﴿أُذِنَ﴾ على قراءة ضم الهمزة أو مفعولًا على قراءة فتح الهمزة، وذهب المفسرون إلى أن الباء سببية وأن المأذون به محذوف دل عليه قوله ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ أي أُذن لهم في القتال، وهذا يجري على كلتا القراءتين في قوله: ﴿يُقَٰتَلُونَ﴾ والتفسير الذي رأيتُه أنسبُ وأرشق"[١].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿أُذِنَ﴾ أذن الله ﷻ[٢]. ﴿لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾ قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ): "مراد بهم المؤمنون على كلتا القراءتين؛ لأنهم إذا قوتلوا فقد قاتلوا"[٣]. ﴿ظُلِمُواْ﴾ ظلمهم كفار مكة[٤].

القضية: الإذن بالقتال.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف مطلع الآية من الأفعال الإعلانية.

القوة الإنجازية: إعلان إباحة قتال المسلمين للمشركين، بعد أن كان منهيًا عنه بمكة، دون أن يكون هذا القتال فرضًا عليهم في أول الأمر، جاء في الميسر: "كان المسلمون في أول أمرهم ممنوعين من قتال الكفار، مأمورين بالصبر على أذاهم، فلما بلغ أذى المشركين مداه وخرج النبي ﷺ من مكة مهاجرًا إلى المدينة، وأصبح للإسلام قوة أذن الله للمسلمين في القتال؛ بسبب ما وقع عليهم من الظلم والعدوان، وإن الله تعالى قادر على نصرهم وإذلال عدوهم"[٥].

١. ٢– إعلان إباحة القتال في الأزمنة والأمكنة المحرمة دفاعًا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾ {البقرة:١٩٤}

السياق: قال الماوردي (٤٥٠هـ): "في سبب نزولها قولان:

أحدهما: أن رسول ﷺ كان قد أحرم بالعمرة في ذي القعدة سنة ست، فصدّه المشركون عن البيت، فصالحهم على أن يقضي في عامه الآخر، فحل ورجع، ثم اعتمر قاضيًا في ذي القعدة سنة سبع، وأحلّت له قريش مكة حتى قضى عمرته؛ فنزل قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ يعني ذا القعدة الذي قضى فيه العمرة من عامه وهو من الأشهر الحرم بالشهر الحرام الذي صدوكم فيه، وهو ذو القعدة في العام الماضي، سمي ذو القعدة لقعود العرب فيه عن القتال لحرمته، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞ﴾ لأن قريشًا فخرت على رسول الله ﷺ حين صدّته، فاقتص الله عز وجل له، وهذا قول قتادة والربيع بن زيد.

والقول الثاني: أن سبب نزولها أن مشركي العرب، قالوا للنبي ﷺ: أَنُهِيتَ يا محمد عن قتالنا في الشهر الحرام؟

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧٣/١٧.

(٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٢٩/٣.

(٣) المرجع السابق، ٢٧٣/١٧.

(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٢٩/٣.

(٥) التفسير الميسر، ص٣٣٧.

فقال: نعم، فأرادوا أن يقاتلوه في الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ أي إن استحلوا قتالكم في الشهر الحرام، فاستحلوا منهم مثل ما استحلوا منكم، وهذا قول الحسن البصري"[١].

الفعل القولي: ﴿ٱلۡحَرَامُ﴾ الأشهر الحرم كانت العرب لا تستحل فيها القتال أي تمتنع عنه فيها، إلا قبيلتان خثعم وطيئ[٢]، ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ﴾ الحرمة: ما منعت من انتهاكه[٣]، جمع؛ لأنه أراد الشهر الحرام، والبلد الحرام، وحرمة الحرم، فصارت حرمات[٤].

الإحالة: من الإحالة الزمانية في هذه الآية قوله ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"يعني ذا القعدة، وهو الشهر الذي كان رسول الله ﷺ اعتمر فيه عمرة الحديبية، فصده مشركو أهل مكة عن البيت ودخول مكة، وكان ذلك سنة ستّ من هجرته"[٥]، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"والألف واللام في الشهر، في اللفظ هي للعهد، فالشهر الأول هو ذو القعدة من سنة سبع في عمرة القضاء، والشهر الثاني هو من سنة ست عام الحديبية"[٦]، والأشهر الحرم أربعة: رجب وهو فرد، وثلاثة أشهر سرد: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم.

ومن الإحالة ﴿وَٱلۡحُرُمَٰتُ﴾ قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"والألف واللام للعهد في الحرمات، أي: حرمة الشهر وحرمة المحرمين حين صددتم بحرمة البلد، والشهر، والقطان، حين دخلتم. وهذا التفسير على السبب المنقول عن ابن عباس ومن معه، وأما على السبب المنقول عن الحسن فتكون الألف واللام للعموم في النفس والمال والعرض"[٧].

القضية: القتال في الشهر الحرام.

الفعل الإنجازي: على القول الثاني في سبب النزول يمكن تصنيف مطلع الآية من الأفعال الإعلانية، وقد جاء قبل الآية وبعدها مجموعة من الطلبيات المتعلقة بالقتال.

القوة الإنجازية: إعلان إباحة القتال في الشهر الحرام، وإباحة استحلال الحرمات التي حرمتها الشريعة كالمكان والزمان إذا استحلها الأعداء استحلالا مشروطًا بدفع العدوان، وجاءت تكملة الآية تأكيدًا لهذا المعنى ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾، جاء في المنتخب:"فإذا اعتدوا عليكم في الشهر الحرام فلا تقعدوا عن قتالهم فيه فإنه حرام عليهم، كما هو حرام عليكم، وإذا انتهكوا حرمته عندكم فقابلوا ذلك بالدفاع عن أنفسكم فيه، وفى الحرمات والمقدسات شرع القصاص والمعاملة بالمثل، فمن اعتدى عليكم في مقدساتكم فادفعوا هذا العدوان

---

(١) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢٥٢/١.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ح-ر-م)، ٤١٨/١.

(٣) المرجع السابق، (ح-ر-م)، ٤١٨/١.

(٤) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٦٣٩/١.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٥٧٥/٣.

(٦) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٧٧/٢.

(٧) المرجع السابق، ٧٧/٢.

بمثله، واتقوا الله فلا تسرفوا في المجازاة والقصاص، واعلموا أن الله ناصر المتقين"(١).

١. ٣– إعلان فرض القتال على المسلمين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ {البقرة: ٢١٦}

السياق: هذه الآية نزلت في واقعة سرية عبد الله بن جَحش.. وذلك في الشهر السابع عشر من الهجرة(٢).

الفعل القولي: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"معناه في كل القرآن: فُرِض عليكم"(٣)، قال الطبري (٣١٠هـ):"وقال آخرون: هو على كل واحد حتى يقوم به من في قيامه الكفاية، فيسقط فرض ذلك حينئذٍ عن باقي المسلمين كالصلاة على الجنائز وغسلهم الموتى ودفنهم، وعلى هذا عامة علماء المسلمين.. وذلك هو الصواب عندنا لإجماع الحجة على ذلك"(٤).

﴿كُرْهٌ﴾: بالفتح الإكراه، وبالضم المشقة (أحد قولين) ويكون كل منهما بمعنى المكروه، لكن في الضمة بالأصالة، وفي الفتح معنى الإكراه هو الأصل(٥).

قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"والكراهة المذكورة ههنا والمحبة هي كراهة الطباع والنفس ومحبة الطباع والنفس لا كراهة الاختيار، ولا يكون في كراهة الطباع خطاب؛ لأن طبع كل أحد ينفر عن القتال والمجاهدة مع العدو، لا أنهم كرهوا ذلك كراهة الاختيار؛ لأنه لا يحتمل أن يكون أصحاب رسول الله ﷺ يؤمرون بالقتال والمجاهدة مع العدو، ثم هم يكرهون ما أمروا به اختيارًا منهم؛ لأن ذلك دأب أهل النار، فثبت أنه على ما ذكرنا من نفور كل طبع عن احتمال الشدائد والمشقة وكراهيته"(٦).

قال الماوردي (٤٥٠هـ):"وفيه قولان: أحدهما: أن فيه حذفًا وتقديره: وهو ذو كره لكم وهذا قول الزجاج، والثاني: معناه وهو مكروه لكم، فأقام المقدّر مُقامه"(٧).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿كُتِبَ﴾ كتبه الله ﷻ. قال بعض العلماء:"إن الله تعالى قال في المكروهات كتب عليكم الصيام على لفظ ما لم يسم فاعله، وإن كان قد علم أنه هو الكاتب، فلما جاء إلى ما يوجب الراحة، قال كتب ربكم على نفسه الرحمة"(٨).

﴿عَلَيْكُمُ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنه على أصحاب رسول الله ﷺ، والثاني: أنه خطاب لكل أحد من الناس كلهم أبدًا حتى يقوم به من فيه كفاية، وهذا قول الفقهاء والعلماء، والثالث: أنه

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ٤٤.
(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٩/٢.
(٣) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ١١٠/١.
(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٢٩٦/٤.
(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ك–ر–هـ)، ١٨٨٩/٤.
(٦) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ١١٢/٢و١١٣.
(٧) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢٧٣/١.
(٨) ابن الجوزي: صيد الخاطر، ت: حسن سويدان، ص١٠١.

فرض على كل مسلم في عينه أبدًا، وهذا قول سعيد بن المسيب"(١). وقال الشافعي (٢٠٤هـ):"وذلك على الأحرار المسلمين البالغين غير ذوي العذر بدلائل الكتاب والسنة"(٢).

القضية: فرض القتال.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف مطلع الآية من الأفعال الإعلانية.

القوة الإنجازية: إعلان فرض الجهاد على أمة الإسلام، إذ كان قبل ذلك منهي عنه ثم أذن فيه دون فرض، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"كتب عليكم قتال عدو الدين، والخطاب للمسلمين، وأعداؤهم يومئذ المشركون؛ لأنهم خالفوهم في الدين وآذوا الرسول والمؤمنين، فالقتال المأمور به هو الجهاد لإعلاء كلمة الله .. فعلى المختار يكون قوله:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾ خبرًا عن حكم سبق لزيادة تقريره ولينتقل منه إلى قوله ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ الآية، أو إعادة لإنشاء وجوب القتال زيادة في تأكيده، أو إنشاءً أُنُفاً لوجوب القتال إن كانت هذه أول آية نزلت في هذا المعنى بناء على أن قوله تعالى:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ﴾ {الحج:٣٩} إذْن في القتال وإعداد له وليست بموجبة له"(٣).

١. ٤- إعلان منع الإكراه في الدين:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّۚ﴾ {البقرة: ٢٥٦}

السياق: قال الماوردي (٤٥٠هـ):"فيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أن ذلك في أهل الكتاب، لا يُكْرَهُون على الدين إذا بذلوا الجزية، قاله قتادة. والثاني: أنها نزلت في الأنصار خاصة، كانت المرأة منهم تكون مِقْلَاةً لا يعيش لها ولد، فتجعل على نفسها، إن عاش لها ولد أن تهوّده، ترجو به طول العمر، وهذا قبل الإسلام، فلما أجلى رسول الله ﷺ بني النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالت الأنصار: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية، قاله ابن عباس. والثالث: أنها منسوخة بفرض القتال، قاله ابن زيد"(٤).

الفعل القولي:﴿إِكْرَاهَ﴾ حمل الإنسان على فعل ما يكره(٥). ﴿ٱلدِّينِ﴾ الملة والعقيدة(٦).

قال الجصاص (٣٧٠هـ):"﴿لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ أمْرٌ في صورة الخبر"(٧). وقيل: هي خبر على الحقيقة لنفي الإكراه، قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"أي لم يجر الله أمر الإيمان على الإجبار والقسر، ولكن على التمكين والاختيار، وقيل: هو إخبار في معنى النهي؛ أي: لا تتكرّهوا في الدين"(٨).

---

(١) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢٧٣/١.

(٢) الشافعي: الأم، ت: محمد زهري النجار، ١٦٧/٤.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٩/٢.

(٤) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٢٧/١.

(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ك-ر-هـ)، ١٨٨٩/٤.

(٦) المرجع السابق، (د-ي-ن)، ٦٨٦/٢.

(٧) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ١٦٨/٢.

(٨) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص١٤٦.

الإحالة: من الإحالة في الآية ﴿ٱلدِّينِ﴾ قال القيسي (٤٣٧هـ):"الألف واللام عوض من ضمير يعود على الله، والمعنى: وهو العلي العظيم لا إكراه في دينه، وقيل: هما للتعريف، والدين: الإسلام"(١).

القضية: الإكراه في الدين.

الفعل الإنجازي: وعلى القول بأن نفي الإكراه هنا نهي في صورة الخبر، فالآية من الأفعال الإعلانية.

القوة الإنجازية: إعلان منع إكراه الناس في دخول الإسلام، واستثنى بعض العلماء المرتد عن الإسلام، ومن لم تقبل منهم الشريعة دفع الجزية كمشركي جزيرة العرب فليس لهم إلا القتل أو دخول الإسلام، قال الطبري (٣١٠هـ):"المسلمون جميعًا قد نقلوا عن نبيهم ﷺ أنه أكره على الإسلام قومًا، فأبى أن يقبل منهم إلا الإسلام، وحكم بقتلهم إن امتنعوا منه، وذلك كعبدة الأوثان من مشركي العرب، وكالمرتد عن دينه دين الحق إلى الكفر ومن أشبههم، وأنه ترك إكراه آخرين على الإسلام بقبوله الجزية منه، وإقراره على دينه الباطل، وذلك كأهل الكتابين، ومن أشبههم، كان بينا بذلك أن معنى قوله:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾ إنما هو لا إكراه في الدين لأحد ممن حل قبول الجزية منه بأدائه الجزية، ورضاه بحكم الإسلام، وألا معنى لقول من زعم أن الآية منسوخة الحكم بالإذن بالمحاربة"(٢).

١. ٥- إعلان الحرب على مشركي الجزيرة والبراءة من عهودهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ١ فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَمۡ يُظَٰهِرُواْ عَلَيۡكُمۡ أَحَدٗا فَأَتِمُّوٓاْ إِلَيۡهِمۡ عَهۡدَهُمۡ إِلَىٰ مُدَّتِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٤ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ وَخُذُوهُمۡ وَٱحۡصُرُوهُمۡ وَٱقۡعُدُواْ لَهُمۡ كُلَّ مَرۡصَدٖۚ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ {التوبة:١-٥}

السياق: قال الشافعي (٢٠٤هـ):"لما قوي أهل الإسلام أنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ مرجعه من تبوك:﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ فأرسل بهذه الآيات مع علي بن أبي طالب ﵁ فقرأها على الناس في الموسم، وكان فرضًا أن لا يعطى لأحدٍ مدة بعد هذه الآيات إلا أربعة أشهر؛ لأنها الغاية التي فرضها الله ﷻ"(٣).

الفعل القولي: ﴿بَرَآءَةٞ﴾ مرفوعة، يضمر لها (هذه)(٤)، وهي قطع الموالاة وارتفاع العصمة وزوال الأمان(٥)،

---

(١) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٨٥٢/١.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٥٥٤/٤.

(٣) الشافعي: الأم، ٢٠١/٤.

(٤) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٤٢٠/١ .

(٥) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ٢٦٤/٤.

﴿عَٰهَدتُّم﴾ عاهده: عقد معه عهدًا أي موثقًا[١]، وفي الآيات التفات من الغائب إلى المخاطب يشير إليه أبو عبيدة (٢١٠هـ) قائلا: "﴿بَرَآءَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم﴾ ثم خاطب شاهدًا فقال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[٢]، ﴿فَسِيحُواْ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"وجهان: أحدهما: انصرفوا فيها إلى معايشكم، والثاني: سافروا فيها حيث أردتم، وفي السياحة وجهان: أحدهما: أنها السير على مهل، والثاني: أنها البعد على وجل"[٣].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿عَٰهَدتُّم﴾ إلى الذين عاهد رسول الله ﷺ من المشركين؛ لأن العهود بين المسلمين والمشركين على عهد رسول الله ﷺ لم يكن يتولى عقدها إلا رسول الله ﷺ أو من يعقدها بأمره، ولكنه خاطب المؤمنين بذلك لعلمهم بمعناه، وأن عقود النبيّ ﷺ على أمته كانت عقودهم؛ لأنهم كانوا لكل أفعاله فيهم راضين، ولعقوده عليهم مسلمين، فصار عقده عليهم كعقودهم على أنفسهم[٤].

﴿فَسِيحُواْ﴾، ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ﴾ التفات من غيبة إلى خطاب[٥]، قال الماوردي (٤٥٠هـ):"اختلفوا فيمن المقصود الذي جُعل له أمان هذه الأربعة الأشهر على أربعة أقاويل:أحدها: أن الله تعالى جعلها أجلًا لمن كان رسول الله ﷺ قد أمنه أقل من أربعة أشهر ولمن كان أجل أمانه غير محدود ثم هو بعد الأربعة حرب، فأما من لا أمان له فهو حرب، قاله ابن إسحاق. والثاني: أن الأربعة الأشهر أمان أصحاب العهد من كان عهده أكثر منها حُطَّ إليها، ومن كان عهده أقل منها إليها، ومن لم يكن له من رسول الله عهد جعل له أمان خمسين ليلة من يوم النحر إلى سلخ المحرم لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ قاله ابن عباس والضحاك وقتادة. والثالث: أن الأربعة الأشهر عهد المشركين كافة، المعاهد منهم وغير المعاهد، قاله الزهري ومحمد بن كعب ومجاهد. والرابع: أن الأربعة الأشهر عهد وأمان لمن لم يكن له من رسول الله ﷺ عهد ولا أمان، أما أصحاب العهود فهم على عهودهم إلى انقضاء مددهم، قاله الكلبي"[٦].

﴿تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ قال ابن جوزي:"ثم رجع إلى خطاب المشركين"[٧].

ومن الإحالة الزمانية ﴿أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"واختلفوا في أول مدى الأربعة الأشهر على ثلاثة أقاويل: أحدها: أن أولها يوم يوم الحج الأكبر وهو يوم النحر، وآخرها انقضاء العاشر من شهر ربيع الآخر، قاله محمد بن كعب ومجاهد والسدي. والثاني: أنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم، قاله الزهري. والثالث: أن أولها يوم العشرين من ذي القعدة، وآخرها يوم العشرين من شهر ربيع الأول؛ لأن الحج في تلك السنة كان في ذلك

---

(١) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ع-هـ-د)، ١٥٤٥/٣.

(٢) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ٢٥٢/١.

(٣) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٣٧/٢.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٩٦/١٤.

(٥) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٨/٥.

(٦) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٣٧/٢و٣٣٨.

(٧) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير: ٥٦٨.

اليوم ثم صار في السنة الثانية في العشر من ذي الحجة وفيها حجة الوداع، لأجل ما كانوا عليه في الجاهلية من النسيء، فأقره النبي ﷺ فيه حتى نزل تحريم النسيء وقال:"إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض"(١).

ومن الإحالة الزمانية ﴿يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾ يعني يوم النحر، وإنما سمي الحج الأكبر؛ لأن العمرة هي الحج الأصغر(٢).

ومن الإحالة المكانية ﴿حَيۡثُ﴾ قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"قال بعضهم حيث وجدتموهم وخذوهم في الأماكن كلها؛ لأن ﴿حَيۡثُ﴾ إنما يترجم عن مكان؛ وأمر بقتلهم في الأماكن كلها؛ لأنه لم يخص مكانًا دون مكان. وقال آخرون: هو في الأماكن كلها إلا مكان الحرم"(٣).

القضية: علاقة المسلمين بالمشركين المعاهدين وغيرهم بعد فتح مكة.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات كفعل كلامي كبير تحت الأفعال الإيقاعية يتضمن مجموعة من الأفعال الكلامية الفرعية المباشرة وغير المباشرة، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"افتتحت السورة كما تُفتتح العهودُ وصكوك العقود بأدَلّ كلمة على الغرض الذي يراد منها كما في قولهم: هذا ما عهد به فلان، وهذا ما اصطلح عليه فلان وفلان، وقول الموثّقين: باع أو وكّل أو تزوّج، وذلك هو مقتضى الحال في إنشاء الرسائل والمواثيق ونحوها"(٤).

ويقول سيد قطب (١٣٨٧هـ):"وأسلوب هذه الآيات وإيقاع التعبير فيها، يأخذ شكل الإعلان العام، ورنينه العالي! فيتناسق أسلوب التعبير وإيقاعه مع موضوعه والجو الذي يحيط بهذا الموضوع؛ على طريقة القرآن في التعبير .. هذا الإعلان العام، بهذا الإيقاع العالي؛ يتضمن المبدأ العام للعلاقة بين المسلمين والمشركين في ذلك الحين في جزيرة العرب قاطبة. إذ كانت العهود المشار إليها هي التي كانت بين رسول الله ﷺ والمشركين في الجزيرة. والإعلان ببراءة الله وبراءة رسوله من المشركين، يحدد موقف كل مسلم؛ ويوقع إيقاعًا عميقًا عنيفًا على قلب كل مسلم، بحيث لا يبقى بعد ذلك مراجعة ولا تردد، ثم تأتي بعد الإعلان العام البيانات والمخصصات والشروح لهذا الإعلان"(٥).

القوة الإنجازية: إعلان فسخ العهود التي كانت بين المسلمين والمشركين، والبراءة من تبعات هذه العهود وإعلان الحرب عليهم بعد انقضاء المدة المحددة، قال الفراء (٢٠٧هـ):"العرب كانوا قد أخذوا ينقُضُون عهودا كانت بينهم وبين النبي ﷺ، فنزلت عليه آيات من أوّل براءة، أُمر فيها بنَبْذ عهودهم إليهم، وأن يجعل الأجَلَ بينه وبينهم أربعةَ أشهر، فمن كانت مدّته أكثر من أربعة أشهر حطّه إلى أربعة، ومن كانت مدّته أقل من أربعة أشهر رفعه إلى أربعة،

---

(١) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٣٨/٢. والحديث أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة براءة، باب قوله (إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا في كتاب الله)، رقم (٤٦٦٢)، ٣٢٤/٨.

(٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٥٦/٢.

(٣) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٢٩١/٥و٢٩٢.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٠٢/١٠.

(٥) سيد قطب: في ظلال القرآن، ١٥٩٦/٣و١٥٩٨.

وبعث في ذلك أبا بكر وعليًّا رحمهما الله، فقرأها عليّ على الناس[١]، وجاء في الميسر:"فإذا انقضت الأشهر الأربعة التي أمَّنتم فيها المشركين، فأعلنوا الحرب على أعداء الله حيث كانوا، واقصدوهم بالحصار في معاقلهم، وترصدوا لهم في طرقهم، فإن رجعوا عن كفرهم ودخلوا الإسلام والتزموا شرائعه من إقام الصلاة وإخراج الزكاة، فاتركوهم، فقد أصبحوا إخوانكم في الإسلام، إن الله غفور لمن تاب وأناب، رحيم بهم"[٢]. والأمر ﴿فَسِيحُواْ﴾ فعل كلامي غير مباشر وقوته الإنجازية الإباحة، قال الرازي (٦٠٦هـ):"وليس ذلك من باب الأمر، بل المقصود الإباحة والإطلاق والإعلام بحصول الأمان وإزالة الخوف"[٣].

١. ٦– إعلان حكم الأنفال والفيء والغنائم:

جاء ذكر الأنفال والفيء والغنائم في آيات متفرقة، منها:

١. ٦. ١– الأنفال:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ﴾ {الأنفال: ١}

السياق: قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"لا خلاف في هذه السورة أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه"[٤].

الفعل القولي: ﴿ٱلۡأَنفَالِ﴾ واحدُها نَفَلٌ، قال الماوردي (٤٥٠هـ):"وفي معنى هذه الأنفال التي سألوا النبي ﷺ عنها خمسة أقاويل: أحدها: أنها الغنائم، وهذا قول ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك. الثاني: أنها السرايا التي تتقدم الجيش، وهذا قول الحسن. الثالث: الأنفال ما ند من المشركين إلى المسلمين بغير قتال من دابة أو عبد، وهذا أحد قولي ابن عباس. الرابع: أن الأنفال الخمس من الفيء والغنائم التي جعلها الله تعالى لأهل الخمس، وهذا قول مجاهد. الخامس: أنها زيادات يزيدها الإمام بعض الجيش لما قد يراه من الصلاح"[٥].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ﴾ فاعل يسأل يعود على معلوم، وهم من حضر بدرًا[٦].

﴿قُلِ﴾ قل يا محمد[٧].

القضية: حكم الأنفال.

الفعل الإنجازي: والآية يمكن تصنيفها من الأفعال الإعلانية.

القوة الإنجازية: إعلان أنّ "الأنفال حكمها مختص بالله ورسوله، يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول ﷺ أمر الله فيها، وليس الأمر في قسمتها مفوضًا إلى رأي أحد"[٨]، فهي أشبه ما تكون بالوصية.

---

(١) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ١/٤٢٠.

(٢) التفسير الميسر: ص١٨٧.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٥/٥٢٤.

(٤) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٢/٤٩٦.

(٥) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢/٢٩٢و٢٩٣.

(٦) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٩/٤٤٣.

(٧) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٤/٢٧٠٨.

(٨) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٠٢.

١. ٦. ٢- الفيء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ {الحشر: ٧}

السياق: قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ):"سورة الحشر وهي مدنية كلها بإجماعهم، وذكر المفسرون أن جميعها أنزلت في بني النضير، وكان ابن عباس يسمي هذه السورة (سورة بني النضير) وهذه الإشارة إلى قصتهم"[١].

الفعل القولي: ﴿أَفَآءَ﴾ الفيء هو ما حصل للمسلمين من أموال الكفار من غير حرب ولا جهاد .. واستعمال (أفاء) كأنه إشارة إلى أن الأحقية الأصلية في مال الله لمن يعبد الله[٢].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿رَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ، ﴿وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ ولذي قرابة رسول الله ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، ﴿وَٱلۡيَتَٰمَىٰ﴾ وهم أهل الحاجة من أطفال المسلمين الذين لا مال لهم، ﴿وَٱلۡمَسَٰكِينِ﴾ وهم الجامعون فاقة وذل المسألة، ﴿وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ وهم المنْقطَع بهم من المسافرين في غير معصية الله ﷻ[٣]. من الإحالة المكانية ﴿ٱلۡقُرَىٰ﴾ قريظة، والنضير، وخيبر، وفدك، وقريتي عرينة[٤]، وقيل: هم أهل الصفراء والينبوع ووادي القرى، وما هنالك من قرى العرب التي تسمى قرى عربية، وحكمها مخالف لبني النضير[٥].

القضية: مصارف الفيء.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الإعلانية.

القوة الإنجازية: إعلان كيفية تقسيم مال الفيء وهو المأخوذ من المشركين بغير قتال ولا إيجاف خيل ولا ركاب، قال طنطاوي (١٤٣١هـ) في تفسيرها:"لقد بينت لكم أيها المؤمنون حكم أموال بنى النضير، وهى أنها لرسولنا ﷺ يضعها حيث شاء، أما ما أفاءه الله تعالى على رسوله ﷺ من أموال أهل القرى الأخرى، كقريظة وفدك وغيرهما فحكم هذا الفىء أنه يقسم إلى خمسة أقسام: قسم للرسول ﷺ ينفق منه على نفسه وأهله وما تبقى منه يكون فى مصالح المسلمين، وقسم لأقاربه ﷺ وهم: بنو هاشم وبنو المطلب، وقسم لليتامى: وهم أطفال المسلمين الذين مات آباؤهم عنهم قبل أن يبلغوا، وقسم للمساكين: وهم الذين ليس لهم مال يكفيهم ضررويات الحياة، وقسم لأبناء السبيل: وهم المسافرون المنقطعون عن مالهم فى سفرهم، ولو كانوا أغنياء فى بلدهم"[٦].

١. ٦. ٣- الغنائم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ {الأنفال: ٤١}

---

(١) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ت: عبد الرزاق المهدي، ٢٥٣/٤.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ف-ي-أ)، ١٦١٩/٣.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٥٢٠/٢٢.

(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٧٨/٤.

(٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٢٨٦/٥.

(٦) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢٩٢/١٤.

السياق: ولا خلاف في هذه السورة أنها نزلت في يوم بدر وأمر غنائمه[١].

الفعل القولي:﴿غَنِمْتُم﴾ قال الشافعي (٢٠٤هـ):"الغنيمة هي الموجَفُ عليها بالخيل والركاب لمن حضر من غني وفقير، والفيءُ: وهو ما لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب"[٢].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ﴾ يخبر المؤمنين[٣]، ﴿وَلِلرَّسُولِ﴾ محمد ﷺ، ﴿وَلِذِى ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ قرابة النبي ﷺ[٤].

القضية: تقسيم الغنائم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الإعلانية.

القوة الإنجازية: إعلان كيفية تقسيم الغنائم على خمسة أخماس؛ "فأربعة أخماسه للمقاتلين الذين حضروا المعركة، والخمس الباقي يجزَّأُ خمسة أقسام: الأول لله وللرسول، فيجعل في مصالح المسلمين العامة، والثاني لذوي قرابة رسول الله ﷺ، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، جُعِل لهم الخمس مكان الصدقة فإنها لا تحلُّ لهم، والثالث لليتامى، والرابع للمساكين، والخامس للمسافر الذي انقطعت به النفقة"[٥].

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٢/٤٩٦.

(٢) الشافعي: الأم، ت: محمد زهري النجار، ٤/١٣٩.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢/١١٦.

(٤) المرجع السابق، ٢/١١٦.

(٥) التفسير الميسر: ص١٨٢.

٢- الأفعال الطلبية:

يقول سيرل عن الطلبيات directives والتي يترجمها سعيد الغانمي بالتوجيهيات:"هي محاولة جعل المستمع يتصرف بطريقة تجعل من تصرفه متلائمًا مع المحتوى الخبري للتوجيه، وتتوفر النماذج على التوجيهيات في الأوامر والنواهي والطلبات، واتجاه الملاءمة هو دائمًا من العالم إلى الكلمة، وشرط الصدق النفسي المعبر عنه هو دائمًا الرغبة، كل توجيه هو تعبير عن رغبة بأن يقوم المستمع بالفعل الموجه به، والتوجيهيات من طراز الأوامر والطلبات لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، لكن يمكن أن تطاع أو تهمل، أو يخضع لها أو تستنكر ... إلخ"(١).

ويفضل هاشم طبطبائي تسميتها بالأمريات أو بالطلبيات(٢)، وبالأخير سماها محمود نحلة ويقول عنها:"هي تضم كل الأفعال الكلامية الدالة على الطلب بغض النظر عن صيغتها، وهو أمر أخذ به الأصوليون والفقهاء وبعض المتكلمين"(٣). وقد اخترت ترجمتها بالطلبيات؛ لسهولة المصطلح وشموله.

تتميز الطلبيات بالوضوح في التعبير عن قصد المتكلم؛ فذلك يزيل اللبس على السامع؛ مما يضمن تحقيق الاستجابة، وقد يكون الطلب مركبًا باستعمال أكثر من أسلوب كالأمر والنهي المتضادين في خطاب واحد، وتتدرج أفعال الطلب في قوتها الإنجازية باختلاف السلطة أو المكانة بين المتكلم والمخاطب، وهذا ما يعطي أفعال الطلبيات أشكالها المختلفة(٤).

ويدخل في الطلبيات من أقسام الكلام في البلاغة العربية: الأمر الحقيقي، والنهي الحقيقي، والاستفهام الحقيقي، والنداء، والتمني، والخبر الذي جاء للطلب.

وقد قسمت الطلبيات في الآيات إلى ثلاثة أقسام: ما يسبق القتال وما يصاحبه وما يأتي بعده، وتفصيل ذلك، على النحو التالي:

٢. ١- الطلبيات قبل القتال:

اشتملت الآيات على جملة من الطلبيات قبل القتال، تتنوع بين الأمر والنهي، ومن ذلك:

٢. ١. ١- الطلبيات المتعلقة بموالاة أعداء الله من المنافقين والكفار:

تعددت تلك الطلبيات المتعلقة بمسألة الموالاة لأعداء الله، فكان منها:

٢. ١. ١. ١- النهي عن موالاة المشركين والمنافقين حتى يهاجروا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ فَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ أَوۡلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ {النساء: ٨٩}

السياق: نزلت في تسعة نفر، منهم: مخرمة بن زيد القرشي، هاجروا من مكة إلى المدينة، فقدموا وأرادوا الرجعة، فقال بعضهم: نخرج كهيئة البداة، فإذا غفل عنا مضينا إلى مكة، فجعلوا يتحولون منقلة منقلة، حتى تباعدوا من

---

(١) جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع؛ الفلسفة في العالم الواقعي، ت: سعيد الغانمي: ٢١٨.

(٢) طالب طبطبائي: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب: ٣١.

(٣) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر: ١٠٠.

(٤) ينظر: محمد مدور: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم؛ سورة البقرة دراسة تداولية، دكتوراه: ١٧٨و١٧٩.

المدينة، ثم إنهم أدلجوا حتى أصبحوا قد قطعوا أرضًا بعيدة، فلحقوا بمكة، فكتبوا إلى النبي ﷺ: إنا على ما فرقناك عليه، ولكنا اشتقنا إلى بلادنا وإخوتنا بمكة، ثم إنهم خرجوا تجارًا إلى الشام، واستبضعهم أهل مكة بضائعهم، فقالوا لهم: أنتم على دين محمد ﷺ وأصحابه، فلا بأس عليكم، فساروا وبلغ المسلمين أمرهم، فقال بعضهم لبعض: أخرجوا إلى هؤلاء فنقاتلهم، ونأخذ ما معهم، فإنهم تركوا دار الهجرة وظاهروا عدونا. وقال آخرون: ما حلت دماؤهم ولا أموالهم ولكنهم فتنوا، ولعلهم يرجعون للتوبة، والنبي ﷺ ساكت، فأنزل الله ﷻ يخبر عن التسعة رهط ويعظ المؤمنين ليكون أمرهم جميعا عليهم(١).

الفعل القولي: ﴿وَدُّواْ﴾ أي تمنوا(٢). ﴿أَوۡلِيَآءَ﴾ أي: أخلاء(٣).

الإحالة: من الإحالة الشخصية﴿وَدُّواْ﴾ الضمير في ﴿وَدُّواْ﴾ عائد على المنافقين(٤)، ومثله ﴿كَفَرُواْ﴾، ﴿يُهَاجِرُواْ﴾، ﴿مِنۡهُمۡ﴾. ﴿تَكۡفُرُونَ﴾ المؤمنون(٥)، ومثله ﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ﴾.

القضية: موالاة أعداء الله.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: النهي عن موالاة أعداء الله، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وقوله:﴿فَلَا تَتَّخِذُواْ﴾ الآية، هذا نهي عن موالاتهم حتى يهاجروا؛ لأن الهجرة في سبيل الله تتضمن الإيمان"(٦)، قال الرازي (٦٠٦هـ):"دلت الآية على أنه لا يجوز موالاة المشركين والمنافقين والمشتهرين بالزندقة والإلحاد، وهذا متأكد بعموم قوله تعالى:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ {الممتحنة:١} والسبب فيه أن أعز الأشياء وأعظمها عند جميع الخلق هو الدين؛ لأن ذلك هو الأمر الذي به يتقرب إلى الله تعالى، ويتوسل به إلى طلب السعادة في الآخرة، وإذا كان كذلك كانت العداوة الحاصلة بسببه أعظم أنواع العداوة، وإذا كان كذلك امتنع طلب المحبة والولاية في الموضع الذي يكون أعظم موجبات العداوة حاصلًا فيه والله أعلم"(٧).

٢. ١. ١. ٢- النهي عن موالاة الكفار من ذوي القربة:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ {التوبة:٢٣}

السياق: سقاية الحاج أمروا بالهجرة، فقال العباس بن عبد المطلب: أنا أسقي الحاج، وقال طلحة أخو بني عبد

---

(١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٩٤/١و٣٩٥.
(٢) الثعلبي: الكشف والبيان، ت: محمد الطاهر بن عاشور، ٣٥٦/٣.
(٣) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١٤١٠/٢.
(٤) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٨٩/٢.
(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٩٠/٧.
(٦) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٨٩/٢.
(٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٧٠/١٠.

الدار: أنا أحجب الكعبة، فلا نهاجر، فأنزلت(١).

الفعل القولي: ﴿ٱسۡتَحَبُّواْ﴾ قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"آثروا وفضلوا، استفعل من المحبة أي طلبوا محبة الكفر، وقيل: بمعنى أحب، وضمّن معنى اختار وآثر، ولذلك عدّيَ بـ(على)"(٢).

الإحالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"ظاهر هذه الآية أنها خطاب لجميع المؤمنين كافة، وهي باقية الحكم إلى يوم القيامة في قطع الولاية بين المؤمنين والكافرين، وروت فرقة أن هذه الآية إنما نزلت في الحض على الهجرة ورفض بلاد الكفرة، فالمخاطبة على هذا إنما هي للمؤمنين الذين كانوا بمكة وغيرها من بلاد العرب، خوطبوا بألا يوالوا الآباء والإخوة فيكونوا لهم تبعا في سكنى بلاد الكفر"(٣)، ومن الإحالة إلى المؤمنين الضمائر في قوله ﴿لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ﴾ و﴿مِّنكُمۡ﴾. ومن الإحالة إلى الكافرين ﴿ٱسۡتَحَبُّواْ﴾ والهاء في ﴿يَتَوَلَّهُم﴾. ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي أولئك المتولّون(٤).

القضية: موالاة الآباء والإخوان إن استحبوا الكفر على الإيمان.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الآيات الطلبية.

القوة الإنجازية: النهي عن موالاة الكفار وإن كانوا من الأقربين، قال الجصاص (٣٧٠هـ):"فيه نهيٌ للمؤمنين عن موالاة الكفار ونصرتهم والاستنصار بهم وتفويض أمورهم إليه وإيجاب التبرّي منهم وترك تعظيمهم وإكرامهم، وسواءٌ بين الآباء والإخوان في ذلك، إلا أنه قد أمر مع ذلك بالإحسان إلى الأب الكافر وصحبته بالمعروف بقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ﴾ {لقمان:١٤}، إلى قوله: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ {لقمان: ١٥}، وإنما أمر المؤمنين بذلك ليتميّزوا من المنافقين، إذ كان المنافقون يتولَّوْنَ الكفار ويُظهرون إكرامهم وتعظيمهم إذا لقوهم ويُظهرون لهم الولاية والحياطة، فجعل الله تعالى ما أمر به المؤمن في هذه الآية عَلَمًا يتميز به المؤمن من المنافق، وأخبر أن من لم يفعل ذلك فهو ظالم لنفسه مستحقٌّ للعقوبة من ربه"(٥).

٢. ١. ١. ٣- النهي عن موالاة أعداء الله ونقل أخبار المسلمين لهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ {الممتحنة: ١}

السياق: ذُكر أن هذه الآيات من أول هذه السورة نزلت في شأن حاطب بن أبي بَلتعة، وكان كتب إلى قريش

---

(١) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ت: أسعد محمد الطيب، ١٧٧٠/٦.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٢٣/٥.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ١٧/٣.

(٤) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٥٤/٤.

(٥) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ٤ /٢٧٨.

بمكة يطلعهم على أمر كان رسول الله ﷺ قد أخفاه عنهم، وبذلك جاءت الآثار والرواية عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم[١].

الفعل القولي:﴿بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ المودة: الرسالة؛ لأن بها الصلة والاتصال، وتفسر هذه أيضًا بالمحبة أي بأسبابها، وهذا آصل فإنه يبدو أن استعمالها في (الرسالة) تفسير بالمراد[٢]. قال الفراء (٢٠٧هـ):"دخول الباء في: المودة، وسقوطها سواء"[٣]. قال القيسي (٤٣٧هـ):"زائدة عند الفراء، وهي متعلقة بالمصدر عند البصريين"[٤]. قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"وقال الزجاج: معناه تلقون إليهم أخبار رسول الله ﷺ وسره بالمودة التي بينكم وبينهم"[٥].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وجه الخطاب بالنهي إلى جميع المؤمنين تحذيرًا من إتيان مثل فعل حاطب"[٦]، ومثله ضمائر المخاطب في الآية. ﴿يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ﴾ وذلك إخراج مشركي قريش رسول الله ﷺ وأصحابه من مكة[٧]، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"فالخطاب خاص بالمهاجرين على طريقة تخصيص العموم"[٨]. ﴿وَأَنَا۠﴾ الله ﷻ.

ومن الإحالة للسياق ﴿يَفۡعَلۡهُ﴾ يعني: ومن يسر بالمودة إلى الكفار[٩].

القضية: موالاة أعداء الله.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: النهي عن موالاة أعداء الله، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"قوله:﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ﴾ خبر بمعنى النهي"[١٠]، قال القرطبي (٦٧١هـ) في سورة الممتحنة:"السورة أصل في النهي عن موالاة الكفار"[١١]، وقال مقاتل (١٥٠هـ):"أنزل الله تعالى عظة للمؤمنين أن يعودوا لمثل صنيع حاطب بن أبي بلتعة"[١٢].

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٢/٥٥٩.
(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (و-د-د)، ٢/٦١٨.
(٣) الفراء: معاني القرآن، ت: عبد الفتاح شلبي، ٣/١٤٧.
(٤) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١١/٧٤١٤.
(٥) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٨/٩٣.
(٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٨ /١٣٣.
(٧) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٢/٥٥٨.
(٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٨/١٣٧.
(٩) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤/٢٩٩.
(١٠) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٥/٤١٤.
(١١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: التركي وآخرون، ٢٠/٣٩٨.
(١٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤/٢٩٨.

٢. ١. ٢- النهي عن نفير المؤمنين كلِّهم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ {التوبة: ١٢٢}

السياق: ذكر الرازي (٦٠٦هـ) كلامًا مهمًا في بيان الطائفة المذكورة في هذه الآية نسوقه على طوله:"اعلم أنه يمكن أن يقال: هذه الآية من بقية أحكام الجهاد، ويمكن أن يقال: إنها كلام مبتدأ لا تعلق لها بالجهاد.

أما الاحتمال الأول: نقل عن ابن عباس ﷺ أنه ﷺ كان إذا خرج إلى الغزو لم يتخلف عنه إلا منافق أو صاحب عذر، فلما بالغ الله سبحانه في عيوب المنافقين في غزوة تبوك قال المؤمنون: والله لا نتخلف عن شيء من الغزوات مع الرسول ﷺ ولا عن سرية. فلما قدم الرسول ﷺ المدينة، وأرسل السرايا إلى الكفار، نفر المسلمون جميعًا إلى الغزو وتركوه وحده بالمدينة، فنزلت هذه الآية، والمعنى: أنه لا يجوز للمؤمنين أن ينفروا بكليتهم إلى الغزو والجهاد، بل يجب أن يصيروا طائفتين، تبقى طائفة في خدمة الرسول، وتنفر طائفة أخرى إلى الغزو، وذلك لأن الإسلام في ذلك الوقت كان محتاجا إلى الغزو والجهاد وقهر الكفار، وأيضا كانت التكاليف تحدث والشرائع تنزل، وكان بالمسلمين حاجة إلى من يكون مقيمًا بحضرة الرسول ﷺ فيتعلم تلك الشرائع، ويحفظ تلك التكاليف ويبلغها إلى الغائبين، فثبت أن في ذلك الوقت كان الواجب انقسام أصحاب رسول الله ﷺ إلى قسمين، أحد القسمين ينفرون إلى الغزو والجهاد، والثاني: يكونون مقيمين بحضرة الرسول، فالطائفة النافرة إلى الغزو يكونون نائبين عن المقيمين في الغزو، والطائفة المقيمة يكونون نائبين عن النافرين، في التفقه، وبهذا الطريق يتم أمر الدين بهاتين الطائفتين.

إذا عرفت هذا فنقول على هذا القول احتمالان: أحدهما: أن تكون الطائفة المقيمة هم الذين يتفقهون في الدين بسبب أنهم لما لازموا خدمة الرسول ﷺ وشاهدوا الوحي والتنزيل، فكلما نزل تكليف وحدث شرع عرفوه وضبطوه، فإذا رجعت الطائفة النافرة من الغزو إليهم، فالطائفة المقيمة ينذرونهم ما تعلموه من التكاليف والشرائع، وبهذا التقرير فلا بد في الآية من إضمار، والتقدير: فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة، وأقامت طائفة ليتفقه المقيمون في الدين ولينذروا قومهم، يعني النافرين إلى الغزو إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون معاصي الله تعالى عند ذلك التعلم.

والاحتمال الثاني: هو أن يقال: التفقه صفة للطائفة النافرة وهذا قول الحسن، ومعنى الآية فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة حتى تصير هذه الطائفة النافرة فقهاء في الدين، وذلك التفقه المراد منه أنهم يشاهدون ظهور المسلمين على المشركين، وأن العدد القليل منهم يغلبون العالم من المشركين، فحينئذ يعلمون أن ذلك بسبب أن الله تعالى خصهم بالنصرة والتأييد وأنه تعالى يريد إعلاء دين محمد ﷺ وتقوية شريعته، فإذا رجعوا من ذلك النفر إلى قومهم من الكفار أنذروهم بما شاهدوا من دلائل النصر والفتح والظفر لعلهم يحذرون، فيتركوا الكفر والشك والنفاق، فهذا القول أيضا محتمل، وطعن القاضي في هذا القول: قال: لأن هذا الحس لا يعد فقهيًا في الدين، ويمكن أن يجاب عنه بأنهم إذا شاهدوا أن القوم القليل الذين ليس لهم سلاح ولا زاد يغلبون الجمع العظيم من الكفار الذين كثر زادهم وسلاحهم، وقويت شوكتهم، فحينئذ انتبهوا لما هو المقصود وهو أن هذا الأمر من الله تعالى وليس من البشر، إذ لو كان من البشر لما غلب القليل الكثير، ولما بقي هذا الدين في التزايد والتصاعد كل يوم، فالتنبه لفهم هذه

الدقائق واللطائف لا شك أنه تفقه.

وأما الاحتمال الثالث: وهو أن يقال هذه الآية ليست من بقايا أحكام الجهاد، بل هو حكم مبتدأ مستقل بنفسه، وتقريره أن يقال إنه تعالى لما بين في هذه السورة أمر الهجرة، ثم أمر الجهاد، وهما عبادتان بالسفر، بين أيضا عبادة التفقه من جهة الرسول ﷺ وله تعلق بالسفر. فقال: وما كان المؤمنون لينفروا كافة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين بل ذلك غير واجب وغير جائز، وليس حاله كحال الجهاد معه الذي يجب أن يخرج فيه كل من لا عذر له.

ثم قال: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ﴾ يعني من الفرق الساكنين في البلاد، طائفة إلى حضرة الرسول ليتفقهوا في الدين، وليعرفوا الحلال والحرام، ويعودوا إلى أوطانهم، فينذروا ويحذروا قومهم لكي يرجعوا عن كفرهم، وعلى هذا التقدير يكون المراد وجوب الخروج إلى حضرة الرسول للتفقه والتعلم"[١].

الفعل القولي: ﴿لِيَنفِرُوا۟﴾ يخرجون لقتال[٢]، ﴿فَلَوْلَا﴾ فهلا[٣]، ﴿نَفَرَ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"النفر قد بيّنّا فيما مضى أنه إذا كان مطلقا بغير صلة بشيء، أن الأغلب من استعمال العرب إياه في الجهاد والغزو"[٤]، ﴿فِرْقَةٍ﴾ "أقل الفرقة اثنان"[٥]. ﴿طَآئِفَةٌ﴾ "الطائفة في اللغة كقولك البعض والقطعة من الشيء، وذلك موجود في الواحد"[٦]. ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ الفقه: العلم بالشيء وفهمه فهمًا عميقًا مستوعبًا .. وينصب أصلًا على معاني الكلام .. ويحدث بالقلب[٧].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿لِيَنفِرُوا۟﴾ المؤمنون. ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ قال ابن جُزّي (٧٤١هـ):"إن قلنا إن الآية في الخروج إلى طلب العلم، فالضمير في ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ للفرقة التي تنفر أي: ترحل، وكذلك الضمير في ﴿وَلِيُنذِرُوا۟﴾ وفي ﴿رَجَعُوٓا۟﴾ أي: ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة، وإن قلنا إن الآية في السرايا فالضمير في ﴿لِّيَتَفَقَّهُوا۟﴾ للفرقة التي تقعد في المدينة ولا تخرج مع السرايا، وأما الضمير في ﴿رَجَعُوٓا۟﴾ فهو للفرقة التي خرجت مع السرايا. ﴿لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ الضمير للقوم"[٨].

القضية: نفير المؤمنين للقتال وبقاء بعضهم.

الفعل الإنجازي: الآية من الأفعال الطلبية.

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٧٠/١٦و١٧١.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ن-ف-ر)، ٢٢٣٦/٤.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٠٣/٢.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٨٤/١٢.

(٥) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٢ /٨٣.

(٦) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ٣٧٣/٤.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ف-ق-هـ)، ١٧٠٣/٣.

(٨) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: محمد سالم هاشم، ٣٧٣/١.

القوة الإنجازية: النهي عن نفير جميع المؤمنين للقتال، قال القيسي (٤٣٧هـ):"ظاهره خبر ومعناه نهي، أي: ما كان لهم أن يفعلوا ذلك، أي: لا يفعلوه"(١)، جاء في الميسر:"وما كان ينبغي للمؤمنين أن يخرجوا جميعًا لقتال عدوِّهم، كما لا يستقيم لهم أن يقعدوا جميعًا، فهلا خرج من كل فرقة جماعة تحصل بهم الكفاية والمقصود؛ وذلك ليتفقه القاعدون في دين الله وما أنزل على رسوله، وينذروا قومهم بما تعلموه عند رجوعهم إليهم، لعلهم يحذرون عذاب الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه"(٢).

٢. ١. ٣- النهي عن خيانة المعاهدين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ {الأنفال: ٥٨}

السياق: نزلت في بني قُرَيْظَة حين أَبْدَتْ من التَّحَزُّب مع قريش ونقض العهد مع رسول الله ﷺ(٣).

الفعل القولي: ﴿تَخَافَنَّ﴾ "ومعناها وإما توقننَّ منهم"(٤)، ﴿فَٱنۢبِذْ﴾ انبذ إليهم عهدهم أي ارمه واطرحه غير مبال به(٥)، قال أبو عبيدة (٢١٠هـ):"فألقِ إليهم وأظهر لهم أنهم حرب وعدو، وأنك ناصب لهم حتى يعلموا ذلك فتصيروا على سواء وقد أعلمتَهم ما علمت منهم"(٦).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿تَخَافَنَّ﴾، ﴿فَٱنۢبِذْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، قال القيسي (٤٣٧هـ):"إن خفت يا محمد"(٧)، ﴿قَوْمٍ﴾، ﴿إِلَيْهِمْ﴾ قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"معاهدين"(٨).

القضية: الخيانة في الحرب.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: النهي عن خيانة العهد، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"والمراد من الآية: ألا تقاتلهم قبل نبذ العهد، وقبل علمهم بالنبذ حتى لا تنسب إلى نقض العهد، وهذه الآية تعد من فصيح القرآن"(٩)، وقال أبو زهرة (١٣٩٤هـ):"وقد أكد نفي محبة الله تعالى للخيانة بالجملة الاسمية وبإنَّ، ونفي المحبة أبلغ في النهي؛ لأن محبة الله مطلوبة، فإذا كانت الخيانة لا تؤدي إليها فهي منهي عنها نهيًا شديدًا مؤكدًا"(١٠).

٢. ١. ٤- الأمر بإعداد العدة لإرهاب العدو والنفقة:

---

(١) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٣١٨٩/٤.

(٢) التفسير الميسر: ص٢٠٦.

(٣) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ٤٢٠/٢.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ٢٤٩/١.

(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ن-ب-ذ)، ٢١٥١/٤.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ٢٤٩/١.

(٧) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٢٨٥٧/٤.

(٨) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٣٧٠/٣.

(٩) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٢٧٤/٢.

(١٠) أبو زهرة: زهرة التفاسير، ٣١٧٢/٦.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ {الأنفال: ٦٠}

السياق: كما خرجتم إلى بدر بلا سلاح ولا قوة؛ لأنه أراد أن يجعل حرب بدر آية؛ ليميز بين المحق والمبطل وبين الحق والباطل؛ لذلك أمركم بالخروج إليه بلا سلاح ولا عدة، وأما غيرها من الحروب والمغازي فلا تخرجوا إليها إلا مستعدين لها[١].

الفعل القولي: قرأ رويس (تُرَهِّبون)، والباقون (تُرْهِبون)[٢]. ﴿رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾الرباط والمرابطة: ملازمة الثغور بالخيل أو بغيرها لمواجهة العدو[٣]، ﴿تُرْهِبُونَ﴾ ترّهب غيره: توعده، واسترهبه: أخافه وأفزعه[٤]، قال أبو عبيدة (٢١٠هـ):"تُخِيفون وتُرعِبون أَرهبته ورهبته سواء، والرَّهَب والرُّهْب واحد"[٥].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ خطاب للمؤمنين، وكذلك الضمائر الخطاب في الآية. ﴿لَهُم﴾ للمشركين الذين يخاف منهم نقض العهد ومثله ضمائر الغائب، قال القيسي (٤٣٧هـ):"حض المؤمنين على أن يُعِدوا لهؤلاء الذين خيف منهم نقض العهد ما استطاعوا من قوة"[٦]. ﴿عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ كفار العرب[٧]، ﴿وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ﴾ قيل: هم اليهود وفارس والروم والمنافقون والشياطين وكل من لا تعرفون عداوته[٨]، وقال الماتريدي (٣٣٣هـ):"ويحتمل أن يكون: هم الأعداء الذين يكونون من بعد إلى يوم القيامة"[٩].

ومن الإحالة ﴿قُوَّةٍ﴾ في الحديث:"ألا إن القوة الرمي"[١٠]، قال الطبري (٣١٠هـ):"لا وجه لأن يقال: عُني بالقوة معنى دون معنى من معاني القوة، وقد عمّ الله الأمر بها، فإن قال قائل: فإن رسول الله ﷺ قد بين أن ذلك مراد به الخصوص بقوله:(ألا إن القُوّةَ الرّمْيُ)، قيل له: إن الخبر وإن كان قد جاء بذلك فليس في الخبر ما يدل على أنه مراد بها الرمي خاصة دون سائر معاني القوّة"[١١]. ﴿مِن شَيْءٍ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"شراء آلة حرب من سلاح، أو حِراب، أو كُراع، أو غير ذلك من النفقات في جهاد أعداء الله من المشركين"[١٢].

---

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٢٤٧/٥و٢٤٨.
(٢) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٨٤.
(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ر-ب-ط)، ٧٤٦/٢.
(٤) المرجع السابق، ٨٦٤/٢.
(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ٢٤٩/١.
(٦) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٢٨٦٢/٤.
(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٢٣/٢.
(٨) ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٣٠/٢.
(٩) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٢٤٩/٥.
(١٠) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه وذم من علمه ثم نسيه، رقم (١٩١٧)، ١٥٢٢/٣.
(١١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٤٩/١١.
(١٢) المرجع السابق، ٢٥٠/١١و٢٥١.

القضية: الإعداد لإرهاب الأعداء والنفقة في ذلك.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بالإعداد لإرهاب العدو والإنفاق في سبيل ذلك، قال الطبري (٣١٠هـ):"إن الله أمر المؤمنين بإعداد الجهاد وآلة الحرب وما يتقوّون به على جهاد عدوه وعدوهم من المشركين من السلاح والرمي وغير ذلك ورباط الخيل"(١)، وجاء في المنتخب:"وأعدوا –يا معشر المسلمين– لمواجهة أعدائكم ما استطعتم من قوة حربية شاملة لجميع عتاد القتال، من المرابطين في الثغور وأطراف البلاد بخيلهم؛ لتخيفوا بهذا الإعداد والرباط عدو الله وعدوكم من الكفار المتربصين بكم الدوائر، وتخيفوا آخرين لا تعلمونهم الآن والله يعلمهم؛ لأنه لا يخفي عليه شيء، وكل ما أنفقتم من شيء في سبيل إعداد القوة قاصدين به وجه الله، فإن الله يجزيكم عليه جزاء وافيًا، دون أن ينقصهم مثقال ذرة مما تستحقون من فضل ربكم"(٢).

٢. ١. ٥- الأمر بالجنوح للسلم إن جنح له الأعداء:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٦١ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ {الأنفال:٦١-٦٢}

السياق: عُني به بنو قريظة، وكانوا يهودا أهل كتاب، وقد أذن الله جلّ ثناؤه للمؤمنين بصلح أهل الكتاب، ومتاركتهم الحرب على أخذ الجزية منهم(٣).

الفعل القولي: قرأ شعبة (للسِلم)، والباقون (للسَلم)(٤)، قال أبو عبيدة (٢١٠هـ):"الصلح وهو السلم مكسورة ومفتوحة ومتحركة الحروف بالفتحة واحد"(٥).

﴿جَنَحُواْ﴾ قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وجنح الرجل إلى الأمر إذا مال إليه وأعطى يده فيه"(٦).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿جَنَحُواْ﴾ ومثلها ضمائر الغائب، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"الضمير في ﴿جَنَحُواْ﴾ هو للذين نبذ إليهم على سواء"(٧)، قال الماوردي (٤٥٠هـ):"وفيه ثلاثة أقاويل: أحدها: أنها عامة في موادعة كل من سألها من المشركين ثم نسخت بقوله تعالى ﴿فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾{التوبة:٥} قاله الحسن وقتادة وابن زيد، والثاني: أنها في أهل الكتاب خاصة إذا بذلوا الجزية، والثالث: أنها في قوم معينين سألوا الموادعة فأمر بإجابتهم"(٨). ﴿فَٱجۡنَحۡ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، قال ابن الفرس (٥٩٧هـ):"فلم يخاطب بذلك إلا النبي ﷺ، ولم

(١) نفسه: ٢٤٩/١١.

(٢) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٢٥٣.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٤٢/١٤.

(٤) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٨٤.

(٥) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ٢٥٠/١.

(٦) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٤٧/٢.

(٧) المرجع السابق، ٥٤٧/٢.

(٨) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٣١/٢.

يقصر تعالى الخطاب عليه إلا من أجل أن ذلك ليس لغيره، وأن يُعلم أن النظر في ذلك إنما هو للأئمة"[١]. ﴿هُوَ﴾ الله ﷻ.

القضية: جنوح الكفار للسلم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيتين من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بالجنوح للسلم إن طلبه الكفار، قال الخازن (٧٤١هـ):"لما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بإعداد القوة وما يرهب العدو أمرهم بعد ذلك أن يقبلوا منهم الصلح إن مالوا إليه وسألوه"[٢]، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"قال قتادة: هي موادعة المشركين ومهادنتهم، وهذا راجع إلى رأي الإمام فإن رآه مصلحة فعل وإلا فلا"[٣]، قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"عقد الصلح ليس بلازم للمسلمين، وإنما هو جائز باتفاقهم أجمعين"[٤].

٢. ١. ٦- الأمر بالقتال والتحريض عليه:

وقد جاء الأمر بالقتال وتحريض المؤمنين وحثهم عليه في مواضع كثيرة من القرآن منها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ﴾ {النساء: ٨٤}

وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ﴾ {الأنفال: ٦٥}

السياق: قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ) في آية النساء:"وذلك أن النبي ﷺ واعد أبا سفيان بعد حرب أحد موسم بدر الصغرى في ذي القعدة، فلمّا بلغ الميعاد دعا الناس إلى الخروج، فكرهه بعضهم"[٥]. أمّا آية الأنفال فمتعلقة ببدر الكبرى، قال مقاتل (١٥٠هـ):"يعني حضض المؤمنين على القتال ببدر"[٦].

الفعل القولي: ﴿حَرِّضِ﴾ التحريض: الحث على القتال والإحماء عليه[٧].

الإحالة: ﴿فَقَٰتِلۡ﴾ الخطاب للرسول ﷺ، قال الطبري (٣١٠هـ):"فجاهد يا محمد"[٨]. وقال ابن حزم (٤٥٦هـ) في آية النساء:"هذا خطاب متوجه إلى كل مسلم، فكل أحد مأمور بالجهاد، وإن لم يكن معه أحد"[٩].

القضية: التحريض على القتال.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الطلبية.

---

(١) ابن الفرس: أحكام القرآن، ت: صلاح الدين بو عفيف وآخرون، ١٠٧/٣.

(٢) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ت: عبد السلام شاهين، ٣٢٤/٢.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٥٠٩/٤.

(٤) ابن العربي: أحكام القرآن، محمد عبد القادر عطا، ٤٢٧/٢.

(٥) البَغَوِيّ: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، ٦٦٨/١.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٢٤/٢.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ح-ر-ض)، ٤١١/١.

(٨) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٦٧/٧.

(٩) ابن حزم: المحلى بالآثار، ٤٢١/٥.

القوة الإنجازية: أمر للنبي ﷺ بتحريض المؤمنين على القتال، قال ابن عطية (٥٤٢هـ) في تفسير آية النساء:"هذا أمر في ظاهر اللفظ للنبي عليه السلام وحده، لكن لم نجد قط في خبر أنّ القتال فرض على النبي ﷺ دون الأمة مدة ما، المعنى –والله أعلم– أنه خطاب للنبي عليه السلام في اللفظ، وهو مثال ما يقال لكل واحد في خاصة نفسه، أي أنت يا محمد وكل واحد من أمتك القول له ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَ﴾ ولهذا ينبغي لكل مؤمن أن يستشعر أن يجاهد ولو وحده"[١].

٢. ١. ٧– النهي عن تثبيط الهمم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ {آل عمران: ١٥٦}

السياق: قيل: إنه عام، وقيل: يعني المنافقين، وقيل: منافقي يوم أحد كعبد الله بن أبيّ وأصحابه[٢].

الفعل القولي: قرأ ابن كثير وحمزة وعلي وخلف (يعملون)، والباقون (تعملون) بالتاء[٣].

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرا بالياء أن الكلام أتى عقيب الإخبار عن الذين قالوا: لو كان إخواننا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، فأخبر الله المؤمنين أنه جعل ذلك القول حسرة منهم في قلوبهم إذ قالوه، ثم أتبع ذلك أنه بما يعملون من الأعمال بصير.

وحجة من قرأ بالتاء أن الكلام في أول الآية وبعد الآية جرى بلفظ مخاطبة المؤمنين فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ إلى قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ ثم قال بعد هذه ﴿وَلَئِن قُتِلۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوۡ مُتُّمۡ﴾"[٤].

﴿إِذَا﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"كان ينبغي في العربية أن يقال: وقالوا لإخوانهم إذ ضربوا في الأرض؛ لأنه ماض، كما تقول: ضربتك إذ قمت، ولا تقول ضربتك إذا قمت، وذلك جائز، والذي في كتاب الله عربيّ حسن؛ لأن القول وإن كان ماضيًا في اللفظ فهو في معنى الاستقبال؛ لأن (الذين) يُذهب بها إلى معنى الجزاء مِن مَنْ وما"[٥]. ﴿ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ الذهاب فيها للتجارة غالبًا كأنه غوص فيها حيث يمتسك فيها أي يغيب.. وجعله الراغب من ضربها بالأقدام[٦]، ﴿غُزّٗى﴾ جمع غازٍ كصائم وصوّم، غزا العدو يغزوهم: سار إلى قتالهم ودخل أرضهم[٧].

الإحالة: من الإحالة الشخصية﴿كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ﴾ قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"اختلف في قوله

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٨٦/٢.

(٢) النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ت: زكريا عميرات، ٢٨٩/٢.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٧٠.

(٤) ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني: ١٧٧و١٧٨.

(٥) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٢٤٣/١.

(٦) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ض–ر–ب)، ١٢٨١/٣.

(٧) المرجع السابق، (غ–ز–و)، ١٥٧٧/٣.

تعالى: ﴿كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال بعضهم: نهى المؤمنين أن يكونوا كالذين كفروا في السر والعلانية، ﴿وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمۡ﴾ يعني المنافقين: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾، وقيل: لا تكونوا كالمنافقين الذين قالوا لإخوانهم يعني لبعضهم: ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾، وقيل: قالوا لإخوانهم يعني المؤمنين الذين تولوا: وهم كانوا إخوانهم في النسب وإن لم يكونوا إخوانهم في الدين والمذهب"[١]. وقال ابن عطية (٥٤٢هـ):"هي أخوة نسب؛ لأن قتلى أحد كانوا من الأنصار، أكثرهم من الخزرج، ولم يكن فيهم من المهاجرين إلا أربعة"[٢]. ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"بالياء، فهذا وعيد للمنافقين، وقرأ الباقون ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ بالتاء على مخاطبة المؤمنين، فهذا توكيد للنهي في قوله ﴿لَا تَكُونُواْ﴾ ووعيد لمن خالفه ووعد لمن امتثله"[٣].

ومن الإحالة للسياق ﴿ذَٰلِكَ﴾ قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"قال القاضي: فالإشارة في ذلك إلى هذا المعتقد الذي لهم، جعل الله ذلك حسرة؛ لأن الذي يتقين أن كل موت وقتل فبأجل سابق، يجد برد اليأس والتسليم لله تعالى على قلبه، والذي يعتقد أن حميمه لو قعد في بيته لم يمت، يتحسر ويتلهف، وعلى هذا التأويل مشى المتأولون، وهو أظهر ما في الآية، وقال قوم: الإشارة بذلك إلى انتهاء المؤمنين ومخالفتهم الكافرين في هذا المعتقد، فيكون خلافهم لهم حسرة في قلوبهم، وقال قوم: الإشارة بذلك إلى نفس نهي الله تعالى عن الكون مثل الكافرين في هذا المعتقد؛ لأنهم إذا رأوا أن الله تعالى قد وسمهم بمعتقد وأمر بخلافهم كان ذلك حسرة في قلوبهم، ويحتمل عندي أن تكون الإشارة إلى النهي والانتهاء معًا، فتأمله"[٤].

القضية: مقالة الكفار لإخوانهم إذا ضربوا في الأرض أو كانوا غزى.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: نهي المؤمنين عن القول بمقالة الكافرين واعتقادها، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"نهى الله تعالى المؤمنين عن الكون مثل الكفار والمنافقين في هذا المعتقد الفاسد، الذي هو أن من سافر في تجارة ونحوها ومن قاتل فقتل لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي عرض فيه نفسه للسفر أو للقتال"[٥]، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"والمعنى: أنهم قالوا هذه المقالة قاصدين التثبيط عن الجهاد والإبعاد في الأرض، سواء كانوا معتقدين صحتها أو لم يكونوا معتقديها، إذْ كثير من الكفار قائل بأجل واحد، فخاب هذا القصد، وجعل الله ذلك القول حسرة في قلوبهم أي غمًا على ما فاتهم، إذ لم يبلغوا مقصدهم من التثبيط عن الجهاد"[٦].

٢ . ١ . ٨- الأمر بالعفو والاستغفار للمؤمنين ومشاورتهم:

---

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٥١٣/٢.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٣٠/١.

(٣) المرجع السابق، ٥٣٢/١.

(٤) نفسه: ٥٣١/١و٥٣٢.

(٥) نفسه: ٥٣٠/١.

(٦) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ١٠١/٣.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ {آل عمران: ١٥٩}

السياق: قال المراغي (١٣٧١هـ):"وقد نزلت هذه الآيات عقب وقعة أحد التي خالف فيها النبي ﷺ بعض أصحابه، وكان من جراء ذلك ما كان من الفشل وظهور المشركين عليهم، حتى أصيب النبي ﷺ مع من أصيب، فصبر و تجلد ولان في معاملة أصحابه، وخاطبهم بالرفق ولم يعاتبهم اقتداء بكتاب الله، إذ أنزل في هذه الوقعة آيات كثيرة بين فيها ما كان من ضعف بعض المسلمين وعصيانهم وتقصيرهم، حتى ذكر الظنون والهواجس النفسية، لكن مع العتب المقترن بذكر العفو والوعد بالنصر وإعلاء الكلمة"(١).

الفعل القولي: ﴿فَبِمَا﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"العرب تجعل (ما) صلة في المعرفة والنكرة واحدًا"(٢)، قال الأخفش (٢١٥هـ):"يقول: (فَبِرَحْمَةٍ) و (ما) زائدة"(٣). ﴿فَظًّا﴾ الفظ من الناس: الخشن الكلام، الغليظ الجافي في منطقه(٤). ﴿وَشَاوِرْهُمْ﴾ استخراج الرأي في الأمر المعروض، وهذا أيضًا يستمد من مذخور العقل والخبرة(٥).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿لِنتَ﴾ هذا خطاب للنبي ﷺ"(٦)، ومثله ضمائر المخاطب. ﴿لَهُمْ﴾ لنت للمؤمنين(٧)، وقال مقاتل (١٥٠هـ):"يعني المنافقين"(٨)، ومثله ضمائر جمع المذكر الغائب، والأول أقوى.

القضية: العفو والاستغفار للمؤمنين ومشاورتهم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بالعفو والاستغفار للمؤمنين ومشاورتهم والتوكل على الله عند العزم، قال الماوردي (٤٥٠هـ):"وفي أمره بالمشاورة أربعة أقاويل: أحدهما: أنه أمره بمشاورتهم في الحرب ليستقر له الرأي الصحيح فيه، قال الحسن: ما شاور قوم قط إلا هُدُوا لأرشد أمورهم، والثاني: أنه أمره بِمشاورتهم تأليفًا لهم وتطييبًا لأنفسهم، وهذا قول قتادة والربيع، والثالث: أنه أمره بمشاورتهم لِمَا علم فيها من الفضل، ولتتأسى أمته بذلك بعده ﷺ، وهذا قول الضحاك، والرابع: أنه أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشورتهم غنيًّا، وهذا قول سفيان"(٩).

---

(١) المراغي: تفسير المراغي، ١١٢/٤.

(٢) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٢٤٤/١.

(٣) الأخفش: معاني القرآن، ت: هدى محمود قراعة: ٢٣٨.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ف–ظ–ظ)، ١٦٩١/٣.

(٥) المرجع السابق، (ش–و–ر)، ١١٢٣/٢.

(٦) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١١٦٠/٢.

(٧) المرجع السابق، ١١٦٠/٢.

(٨) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣١٠/١.

(٩) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٤٣٣/١.

٢. ١. ٩- الأمر بالصبر والمصابرة والرباط وتقوى الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ {آل عمران: ٢٠٠}

السياق: قال دروزة (١٤٠٤هـ):"لم نطلع على رواية خاصة بالآية. والمتبادر أنها متصلة بالآيات السابقة ومعقبة عليها فسبيل الانتصار على الأعداء الكفار هو هذا الذي أمرت به الآية"(١).

الفعل القولي: ﴿ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ الصبر نقيض الجزع، وحقيقته الثبات للمصيبة أو المشقة والتماسك والاستمرار في ما هو فيه، وعدم الانقطاع والزوال عنه(٢)، قال الطبري (٣١٠هـ):"الأمر بالصبر على جميع معاني طاعة الله فيما أمر ونهى، صعبها وشديدها، وسهلها وخفيفها، ﴿وَصَابِرُواْ﴾ يعني: وصابروا أعداءكم من المشركين"(٣)، قال القشيري (٤٦٥هـ):"الصبر فيما تفرد به العبد، والمصابرة مع العدو، والرباط نوع من الصبر ولكن على وجه مخصوص، ويقال أول الصبر التصبر، ثم الصبر ثم المصابرة ثم الاصطبار وهو نهاية"(٤).

﴿وَرَابِطُواْ﴾ رابطوا على الصلوات؛ أي انتظروها واحدة بعد واحدة(٥). قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"أي بأن تربطوا في الثغور خيلًا بإزاء ما لهم من الخيول إرهابًا لهم وحذرًا منهم هذا أصله، ثم صار الرباط يطلق على المكث في الثغور لأجل الذب عن الدين ولو لم تكن خيول، بل وتطلق على المحافظة على الطاعات"(٦).

الإحالة: الخطاب في كل الأوامر للمؤمنين. ﴿وَرَابِطُواْ﴾ إحالة مكانية، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"أي: في الثغور بالملازمة"(٧)، وقال ابن كثير (٧٧٤هـ):"في مكان العبادة"(٨).

القضية: الصبر والمصابرة والمرابطة والتقوى.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بالصبر على الجهاد ومصابرة الأعداء والرباط والتقوى، جاء في المنتخب:"يا أيها المؤمنون تمسكوا بالصبر، وغالبوا أعداءكم به، ولازموا الثغور لحمايتها، وخافوا ربكم، ففي كل ذلك رجاء فلاحكم"(٩)، قال الرازي (٦٠٦هـ):"وقال الأصم: لما كثرت تكاليف الله في هذه السورة أمرهم بالصبر عليها، ولما كثر ترغيب الله تعالى في الجهاد في هذه السورة أمرهم بمصابرة الأعداء"(١٠).

---

(١) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٢٩٩/٧.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ص-ب-ر)، ١١٩١/٣.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٣٣٦/٦.

(٤) القشيري: لطائف الإشارات، ت: عبد اللطيف حسن، ١٩١/١و١٩٢.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٥٠٤/٧.

(٦) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٦٨/٥.

(٧) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٣٩١/١.

(٨) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد السلامة، ١٩٥/٢.

(٩) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص١٠٤.

(١٠) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسر الكبير)، ٤٧٤/٩.

٢. ١. ١٠– الأمر بنصرة المؤمنين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ {الأنفال: ٧٢}

السياق: الآية نزلت في الميراث كانوا في ابتداء الإسلام يتوارثون بالهجرة والنصرة فكان الرجل يسلم ولا يهاجر فلا يرث أخاه.. وإن استنصروكم في الدين؛ يعني هؤلاء الذين لم يهاجروا فلا تخذلوهم وانصروهم، إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق؛ عهد فلا تغدروا ولا تعاونوهم(١).

الفعل القولي:﴿ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ﴾ استعانوكم، النُصرة بالضم: حسن المعونة/ إعانة المظلوم، وهذا (أعني المعونة) هو أشيع معاني النصر، وليس الغلب من معاني التركيب الأصلية، وإنما يتأتى باللزوم للمعونة(٢)،﴿فِي ٱلدِّينِ﴾ قال ابن كثير (٧٧٤هـ):"في قتال ديني"(٣)، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والظرفية التي دلت عليها ﴿فِي﴾ ظرفية مجازية، تؤول إلى معنى التعليل، أي: طلبوا أن تنصروهم لأجل الدين، أي لرد الفتنة عنهم في دينهم إذ حاول المشركون إرجاعهم إلى دين الشرك وجب نصرهم"(٤). ﴿قَوۡمِۭ﴾ لفظ القوم يختص في الوضع العربي بالذكور دون الإناث(٥).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ﴾ استنصركم المؤمنون الذين لم يهاجروا(٦)، فعليكم أيها المؤمنون من المهاجرين والأنصار النصر(٧). ﴿قَوۡمِۭ﴾ قوم كفار قد عاهدتموهم أنتم وواثقتموهم على ترك الحرب(٨). ﴿ٱلدِّينِ﴾ دين الإسلام(٩).

القضية: نصرة المؤمنين في الدين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بنصرة المؤمنين في الدين، قال الجصاص (٣٧٠هـ):"واقتضى أيضًا إيجاب نصرة المؤمن الذي لم يهاجر إذا استنصر المهاجر على من لم يكن بينهم وبينه عهد"(١٠)، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"﴿فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ﴾ من صيغ الوجوب، أي: فواجب عليكم نصرهم، وقدم الخبر وهو ﴿فَعَلَيۡكُمُ﴾ للاهتمام به"(١١).

٢. ١. ١١– الأمر بأخذ الحذر:

---

(١) الواحدي: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: صفوان عدنان، ٤٤٩/١.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ن–ص–ر)، ٢٢٠٩/٤.

(٣) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد السلامة، ٤ /٩٧.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٨٦/١٠.

(٥) الشنقيطي: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ت: خالد عثمان السبت، ٢٠٨/٥.

(٦) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٣٨٠/٣.

(٧) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٩٤/١١.

(٨) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٥٦/٢.

(٩) الشنقيطي: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ت: خالد عثمان السبت، ٢٠٧/٥.

(١٠) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ٢٦٢/٤.

(١١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٨٦/١٠.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعٗا﴾ {النساء: ٧١}

السياق: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وهذه الآية تشير لا محالة إلى تهيئة غزوة من غزوات المسلمين، وليس في كلام السلفِ ذكر سبب نزولها، ولا شكّ أنّها لم تكن أوّل غزوة؛ لأنّ غزوة بدر وقعت قبل نزول هذه السورة، وكذلك غزوة أحد التي نزلت فيها سورة آل عمران، وليست نازلة في غزوة الأحزاب؛ لأنّ قوله ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ﴾ يقتضي أنّهم غازون لا مغزوّون، ولعلّها نزلت لمجرّد التنبيه إلى قواعد الاستعداد لغزو العدوّ، والتحذير من العدوّ الكاشح، ومن العدوّ الكائد، ولعلّها إعداد لغزوة الفتح، فإنّ هذه السورة نزلت في سنة ستّ، وكان فتح مكة في سنة ثمان، ولا شكّ أنّ تلك المدّة كانت مدّة اشتداد التألّب من العرب كلّهم لنصرة مشركي قريش والذبّ عن آلهتهم"(١).

الفعل القولي: ﴿خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾أي احذروهم أو خذوا السلاح حذرًا(٢)، ﴿ثُبَاتٍ﴾ عُصَبًا، إذا دعيتم إلى السرايا، أو دعيتم لتنفروا جميعًا(٣)، واحدتها ثُبَة، ومعناها: جماعات في تفرقة(٤).

الإحالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هذا خطاب للمخلصين من أمة محمد ﷺ(٥).

القضية: أخذ الحذر.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بأخذ الأسلحة والنفير إلى عدوهم مجتمعين أو متفرقين، قال القيسي (٤٣٧هـ):"هذا أمر من الله للمؤمنين أن يأخذوا أسلحتهم وينفروا إلى عدوهم مجتمعين أو متفرقين، جماعة بعد جماعة، يعني سرايا متفرقين"(٦)، وقال ابن العربي (٥٤٣هـ):"أمر اللَّه سبحانه المؤمنين ألا يقتحموا على عدوهم على جهالة حتى يتحسسوا إلى ما عندهم، ويعلموا كيف يردون عليهم؛ فذلك أَثْبَتُ للنفوس، وهذا معلوم بالتجْرِبة.. أمر اللَّه سبحانه الناس بالجهاد سرايا متفرقة أو مجتمعين على الأمير، فإن خرجت السرايا فلا تخرج إلا بإذن الإمام؛ ليكون مُتَحَسِّسًا إليهم وعَضُدًا من ورائهم، وربما احتاجوا إلى دَرْئِهِ"(٧).

٢. ١. ١٢– توجيه بالغاية التي يتوقف عندها الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ {البقرة: ١٩٣}

وقال تعالى:

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١٧/٥.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ح–ذ–ر)، ٣٩٤/١.

(٣) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٢٧٥/١.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ١٣٢/١.

(٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٧٧/٢.

(٦) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١٣٨٤/٢.

(٧) ابن العربي: أحكام القرآن، محمد عبد القادر عطا، ٥٨١/١.

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ {الأنفال: ٣٨}

وقال تعالى في شأن أهل الكتاب:

﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ {التوبة:٢٩}

السياق: آية البقرة وما معها من آيات "نزلت في صلح الحديبية، وقيل: نزلت في عمرو بن الحضرمي، وواقد، وهي سرية عبد الله بن جحش"[١]. وآية الأنفال وما قبلها مرتبطة بما حصل ببدر[٢]. أما آية التوبة "ذُكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله ﷺ في أمره بحرب الروم، فغزا رسول الله ﷺ بعد نزولها غزوة تبوك"[٣].

الفعل القولي:﴿فِتْنَةٌ﴾ المعنى المحوري: إذابة مادة باطن الشيء وتحويلها بإدخالها نارًا حامية، كإذابة الذهب والفضة والأرض الفتين كأنها محرقة.. ويتأتى منه تحلل نحو العقيدة التي في الباطن والتحلحل عن الموقف القلبي العقدي بالتعذيب أو غيره.. ومعناها في الآية: أي حتى لا يكون لهم قدرة على تحويل المسلم عن دينه، أو حتى يتوقفوا عن ذلك[٤]، وقال كثير من المفسرين في معنى الفتنة في آيتي البقرة والأنفال: الفتنة الشرك[٥]. ﴿الدِّينُ﴾ قال ابن حزم (٤٥٦هـ):"الدين في القرآن واللغة يكون: الشريعة، ويكون الحكم، ويكون الجزاء؛ فالجزاء في الآخرة إلى الله تعالى لا إلينا، والشريعة قد صح أن نقرهم على ما يعتقدون إذا كانوا أهل كتاب، فبقي الحكم، فوجب أن يكون كله حكم الله كما أمر"[٦]. ﴿الْجِزْيَةَ﴾ المال الذي يؤخذ من أهل الذمة[٧]. ﴿صَاغِرُونَ﴾ قال الشافعي (٢٠٤هـ):"فلم أسمع مخالفا أن الصغَار: أن يعلو حكم الإسلام على حكم الشرك ويجري عليهم"[٨].

الإحالة: من الإحالة الشخصية﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ أمر من الله ﷻ فرض به على المؤمنين أن يقاتلوا الكفار[٩]، واختلفوا هل يقصد عموم الكفار أم كفار معينين:

قال الهواري (٣٠٠هـ) في آية الأنفال:"قوله:﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: حتى لا يكون شرك، وهذه في مشركي قريش خاصة؛ وأما من سواهم من المشركين فإذا أدوا الجزية قبلت منهم ولم يقتلوا إذا أقروا بالجزية، إلا من كان دخل من العرب في دين أهل الكتاب، فإن عمر لم يقتلهم، وقبِل منهم الضِّعف مما يؤخذ من

(١) ابن الفرس: أحكام القرآن، ت: طه بن علي بو سريح وآخرون، ٢٢٥/٢.

(٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١١٥/٢.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٢٠٠/١٤.

(٤) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ف-ت-ن)، ١٦٢٨/٣.

(٥) ينظر: مقاتل (١٦٨/١-١١٥/٢)، عبد الرزاق (٣١٤/١)، الطبري: ت: شاكر، (٥٦٦/٣-٥٣٨/١٣).

(٦) ابن حزم: المحلى بالآثار، ت: عبد الغفار البنداري، ٥٢١/٨. وينظر: الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلوم، ٢٠٤/٥.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ج-ز-ي)، ٣٠٧/١.

(٨) الشافعي: الأم، ت: محمد زهري النجار، ٢٧٩/٤.

(٩) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٢٧/٢.

المسلمين من مواشيهم؛ وهو قول العامة، وكان عليٌّ يرى قتلهم"[١].

وقال الجصاص (٣٧٠هـ):"وقوله تعالى:﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ يدل على وجوب قتال سائر أصناف أهل الكفر إلا ما خصَّه الدليل من الكتاب والسنة، وهم أهل الكتاب والمجوس، فإنهم يُقَرَّوْنَ بالجزية، ويحتج به من يقول لا يقر سائر الكفار على دينهم بالذمة إلا هؤلاء الأصناف الثلاثة، لقيام الدلالة على جواز إقرارها بالجزية"[٢].

﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهود والنصارى[٣]، قال الشافعي (٢٠٤هـ):"الذين فرض الله ﷻ قتالهم حتى يعطوا الجزية الذين قامت عليهم الحجة بالبلوغ، فتركوا دين الله ﷻ، وأقاموا على ما وجدوا عليه آباءهم من أهل الكتاب"[٤].

القضية: الغاية من قتال المشركين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بقتال الكفار من الوثنيين وأهل الكتاب حتى تحقيق الغاية من القتال: دخول الإسلام أو الدخول تحت حكم الإسلام ودفع الجزية، قال الرازي (٦٠٦هـ) في تفسير آية البقرة:"فصار التقدير كأنه تعالى قال: وقاتلوهم حتى يزول الكفر ويثبت الإسلام، وحتى يزول ما يؤدي إلى العقاب ويحصل ما يؤدي إلى الثواب، ونظيره قوله تعالى:﴿تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ وفي ذلك بيان أنه تعالى إنما أمر بالقتال لهذا المقصود"[٥].

وجاء في المنتخب:"واستمروا أيها المؤمنون في قتال المشركين حتى يمتنعوا عن إفسادهم لعقائد المؤمنين بالاضطهاد والأذى، فإن انتهوا عن الكفر وإيذاء المؤمنين، وخلص الدين لله، فإن الله تعالى عليم بأعمالهم ومجازيهم عليها"[٦]، وفيه أيضًا في تفسير آية التوبة:"يا أيها الذين آمنوا، قاتلوا الكافرين من أهل الكتاب الذين لا يؤمنون إيمانًا صحيحًا بالله ولا يقرون بالبعث والجزاء إقرارًا صحيحًا، ولا يلتزمون الانتهاء عما نهي الله ورسوله عنه، ولا يعتنقون الدين الحق وهو الإسلام، قاتلوهم حتى يؤمنوا، أو يؤدوا إليكم الجزية خاضعين طائعين غير متمردين؛ ليسهموا في بناء الميزانية الإسلامية"[٧].

---

(١) الهُواري: تفسير كتاب اهل العزيز، ت: بالحاج سعيد شريفي، ٨٩/٢.

(٢) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ٢٢٩/٤.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٦٧/٢.

(٤) الشافعي: الأم، ت: محمد زهري النجار، ١٧٥/٤.

(٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٩٢/٥.

(٦) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٢٤٨.

(٧) المرجع السابق، ص٢٦٣.

٢. ٢- الطلبيات عند القتال:

اشتملت الآيات على جملة من الطلبيات عند القتال، ومن ذلك:

٢. ٢. ١- الأمر بالغلظة على الكفار والمنافقين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾ {التوبة: ٧٣}، {التحريم:٩}

السياق: الذي يظهر أن آية التحريم سبقت آية التوبة في النزول إذ سورة التوبة من آخر ما نزل بالمدينة تفضح المنافقين وأفعالهم(١).

الفعل القولي: ﴿جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"أما جهاد الكفار فبالسيف وأما جهاد المنافقين ففيه ثلاثة أقاويل: أحدها: جهادهم بيده، فإن لم يستطع فبلسانه وقلبه، فإن لم يستطع فليكفهر في وجوههم، قاله ابن مسعود، والثاني: جهادهم باللسان، وجهاد الكفار بالسيف، قاله ابن عباس، والثالث: أن جهاد الكفار بالسيف، وجهاد المنافقين بإقامة الحدود عليهم، قاله الحسن وقتادة، وكانوا أكثر من يصيب الحدود"(٢).

﴿وَٱغۡلُظۡ﴾ الشدة البالغة مع الحدة(٣).

الإحالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ الخطاب للنبي ﷺ وتدخل فيه أمته من بعده(٤).

القضية: جهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجّة واغلظ عليهم في الجهادين جميعًا، ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه، يجاهد بالحجة، وتستعمل معه الغلظة ما أمكن منها، وعن ابن مسعود:"إن لم يستطع بيده فبلسانه، فإن لم يستطع فليكفهرّ في وجهه فإن لم يستطع فبقلبه" يريد الكراهة والبغضاء والتبرأ منه"(٥)، وقال القشيري:"والمجاهدة أولها اللسان لشرح البرهان، وإيضاح الحجج والبيان، ثم إن حصل من العدو جُحْدٌ بعد إزاحة العذر، فبالوعيد والزجر، ثم إن لم ينجع الكلام ولم ينفع الملام فالقتال والحرب وبذل الوسع في الجهاد"(٦).

---

(١) ينظر: ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ٤٤٤/٢.

(٢) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٨٢/٢و٣٨٣.

(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (غ-ل-ظ)، ١٦٠٢/٣.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: التركي وآخرون، ٣٠٠/١٠.

(٥) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٤٢.

(٦) القشيري: لطائف الإشارات، ت: عبد اللطيف حسن، ٤٣٥/١.

٢. ٢. ٢– النهي عن الفرار:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحْفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ {الأنفال: ١٥ – ١٦}

السياق: نزلت في أهل بدر[١].

الفعل القولي: ﴿لَقِيتُمُ﴾ المعنى المحوري: تحصيل بالمقابلة مواجهة أو تماسًا أي بقوة.. وكل (لَقِي) و(التقى) ومضارعهما فهي بمعنى المقابلة أو الوجود القوي[٢]. ﴿زَحْفٗا﴾ سموا الجيش الكثيف (زحفًا) لأن كثافته واتساع المساحة التي يشغلها الجنود الكُثر تبدي حركتهم بطيئة[٣]، ﴿تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"فلا تولوهم ظهوركم فتنهزموا عنهم"[٤]. ﴿مُتَحَرِّفٗا﴾ انحرف وتحرف واحرورف: عدل ومال إلى حرف أو جانب[٥] قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"هو الكرّ بعد الفرّ، يخيل عدوّه أنه منهزم ثم يعطف عليه، وهو باب من خدع الحرب ومكايدها"[٦]. ﴿مُتَحَيِّزًا﴾ تحوَّز عنه وتحيَّز: كأنما اتخذ لنفسه حوزًا بعيدًا عن غيره[٧]، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"والمتحرف للقتال هو المنتقل من مكان إلى مكان للحرب، والمتحيز إلى فئة هو الملتجئ إلى فئة على جهة العود إليهم والحرب"[٨].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾، ﴿تُوَلُّوهُمُ﴾ قال أبو السعود (٩٨٢هـ):"خطابٌ للمؤمنين بحكم كلي جارٍ فيما سيقع من الوقائع والحروب، جيء به في تضاعيف القصة إظهارًا للاعتناء بشأنه، ومبالغة في حثهم على المحافظة عليه"[٩]. ﴿وَمَأۡوَىٰهُ﴾ الفار من الزحف.

من الإحالة الزمانية ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ قال ابن الفرس (٥٩٧هـ) بناء على قول الجمهور:"الإشارة إلى يوم اللقاء الذي يتضمنه قوله تعالى ﴿إِذَا لَقِيتُمُ﴾"[١٠].

القضية: الفرار عند لقاء الكفار.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية الأولى من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: النهي عن الفرار عند لقاء الكفار إلا أن يكون متحرفًا أو متحيزًا إلى فئة، قال القيسي

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٣/٤٤٠.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ل–ق–ي)، ٤/١٩٩٠.

(٣) المرجع السابق، (ز–ح–ف)، ٢/٨٨٢.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١١/٧٥.

(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ح–ر–ف)، ١/٤١٢.

(٦) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٠٧.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ح–و–ز/ح–ي–ز)، ١/٤٢٠.

(٨) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٥/١٦٦.

(٩) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٤/١٢.

(١٠) ابن الفرس: أحكام القرآن، ت: صلاح الدين بو عفيف وآخرون، ٣/٧٩.

(٤٣٧هـ):"والمعنى: إن الله أمر المؤمنين ألا يفروا من الكفار إذا تدانى بعضهم من بعض عند القتال"(١)، وقال الألوسي (١٢٧٠هـ):"وفي الآية دلالة على تحريم الفرار من الزحف على غير المتحرف أو المتحيز، وأخرج الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال:«اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله تعالى والسحر وقتل النفس التي حرم الله تعالى إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف» وجاء عده في الكبائر في غير ما حديث قالوا: وهذا إذا لم يكن العدو أكثر من الضعف لقوله تعالى:﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ﴾{الأنفال:٦٦} الآية أما إذا كان أكثر فيجوز الفرار فالآية ليست باقية على عمومها وإلى هذا ذهب أكثر أهل العلم"(٢).

٢. ٢. ٣- الأمر بالثبات وجملة من الطلبيات عند القتال:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ {الأنفال: ٤٥ – ٤٧}

السياق: قال أبو زهرة (١٣٩٤هـ):"وكأن هذه الآية وما بعدها. تعد المؤمنين للقاء أشد عن لقاء بدر؛ لأن لقاء بدر كان لأجل حماية المال، واللقاء من بعد لأجل الثأر، ولأجل إلقاء السطوة والسلطان، وهو أعنف من المال"(٣).

الفعل القولي:﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ تنقطع دولتكم(٤)،﴿بَطَرًا﴾ بَطَرُ النعمة: قلة احتمالها والطغيان بها وعدم شكرها(٥).

الإحالة:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ هو النداء الإلهي السادس للمؤمنين في هذه السورة(٦)، وبعد هذا النداء إحدى عشرة إحالة إلى المؤمنين، ﴿فِئَةً﴾ أي حاربتم جماعةً من الكفرة وإنما لم يوصَفوا بالكفر لظهور أن المؤمنين لا يحارِبون إلا الكفرة(٧)، ﴿كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ﴾ هم قريش: أبو جهل وأصحابه خرجوا يوم بدر(٨)، ﴿دِيَـٰرِهِم﴾ مكة(٩).

---

(١) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٢٧٦٠/٤و٢٧٦١.

(٢) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ١٧٠/٥.

(٣) أبو زهرة: زهرة التفاسير، ٣١٤٧/٦.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ٢٤٧/١.

(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ب-ط-ر)، ١٣٧/١.

(٦) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ٢٤/١٠.

(٧) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٤٥/٤.

(٨) عبد الرزاق: تفسير عبد الرزاق، ت: محمود محمد عبده، ١٢٤/٢.

(٩) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٢٠/٢.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: جملة من الأوامر والنواهي من الله ﷻ للمؤمنين للتحلي بها في قتالهم لأعدائهم، قال الطبري (٣١٠هـ):"هذا تعريف من الله جل ثناؤه أهل الإيمان به السيرة في حرب أعدائه من أهل الكفر به، والأفعال التي يرجى لهم باستعمالها عند لقائهم النصرة عليهم والظفر بهم"(١)، وقال درْوزة:"نداء موجه للمسلمين يؤمرون به بالثبات في القتال حينما يلتحمون مع فئة من أعدائهم ويلقونها، وبذكر الله كثيرًا آنذاك؛ حيث يضمن لهم ذلك الروحانية والتأييد والفلاح، ويحثون به على طاعة الله ورسوله في كل موقف ويحذرون به من التنازع والاختلاف؛ لأن فيهما فشلهم وإدبار أمرهم، ويؤمرون فيه بالصبر؛ لأن ذلك يضمن لهم نصر الله وتأييده، وينهون به عن أن يكونوا مثل الكفار الذين خرجوا من مكة يملأهم الفخر والزهو والبطر وحبّ التظاهر وهم يصدون عن سبيل الله، والله محيط بهم ومحبط لأعمالهم"(٢).

٢. ٢. ٤- النهي عن العدوان:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ {البقرة: ١٩٠}

السياق: وذلك أن الله ﷻ نهى النبي ﷺ والمؤمنين عن الشهر الحرام أن يقاتلوا في الحرم إلا أن يبدأهم المشركون بالقتال، وأن النبي ﷺ بينا هو وأصحابه معتمرون إلى مكة في ذي القعدة، وهم محرمون عام الحديبية، والمسلمون يومئذ ألف وأربعمائة رجل، فصدهم مشركو مكة عن المسجد الحرام وبدأوهم بالقتال، فرخص الله في القتال، فقال سبحانه:﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ فتبدأوا بقتالهم في الشهر الحرام وفي الحرم، فإنه عدوان(٣).

الفعل القولي:﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"فيها قولان: أحدهما: أنها أول آية نزلت بالمدينة في قتال المشركين، أُمِرَ المسلمون فيها بقتال مَنْ قاتلهم من المشركين، والكف عمن كف عنهم، ثم نُسِخَتْ بسورة براءة، وهذا قول الربيع، وابن زيد، والثاني: أنها ثابتة في الحكم، أُمِرَ فيها بقتال المشركين كافة، والاعتداء الذي نهوا عنه: قتل النساء والولدان، وهذا قول ابن عباس، وعمر بن عبد العزيز، ومجاهد"(٤)، ورجح الطبري (٣١٠هـ) عدم النسخ فقال:"وأولى هذين القولين بالصواب القول الذي قاله عمر بن عبد العزيز؛ لأن دعوى المدعي نسخ آية محتمل أن تكون غير منسوخة بغير دلالة على صحة دعواه تحكم، والتحكم لا يعجز عنه أحد"(٥).

وقال الماوردي (٤٥٠هـ) في معنى الاعتداء:"ثلاثة أقاويل: أحدها: أن الاعتداء قتال من لم يقاتل، والثاني: أنه قتل النساء والولدان، والثالث: أنه القتال على غير الدِّين"(٦).

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢١٣/١١.

(٢) محمد عزة درْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٦٧/٧.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٦٧/١.

(٤) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢٥١/١.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٩١/٣.

(٦) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢٥١/١.

الإحالة: ﴿وَقَٰتِلُواْ﴾ قال القرطبي (٦٧١هـ):"روى أشهب عن مالك أن المراد بقوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ أهل المدينة (الحديبية) أمروا بقتال من قاتلهم، والصحيح أنه خطاب لجميع المسلمين"(١).

القضية: العدوان في القتال.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بقتال من قاتل والنهي عن العدوان، قال الطبري (٣١٠هـ):"فتأويل الآية إذا كان الأمر على ما وصفنا: وقاتلوا أيها المؤمنون في سبيل الله وسبيله: طريقه الذي أوضحه ودينه الذي شرعه لعباده، يقول لهم تعالى ذكره: قاتلوا في طاعتي، وعلى ما شرعت لكم من ديني، وادعوا إليه من ولَّى عنه، واستكبر بالأيدي والألسن، حتى ينيبوا إلى طاعتي، أو يعطوكم الجزية صغارًا إن كانوا أهل كتاب، وأمرهم تعالى ذكره بقتال من كان منه قتال من مقاتلة أهل الكفر دون من لم يكن منه قتال من نسائهم وذراريهم، فإنهم أموال وخول لهم إذا غلب المقاتلون منهم فقهروا، فذلك معنى قوله: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ لأنه أباح الكفّ عمن كفّ، فلم يقاتل من مشركي أهل الأوثان والكافين عن قتال المسلمين من كفار أهل الكتاب على إعطاء الجزية صَغارًا، فمعنى قوله: ﴿وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ﴾ ولا تقتلوا وليدًا ولا امرأة ولا من أعطاكم الجزية من أهل الكتابين والمجوس، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ الذين يجاوزون حدوده، فيستحلون ما حرّمه الله عليهم من قتل هؤلاء الذين حرم قتلهم من نساء المشركين وذراريهم"(٢).

٢. ٢. ٥- الأمر بالتبين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ {النساء: ٩٤}

السياق: قال ابن عباس رضي الله عنهما:"كان رجل في غُنَيْمَة له، فلحقه المسلمون، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فأنزل الله في ذلك إلى قوله ﴿تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ تلك الغنيمة"(٣).

الفعل القولي: قرأ حمزة والكسائي وخلف (فتثَبَّتُوا) في الموضعين، والباقون (فتبَيَّنُوا)(٤)، قال الفراء (٢٠٧هـ):"وهما متقاربتان في المعنى، تقول للرجل: لا تعجل بإقامة حتى تتبين وتتثبت"(٥).

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: التركي وآخرون، ٢٤١/٣.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٩٢/٣.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة النساء، باب (ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمنا)، رقم (٤٥٩١)، ٤٧/٦.

(٤) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٩٣.

(٥) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٢٨٣/١.

وقرأ نافع وابن عامر وحمزة وأبو جعفر وخلف (السَّلَم)، والباقون (السَّلَام)[١]، قال الطبري (٣١٠هـ):"قَرَأَةُ المكيين والمدنيين والكوفيين (السّلَمَ) بغير ألف، بمعنى الاستسلام، وقرأه بعض الكوفيين والبصريين: (السّلَامَ) بالألف، بمعنى التحية"[٢].

وقرأ ابن وردان (لست مؤمَنا)، والباقون (لست مؤمِنا)[٣]، بفتح الميم أي: لسنا نؤمنك[٤].

الإحالة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ خطاب مع المؤمنين[٥].

القضية: التبين في القتال.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: أمر من الله ﷻ للمؤمنين بالتبين إذا خرجوا للجهاد حتى لا يسفكوا دمًا حرامًا، قال القيسي (٤٣٧هـ):"ومعنى الآية أن الله تعالى أمر المؤمنين إذا ضربوا في الأرض أي: ساروا في الجهاد أن يتثبتوا في القتل، إذا أشكل عليهم الأمر، فلم يعرفوا حقيقة إسلام من أرادوا قتله، وأن لا يقولوا لمن ألقى إليهم السلم، أي: من استسلم في أيديهم ﴿لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا﴾ ليأخذوا ما معه"[٦]، وقال الرازي (٦٠٦هـ):"اعلم أن المقصود من هذه الآية المبالغة في تحريم قتل المؤمنين، وأمر المجاهدين بالتثبيت فيه؛ لئلا يسفكوا دمًا حرامًا بتأويل ضعيف"[٧].

٢. ٢. ٦- أماكن قتال المشركين وحكم القتال عند المسجد الحرام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ {البقرة: ١٩١}

السياق: مرّ أنّ تلك الآيات "نزلت في صلح الحديبية، وقيل: نزلت في عمرو بن الحضرمي، وواقد، وهي سرية عبد الله بن جحش"[٨]

الفعل القولي: قرأ حمزة والكسائي وخلف (تَقْتُلوهم) (يَقْتُلوكم)، والباقون (تُقَاتِلوهم) (يُقَاتِلوكم)، وقرأ حمزة والكسائي وخلف (قَتَلُوكم)، والباقون (قَاتَلُوكم)[٩].

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرأ بالألف: قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾ {البقرة:١٩٠} وقوله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ {البقرة:١٩٣} والقتال إنما يؤمر به الأحياء، فأما المقتولون فإنهم لا

---

(١) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٩٣.
(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٣٦٢/٧.
(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٩٣.
(٤) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١٤٣٤/٢.
(٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٨٩/١١.
(٦) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١٤٣٣/٢.
(٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٨٩/١١.
(٨) ابن الفرس: أحكام القرآن، ت: طه بن علي بو سريح وآخرون، ٢٢٥/٢.
(٩) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٣٠.

يقاتلون فيؤمروا به.

وحجة من قرأ بغير ألف: إن وصف المؤمنين بالقتل في سبيل الله أبلغ في المدح والثناء عليهم، وأن معنى ذلك أن يقتلوا بعضكم، وحكى الفراء عن العرب أنهم يقولون: (قتلنا بني فلان) وإنما قتلوا بعضهم، وحجة أخرى: إن تفسير ذلك لا تبدؤوهم بالقتل حتي يبدؤوكم به"(١).

﴿ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾قال الطبري (٣١٠هـ):"الثقافة بالأمر: الحِذْق به والبصر، يقال: إنه لثَقِفٌ لَقِفْ، إذا كان جيد الحذر في القتال بصيرًا بمواقع القتل"(٢)، وسائر ما في القرآن من التركيب هو بمعنى التمكن التام من الشيء(٣)، ﴿وَٱلْفِتْنَةُ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"يعني بالفتنة الكفر في قول الجميع وإنما سمي الكفر فتنة؛ لأنه يؤدي إلى الهلاك كالفتنة"(٤).

الإحالة:﴿وَٱقْتُلُوهُمْ﴾ مرّ أن الصحيح كونها خطابًا لكل المسلمين وليس لأهل الحديبية فقط، أما ضمير المفعول فقال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"أي الذين يقاتلونكم"(٥)، ﴿حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ إحالة مكانية وزمانية، قال الطبري (٣١٠هـ):"في أيّ مكان تمكنتم من قتلهم وأبصرتم مَقاتلَهم"(٦)، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"لفظ: حيث يعبر عن المكان، ففيه إذن بقتلهم في جميع الأمكنة، وفي تعميم الأمكنة تعميم الأوقات، فهو على عموم المكان إلا فيما استثنى من المسجد الحرام مطلقًا"(٧)، ﴿وَأَخْرِجُوهُم﴾أي: من المكان الذي أخرجوكم منه، يعني مكة(٨)، ﴿ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ يعني أرض الحرم كله(٩)، ﴿كَذَٰلِكَ﴾ القتل والإخراج(١٠).

القضية: أماكن قتال المشركين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: أمر للمؤمنين بقتال المشركين الذين يقاتلونهم أينما كانوا، والنهي عن البدء بقتالهم في مكة، قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"نهي للمؤمنين أن يبدؤوا القتال في ذلك الموطن الشريف حتى يكون هم الذين يبدؤون، فالنهي عن المقاتلة التي هي فعل اثنين باعتبار نهيهم عن الابتداء بها الذي يكون سببًا لحصولها، وكذا كونها غاية

---

(١) ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني: ١٢٨.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٩٣/٣.

(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ث-ق-ف)، ٢٤٥/١.

(٤) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢٥١/١.

(٥) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٠٨/٣.

(٦) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٩٣/٣.

(٧) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٦٤/٢.

(٨) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٧٤/٢.

(٩) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٦٨/١.

(١٠) المحلي والسيوطي: تفسير الجلالين، ص٤٠.

باعتبار المفاتحة؛ لئلا يلزم كون الشيء غاية لنفسه"(١).

٢. ٢. ٧- الأمر بتشريد الناقضين للعهود:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ {الأنفال: ٥٧}

السياق: عن ابن عباس ﷺ:"نزلت في بني قريظة، كعب بن الأشرف وأصحابه؛ لأنهم عاهدوا رسول الله ﷺ، ثم نقضوا العهد، وأعانوا أهل مكة بالسلاح على قتال النبي ﷺ، ثم قالوا: نسينا وأخطأنا. فعاهدهم مرة أُخرى، فنقضوا العهد"(٢).

الفعل القولي: ﴿فَشَرِّدْ بِهِم﴾ أي فرق وبدد جمعهم، إن أسرتهم يا محمد فنكل بهم من خلفهم ممن تخاف نقضهم للعهد لعلهم يذكرون فلا ينقضون العهد، فزع بهم من خلفهم(٣).

الإحالة: ﴿تَثْقَفَنَّهُمْ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، والهاء يقصد بها كما قال الطبري (٣١٠هـ):"الذين عاهدتهم فنقضوا عهدك مرة بعد مرة من قريظة"(٤)، ﴿مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ لمن بعدهم من العدو وأهل عهدك(٥).

القضية: تشريد الذين ينقضون العهد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بتشريد الذين نقضوا العهود ليعتبر بهم من خلفهم، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"أمر الله رسوله ﷺ في هذا الأمر بالإغلاظ على العدو لما في ذلك من مصلحة إرهاب أعدائه، فإنهم كانوا يستضعفون المسلمين، فكان في هذا الإغلاظ على الناكثين تحريض على عقوبتهم؛ لأنهم استحقوها، وفي ذلك رحمة لغيرهم؛ لأنه يصد أمثالهم عن النكث ويكفي المؤمنين شر الناكثين الخائنين، فلا تخالف هذه الشدة كونَ الرسول ﷺ أرسل رحمة للعالمين؛ لأن المراد أنه رحمة لعموم العالمين، وإن كان ذلك لا يخلو من شدة على قليل منهم"(٦).

٢. ٢. ٨- الأمر بضرب رقاب المشركين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ﴾ {محمد: ٤}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱضْرِبُواْ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُواْ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ {الأنفال:١٢}

---

(١) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٤٧١/١.

(٢) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٢٧/٢.

(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ش-ر-د)، ١١٢٧/٢.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٣٦/١١.

(٥) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٢٢/٢.

(٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٥٠/١٠.

السياق: آية محمد نزلت في وقعة أحد[١]، وآية الأنفال نزلت في وقعة بدر[٢].

الفعل القولي: ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"أصله: فاضربوا الرقاب ضربًا، فحذف الفعل وقدّم المصدر فأنيب منابه مضافًا إلى المفعول، وفيه اختصار مع إعطاء معنى التوكيد؛ لأنك تذكر المصدر وتدل على الفعل بالنصبة التي فيه، وضرب الرقاب عبارة عن القتل وإن ضرب غير رقبته من المقاتل؛ لأنّ الواجب أن تضرب الرقاب خاصة دون غيرها من الأعضاء، وذلك أنهم كانوا يقولون: ضرب الأمير رقبة فلان، وضرب عنقه وعلاوته، وضرب ما فيه عيناه إذا قتله، وذلك أن قتل الإنسان أكثر ما يكون بضرب رقبته، فوقع عبارة عن القتل، وإن ضرب بغير رقبته من المقاتل كما ذكرنا في قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ﴾ {الشورى:٣٠} على أن في هذه العبارة من الغلظة والشدّة ما ليس في لفظ القتل، لما فيه من تصوير القتل بأشنع صورة وهو حز العنق وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه، ولقد زاد في هذه الغلظة في قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾{الأنفال:١٢}"[٣]، ﴿بَنَانٖ﴾ البنان: الأصابع وقيل: أطرافها، واحدتها: بَنانة[٤].

الإحالة: ﴿لَقِيتُمُ﴾ الخطاب في الآيات موجه إلى المسلمين[٥]، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"قولان: أحدهما: أنهم عبدة الأوثان، قاله ابن عباس، الثاني: كل من خالف دين الإسلام من مشرك أو كتابي إذا لم يكن صاحب عهد ولا ذمة"[٦]، قال ابن العربي (٥٤٣هـ) في تفسير آية محمد:"وهو الصحيح لعموم الآية فيه"[٧]. ﴿فَٱضۡرِبُواْ﴾ قال الإيجي (٩٠٥هـ):"قيل: الخطاب في قوله فاضربوا للمؤمنين، والأكثرون على أنه للملائكة"[٨].

القضية: ضرب رقاب المشركين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بضرب رقاب المشركين، قال ابن العربي (٥٤٣هـ) في آية محمد:"هذه الآية من أمهات الآيات ومحكماتها؛ أمر الله سبحانه فيها بالقتال وبين كيفيته كما بينه في قوله تعالى: ﴿فَٱضۡرِبُواْ فَوۡقَ ٱلۡأَعۡنَاقِ وَٱضۡرِبُواْ مِنۡهُمۡ كُلَّ بَنَانٖ﴾ {الأنفال:١٢}"[٩].

٢. ٢. ٩- النهي عن الوهن والدعوة للسلم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ {محمد: ٣٥}

---

(١) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٩٠/٢١.

(٢) ينظر: مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٠٤/٢.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص١٠١٧و١٠١٨.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ب–ن–ن)، ١٧٩/١.

(٥) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٣٠١/٨.

(٦) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢٩٢/٥و٢٩٣.

(٧) ابن العربي: أحكام القرآن، محمد عبد القادر عطا، ١٣٠/٤.

(٨) الإيجي: جامع البيان في تفسير القرآن، ١٠/٢.

(٩) ابن العربي: أحكام القرآن، محمد عبد القادر عطا، ١٣١/٤.

السياق: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"هذه السورة نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة أُحُد، في مدة لم يكن فيها قتال بين المسلمين والمشركين، ولكن التحذير من أن يستوهنهم المنافقون عند توجه أمر القتال فيقولوا: لو سالمنا القوم مدة حتى نستعيد عُدتنا ونسترجع قوتنا بعد يوم بدر"(١).

الفعل القولي: قرا شعبة وحمزة وخلف (السِلم)، وقرأ الباقون (السَلم)(٢). ﴿يَتِرَكُمْ﴾ لن يضيعها أو ينقص أجرها(٣).

الإحالة:﴿تَهِنُواْ﴾ قال الخازن (٧٤١هـ):"الخطاب فيه لأصحاب النبي ﷺ، ثم هو عام لجميع المسلمين"(٤).

القضية: الدعاء إلى السلم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: النهي عن الوهن والدعاء إلى السلم، قال الجصاص (٣٧٠هـ):"فيه الدلالة على امتناع جواز طلب الصلح من المشركين، وهو بيان لما أكد فرضه من قتال مشركي العرب حتى يُسلموا وقتال أهل الكتاب ومشركي العجم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، والصلح على غير إعطاء الجزية خارج عن مقتضى الآيات الموجبة لما وصفنا، فأكد النهي عن الصلح بالنص عليه في هذه الآية"(٥).

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"فتحصل مما تقرر أن الدعاء إلى السلم المنهي عنه هو طلب المسالمة من العدّو في حال قدرة المسلمين وخوف العدوّ منهم، فهو سلم مقيد بكون المسلمين داعين له وبكونه عن وهن في حال قوة، قال قتادة: أي لا تكونوا أول الطائفتين ضَرعت إلى صاحبتها. فهذا لا ينافي السلم المأذون فيه بقوله:﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ {الأنفال: ٦١} فإنه سلم طلبه العدو، فليست هذه الآية ناسخة لآية الأنفال ولا العكس ولكل حالة خاصة، ومقيّد بكون المسلمين في حالة قوة ومنعة وعِدّة وعُدّة بحيث يدعون إلى السلم رغبة في الدعَة. فإذا كان للمسلمين مصلحة في السلم أو كان أخفّ ضرًّا عليهم فلهم أن يبتدئوا إذا احتاجوا إليه وأن يجيبوا إليه إذا دعُوا إليه"(٦).

٢. ٢. ١٠– الأمر بقصر الصلاة أثناء القتال:

قَالَ تَعَالَى:﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ {النساء:١٠١}

السياق: قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وأعظم الروايات والأحاديث على أن صلاة الخوف إنما نزلت الرخصة فيها

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٣٠/٢٦.

(٢) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٥١٠.

(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (و–ت–ر)، ٢٠٤/١.

(٤) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ت: عبد السلام شاهين، ١٥٠/٤.

(٥) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ٢٧١/٥.

(٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٣١/٢٦.

في غزوة ذات الرقاع، وهي غزوة محارب وخصفة، وفي بعض الروايات: أنها نزلت في ناحية عسفان وضَجْنان"(١).

الفعل القولي: ﴿تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"تقصروا من عددها، فتصلوا ما كان لكم عدده منها في الحضر وأنتم مقيمون أربعًا اثنتين، في قول بعضهم، وقيل: معناه: لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة التي عددها في حال ضربكم في الأرض اثنتان إلى واحدة في قول آخرين، وقال آخرون: معنى ذلك لا جناح عليكم أن تقصروا من حدود الصلاة"(٢)، ﴿يَفْتِنَكُمُ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"فتنتهم إياهم فيها: حملهم عليهم وهم فيها ساجدون، حتى يقتلوهم أو يأسروهم، فيمنعوهم من إقامتها وأدائها، ويحولوا بينهم وبين عبادة الله وإخلاص التوحيد له"(٣).

الإحالة: ﴿ضَرَبْتُمْ﴾ الخطاب للمؤمنين، ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ الذين كفروا من أهل مكة(٤).

القضية: الصلاة في السفر.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: توجيه المؤمنين لكيفية أداء الصلاة في زمن الخوف، قال الرازي (٦٠٦هـ):"اعلم أن أحد الأمور التي يحتاج المجاهد إليها معرفة كيفية أداء الصلاة في زمان الخوف، والاشتغال بمحاربة العدو؛ فلهذا المعنى ذكره الله تعالى في هذه الآية"(٥).

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٢/١٠٥. عسفان ضجنان: اسما جبلين.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٧/٤٠٤.

(٣) المرجع السابق، ٧/٤٠٤.

(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١/٤٠٣.

(٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١١/١٩٩.

٢. ٣– الطلبيات بعد القتال:

اشتملت الآيات على جملة من الطلبيات بعد القتال، ومن ذلك:

٢. ٣. ١– الأمر بذكر الله بعد النصر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ {النصر: ١ – ٣}

السياق: عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، قال: قال لي ابن عباس: تعلم – وقال هارون: تدري – آخر سورة نزلت من القرآن، نزلت جميعا؟ قلت: «نعم، إذا جاء نصر الله والفتح»، قال: صدقت[١].

الفعل القولي: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"التسبيح هو التنزيه، والتنزيه عن جميع معاني الخلق، والوصف بما يليق به، قال: نزهه وبرّئه بالثناء عليه، وصفه بالصفات العلا، وسمه بالأسماء الحسنى التي علمك ربك، ويحتمل أن يكون معنى قوله:﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ﴾ أي قل: سبحان الله وبحمده على ما جاء في الأخبار أن النبي ﷺ كان يكثر من دعائه:(سبحان الله وبحمده، وأستغفر الله وأتوب إليه) وهذا لأن (سبحان الله) حرف جامع يجمع جميع ما يستحق من الثناء عليه، والوصف له بالعلو والعظمة والجلال، والتنزيه عن جميع العيوب والآفات، وعن جميع معاني الخلق، جعل لهم هذا الحرف الجامع لما عرف عجزهم عن القيام بالوصف بجميع ما يستحق من الثناء عليه، وكذلك حرف (الحمد لله) هو حرف جامع يجمع شكر جميع ما أنعم عليهم، جعل لهم ذلك لما عرف من عجزهم وقلة شكر ما أنعم عليهم واحدًا بعد واحد"[٢].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿فَسَبِّحۡ﴾ الخطاب للنبي محمد ﷺ. ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ استغفر ربك، قال الطوسي (٤٦٠هـ):"ومخرجه مخرج الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله، وهو تعليم لجميع أمته"[٣].

القضية: ما على المؤمنين فعله عند النصر.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف قوله تعالى ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُ﴾ من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بالتسبيح بحمد الله والاستغفار عند النصر، جاء في المنتخب:"طلبت هذه السورة من رسول الله إذا جاءه نصر الله والفتح، ورأيت الناس يدخلون في دين الله جماعات أن تسبح بحمد ربك، وتنزهه عما لا يليق به، وتستغفره لنفسك وللمؤمنين؛ لأنه التواب الذي يقبل التوبة من عباده، ويعفو عن السيئات"[٤].

٢. ٣. ٢– إباحة الغنائم ومال الفداء:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ {الأنفال: ٦٩}

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب التفسير، رقم (٣٠٢٤)، ٢٣١٨/٤.

(٢) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٦٣٥/١٠و٦٣٦.

(٣) الطوسي: التبيان في تفسير القرآن، ت: أحمد حبيب قصير، ٤٢٥/١٠.

(٤) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٩٣٣.

السياق: نزلت في إباحة الغنائم بعد غزوة بدر(١).

الفعل القولي:﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"وخافوا الله أن تعودوا أن تفعلوا في دينكم شيئًا بعد هذه من قبل أن يُعهد فيه إليكم، كما فعلتم في أخذ الفداء وأكل الغنيمة وأخذتموهما من قبل أن يحلا لكم"(٢).

الإحالة:﴿فَكُلُواْ﴾،﴿غَنِمۡتُمۡ﴾ للمؤمنين من أهل بدر(٣).

القضية: غنائم الحرب.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: أمر لإباحة الغنائم وفداء الأسرى، قال الجصاص (٣٧٠هـ):"فيه إباحة الغنائم وقد كانت محظورة قبل ذلك"(٤)، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"نص على إباحة المال الذي أخذ من الأسرى وإلحاق له بالغنيمة التي كان تقدم تحليلها"(٥)، ويرى أبو حيان (٧٤٥هـ) أنها أبيحت من قبل:"وليس هذا الأمر منشأً لإباحة الغنائم إذ قد سبق تحليلها قبل يوم بدر، ولكنه أمر يفيد التوكيد، واندراج مال الفداء في عموم ما غنمتم، إذ كان قد وقع العتاب في الميل للفداء ثم أقرّه الرسول"(٦).

٢. ٣. ٣- الأمر بأسر المشركين بعد الإثخان فيهم:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ﴾ {محمد: ٤}

السياق: مرّ الكلام عن السورة ونزولها.

الفعل القولي:﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ يعني: الأسر(٧)، ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"فإما أن تمنوا عليهم بعد ذلك بإطلاقكم إياهم من الأسر، وتحرروهم بغير عوض ولا فدية، وإما أن يفادوكم فداء بأن يعطوكم من أنفسهم عوضًا حتى تطلقوهم، وتخلوا لهم السبيل"(٨)، ﴿أَوۡزَارَهَا﴾ آثامها وشركها حتى لا يبقى إلاّ مسلم، أو مسالم(٩).

الإحالة:﴿فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾ الخطاب في الآيات موجه إلى المسلمين(١٠)، ﴿أَثۡخَنتُمُوهُمۡ﴾ من مشركي العرب(١١)، ﴿أَوۡزَارَهَا﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"والهاء التي في أوزارها تكون للحرب وأنت تعنى: أوزار أهلها، وتكون لأهل الشرك

---

(١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٢٦/٢.
(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٨٣/١١.
(٣) المرجع السابق، ٢٨٣/١١.
(٤) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ٢٦٠/٤.
(٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٥٤/٢.
(٦) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٥١٥/٤و٥١٦.
(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٤/٤.
(٨) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٨٣/٢١.
(٩) الفراء: معاني القرآن، ت: عبد الفتاح شلبي، ٥٧/٣.
(١٠) محمد عزة درْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٣٠١/٨.
(١١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٤/٤.

خاصةً، كقولك: حتى تنفي الحرب أوزار المشركين"[١].

القضية: المن على الأسرى أو فداؤهم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: الأمر بأسر من تبقى من المشركين بعد الإثخان فيهم وتخيير ولي الأمر في التعامل معهم، قال دَرْوزة:"تضمنت تشريعًا في حق الأسرى، فالمسلمون مخيرون فيهم بعد ذلك: فإما أن يمنوا ويتفضلوا عليهم فيطلقوهم بدون فداء، وإما أن يطلقوهم بفداء"[٢].

٢. ٣. ٤- وعظ الأسرى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ {الأنفال: ٧٠ - ٧١}

السياق: في غزوة بدر.

الفعل القولي: قرأ أبو عمرو وأبو جعفر (الأُسَارى)، وقرأ الباقون (الأَسْرى)[٣].

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"قال أبو عمرو: إذا كان عند القتال فأسر القوم عدوهم فهم الأسرى، فإذا ذهبت زحمة القتال فصاروا في أيديهم فهم الأسارى، وقال أيضًا:ما كان في الأيدي وفي السجن فإنها أسارى، وما لم يكن في الأيدي ولا في السجن فقل ما شئت: أسرى وأسارى.

وحجة من قرأ (الأسرى) أن العرب جمعت على (فَعْلى) من كانت به دمامة أو مرض يمنعه من النهوض، فقالوا في صريع: صَرْعى، وجريح: جَرْحى، ولما كان الأسر آفة تدخل على الإنسان فتمنعه من النهوض أُجري مجرى ذوي العاهات، فقالوا: أسير وأَسْرى"[٤].

قال السمرقندي (٣٧٣هـ):"فمن قرأ الأسرى فهو جمع الأسرى، يقال: أسير وأسرى مثل جريح وجرحى، ومريض ومرضى، وقتيل وقتلى؛ من قرأ الأسارى فهو جمع الجمع؛ ويقال هما لغتان بمعنى واحد"[٥].

الإحالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ قيل: الخطاب للنبي ﷺ وأصحابه، وقيل: له وحده[٦]، قال النحاس (٣٣٨هـ):"المخاطبة له مخاطبة لأمته"[٧]، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"أقبل على نبيه ﷺ بالأمر بمخاطبتهم تنبيهًا على أنهم ليسوا بأهل لخطابه سبحانه بما أبعدوا أنفسهم عنه من اختيارهم الكون في زمرة الأعداء على الكون في عداد

---

(١) الفراء: معاني القرآن، ت: عبد الفتاح شلبي، ٥٧/٣و٥٨.

(٢) محمد عزة دَرْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٣٠١/٨.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٨٦.

(٤) ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني: ٣١٤.

(٥) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٢٧/٢.

(٦) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: التركي وآخرون، ٨٠/١٠.

(٧) النحاس: إعراب القرآن، ت: عبد المنعم خليل، ١٠٦/٢.

الأولياء"[١]، ﴿مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"عن الضحاك قال: يعني العباس وأصحابه، أسروا يوم بدر"[٢]، ﴿مِن قَبۡلُ﴾ من قبل هذا الذي نزل بهم ببدر[٣].

القضية: حال سرائر بعض الأسرى.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيتين من الأفعال الطلبية.

القوة الإنجازية: أمر من الله ﷻ للنبي ﷺ والمؤمنين من بعده أن يدعو الأسرى إلى الإيمان بالله وإصلاح أنفسهم، ويرغبهم في ذلك، قال درْوزة (١٤٠٤هـ):"في هاتين الآيتين أمر للنبي بمخاطبة الأسرى وتبشيرهم وإنذارهم: فإذا حسنت نياتهم وطهرت قلوبهم فالله معوضهم خيرًا مما أخذ منهم من الفداء، وغافرٌ لهم ما أسلفوه وهو الغفور الرحيم، أما إذا أضمروا الخيانة لعهد النبي فليذكروا أنهم خانوا الله من قبل بوقوفهم موقف الكفر والأذى، فمكّن الله المسلمين منهم فنكلوا بهم، وهو العليم بكل شيء الحكيم الذي يأمر بما فيه الثواب والحكمة"[٤].

---

(١) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣٣٣/٨.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٨٧/١١.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٢٨/٢.

(٤) محمد عزة درْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٩٤/٧.

٣- الأفعال الالتزامية (الوعديات).

في التقسيم الذي وضعه أوستن للأفعال الكلامية خصص قسمًا لأفعال التعهد (الوعديات) Commissives وهي التي تعبر عن تعهد المتكلم بفعل شيء أو إلزام نفسه به، مثل: أعد، أتعهد، أضمن.

وأبقى سيرل على هذا الصنف في تقسيمه للأفعال الكلامية وحدد الغرض الإنجازي له بأنه تعهد من المتكلم لمباشرة مساق الفعل الممثل في المحتوى الخبري، ومن أمثلتها تلك الأفعال المواعيد والنذور والرهون والعقود والضمانات والتهديد ولكنه ضد مصلحة المستمع ولا يعود عليه بالنفع، وبين أن اتجاه المطابقة لها من العالم إلى القول (world-to words)، وهي لا يمكن أن تكون صادقة أو كاذبة، ولكن يمكن أن يتم تنفذيها أو يحافظ عليها، أو يحنث بها، وحدد شرط الإخلاص لها بأنه دائمًا "القصد"، فكل وعد أو تهديد مثلا هو تعبير عن قصد للقيام بشيء ما.

وقد فضلت استخدام اسم الالتزاميات بديلا عن الوعديات؛ لأنها تشمل الوعد والوعيد معًا، وقسمت الآيات التي رأيت أنها تدخل تحت هذا القسم إلى: وعد ووعيد؛ الوعد للمؤمنين الصادقين الذين استجابوا لله وللرسول ﷺ وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، والوعيد للمتخاذلين عن الجهاد من المسلمين، أو الكفار المحاربين لدين الله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين.

٣. ١- الوعد:

يأتي الوعد كثيرًا في آيات الجهاد على صورة الخبر، للدلالة على أن الوعد منه سبحانه متحقق لا شك فيه، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ {الحج:٣٩}: "وهذا وعد من الله بالنصر وارد على سنن كلام العظيم المقتدر بإيراد الوعد في صورة الإخبار بأن ذلك بمحل العلم منه ونحوه، كقولهم: عسى أن يكون كذا، أو أن عندنا خيرًا، أو نحو ذلك، بحيث لا يبقى للمترقب شك في الفوز بمطلوبه"(١).

٣. ١. ١- الوعد بالهداية للمجاهدين:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ {العنكبوت: ٦٩}

السياق: قال يحيى بن سلام (٢٠٠هـ): "نزلت قبل أن يُؤمر بالجهاد، ثم أُمر بالجهاد بعدُ بالمدينة(٢).

الفعل القولي: قرأ أبو عمرو (سبْلنا)، والباقون (سبُلنا)(٣)، ﴿جَٰهَدُواْ فِينَا﴾: عملوا لنا(٤)، وقيل: قاتلوا فينا(٥)، قال ابن عطية (٥٤٢هـ): "قال الفقيه الإمام القاضي: فهي قبل الجهاد العرفي وإنما هو جهاد عام في دين الله وطلب مرضاته"(٦). قال الزمخشري (٥٣٨هـ): "أطلق المجاهدة ولم يقيدها بمفعول؛ ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧٤/١٧.

(٢) يحيى بن سلام: تفسير يحيى بن سلام، ت: هند شلبي، ٦٤٢/٢.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٤٠٤.

(٤) يحيى بن سلام: تفسير يحيى بن سلام، ت: هند شلبي، ٦٤١/٢.

(٥) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٤٤٥/١٨.

(٦) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٣٢٦/٤.

الأمّارة بالسوء والشيطان وأعداء الدين"[١]. ﴿سُبُلَنَا﴾: يحتمل أن تكون طرق الجنة ومسالكها، ويحتمل أن تكون سبل الأعمال المؤدية إلى الجنة والعقائد النيرة[٢]، وجاءت جمعًا على خلاف أسلوب القرآن في غيرها، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"ذكر السبيل ههنا لما سبق ذكر الجماعة؛ يقول: والذين جاهدوا فينا لنهدين كُلًا سبيلًا، فيكون سبلًا للكل، وأما قوله:﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ {الأنعام:١٥٣} أن السبل على الإطلاق على غير تقدم ذكر من الهدى، أو شيء من الإضافة إلى الله، فهي سبل الشيطان، والله أعلم"[٣].

الإحالة: من الإحالة الشخصية قوله ﴿جَٰهَدُواْ﴾ يعني الرسول، صلوات الله وسلامه عليه، وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين[٤]. قوله ﴿فِينَا﴾ أي جاهد في الله[٥]. ﴿سُبُلَنَا﴾ والضمير يعود على الله ﷻ وفي ذلك إشارة كما قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"أي لا سبل غيرها، علمًا وعملًا"[٦].

القضية: الهداية للمجاهدين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله للمؤمنين بالهداية، قال الجزائري:"في هذه الآية بشرى سارة ووعد صدق كريم، وذلك أن من جاهد في سبيل الله، أي طلبًا لمرضاة الله، بالعمل على إعلاء كلمته بأن لا يعبد معه سواه، فقاتل المشركين يوم يؤذن له في قتالهم، يهديه الله تعالى، أي يوفقه إلى سبيل النجاة من المرهوب والفوز بالمحبوب، وكل من جاهد في ذات الله نفسه وهواه والشيطان وأولياءه، فإن هذه البشرى تنله وهذا الوعد ينجز له وذلك أن الله مع المحسنين بعونه ونصره وتأييده على من جاهدوهم في سبيل الله"[٧].

٣. ١. ٢- الوعد بالاستخلاف والتمكين في الأرض والأمن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ {النور:٥٥}

السياق: وذلك أن كفار مكة صدوا المسلمين عن العمرة عام الحديبية، فقال المسلمون: لو أن الله ﷻ فتح علينا مكة ودخلناها آمنين، فسمع الله ﷻ قولهم، فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ

---

(١) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٨٢٤.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٣٢٦/٤.

(٣) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٢٤٦/٨.

(٤) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد السلامة، ٢٩٦/٦.

(٥) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ت: أسعد محمد الطيب، ٣٠٨٤/٩.

(٦) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٨٢/١٤.

(٧) أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ١٥٥/٤و١٥٦.

ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾[١].

الفعل القولي: قرأ شعبة (استُخلِف)، والباقون (استَخلَف)، قرأ ابن كثير وشعبة ويعقوب (وليبْدِلنهم)، والباقون (وليبَدِّلنهم)[٢].

﴿مِنكُمۡ﴾ للبيان[٣]. ﴿يَعۡبُدُونَنِي﴾ إن جعلته استئنافًا لم يكن له محل، كأنّ قائلًا قال: ما لهم يُستخلفون ويُؤَمَّنون؟ فقال: يعبدونني، وإن جعلته حالًا عن وعدهم؛ أي وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم وإخلاصهم[٤]. ﴿كَفَرَ﴾ كفر بالنعمة لا كفر بالله ﷻ[٥].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿مِنكُمۡ﴾ أيها الناس[٦]، ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ من بني إسرائيل وغيرهم[٧]. من الإحالة المكانية ﴿ٱلۡأَرۡضِ﴾ أرض المشركين من العرب والعجم[٨]. وضمائر جمع المذكر الغائب في ﴿وَعَمِلُواْ﴾ وما شابهها للمؤمنين. ومن الإحالة ﴿دِينَهُمُ﴾ الإسلام[٩]. ﴿بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾ بعد التمكين في الأرض[١٠]. ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ﴾ الذين كفروا بالنعم المذكورة.

القضية: الاستخلاف والتمكين للمؤمنين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله للمؤمنين بالاستخلاف والتمكين، قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"وعدهم الله أن ينصر الإسلام على الكفر، ويورّثهم الأرض، ويجعلهم فيها خلفاء، كما فعل ببني إسرائيل، حين أورثهم مصر والشام بعد إهلاك الجبابرة، وأن يمكن الدين المرتضى وهو دين الإسلام، وتمكينه: تثبيته وتوطيده، وأن يؤمن سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه"[١١].

٣. ١. ٣- الوعد بالمدد الإلهي في المعركة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذۡ تَقُولُ لِلۡمُؤۡمِنِينَ أَلَن يَكۡفِيَكُمۡ أَن يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓۚ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ

---

(١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣/٢٠٦.

(٢) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٣٥٧.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٧٣٤.

(٤) المرجع السابق، ص٧٣٥.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٧/٣٤٨.

(٦) المرجع السابق، ١٧/٣٤٦.

(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣/٢٠٦.

(٨) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٧/٣٤٦.

(٩) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣/٢٠٦.

(١٠) المرجع السابق، ٣/٢٠٧.

(١١) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٧٣٤.

وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ {آل عمران:١٢٤-١٢٦}

السياق: وذلك يوم بدر[١]. وقال مقاتل (١٥٠هـ):"يوم أحد"[٢].

الفعل القولي: قرأ ابن عامر (منزَّلين)، والباقون (منْزَلين)[٣]، وحجة ابن عامر: قوله تعالى:﴿لَنَزَّلۡنَا عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكٗا رَّسُولٗا﴾ {الإسراء: ٩٥} وهما لغتان: نزّل وأنزل، مثل: كرّم وأكرم[٤].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب (مسوِّمين)، والباقون (مسوَّمين)[٥]. وحجة من قرأ (مسوِّمين) بالكسر ما جاء في التفسير: قال مجاهد: كانوا سوموا نواصي خيولهم بالصوف الأبيض. فهم على هذا التفسير (مسوِّمون) لأنهم فاعلون. ومن قرأ بالفتح: لما كان فتح الزاي مجمعًا عليه إذ كانوا مفعولين ردوا قوله (مسوَّمين) إذ كانت صفة مثل معنى الأول؛ ففتحوا الواو وجعلوهم (مفعولين) كما كانوا منزَلين فكأنهم أُنزلوا مسوَّمين. وقد روي عن عكرمة وقتادة في تفسير ذلك: عليهم سيما القتال. وقال قوم: مرسَلين، تقول العرب: لنُسوِّمن فيكم الخيل أي لنرسلنَّها. فيكون المعنى: مرسَلين على الكفار[٦].

﴿فَوۡرِهِمۡ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"فيه تأويلان: أحدهما: يعني من وجههم هذا، وهو قول ابن عباس والحسن وقتادة، والثاني: من غضبهم هذا، وهو قول مجاهد والضحاك وأبي صالح، وأصل الفور فور القدر، وهو غليانها عند شدة الحمى، ومنه فَوْرُ الغضب؛ لأنه كَفَوْرِ القِدْر"[٧]، ﴿مُسَوِّمِينَ﴾ أكثر الناس على أن معنى مسومين معلمين: من السومة[٨].

الإحالة: من الإحالة الشخصية قوله ﴿تَقُولُ﴾ أي الرسول ﷺ، ﴿وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ﴾ أي الكفار، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"رجعوا للحرب يوم أحد من غضبهم ليوم بدر"[٩].

﴿لَكُمۡ﴾و﴿قُلُوبُكُم﴾ وما شابه ذلك من ضمائر جمع المذكر المخاطب، فالمقصود المؤمنون الذين خاطبهم في بداية الآية. ﴿مُنزَلِينَ﴾،﴿مُسَوِّمِينَ﴾ الملائكة.

ومن الإحالة المكانية قوله ﴿مُنزَلِينَ﴾ أي من السماء[١٠]. ومن الإحالة إلى السياق ﴿جَعَلَهُ﴾ قال ابن عطية

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٧٣/٧.

(٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٩٩/١.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٦٦.

(٤) ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني: ١٧٢.

(٥) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٦٦.

(٦) ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني: ١٧٣.

(٧) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٤٢١/١.

(٨) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١١٢٠/٢.

(٩) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٣٥٣/١.

(١٠) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٩٩/١.

(٥٤٢هـ):"الضمير في ﴿جَعَلَهُ ٱللَّهُ﴾ عائد على الإنزال والإمداد"(١).

القضية: المدد من الله للمؤمنين في قتالهم للمشركين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله بإنزال الملائكة للمؤمنين لمؤازرتهم في قتال المشركين إن صبروا واتقوا، قال الطبري (٣١٠هـ):"وعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددا لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم، واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أمدّوا بالثلاثة آلاف، ولا بالخمسة آلاف، ولا على أنهم لم يمدّوا بهم"(٢).

٣. ١. ٤– الوعد بالنصر للمؤمنين والنيل من الكافرين:

من الآيات التي تضمنت الوعد بالنصر للمؤمنين والهزيمة للمشركين:

٣. ١. ٤. ١– هزيمة المشركين وكف بأسهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ {القمر: ٤٥}

السياق: قال ابن عطية (٥٤٢هـ) عن سورة القمر:"مكية بإجماع إلا آية واحدة اختلف فيها، فقال جمهور الناس: هي مكية، وقال قوم: هي مما نزل يوم بدر، وقيل: بالمدينة، وهي ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ الآية"(٣).

الفعل القولي: ﴿ٱلْجَمْعُ﴾ المعنى المحوري: تضام أشياء متجانسة كثيرة تلاقيًا أو تلاحمًا أو تراكمًا، كما يلحم بالجمع: الصمغ المذكور، وكما يتكون من لبن المصرورة من مرات حلب كان ينبغي أن تتم، وكالكف المقبوضة، والرمال المجتمعة، وكسطح الأرض القفر (ملتحم لا ينفذ منه نبات) ثم عمم في كل جمع لمال أو ناس(٤).

﴿ٱلدُّبُرَ﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"الدبر فوحّد، ولم يقل: الأدبار، وكل جائز، صواب أن تقول: ضربنا منهم الرؤوس والأعين، وضربنا منهم الرأس واليد، وهو كما تقول: إنه لكثير الدينار والدرهم، تريد الدنانير والدراهم"(٥).

الإحالة: ﴿ٱلْجَمْعُ﴾ يعني جمع كفار قريش(٦).

القضية: هزيمة جمع المشركين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الوعدية.

القوة الإنجازية: الوعد بهزيمة المشركين، قال ابن جزي (٧٤١هـ):"هذا وعد من الله لرسوله بأنه سيهزم جمع

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ١/٥٠٥.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٧/١٨٠.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥/٢١١.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ج-م-ع)، ١/٣٣٥.

(٥) الفراء: معاني القرآن، ت: عبد الفتاح شلبي، ٣/١١٠.

(٦) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٢/١٥٧.

قريش، وقد ظهر ذلك يوم بدر وفتح مكة"(١).

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا ﴾ {النساء: ٨٤}

السياق: مرّ أن الآية متعلقة ببدر الصغرى، وكان أبو سفيان واعد الرسول ﷺ اللقاء فيها، فكره بعض الناس أن يخرجوا، فنزلت هذه الآية.

الفعل القولي: ﴿عَسَى﴾ عبّرت (عَسَى) عن الترجي والطمع في بلوغ مَرْغُوب والحصول عليه .. إذا أُسندت (عسى) إلى الله ﷻ فالله لا يعجزه شيء، فـ"عسى من الله إيجاب"(٢). ﴿تَنكِيلٗا﴾ النِكل –بالكسر: القَيْدُ الشديدُ من أي شيء كان.. ونكّل به تنكيلًا: عاقبه في جُرْم عقوبةً تُنْكِل غَيره(٣).

الإحالة: سبق بيانها، ونضيف هنا ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ هم كفار قريش(٤).

القضية: كف بأس الكفار.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية.

القوة الإنجازية: الوعد بكف بأس المشركين. قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وفي هذا وعد للمؤمنين بغلبتهم للكفرة"(٥).

٣. ١. ٤. ٢- فتح مكة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ {النصر: ١-٢}

السياق: سبق الحديث عن الآيات في الأفعال الطلبية، ونضيف في الجانب الالتزامي:

الفعل القولي: ﴿نَصۡرُ﴾ أما النصر فهو المعونة، مأخوذ من قولهم: قد نصر الغيث الأرض إذا أعان على نباتها، ومنع من قحطها(٦)، وسائر ما في القرآن من التركيب ومنه (نصر) و(ناصر) و(نصير) فهو بمعنى المعونة حالًا أو مآلًا(٧). ﴿وَٱلۡفَتۡحُ﴾ الفتح هو الحكم أو النصر إمّا أخذًا من الحكم أنه للمؤمنين بنصرهم دائمًا، وإما مجازًا من أن المدن كان لها قديمًا أسوار وكان التغلب يتم بالاستيلاء على أبوابها وفتحها ليدخلها المنتصرون(٨). ﴿أَفۡوَاجٗا﴾

---

(١) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: محمد سالم هاشم، ٣٩١/٢.

(٢) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ع-س-و/ع-س-ى)، ١٤٦٣/٣.

(٣) ينظر: المرجع السابق، (ن-ك-ل)، ٢٢٦٠/٤و٢٢٦١.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٧٣١/٣.

(٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٨٦/٢.

(٦) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٤٥٩/٦.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ن-ص-ر)، ٢٢٠٩/٤.

(٨) المرجع السابق، (ف-ت-ح)، ١٦٢٥/٣.

أي جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون أفرادًا[١] والمفرد فوج.

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿وَرَأَيْتَ﴾ والخطاب فيها موجه إلى النبي ﷺ على ما عليه الجمهور بدون خلاف[٢]. ﴿ٱلنَّاسَ﴾ من صنوف العرب وقبائلها؛ أهل اليمن منهم، وقبائل نزار[٣].

ومن الإحالة قوله ﴿نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ النصر: نصر الرسول ﷺ على قريش، والفتح: فتح مكة[٤]، قال ابن كثير (٧٧٤هـ):"والمراد بالفتح هاهنا فتح مكة قولًا واحدًا، فإن أحياء العرب كانت تَتَلَوَّم بإسلامها فتح مكة، يقولون: إن ظهر على قومه فهو نبي، فلما فتح الله عليه مكة دخلوا في دين الله أفواجًا، فلم تمض سنتان حتى استوسقت جزيرة العرب إيمانًا، ولم يبق في سائر قبائل العرب إلا مُظهِر للإسلام"[٥]. ﴿دِينِ ٱللَّهِ﴾ الإسلام[٦].

القضية: النصر والفتح ودخول الناس في الإسلام.

الفعل الإنجازي: الآيتان من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد للرسول ﷺ بالنصر، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والغرض منها الوعد بنصر كامل من عند الله أو بفتح مكة، والبشارة بدخول خلائق كثيرة في الإسلام"[٧]، وقال طنطاوي (١٤٣١هـ):"والسورة الكريمة وعد منه تعالى لنبيه ﷺ بالنصر والفتح، وبشارة بدخول أفواج الناس في دين الله"[٨].

٣. ١. ٤. ٣- هزيمة اليهود:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ {آل عمران: ١١١}

السياق: ورد في سبب نزولها أن رؤساء اليهود: كعب بن مالك، وشعبة، وبحرى، ونعمان، وأبا ياسر، وأبا نافع، وكنانة بن أبي الحقيق، وابن صوريا، عمدوا إلى مؤمنيهم فآذوهم لإسلامهم، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، فأنزل الله ﷻ ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾[٩].

الفعل القولي: ﴿إِلَّآ أَذٗى﴾ قال الأخفش (٢١٥هـ):"استثناء يخرج من أول الكلام، وهو كما روى يونس عن بعض العرب أنه قال: ما أشتكي شيئًا إلا خيرًا"[١٠]، قال الطبري (٣١٠هـ):"يؤذونكم بشركهم، وإسماعكم كفرهم،

---

(١) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، ، (ف-و-ج)، ١٦٣٤/٣.
(٢) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٥٧٥/٩.
(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٧٠٥/٢٤.
(٤) ينظر: المرجع السابق، ٧٠٥/٢٤.
(٥) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد السلامة، ٥١٣/٨.
(٦) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٨٤٧٧/١٢.
(٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٥٨٩/٣٠.
(٨) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٥٣٠/١٥.
(٩) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٩٥/١.
(١٠) الأخفش: معاني القرآن، ت: هدى محمود قراعة، ص٢٢٩.

وقولهم في عيسى وأمه وعزير، ودعائهم إياكم إلى الضلالة"(١)، ﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ كناية عن انهزامهم(٢).

الإحالة: من الإحالة الشخصية قوله:﴿يَضُرُّوكُمْ﴾ اليهود(٣)، وقيل: أهل الكتاب من اليهود والنصارى(٤).

القضية: هزيمة أعداء المسلمين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله للمؤمنين بالنصر على أعدائهم من أهل الكتاب، قال القيسي (٤٣٧هـ):"فهذا وعد من الله أن أعداءهم لا ينصرون، وأنهم هم المنصورون"(٥).

٣. ١. ٤. ٤- عذاب المشركين بأيدي المؤمنين:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ {التوبة:١٤-١٥}

السياق: وذلك أن بني كعب قاتلوا خزاعة، فهزموهم وقتلوا منهم، وخزاعة صلح النبي ﷺ، وأعانوهم كفار مكة بالسلاح على خزاعة، فاستحل النبي ﷺ قتال كفار مكة بذلك(٦).

الفعل القولي: ﴿يُعَذِّبْهُمُ﴾: بالقتل(٧)، ﴿وَيُخْزِهِمْ﴾: يذلهم بالأسر والقهر(٨)، قال الفراء (٢٠٧هـ):"جزم ثلاثة أفاعيل بعده يجوز في كلهن النصب والجزم والرفع، ورفع قوله:﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ﴾؛ لأن معناه ليس من شروط الجزاء؛ إنما هو استئناف"(٩).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ الخطاب للمؤمنين، والهاء قال القيسي (٤٣٧هـ):"هؤلاء الذين نقضوا العهد، وأخرجوا الرسول ﷺ"(١٠)، ﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ﴾، ﴿وَيُذْهِبْ﴾ الله ﷻ، ﴿قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ قال القيسي (٤٣٧هـ):"هم خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ، وذلك أن قريشًا نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ بمعونتهم بكرًا على خزاعة، قاله: مجاهد والسدي"(١١).

القضية: عذاب الله للكافرين بأيدي المؤمنين.

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٦٧٩/٥.

(٢) المرجع السابق، ٦٨٠/٥.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٩٥/١.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٦٨٠/٥.

(٥) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١٠٩٦/٢.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٦٠/٢.

(٧) المرجع السابق، ١٦٠/٢.

(٨) الثعلبي: الكشف والبيان، ت: محمد الطاهر بن عاشور، ١٦/٥.

(٩) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٤٢٦/١.

(١٠) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٢٩٤٣/٤.

(١١) المرجع السابق، ٢٩٤٤/٤.

الفعل الإنجازي: تضمنت الآية تحريضًا للمؤمنين على القتال بصيغة الأمر ووعدًا بالنصر، وعليه صنفنا الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله للمؤمنين بالنصرة على الكافرين والظفر بهم. قال مقاتل (١٥٠هـ):"ثم وعدهم النصر، فقال:﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ﴾"[١].

٣. ١. ٤. ٥- نصر الله لمن ينصره:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ {الحج:٤٠}

السياق: قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"فكانت أوَّل آية أُنزلت في إذنه له بالحرب وإِحْلَالِهِ له الدماء:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْ﴾ إلى قوله ﴿ٱلۡأُمُورِ﴾ {الحج: ٣٩-٤١}"[٢].

الفعل القولي:﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾: وليعيننّ الله من يقاتل في سبيله؛ لتكون كلمته العليا على عدوه، فنصرُ الله عبده: معونته إياه، ونَصرُ العبد ربه: جهاده في سبيله؛ لتكون كلمته العليا[٣]، قال مقاتل (١٥٠هـ):"ينصره يعني من يوحده"[٤].

الإحالة: من الإحالة قوله ﴿يَنصُرُهُۥٓ﴾ الضمير يعود على الله قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"أي: ينصر دينه ونبيه"[٥].

القضية: نصر الله لمن ينصره.

الفعل الإنجازي: تدخل الآية تحت الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله بالنصر لمن ينصره، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وعد الله تعالى بنصره نصرة دينه وشرعه، وفي ذلك حض على القتال والجد فيه ثم الآية تعم كل من نصر حقًا إلى يوم القيامة"[٦].

٣. ١. ٤. ٦- النصر وتثبيت الأقدام:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ {محمد: ٧}

السياق: مرّ الكلام عن سورة محمد وسياقها.

الفعل القولي: ﴿تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي تنصروا دين الله أو نبي الله[٧]. ﴿وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ تثبيت الأقدام بالنصر أو تثبيت القلوب بالأمن[٨]، وقيل: على الصراط في القيامة[٩].

---

(١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٦٠/٢.

(٢) ابن العربي، أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ٣٠١/٣.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٥٨٧/١٦.

(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٣٠/٣.

(٥) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت:محمد عبد الله النمر وآخرون، ٣٨٩/٥.

(٦) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ١٢٥/٤.

(٧) ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢٥٩/٥.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ٢٥٩/٥.

(٩) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ١١٢/٥.

الإحالة: من الإحالة الشخصية قوله ﴿تَنصُرُواْ﴾ الضمير يعود على المخاطبين وهم المؤمنون الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ.

القضية: نصر المؤمنين لله ونصر الله للمؤمنين.

الفعل الإنجازي: تدخل الآية تحت الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله للمؤمنين بالنصر وتثبيت الأقدام. قال الرازي (٦٠٦هـ):"ثم إنه تعالى لما بين ما على القتال من الثواب والأجر وعدهم بالنصر في الدنيا زيادة في الحث ليزداد منهم الإقدام فقال:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾"(١).

٣. ١. ٤. ٧- النصر والفتح القريب:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ {الصف: ١٣}

السياق: قال القاسمي (١٣٣٢هـ):"﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ وهو فتح مكة، وهذا يدل على أن السورة نزلت قبل فتح مكة بقليل"(٢). ويرجح دروزة (١٤٠٤هـ) أن نزولها قبل سورة الفتح وصلح الحديبية(٣).

الفعل القولي: قال الطبري (٣١٠هـ):"اختلف أهل العربية فيما نعتت به قوله ﴿وَأُخۡرَىٰ﴾ فقال بعض نحويّ البصرة: معنى ذلك: وتجارة أخرى، فعلى هذا القول يجب أن تكون (أخرى) في موضع خفض، عطفًا به على قوله:﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ وقد يحتمل أن يكون رفعًا على الابتداء، وكان بعض نحويي الكوفة يقول: هي في موضع رفع؛ أي: ولكم أخرى في العاجل مع ثواب الآخرة، ثم قال:﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ مفسرًا للأخرى، والصواب من القول في ذلك عندي القول الثاني"(٤).

الإحالة: من الإحالة قوله ﴿وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَا﴾ أي المؤمنين، ويفسرها مع بعدها، ﴿نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞ﴾ قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"قال الكلبي: هو النصر على قريش، وفتح مكة، وقال عطاء: يريد فتح فارس والروم"(٥)، قوله ﴿وَبَشِّرِ﴾ يا محمد ﷺ(٦).

القضية: النصر والفتح للمؤمنين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله بالنصر والفتح للمؤمنين، يقول الماوردي (٤٥٠هـ):"وهذا من الله لزيادة الترغيب؛ لأنه لما وعدهم بالجنة على طاعته وطاعة رسوله علم أن منهم من يريد عاجل النصر لقاء رغبة في الدنيا، ولقاء تأييد

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٢/٢٨.

(٢) القاسمي: محاسن التأويل، ت: محمد باسل، ٢٢٤/٩.

(٣) ينظر: محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٥٧١/٨.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٦١٩/٢٢.

(٥) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ١١٠/٨.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣١٧/٤.

الدين، فوعدهم بما يقوي به الرغبة"[١].

٣. ١. ٥- الوعد بالثواب الأخروي:

آيات الوعد بالثواب الأخروي كثيرة، ومن ذلك:

٣. ١. ٥. ١- رحمة الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ {البقرة: ٢١٨}

السياق: جاء في سبب نزولها أن النبي ﷺ بعث رهطًا وبعث عليهم أبا عبيدة بن الجراح فلما ذهب لينطلق بكى صبابة إلى رسول الله ﷺ فجلس، وبعث عبد الله بن جحش مكانه، وكتب له كتابًا وأمره أن لا يقرأ الكتاب حتى يبلغ مكان كذا وكذا، وقال: لا تكرهن أحدًا من أصحابك على المسير معك. فلما قرأ الكتاب استرجع ثم قال: سمعًا وطاعة لله ورسوله، فخبرهم الخبر، وقرأ عليهم الكتاب، فرجع رجلان، ومضى بقيتهم فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه، ولم يدروا أن ذلك اليوم من رجب أو جمادى، فقال المشركون للمسلمين: قتلتم في الشهر الحرام! فأنزل الله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ الآية فقال بعثهم: إن لم يكونوا أصابوا وزرًا فليس لهم أجر، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[٢].

قال الرازي (٦٠٦هـ):"في تعلق هذه الآية بما قبلها وجهان الأول: أن عبد الله بن جحش قال: يا رسول الله هب أنه لا عقاب فيما فعلنا، فهل نطمع منه أجرًا وثوابًا فنزلت هذه الآية؛ لأن عبد الله كان مؤمنًا، وكان مهاجرا، وكان بسبب هذه المقاتلة مجاهدًا. والثاني: أنه تعالى لما أوجب الجهاد من قبل بقوله: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ وبين أن تركه سبب للوعيد أتبع ذلك بذكر من يقوم به فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ ولا يكاد يوجد وعيد إلا ويعقبه وعد"[٣].

الفعل القولي: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ كرر الموصول لتعظيم الهجرة والجهاد كأنهما مستقلان في تحقيق الرجاء[٤]. ﴿يَرۡجُونَ﴾ إنما رجوها لأنهم لا يدرون الخواتيم، أو لأنهم لم يتيقنوا آداء كل ما وجب عليهم[٥].

الإحالة: من الإحالة المكانية قوله ﴿هَاجَرُواْ﴾ أي إلى المدينة، ومن الإحالة الشخصية ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ﴾ أي جاهَدوا المشركين[٦]، نزلت في عبد الله بن جحش وأصحابه[٧]،

---

(١) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٥٣١/٥.

(٢) ابن حجر العسقلاني: العجاب في بيان الأسباب، ت: عبد الحكيم محمد الأنيس، ٥٣٨/١. قال ابن حجر: إسناده حسن.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣٩٤/٦.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٣٧/٢.

(٥) العز بن عبد السلام: تفسير القرآن (اختصار النكت للماوردي)، ت: عبد الله إبراهيم الوهيبي، ٢١٠/١.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٨٧/١.

(٧) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٦٦٧/٣.

القضية: رحمة الله للمؤمنين المهاجرين المجاهدين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله بالمغفرة للمجاهدين، جاء في المنتخب:"الذين آمنوا إيمانًا صادقًا دفعهم إلى الهجرة لنصرة الدين والجهاد لإعلاء كلمته، فأولئك ينتظرون عظيم ثواب الله لهم، وإن قصروا في شيء؛ لأن الله غفور يغفر الذنوب، رحيم يرحم عباده بالهداية والثواب[١]، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وباقي الآية وعد"[٢].

٣. ١. ٥. ٢- مغفرة من الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ {آل عمران: ١٥٧}

السياق: نزلت بعد وقعة أحد[٣].

الفعل القولي: قرأ نافع وحمزة وعلي وخلف (مِتم)، والباقون (مُتم)، وقرأ حفص (يجمعون)، والباقون (تجمعون)[٤]، قال الطبري (٣١٠هـ):"وابتدأ الكلام ﴿وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ بحذف جزاء لئن؛ لأن في قوله: ﴿لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ معنى جواب للجزاء، وذلك أنه وعدٌ خرج مخرج الخبر[٥]، ﴿مُتُّمْ﴾ في غير قتل[٦].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ﴾ هذا خطاب للمؤمنين خاصة[٧]، ﴿يَجْمَعُونَ﴾ إحالة إلى المنافقين أي يجمع المنافقون، هذا على قراءة من قرأ يجمعون بالياء، ومن قرأ بالتاء فالإحالة إلى المؤمنين حيث رده على المخاطبة، وأن المغفرة والرحمة خير مما تجمعون أيها المؤمنون من حطام الدنيا الذي يمنع من الجهاد[٨].

القضية: المغفرة والرحمة لمن قتل أو مات في سبيل الله.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله لمن قُتل أو مات في سبيله بالمغفرة والرحمة، قال الطبري (٣١٠هـ):"وعدهم على جهادهم في سبيل الله المغفرة والرحمة، وأخبرهم أن موتًا في سبيل الله أو قتلًا في دينه، خير لهم مما يجمعون في الدنيا من حطامها ورغيد عيشها، الذي من أجله يتثاقلون عن الجهاد في سبيل الله، ويتأخرون عن لقاء العدو"[٩].

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٥٠.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٢٩٢/١.

(٣) ينظر: مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٠٩/١.

(٤) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٧٠.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٨٠/٦و١٨١.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٠٩/١.

(٧) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١١٦٠/٢.

(٨) ينظر: المرجع السابق، ١١٦٠/٢.

(٩) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٨٢/٦.

٣. ١. ٥. ٣- الأجر العظيم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ {آل عمران: ١٧٢}

السياق: عن عائشةَ رضي الله عنها قالت لعُروة: يا ابن أختي، كان أبوك منهم: الزبير وأبو بكر، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحُد، وانصرف عنه المشركون، خاف أن يرجعوا، قال:"من يذهب في إثْرِهِم". فانتدب منهم سبعون رجلًا، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير(١).

الفعل القولي: قرأ شعبة وحمزة وعلي وخلف (القُرح)، والباقون (القَرح)(٢)، ﴿ٱلْقَرْحُ﴾ بالفتح والضم: الجرح(٣).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو(٤).

القضية: الأجر العظيم للذين استجابوا لله وللرسول ﷺ.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله بالأجر العظيم، قال الطبري (٣١٠هـ):"فوعد الله محسن من ذكرنا أمره من أصحاب رسول الله ﷺ: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ﴾ إذا اتقى الله ﷻ فخافه، فأدّى فرائضه، وأطاعه في أمره ونهيه فيما يستقبل من عمره أجرًا عظيمًا، وذلك الثواب الجزيل والجزاء العظيم، على ما قدّم من صالح أعماله في الدنيا"(٥).

٣. ١. ٥. ٤- تكفير السيئات ودخول الجنات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴾ {آل عمران: ١٩٥}

السياق: ذكر أنه قيل لرسول الله ﷺ: ما بال الرجال يذكرون ولا تذكر النساء في الهجرة؟ فأنزل الله تبارك وتعالى في ذلك هذه الآية(٦).

الفعل القولي: قرأ حمزة والكسائي وخلف (قُتِلوا) و(قاتَلوا)، والباقون (قاتَلوا) و(قُتِلوا)، وقرأ ابن كثير وابن عامر

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب (الذين استجابوا لله والرسول)، رقم (٤٠٧٧)، ٣٧٣/٧.

(٢) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٧٢.

(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ق-ر-ح)، ١٧٦٥/٤.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٤٠/٦.

(٥) المرجع السابق، ٢٤٤/٦.

(٦) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٤٨٦/٧.

(قتّلوا)(١).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿فَٱلَّذِينَ﴾ هم المهاجرون أخرجوا من كل وجه(٢)، ومن الإحالة المكانية ﴿هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾ أي إلى المدينة، وذلك أن كفار مكة أخرجوا مؤمنيهم من مكة(٣).

القضية: تكفير السيئات ودخول الجنات للذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيل الله وقاتلوا وقتلوا.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله لمن جاء وصفهم بتكفير السيئات ودخول الجنات، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وهذه آية وعد من الله تعالى: أي هذا فعله مع الذين يتصفون بما ذكر"(٤)، وقال الرازي (٦٠٦هـ):"الله تعالى وعد من فعل هذا بأمور ثلاثة: أولها: محو السيئات وغفران الذنوب، وهو قوله:﴿ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ وذلك هو الذي طلبوه بقولهم :﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾ وثانيها: إعطاء الثواب العظيم، وهو قوله:﴿وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ وهو الذي طلبوه بقولهم:﴿وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ وثالثها: أن يكون ذلك الثواب ثوابا عظيما مقرونا بالتعظيم والإجلال وهو قوله:﴿مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهو الذي قالوه:﴿وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ لأنه سبحانه هو العظيم الذي لا نهاية لعظمته، وإذا قال السلطان العظيم لعبده: إني أخلع عليك خلعة من عندي دل ذلك على كون تلك الخلعة في نهاية الشرف"(٥).

٣. ١. ٥. ٥- الدرجات والمغفرة والرحمة:

قَالَ تَعَالَى:﴿ لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ غَيۡرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلۡمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ دَرَجَةٗۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلۡقَٰعِدِينَ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٖ مِّنۡهُ وَمَغۡفِرَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ {النساء: ٩٥ – ٩٦}

السياق: عن ابن عباس ﷺ:"لا يستوي القاعدون من المؤمنين عن بدر والخارجون إلى بدر. لما نزلت غزو بدر، قال عبد الله بن أم مكتوم وأبو أحمد بن جحش بن قيس الأسدي: يا رسول الله، إننا أعميان، فهل لنا رخصة؟ فنزلت(٦).

الفعل القولي: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة ويعقوب (غيرُ أولي)، والباقون (غيرَ أولي) بالنصب(٧)، قال الفراء (٢٠٧هـ):"يرفع (غير) لتكون كالنعت للقاعدين؛ كما قال:﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ

---

(١) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٧٦.

(٢) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ت: أسعد محمد الطيب، ٨٤٤/٢.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٢٢/١.

(٤) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٥٧/١.

(٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٧١/٩.

(٦) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٩٢/٩.

(٧) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٩٤.

عَلَيْهِمْ﴾ وكما قال:﴿أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ﴾ وقد ذُكِر أن (غير) نزلت بعد أن ذكر فضل المجاهد على القاعد، فكان الوجه فيه الاستثناء والنصب، إلا أن اقتران (غير) بالقاعدين يكاد يوجب الرفع؛ لأن الاستثناء ينبغي أن يكون بعد التمام، فتقول في الكلام: لا يستوي المحسنون والمسيئون إلا فلانًا وفلانًا، وقد يكون نصبا على أنه حال كما قال:﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ﴾ ولو قرئت خفضا لكان وجهًا: تجعل من صفة المؤمنين"[1].

﴿الْقَاعِدُونَ﴾ من الرسوخ واللصوق بالأرض دلت على التثاقل عن القتال والتخلف عنه[2].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾ يعني عبد الله بن جحش الأسدي، وابن أم مكتوم من أهل العذر[3]. ﴿الْقَاعِدِينَ﴾ المجرورة في الموضع الأول المقصود القاعدين من أهل العذر، وفي الموضع الأخير القاعدين الذين لا عذر لهم[4].

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد من الله للمجاهدين والقاعدين بالحسنى وإن كان المجاهدون أعظم أجرًا، قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"الله تعالى وعد المجاهدين والقاعدين الثواب في هذه الآية فقال:﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ فلو كان فرضًا على الكافة لاستحق القاعد العقاب لا الثواب"[5].

٣. ١. ٥. ٦- المغفرة والرزق الكريم:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ {الأنفال: ٧٤}

السياق: قال دروزة (١٤٠٤هـ):"يبدو لأول وهلة أنه لا صلة بين هذه الآيات والسياق السابق. غير أن إنعام النظر يؤدي إلى لمس شيء من الاتصال فيما يتبادر لنا؛ حيث إن وقعة بدر وطدت أولا الأخوة بين المهاجرين والأنصار أشد من قبل؛ لأنهما اشتركا في حرب وغدوا يتحملان تبعاتها الاجتماعية التي كانت شديدة في بيئة النبي وعصره. ووطدت ثانيًا العداء الشامل بين المهاجرين والأنصار من جانب وبين كفار قريش من جانب، وكان بين هؤلاء والمهاجرين صلات وشيجة من قربى ورحم ودم وصهر وشركة مال وملك، فاقتضت حكمة التنزيل إنزال الآيات لبيان الحكم في صلات كل منهم بالآخر. ووضعت في آخر السورة، إما لأنها نزلت بعد سابقاتها مباشرة أو للتناسب الموضوعي"[6].

---

(١) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٢٨٣/١و٢٨٤.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ق-ع-د)، ١٨١٦/٣.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٠٠/١.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ٤٠١/١.

(٥) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٢٧٢/٢.

(٦) ينظر: محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٩٧/٧و٩٨.

الفعل القولي: ﴿ءَاوَواْ﴾ الضم للحماية[١].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ المهاجرين، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ الأنصار وفيه إشارة إلى النبي ﷺ أي آووا ونصروا النبي ﷺ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المهاجرون والأنصار، ومن الإحالة المكانية ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة[٢].

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف قوله تعالى: ﴿لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ من الأفعال الالتزامية (الوعديات) والجزء الأول من الآية ثناء.

القوة الإنجازية: الوعد لمن جاء وصفهم بالمغفرة والرزق الكريم، قال أبو السعود (٩٨٢هـ):"كلام مسوق للثناء عليهم والشهادة لهم بفوزهم بالقدح المعلَّى من الإيمان، مع الوعد الكريم بقوله تعالى: ﴿لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ لا تبعةَ له ولا منة فيه"[٣].

٣. ١. ٥. ٧- الرحمة والرضوان والخلود في الجنات:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠ يُبَشِّرُهُمۡ رَبُّهُم بِرَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَرِضۡوَٰنٖ وَجَنَّٰتٖ لَّهُمۡ فِيهَا نَعِيمٞ مُّقِيمٌ ٢١ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ﴾ {التوبة: ٢٠ - ٢٢}

السياق: نزلت الآيات في سياق الرد على التفاخر بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وتفضيل ذلك على الهجرة والجهاد كما مرّ.

الفعل القولي: قرأ حمزة (يَبْشُرهم)، والباقون (يُبَشِّرهم)، وقرأ شعبة (رُضوان)، والباقون (رِضوان)[٤].

﴿يُبَشِّرُهُمۡ﴾ بشر وأبشر واستبشر وتبشر: فرِح وسُرَّ (فظهر ذلك على وجهه بانبساط أساريره)[٥]، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"والبشارة: خبر سار صدق؛ يسمى بشارة لأنه تتغير به بشرة الوجه"[٦].

﴿وَرِضۡوَٰنٖ﴾ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: إن لله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبّيك ربنا وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعط أحدا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا"[٧].

---

(١) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (أ-و-/ أ-و-ى)، ٢٣٣٠/٤.

(٢) ينظر في جميع الإحالات: مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٣٠/٢و١٣١.

(٣) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٣٨/٤.

(٤) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٩٠.

(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ب-ش-ر)، ١٢٧/١.

(٦) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٢٩٦/٢.

(٧) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، رقم (٦٥٤٩)، ٤١٥/١١. ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا، رقم (٢٨٢٩)، ٢١٧٦/٤.

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿يُبَشِّرُهُمْ﴾ هؤلاء الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله[١].

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد لمن جاء وصفهم بالرحمة والرضوان والخلود في النعيم المقيم في الجنات، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وقوله تعالى:﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم﴾ الآية، هذه آية وعد"[٢].

٣. ١. ٥. ٨- دخول الجنة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ {التوبة: ١١١}

السياق: قال الرازي (٦٠٦هـ):"لما شرع في شرح فضائح المنافقين وقبائحهم لسبب تخلفهم عن غزوة تبوك، فلما تم ذلك الشرح والبيان وذكر أقسامهم، وفرع على كل قسم ما كان لائقًا به، عاد إلى بيان فضيلة الجهاد وحقيقته"[٣]. قيل: نزلت في بيعة العقبة الكبرى ويرجح دروزة أنها نزلت في سياق غزوة تبوك[٤].

الفعل القولي: قرأ حمزة وعلي وخلف (فيُقتَلون ويَقتِلون)، والباقون (فيَقتُلون ويُقتَلون)[٥]، قال الشربيني (٩٧٧هـ):"وقرأ حمزة والكسائي بتقديم المقتولين على القاتلين؛ لأنّ الواو لا تقتضي الترتيب؛ ولأن فعل البعض قد يسند إلى الكل أي: فيقتل بعضهم ويقاتل الباقي، والباقون بتقديم القاتلين"[٦]. ﴿ٱشْتَرَىٰ﴾ كل ما جاء في القرآن من الفعل (شرى يشري) فالمراد به البيع، والفعل (اشترى يشتري) يراد به الاشتراء بالمعنى المشهور أي أخذ السلعة ودفع الثمن[٧].

الإحالة: تضمنت الآية تسعة ضمائر تشير إلى المؤمنين، كلها بصيغة جمع المذكر الغائب إلا قوله تعالى ﴿فَٱسْتَبْشِرُوا۟﴾ ففيه التفات من الغائب للمخاطب، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"خاطبهم على سبيل الالتفات؛ لأنّ في مواجهته تعالى لهم بالخطاب تشريف لهم، وهي حكمة الالتفات هنا"[٨]. من الإحالة قوله ﴿وَذَٰلِكَ﴾ قال ابن أبي حاتم (٣٢٧هـ):"عن سعيد في قوله ﷻ:﴿وَذَٰلِكَ﴾ يعني: الذي ذكر من الثواب في الجنة للقاتل

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٣٨٢/١١.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ١٧/٣.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٥٠/١٦.

(٤) ينظر: محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٥٣٩/٩.

(٥) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٢٠٤.

(٦) الشربيني: السراج المنير، ٦٥٢/١.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ش-ر-ي)، ١١٢٢/٢.

(٨) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ١٠٦/٥.

والمقتول"(١).

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات)، والاستفهام ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ﴾ خرج عن حقيقته لغرض النفي.

القوة الإنجازية: الوعد من الله بالجنة للمقاتلين في سبيله، قال الطبري (٣١٠هـ):"وعدهم الجنة جل ثناؤه، وعدًا عليه حقًّا أن يوفي لهم به، في كتبه المنزّلة؛ التوراة والإنجيل والقرآن، إذا هم وفوا بما عاهدوا الله فقاتلوا في سبيله ونصرة دينه أعداءه، فقَتلوا وقُتلوا"(٢)، قال الصابوني:"انظروا إلى كرم الله، أنفسًا هو خلقها، وأموالًا هو رزقها، ثم وهبها لهم، ثم اشتراها منهم بهذا الثمن الغالي، فإنها لصفقة رابحة، وقال بعضهم: ناهيك عن بيع، البائع فيه المؤمن، والمشتري فيه رب العزة، والثمن فيه الجنة، والصك فيه الكتب السماوية، والواسطة فيه محمد عليه الصلاة والسلام"(٣).

٣. ١. ٥. ٩- المغفرة والرحمة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {النحل: ١١٠}

السياق: قال الطبري (٣١٠هـ):"نزلت في قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا تخلّفوا بمكة بعد هجرة النبيّ ﷺ، فاشتدّ المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم، فأيسوا من التوبة، فأنزل الله فيهم هذه الآية، فهاجروا ولحقوا برسول الله ﷺ"(٤).

الفعل القولي: قرأ ابن عامر (فَتَنوا)، والباقون (فُتِنوا)(٥).

﴿فُتِنُواْ﴾ يعني: من بعد ما عذبوا على الإيمان بمكة(٦)، قال السمرقندي (٣٧٣هـ):"قرأ ابن عامر (فَتَنوا) بفتح الفاء والتاء، أي: أصابتهم الفتنة، وقرأ الباقون (فُتِنوا) على معنى فعل ما لم يسم فاعله"(٧)، وقال القيسي (٤٣٧هـ):"ومن قرأ (فَتَنوا) بالفتح، وهي قراءة ابن عامر، فمعناه: عذبوا غيرهم على الإيمان ثم آمنوا هم من بعدما فعلوا ذلك بالمؤمنين"(٨)، وقال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وهي لغة في افتتن، بمعنى وقع في الفتنة"(٩).

الإحالة: ﴿رَبَّكَ﴾ أي: يا محمد ﷺ، ﴿لِلَّذِينَ﴾ قوم من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا تخلّفوا بمكة بعد

---

(١) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ت: أسعد محمد الطيب، ١٨٨٨/٦.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٥/١٢.

(٣) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، ٥٦٤/١.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٣٠٦/١٧.

(٥) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٢٧٩.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٨٩/٢.

(٧) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٢٥٣/٢.

(٨) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٤٠٩٧/٦.

(٩) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣٠١/١٤.

هجرة النبيّ ﷺ، فاشتدّ المشركون عليهم حتى فتنوهم عن دينهم[١]، وهذا على قراءة (فُتِنوا) أما على القراءة الثانية "فردّه إلى من أسلم من المشركين الذين فتنوا المسلمين"[٢]، ﴿بَعۡدِهَا﴾ يعني: من بعد الفتنة[٣]، ويقال: من بعد الهجرة[٤].

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد بالمغفرة والرحمة لمن جاء وصفهم، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"أكد الخبر بحرف التوكيد وبالتوكيد اللفظي لتحقيق الوعد"[٥].

٣. ١. ٥. ١٠– الهداية وإصلاح البال ودخول الجنة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ﴾ {محمد:٤-٦}

السياق: مر الكلام عن سورة محمد وسياق نزولها.

الفعل القولي: قرأ أبو عمرو وحفص ويعقوب (قُتِلوا)، والباقون (قَاتَلوا)[٦].

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرأ (قُتِلوا) أن هذه الآية مخصوص بها الشهداء المقتولون في سبيل الله الذين قال الله ﷻ فيهم:﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتًا﴾ {آل عمران: ١٦٩} وقوله:﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾ إلى طريق الجنة ويصلح شأنهم في الآخرة ويدخلهم الجنة.

وحجة من قرأ (قاتَلوا) أنها أعم ثوابًا وأبلغ للمدح في المجاهدين في سبيل الله؛ لأنه إذا فعل ذلك بالمقاتل في سبيله وإن لم يُقْتَل أو يَقْتُل كان أعم من أن يكون ذلك الوعد منه لمن قتل دون من قاتل.

وحجة أخرى أن الله ﷻ أخبر أنه ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ بعدما أخبرنا عنهم بالقتال في سبيله، فلو كان المراد من الكلام القتل لم يكن في ظاهر قوله ﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ﴾ كبير معنى؛ لأنهم قتلوا، بل إنما يدل الظاهر على أنه وعدهم الهداية وإصلاح البال جزاء لهم في الدنيا على قتالهم أعداءه وأن يدخلهم في الآخرة الجنة"[٧].

﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾ الجمهور الأعظم مما في القرآن من التركيب هو بمعنى التوجيه إلى سبيل الرشد خاصة، سواء ذكر المهدي إليه أو لم يذكر[٨]، قال القيسي (٤٣٧هـ):"من قرأ قَتَلُوا أو قُتِّلوا على ما لم يسم فاعله، فالمعنى سيديهم إلى جنته، ويصلح شأنهم فيها بالنعيم المقيم وغفران الذنوب ويدخلهم إياها، ويجوز أن يكون المعنى: سيهدي من بقي منهم حيًا كما قال:{قُتِل معه ربيون كثير فما وهنوا} أي: فما وهن من بقي منهم، ومن قرأ (قاتلوا) فالمعنى: سيوفقهم

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٤/ ٣٧٧و٣٧٨.

(٢) الثعلبي: الكشف والبيان، ت: محمد الطاهر بن عاشور، ٦/ ٤٧.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢/ ٤٨٩.

(٤) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٢/ ٢٥٣.

(٥) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٤/ ٣٠٠.

(٦) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٥٠٧.

(٧) ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني: ٦٦٦و٦٦٧.

(٨) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (هـ-د-ي)، ٤/ ٢٢٩٤.

في الدنيا إلى الرشد والعمل الصالح ويصلح فيها حالهم حتى يتوفاهم على ما يرضاه منهم ويدخلهم الجنة في الآخرة"(١).

الإحالة: ﴿وَٱلَّذِينَ﴾ يعني: قتلى بدر(٢)، وعن قتادة ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ قال: الذين قاتلوا (قتلوا) يوم أحد"(٣).

الفعل الإنجازي: الآيات من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد لمن قاتَلَ أو قُتِل (على القراءتين) في سبيل الله بالهداية وصلاح البال ودخول الجنة. قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وقرأ الجمهور (قاتلوا) بصيغة المفاعلة، فهو وعد للمجاهدين أحيائهم وأمواتهم، وقرأه أبو عمرو وحفص عن عاصم (قُتِلوا) بالبناء للنائب، فعلى هذه القراءة يكون مضمون الآية جزاء الشهداء فهدايتهم وإصلاح بالهم كائنان في الآخرة"(٤).

٣. ١. ٥. ١١– مغفرة الذنوب ودخول الجنات والمساكن الطيبة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ {الصف: ١٠-١٣}

السياق: مرّ الكلام عن سورة الصف وسياق نزولها.

الفعل القولي: قرأ ابن عامر (تُنَجّيكم)، والباقون (تنْجيكم)(٥)، قال السمرقندي (٣٧٣هـ):"وهما لغتان؛ أنجاه ونجاه بمعنى واحد"(٦)، ﴿تِجَٰرَةٖ﴾ معنى التركيب: العمل طلبًا للأجر، وليس في القرآن من التركيب إلا كلمة تجارة(٧)، ﴿تُنجِيكُم﴾ الخلوص من خطر محدق أو عذاب أو غرق أو كرب إلخ(٨).

الإحالة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ قال القرطبي (٦٧١هـ):"وهذا خطاب لجميع المؤمنين، وقيل: لأهل الكتاب"(٩)، وأجاز الماتريدي (٣٣٣هـ) أن يكون الخطاب للمؤمنين وللمنافقين ولأهل الكتاب، حيث قال:"يحتمل أن يكون المراد من هذه الآية أهل النفاق، فيكون المعنى من قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في الظاهر ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ أي تصدقون بقلوبكم، ويجوز أن يكون في أهل الكتاب أيضًا، فكأنه قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

(١) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٦٨٨٧/١١و٦٨٨٨. وقراءة (قَتَلُوا) نسبها القيسي للجحدري.

(٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٥/٤.

(٣) عبد الرزاق: تفسير عبد الرزاق، ت: محمود محمد عبده، ٢٠٥/٣.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٨٤/٢٦.

(٥) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٥٥٢.

(٦) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٣٥٩/٣.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ت–ج–ر)، ١٩٩/١.

(٨) المرجع السابق، (ن–ج–و)، ٢١٥٨/٤.

(٩) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: التركي وآخرون، ٤٤٥/٥.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ بالكتب المتقدمة، آمِنوا بالله وبمحمد ﷺ وبهذا الكتاب، هذا إذا كان في الكفار، فأما إذا كان من المؤمنين فيجوز أن يكون أمر بالإيمان بعد ما آمنوا، بمعنى الثبات عليه أو الزيادة وبحق التجدد، وأن الإيمان في حادث الأوقات له أسماء ثلاثة: الزيادة والثبات والتجدد"(١).

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيتين الأوليين من الأفعال الطلبية، والآية الأخيرة من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية للآية الأخيرة: الوعد للمؤمنين المجاهدين في سبيل الله بالأموال والأنفس بمغفرة الذنوب ودخول الجنات والمساكن الطيبة، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"يجوز أن يكون رغبهم في هذه الآية بما أمرهم بتركها؛ وذلك أنه أمرهم بمفارقة مساكنهم وإنفاق أموالهم والجهاد بأنفسهم، ثم أخبر أنهم إذا فعلوا ذلك آتاهم مكان كل ما فات عنهم خيرًا منها: مكان ما فارقوا من المساكن يؤتيهم مساكن طيبة، ومكان ما أنفقوا من أموالهم يؤتيهم النعيم الدائم، ومكان ما أفنوا من حياتهم وأنفسهم يؤتيهم حياة دائمة باقية، والله أعلم"(٢)، وقال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وإنما خُصّت المساكن بالذكر هنا؛ لأن في الجهاد مفارقة مساكنهم، فوعدوا على تلك المفارقة الموقتة بمساكن أبدية"(٣).

٣. ١. ٥. ١٢- كتابة الأعمال الصالحة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ لَا يُصِيبُهُمۡ ظَمَأٞ وَلَا نَصَبٞ وَلَا مَخۡمَصَةٞ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوۡطِئٗا يَغِيظُ ٱلۡكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنۡ عَدُوّٖ نَّيۡلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٞ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٢٠ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةٗ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةٗ وَلَا يَقۡطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمۡ لِيَجۡزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحۡسَنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ {التوبة: ١٢٠-١٢١}

السياق: مر الكلام عن سياق هذه الآيات وارتباطها بغزوة تبوك.

الفعل القولي: ﴿ظَمَأٞ﴾ظَمِئَ يظمأ: عَطِشَ(٤)، ﴿نَصَبٞ﴾التعب والمشقة(٥)، ﴿مَخۡمَصَةٞ﴾ الجوع وهو خلاء البطن من الطعام جوعًا(٦)، ﴿يَطَـُٔونَ﴾ استعمل الوطء في الغزو والقتل؛ لأن من وطئ الشيء برجله فقد استقصى في إهلاكه وإهانته(٧)، ﴿يَنَالُونَ﴾ أي يصيبونهم، وأطلق نيلًا ليعم القليل والكثير مما يسوءهم قتلًا وأسرًا وغنيمة وهزيمة(٨)، قال القرطبي (٦٧١هـ):"وأصله من نِلت الشيء أنال أي أصبت، قال الكسائي: هو من قولهم أمر منيل منه، وليس هو من التناول، إنما التناول من نُلته العطية، قال غيره: نُلت أنول من العطية، من الواو والنيل من الياء،

---

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٦٣٥/٩.

(٢) المرجع السابق، ٦٣٦/٩.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٩٥/٢٨.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ظ-م-أ)، ١٣٧٢/٣.

(٥) المرجع السابق، (ن-ص-ب)، ٢٢٠٦/٤.

(٦) نفسه، (خ-م-ص)، ٦٠٩/١.

(٧) نفسه، (و-ط-أ)، ١٣٠٥/٣.

(٨) نفسه، (ن-و-ل/ن-ي-ل)، ٢٢٦٣/٤.

تقول: نِلته فأنا نائل، أي أدركته"[١]، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وليست الياء في نيل بدلًا من واو خلافًا لزاعم ذلك، بل نال مادتان: إحداهما من ذوات الواو نُلته أنوله نولًا ونوالًا من العطية، ومنه التناول، والأخرى: هذه من ذوات الياء، نلته ناله نيلًا إذا أصابه وأدركه"[٢].

الإحالة: ﴿ذَٰلِكَ﴾قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"إشارة إلى ما دل عليه قوله: ما كان لهم أن يتخلفوا من وجوب مشايعته"[٣]، ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ الضمير يعود على أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب .. ونقل الطبري (٣١٠هـ) عن الوليد بن مسلم قال:"سمعت الأوزاعي، وعبد الله بن المبارك، والفزاري، والسبيعي، وابن جابر، وسعيد بن عبد العزيز، يقولون في هذه الآية: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، إنها لأولِ هذه الأمة وآخرها من المجاهدين في سبيل الله"[٤].

القضية: ما يؤجر عليه المجاهدون في جهادهم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الالتزامية (الوعديات).

القوة الإنجازية: الوعد لمن جاء وصفهم بكتابة أعمالهم الصالحة عند الله كبيرها وصغيرها، قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"والمراد أنهم يستحقون ذلك استحقاقًا لازمًا بمقتضى وعده تعالى لا بالوجوب عليه سبحانه"[٥]، وقال أبو السعود (٩٨٢هـ):"﴿إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ﴾ أي: بكل واحد من الأمور المعدودة عمل صالح وحسنة مقبولة مستوجبة بحكم الوعد الكريم للثواب الجميل ونيل الزلفى"[٦].

٣. ٢- الوعيد:

الوعيد في اللغة، قال ابن منظور (٧١١هـ):"والوَعِيدُ والتَّوَعُّدُ: التَّهَدُّدُ، وقد أَوْعدَه وتَوَعَّدَه. قال الجوهري: الوَعْدُ يستعمل في الخير والشرّ، قال ابن سيده: وفي الخير الوَعْدُ والعِدةُ، وفي الشر الإِيعادُ والوَعِيدُ، فإِذا قالوا أَوْعَدْتُه بالشر أَثبتوا الأَلف مع الباء"[٧].

قال جبل (١٤٣٦هـ):"ولتوضيح أمر (أوعد) نقول إن الاستعمال غلّب الإيعاد -إذا اقترن بالباء أولم يُذْكَر الموعَد به- في الشر. وللصيغة -الإفعال- مدخل في ذلك، فإنها -قاصرة- تعني الإصحاب: إصحاب ما هو زائد أو أكثر أو أشد من الحال. والباء تعبر عن إلصاق وإنزال غير معتاد به"[٨].

٣. ٢. ١- الوعيد لمن فضل ملذات الحياة على الجهاد:

---

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: التركي وآخرون، ٤٢٤/١٠.
(٢) أبو حيان: البحر المحيط، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ١١٥/٥.
(٣) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٥٣.
(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٧٢/١٢.
(٥) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٤٤/٦.
(٦) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ١١١/٤.
(٧) ابن منظور: لسان العرب، (و-ع-د)، ٤٦٣/٣.
(٨) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (و-ع-د)، ١٤٢١/٣و١٤٢٢.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ {التوبة: ٢٤}

السياق: كان رجال من المسلمين يؤمنون بالله ويريدون الهجرة، فإذا أراد الواحد منهم أن يهاجر إلى رسول الله؛ ليشارك المسلمين فيما فيه من الجهاد في سبيل الله والدعوة إلى الله، جاءته امرأته وأولاده وأبوه وأخوه يناشدونه بالله ألا يذهب عنهم، ويقولون له: إلى من تكلنا؟ ويثبطونه فبعضهم يمكث من أجل هذا. فنهاهم الله عن هذا[١].

الفعل القولي: قرأ شعبة (وعشيراتكم) والباقون (وعشيرتكم)[٢]. ﴿وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ عشيرة الرجل: بنو أبيه الأدنون، أو قبيلته[٣]. ﴿ٱقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ يَقْرِف لعياله: أي يكسب[٤].

الإحالة: ﴿قُلْ﴾ قال أبو السعود (٩٨٢هـ):"تلوين للخطاب وأمرٌ له عليه الصلاة والسلام"[٥]، ﴿ءَابَآؤُكُمْ﴾ وما بعدها إلى ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والمخاطب بضمائر جماعة المخاطبين: المؤمنون الذين قصروا في بعض الواجب أو المتوقّع منهم ذلك، كما يشعر به اقتران الشرط بحرف الشك وهو ﴿إِن﴾ ويفهم منه أن المسترسلين في ذلك الملابِسينَ له هم أهل النفاق، فهم المعرَّض لهم بالتهديد"[٦]، ﴿سَبِيلِهِۦ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"يعني في نصرة دين الله الذي ارتضاه"[٧]، ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾ قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"وأمر اللَّه الذي يأتي فتح مكة على القول بأن المراد بمعنى الآية الهجرة، ويكون أمر اللَّه عقوبته التي تُنْزِلُ بهم الذل والخزي، حتى يغزوهم العدو في عقر دارهم، ويسلبهم أموالهم"[٨].

القضية: تفضيل الآباء والأبناء والأهل والدنيا على الجهاد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية.

القوة الإنجازية: التهديد والوعيد لمن يفضل الدنيا على الجهاد في سبيل الله، قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾ صيغته الأمر ومعناه التهديد"[٩]، قال الشوكاني:"وفي هذا وعيد شديد، ويؤكده إبهام الأمر وعدم التصريح به؛ لتذهب أنفسهم كل مذهب وتتردد بين أنواع العقوبات"[١٠].

---

(١) الشنقيطي: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ٣٥٥/٥.

(٢) مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٩٠.

(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ع-ش-ر)، ١٤٧٠/٣.

(٤) المرجع السابق، (ق-ر-ف)، ١٧٧٣/٤.

(٥) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٥٤/٤.

(٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٥٢/١٠.

(٧) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٣٨٥/١١.

(٨) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ٤٦٤/٢.

(٩) المرجع السابق، ٤٦٤/٢.

(١٠) الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٣٤٧/٢.

٣. ٢. ٢- الوعيد لمن ترك النفير:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ {التوبة:٣٩}

السياق: نزلت في سياق غزوة تبوك. قال مقاتل (١٥٠هـ):"﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ في غزاة تبوك إلى عدوكم"(١).

الفعل القولي:﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ قال السمرقندي (٣٧٣هـ):"وأصله إن لا تنفروا فأدغم النون في اللام، ومعناه إن لم تنفروا، يعني: إن لم تخرجوا إلى الغزو مع نبيكم ﷺ يعذبكم"(٢). ﴿وَيَسْتَبْدِلْ﴾ المعنى المحوري: حلول شيء محل شيء، وجود هذا لاختفاء ذاك(٣).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟﴾ الخطاب كما قال الطبري (٣١٠هـ):"للمؤمنين به من أصحاب رسوله"(٤)، ﴿يُعَذِّبْكُمْ﴾ الله(٥)، ﴿تَضُرُّوهُ﴾ الضمير لله أو للرسول ﷺ، قال الماوردي (٤٥٠هـ):"فيه وجهان: أحدهما: ولا تضروا الله بترك النفير، قاله الحسن، والثاني: ولا تضروا الرسول، لما تكفل الله تعالى به من نصرته، قاله الزجاج"(٦).

القضية: عقوبة ترك النفير.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيتين من الأفعال الالتزامية (الوعيديات).

القوة الإنجازية: الوعيد بالعذاب الأليم والاستبدال لمن ترك النفير، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"قوله تعالى:﴿إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ هذا تهديد ووعيد لمن ترك النفر في سبيل الله"(٧). وقال ابن الجوزي:"وفي قوله : ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ وعيد شديد في التخلف عن الجهاد، وإعلام بأنه يستبدل لنصر نبيه قومًا غير متثاقلين، ثم أعلمهم أنهم إن تركوا نصره لم يضروه، كما لم يضره ذلك إذ كان بمكة"(٨).

٣. ٢. ٣- الوعيد للفارين من القتال:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ {الأنفال:١٦}

السياق: مر ذكره.

---

(١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٧١/٢.

(٢) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٤٩/٢.

(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ب-د-ل)، ٩١/١.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٤٦٠/١١.

(٥) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٤٩/٢.

(٦) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٦٣/٢.

(٧) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٣١٠/٢.

(٨) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ت: محمد زهير الشاويش وآخرون: ٥٨٣.

الفعل القولي: ﴿يُوَلِّهِمْ﴾ الإنصراف إعراضًا وإدبارًا(١).

الإحالة: قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"واختلف المتأولون في المشار إليه بقوله ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فقالت فرقة: الإشارة إلى يوم بدر وما وليه، وفي ذلك اليوم وقع الوعيد بالغضب على من فر، ونسخ بعد ذلك حكم الآية بآية الضعف، وبقي الفرار من الزحف ليس بكبيرة وقد فر الناس يوم أحد فعفا الله عنهم، وقال فيهم يوم حنين:﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ولم يقع على ذلك تعنيف، قال القاضي أبو محمد: وقال الجمهور من الأمة: الإشارة بـ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ إلى يوم اللقاء الذي يتضمنه قوله ﴿إِذَا لَقِيتُمُ﴾ وحكم الآية باق إلى يوم القيامة بشرط الضعف الذي بينه الله تعالى في آية أخرى، وليس في الآية نسخ، وأما يوم أحد فإنما فر الناس من أكثر من ضِعفهم ومع ذلك عنفوا لكون رسول الله ﷺ فيهم وفرارهم عنه، وأما يوم حنين فكذلك من فر إنما انكشف أمام الكثرة، ويحتمل أن عفو الله عمن فر يوم أحد كان عفوًا عن كبيرة"(٢).

القضية: عقوبة التولي يوم الزحف.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعيديات).

القوة الإنجازية: الوعيد للفارين من الزحف، قال الطبري (٣١٠هـ) بعد ذكر الخلاف فيمن تشمله الآية:"وأولى التأويلين في هذه الآية بالصواب: عندي قول من قال: حكمها محكم، وأنها نزلت في أهل بدر، وحكمها ثابت في جميع المؤمنين، وأن الله حرّم على المؤمنين إذا لقوا العدو أن يولوهم الدبر منهزمين، إلا لتحرّف القتال، أو لتحيز إلى فئة من المؤمنين حيث كانت من أرض الإسلام، وأن من ولاهم الدبر بعد الزحف لقتال منهزمًا بغير نية إحدى الخلتين اللتين أباح الله التولية بهما، فقد استوجب من الله وعيده إلا أن يتفضل عليه بعفوه"(٣).

٣. ٢. ٤- الوعيد للكافرين والمنافقين بالهزيمة والعذاب في الدنيا والآخرة:

من الآيات التي تحدثت عن الوعيد للكافرين:

٣. ٢. ٤. ١- الهزيمة والحشر إلى جهنم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ {آل عمران: ١٢}

السياق: قال الماوردي (٤٥٠هـ):"في سبب نزول هذه الآية ثلاثة أقوال: أحدها: أنها نزلت في قريش قبل بدر بسنة، فحقق الله قوله، وصدق رسوله، وأنجز وعده بمن قتل منهم يوم بدر، قاله ابن عباس، والضحاك. والثاني: أنها نزلت في بني قينقاع لما هلكت قريش يوم بدر، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، وحذرهم مثل ما نزل بقريش، فأبوا وقالوا: لسنا كقريش الأغمار الذين لا يعرفون الناس، فأنزل الله فيهم هذه الآية، قاله قتادة، وابن إسحاق. والثالث: أنها نزلت في عامة الكفار"(٤).

---

(١) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (و-ل-ي)، ١٩٤١/٤.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥١٠/٢.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٨١/١١و٨٢.

(٤) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٧٣/١.

الفعل القولي: قرأ حمزة والكسائي وخلف (سيغلبون ويحشرون)، والباقون (ستغلبون وتحشرون)(١).

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرأ بالياء إجماع الجميع على قوله ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ {الأنفال:٣٨}، ويقوي الياء أن أهل التفسير تأولوا في ذلك أن النبي ﷺ لما هزم المشركين يوم بدر قالت اليهود بعضهم لبعض:(هذا هو النبي الذي لا ترد له راية، فصدِّقوا) فقال بعضهم:(لا تعجلوا بتصديقه حتى تكون وقعة أخرى)؛ فلما أصاب المسلمين يوم أحد ما أصابهم شكوا في أمره وخالفوه، فأنزل الله: قل يا محمد:(سيغلبون ويحشرون).

وحجة من قرأ بالتاء قوله:﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ فقد أمره أن يخاطبهم، والمخاطبة لهم أن يقول في وجوههم ﴿سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ﴾ بالتاء"(٢).

﴿ٱلۡمِهَادُ﴾ الفراش(٣).

الإحالة:﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"للذين كفروا من يهود بني إسرائيل الذين يتبعون ما تشابه من آي الكتاب الذي أنزلته إليك ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"(٤)، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"ورجح أبو علي قراءة التاء على المواجهة، وأن الذين كفروا يعم الفريقين، المشركين واليهود، وكل قد غلب بالسيف والجزية والذلة"(٥).

القضية: مصير الكفار في الدنيا والآخرة.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الالتزامية (الوعيديات).

القوة الإنجازية: الوعيد للكفار بالهزيمة والعذاب، قال طنطاوي (١٤٣١هـ):"ولقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتولى الرد عليهم، وأن يواجههم بهذا الخطاب المشتمل على التهديد والوعيد؛ لأنهم كانوا يتفاخرون عليه بأموالهم وبقوتهم، فكان من المناسب أن يتولى ﷺ الرد عليهم، وأن يخبرهم بأن النصر سيكون له ولأصحابه، وأن الدائرة ستدور عليهم"(٦).

٣. ٢. ٤. ٢– المأوى جهنم:

قَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ {التوبة: ٧٣}، {التحريم:٩}

السياق: سبق الحديث سياق الآيتين في الجانب التوجيهي في الآية، ونضيف في الجانب الالتزامي:

---

(١) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٥١.

(٢) ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني، ص١٥٣و١٥٤.

(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (م–هـ–د)، ٢١٣٢/٤.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٣٨/٥.

(٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٤٠٦/١.

(٦) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٤١/٢.

الفعل القولي: ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ الأُوِي أو الإيواء: الضم(١). ﴿الْمَصِيرُ﴾ مآل ومنتهى(٢).

الإحالة: من الإحالة المكانية ﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ مكان الكافرين والمنافقين في الدار الآخرة.

القضية: مصير الكفار والمنافقين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف قوله تعالى:﴿وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ من الأفعال الالتزامية.

القوة الإنجازية: الوعيد للكفار والمنافقين بدخول جهنم، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وقُرِن المنافقون هنا بالكفار: تنبيهًا على أن سبب الأمر بجهاد الكفار قد تحقق في المنافقين، فجهادهم كجهاد الكفار، ولأن الله لما قرنهم في الوعيد بعذاب الآخرة إذ قال:﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ {التوبة : ٦٨} وأومأ قوله هنالك بأن لهم عذابًا آخر، لا جرم جَمَعَهم عند شرع هذا العذاب الآخر لهم"(٣).

---

(١) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (أ-و-و/ أ-و-ى)، ١٢١٥/٣.

(٢) المرجع السابق، (ص-ي-ر)، ١٢١٥/٣.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٦٥/١٠.

٤- الأفعال التبيينية:

ذكرنا سابقًا أن الأفعال التبيينية من الأقسام الخمسة التي ذكرها سيرل، وهي تبين ما يشعر به المتكلم، وغرضها الإنجازي هو التعبير عن شرط الصدق للفعل الكلامي، وأن من أمثلتها: الاعتذار والشكر والتهنئة والترحيب والتعزية، واتجاه المطابقة هو الاتجاه الفارغ؛ لأن حقيقة المحتوى الخبري يسلم بها فحسب، وشرط الإخلاص لها يتغير مع تغير نمط التعبير، فالاعتذار صادق إذا كان المتكلم يشعر بالأسف فعلًا عما يعتذر عنه، والتهنئة صادقة إذا كان المتكلم يشعر بالبهجة حقًا لما يهنئ المستمع عليه.

ونحن هنا لسنا أمام كلام لمخلوق، يعبر عما يجيش في نفسه من مشاعر كالحزن والألم والفرحة وغيرها، ولكننا أمام كلام رب العزة سبحانه، الذي قال عن نفسه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ {الشورى:١١}، لذلك فالتعامل مع الأفعال التبيينية المتعلقة بالله ﷻ تستلزم التأدب معه سبحانه، والالتزام بضوابط العقيدة السليمة في الأسماء والصفات، فلا نصف الله ﷻ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل، ونحاول قدر الإمكان الابتعاد عن مواطن الخلاف في هذه المسائل الحساسة، ومما ثبت لله ﷻ من صفات بالكتاب والسنة: الرضا والحب والبغض والسخط والكره والعجب والغضب إلى غير ذلك.

٤. ١- المدح والرضا والحب للمجاهدين:

المدح -كما هو شائع- ذكر المحاسن، وهو الثناء الحسن، وفي آيات الجهاد نجد القرآن يكثر من مدح المؤمنين المجاهدين، ويثني عليهم بجميل الصفات، وهو دليل حبه ﷻ لهم، ورضاه عنهم، ومن ذلك:

٤. ١. ١- أنهم الصابرون حين البأس وأنهم الصادقون المتقون:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ {البقرة: ١٧٧}

السياق: هي جزء من قوله تعالى ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ وعن الربيع بن أنس قال: كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق، فنزلت: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾"[(١)].

الفعل القولي: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾ حين شدة القتال والحرب، الحرب والقتال حدة وجفاف وشدة بالغة[(٢)].

الإحالة: إحالة شخصية قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ﴾ قال طنطاوي (١٤٣١هـ):"أولئك اسم إشارة للجمع، وقد أشير به إلى من تقدم ذكرهم من الجامعين لخصال البر"[(٣)]، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"ودلت على أن المسلمين قد تحقق فيهم معنى البر، وفيه تعريض بأن أهل الكتاب لم يتحقق فيهم؛ لأنهم لم يؤمنوا ببعض الملائكة وبعض النبيئين، ولأنهم

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٣/٣٣٨.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ب-أ-س)، ١/١١٩.

(٣) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ١/٣٦٦.

حرموا كثيرا من الناس حقوقهم، ولم يفوا بالعهد، ولم يصبروا، وفيها أيضًا تعريض بالمشركين"(١).

القضية: منزلة الصابرين في القتال.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِ﴾ من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: مدح الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أي القتال، قال الطبري (٣١٠هـ):"وأما الصابرين فنصب، وهو من نعت ﴿مَنۡ﴾ على وجه المدح؛ لأن من شأن العرب إذا تطاولت صفة الواحد الاعتراض بالمدح والذم بالنصب أحيانا وبالرفع أحيانا"(٢)، قال طنطاوي (١٤٣١هـ):"وقوله: ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ معطوف في المعنى على ﴿مَنۡ ءَامَنَ﴾ كقوله ﴿وَٱلۡمُوفُونَ﴾ إلا أنه جاء منصوبًا على المدح بتقدير أخص أو أمدح وغير سبكه عما قبله، تنبيهًا على فضيلة الصبر ومزيته على غيره من الفضائل حتى لكأنه ليس من جنس ما سبقه من فضائل، وهذا الأسلوب يسمى عند علماء اللغة العربية بالقطع، وهو أبلغ من الإتباع، ولا ريب في أن صفة الصبر على الشدائد والآلام وحين القتال في سبيل الله، جديرة بأنه ينبه لمزيد فضلها، إذ هي أصل لكثير من المكارم كالعفاف عما في أيدي الناس، والتسليم للقضاء الذي لا مرد له، والإقدام الذي يحمي به الدين وتسلم به النفوس والأموال والأعراض"(٣).

٢. ١. ٢- أنهم المؤمنون حقًا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ {الأنفال: ٧٤}

السياق: مرّ الكلام عن الآية في الجانب الالتزامي، ونضيف في الجانب التعبيري:

الفعل القولي: ﴿ءَاوَواْ﴾ الضم للحماية(٤).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ﴾ المهاجرين، ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ﴾ الأنصار وفيه إشارة إلى النبي ﷺ أي آووا ونصروا النبي ﷺ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ المهاجرين والأنصار، ومن الإحالة المكانية ﴿وَهَاجَرُواْ﴾ من مكة إلى المدينة(٥).

القضية: منزلة المهاجرين والأنصار.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: المدح والثناء على الصحابة رضوان الله عليهم، قال الخازن (٧٤١هـ):"ذكر في هذه الآية من وجوه المدح ثلاث أنواع: أحدها: قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ وهذا يفيد الحصر وقوله سبحانه وتعالى

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٣٢/٢.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٨٩/٣.

(٣) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣٦٥/١.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (أ-و-و/ أ-و-ى)، ٢٣٣٠/٤.

(٥) ينظر في جميع الإحالات: مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٣٠/٢.

﴿حَقًّا﴾ يفيد المبالغة في وصفهم بكونهم محقين في طريق الدين وتحقيق هذا القول أن من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنًا حقًا، النوع الثاني: قوله سبحانه وتعالى ﴿لَّهُم مَّغْفِرَةٌ﴾وتنكير لفظ المغفرة يدل على أن لهم مغفرة وأي مغفرة لا ينالها غيرهم، والمعنى لهم مغفرة تامة كاملة ساترة لجميع ذنوبهم، النوع الثالث: قوله سبحانه وتعالى ﴿وَرِزْقٌ﴾ فكل شيء شرف وعظم في بابه قيل له كريم، والمعنى أن لهم في الجنة رزقًا لا تلحقهم فيه غضاضة ولا تعب"(١).

٣. ١. ٣- أنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ {الفتح: ٢٩}

السياق: مر الكلام عن سورة الفتح وسياق نزولها.

الفعل القولي:﴿أَشِدَّآءُ﴾ المعنى المحوري: صلابة الشيء مع الجفاف وعدم الرخاوة(٢)، قال الطبري (٣١٠هـ):"غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم(٣)، وقال القشيري:"جمع شديد، أي فيهم صلابةٌ مع الكفار"(٤).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ إشارة إلى جميع الصحابة عند الجمهور، وحكى الثعلبي (٤٢٧هـ) عن ابن عباس أن الإشارة إلى من شهد الحديبية(٥)، ﴿بَيْنَهُمْ﴾ بعضهم لبعض(٦).

القضية: الشدة والرحمة عند النبي ﷺ والمؤمنين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف قوله تعالى:﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: المدح والثناء على الرسول ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم لشدتهم على الكفار، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والشدة على الكفار: هي الشدة في قتالهم وإظهار العداوة لهم، وهذا وصف مدح؛ لأن المؤمنين الذين مع النبي ﷺ كانوا هم فئة الحق ونشر الإسلام فلا يليق بهم إلا إظهار الغضب لله والحب في الله والبغض في الله من الإيمان، وأصحاب النبي ﷺ أقوى المؤمنين إيمانًا من أجْل إشراق أنوار النبوءة على قلوبهم فلا جرم أن يكونوا أشد على الكفار"(٧).

وقد يتبادر إلى الذهن: هل يدخل الرسول ﷺ في وصف الشدة على الكفار؟ و كيف نوفق بين هذا الوصف وكون النبي ﷺ رحمة للعالمين؟

قال بعض المفسرين أن وصف الشدة خاص بأصحاب النبي ﷺ، والصحيح أن الوصف يشمله ﷺ، قال

---

(١) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ت: عبد السلام شاهين، ٢/٣٣٠.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ش-د-د)، ٢/١١١٤.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢١/٣٢١.

(٤) القشيري: لطائف الإشارات، ت: عبد اللطيف حسن، ٣/٢١٨.

(٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥/١٤٠و١٤١.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤/٧٨.

(٧) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٦/٢٠٤.

الماتريدي (٣٣٣هـ):"ليس في ما وصفهم بالشدة على الكفار دليل على أن ليس لهم شفقة عليهم، فإن النبي ﷺ له شفقة عظيمة عليهم حتى كادت تهلك نفسه؛ لذلك قال تعالى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ {فاطر:٨} وقال: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ {الشعراء:٣}، فعلى ذلك أصحابه، رضوان الله عليهم أجمعين، ثم القتال الموضوع في ما بينهم رحمة في الحقيقة، وإن كان في الظاهر ليس برحمة؛ لأنه وُضع ليضطرّهم ذلك إلى قبول الإسلام والتوحيد، وفي قبولهم ذلك نجاتهم، وما وصفهم بالرحمة على المؤمنين ليس فيه أنهم ليسوا بأشداء عليهم إذا عاينوا منهم المناكير والفواحش حتى يتركوا التغيير عليهم، بل من الشفقة لهم عليهم ما يُغيّرون عليهم المنكر؛ إذ في ذلك نجاتهم، وذلك لا يزيل عنهم الرحمة التي وصفهم بها، بل ذلك من الشفقة لهم والرحمة، والله أعلم"[١].

٤. ١. ٤- حبه ﷻ لهم ومدحهم بأنهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {المائدة: ٥٤}

السياق: قال القاسمي (١٣٣٢هـ):"قال المحققون: هذه الآية من الكائنات التي أخبر عنها في القرآن قبل كونها. وقد وقع المخبر به على وفقها؛ فيكون معجزًا. فقد روي أنه ارتد عن الإسلام إحدى عشر فرقة: ثلاث في عهد رسول الله ﷺ"[٢].

الفعل القولي: قرأ نافع وابن عامر وأبو جعفر (يرتدد)، والباقون (يرتدَّ)[٣].

﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ رحماء رفقاء بهم، جانبهم لين لهم ليس أنهم أذلاء مهانون،﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ غلاظ شداد عليهم[٤]، قال الطبري (٣١٠هـ):"﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ أرقاء عليهم رحماء بهم، من قول القائل: ذلّ فلان لفلان: إذا خضع له واستكان، ويعني بقوله ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ أشداء عليهم غلظاء بهم، من قول القائل: قد عزّني فلان: إذا أظهر العزة من نفسه له، وأبدى له الجفوة والغلظة"[٥].

﴿لَوْمَةَ﴾ اللوم: العَذْل، تعنيف يردع عن التجاوز[٦]، قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"واللومة: المرّة من اللوم، وفيها وفي التنكير مبالغتان، كأنه قيل: لا يخافون شيئًا قط من لوم أحد من اللوام"[٧].

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ﴾ الخطاب للمسلمين يوم أحد، قال مقاتل

---

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٣١٧/٩.

(٢) القاسمي: محاسن التأويل، ت: محمد باسل، ١٦٨/٤.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١١٧.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ذ-ل-ل)، ٧٢١/٢.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٥٢٧/٨.

(٦) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ل-و-م)، ١٩٩٩/٤.

(٧) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٢٩٦.

(١٥٠هـ):"وذلك حين هزموا يوم أحد، شك أناس من المسلمين، فقالوا ما قالوا"(١)، وقال:"فارتد بعد وفاة رسول الله ﷺ بنو تميم، وبنو حنيفة، وبنو أسد، وغطفان، وأناس من كندة، منهم الأشعث بن قيس"(٢)، ﴿بِقَوۡمٖ﴾ فجاء الله ﷻ بخير من الذين ارتدوا، بوهب بطن من كندة، وبأحمس بجيلة، وحضرموت، وطائفة من حمير وهمذان، أبدلهم مكان الكافرين(٣).

القضية: صفات المجاهدين في سبيل الله الذين يحبهم الله ويحبونه.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: المدح والثناء على المؤمنين المجاهدين الذين يحبهم الله ويحبونه، ووصفهم بالعزة على الكافرين والذلة على المؤمنين، وأنهم لا يخافون في الله لومة لائم، قال الشوكاني:"ثم وصف سبحانه هؤلاء القوم بهذه الأوصاف العظيمة المشتملة على غاية المدح ونهاية الثناء من كونهم يحبون الله وهو يحبهم، ومن كونهم:﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾"(٤).

٤. ١. ٥- أنهم الصادقون:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ {الحجرات: ١٥}

السياق: نزلت في الرد على الأعراب الذين قالوا آمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبهم(٥).

الفعل القولي:﴿ثُمَّ﴾ حرف عطف للتراخي، والفائدة منه الإشارة إلى أن نفي الريب عنهم ليس في وقت حصول الإيمان فيهم فقط، بل هو مستمر بعد ذلك فيما يتطاول من أزمنة وآماد(٦).

﴿يَرۡتَابُواْ﴾ ارتاب: شك (بتهمة) .. ففي كل ارتياب شبهة حقيقة أو مفتعلة(٧).

الإحالة:﴿وَرَسُولِهِۦ﴾ محمد ﷺ(٨).

القضية: حقيقة الإيمان الصادق.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: مدح المؤمنين الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله بأنهم الصادقون، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"ولما عرف بهم بذكر أماراتهم على سبيل الحصر، أنتج ذلك حصرًا آخر، قطعًا لأطماع المدعين، على وجه

---

(١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٨٥/١.

(٢) المرجع السابق، ٤٨٥/١.

(٣) نفسه، ٤٨٥/١.

(٤) الشوكاني: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ٥١/٢.

(٥) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٣١٨/٢٢.

(٦) محيي الدين الدرويش: إعراب القرآن الكريم وبيانه، ٢٦١/٧.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ر-ي-ب)، ٧٤٢/٢.

(٨) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٩٩/٤.

أثنى عليهم فيه بما تعظم المدحة به عندهم، ترغيبًا في مثل حالهم، فقال:﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ أي العالو الرتبة الذين حصل لهم استواء الأخلاق والعدل في الدين بجميع أمهات الأخلاق ﴿هُمُ﴾ أي خاصة ﴿ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ مقالًا وحالًا وفعالًا، وأما غيرهم فكاذب"(١).

٤. ١. ٦– أنه ﷻ يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ {الصف: ٤}

السياق: مر الكلام على سورة الصف وسياق نزولها.

الفعل القولي: ﴿صَفًّا﴾قال السمعاني (٤٨٩هـ):"أي: ملزق بعضه ببعض، وقيل: يثبتون في الحرب مع الكفار ثبات البنيان الذي وضع بعضه على بعض وسد بالرصاص"(٢)، ﴿مَّرْصُوصٌ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"فيه وجهان: أحدهما: أن المرصوص الملتصق بعضه إلى بعض لا ترى فيه كوة ولا ثقباً لأن ذلك أحكم في البناء من تفرقه وكذلك الصفوف، قاله ابن جبير، والثاني: أن المرصوص المبني بالرصاص، قاله الفراء"(٣).

الإحالة:﴿سَبِيلِهِۦ﴾الضمير إحالة إلى مذكور في السياق وهو الله ﷻ، ﴿كَأَنَّهُم﴾ إحالة إلى مذكور في السياق وهم ﴿ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ﴾.

القضية: هيئة المقاتلين التي يحبها الله ﷻ.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: مدح المؤمنين على انضباطهم ونظامهم، قال المراغي:"مدح الذين قاتلوا في سبيله وبالغوا فيه فقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ أي إن الله يحب الذين يصفون أنفسهم حين القتال، ولا يكون بينهم فرَج فيه، كأنهم بنيان متلاحم الأجزاء، كأنه قطعة واحدة قد صبت صبًا، وعلى هذا الطريقة تسير الجيوش في العصر الحاضر، وسر هذا: أنهم إذا كانوا كذلك زادت قوتهم المعنوية، وتنافسوا في الطعان والنزال، والكرّ والفرّ، إلى ما في ذلك من إدخال الروع والفزع في نفوس العدو، إلى ما لحسن النظام من إمضاء العمل بالدقة والإحكام"(٤).

٤. ١. ٧– أنهم يستجيبون لله ولرسوله ﷺ في الخروج للجهاد رغم جراحهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ {آل عمران: ١٧٢ – ١٧٤}

---

(١) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣٩٠/١٨.

(٢) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٤٢٥/٥.

(٣) ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٥٢٨/٥.

(٤) أحمد مصطفى المراغي: تفسير المراغي، ٨١/٢٨.

السياق: سبق الكلام عن سياق الآيات في الأفعال الالتزامية، ونضيف في الجانب التعبيري:

الفعل القولي: قرأ شعبة وحمزة وعلي وخلف (القُرح)، والباقون (القَرح)[١]، وقرأ شعبة (رُضوان)، والباقون (رِضوان)[٢].

الإحالة: ﴿ٱلَّذِينَ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"الذين اتبعوا رسول الله ﷺ إلى حمراء الأسد في طلب العدو أبي سفيان، ومن كان معه من مشركي قريش مُنْصرَفَهم عن أُحد"[٣]، ﴿ٱلنَّاسُ﴾ يعني: نعيم بن مسعود وحده[٤]، ﴿ٱلنَّاسَ﴾ والناس الثاني: هم أبو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأُحد[٥].

القضية: استجابة المؤمنين لربهم ﷻ في الخروج للجهاد رغم جراحهم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال التبيينية مع جانب (وعدي) سبق بيانه.

القوة الإنجازية: مدح المؤمنين على صبرهم وجلدهم بعد غزوة أحد، قال ابن جُزَيّ (٧٤١هـ):"نزلت في الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ في إتباع المشركين بعد غزوة أحد، فبلغ بهم إلى حمراء الأسد وهي على ثمانية أميال من المدينة، وأقام بها ثلاثة أيام، وكانوا قد أصابتهم جراحات وشدائد، فتجلدوا وخرجوا فمدحهم الله بذلك"[٦].

الفعل التأثيري: كان تأثير قول رسل كفار قريش على غير ما أرادوا، فهم أرادوا تخويف المؤمنين، فكان التأثير زيادة في الإيمان والتوكل على الله، قال الجصاص (٣٧٠هـ):"﴿فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا﴾ فيه إخبار بزيادة يقينهم عند زيادة الخوف والمحنة، إذ لم يبقوا على الحال الأولى، بل ازدادوا عند ذلك يقينًا وبصيرة في دينهم"[٧].

٤. ١. ٨- أنهم يطعمون الأسرى:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ {الإنسان: ٨}

السياق: سورة الإنسان سورة مكية، قال دروزة (١٤٠٤هـ):"أسلوب الآيات ومضمونها وروحها وطابعها المكي القوي، كل ذلك يلهم أنها بسبيل وصف الأبرار الذين ذكروا في الآية السابقة مباشرة بصورة عامة"[٨].

الفعل القولي: ﴿وَأَسِيرًا﴾ الأسير: الأخيذ (أي في الحرب)، وكل محبوس في قِدّ أو سجن أسير[٩].

الإحالة: ﴿وَيُطْعِمُونَ﴾ قال السمعاني (٤٨٩هـ):"واختلف القول فيمن نزلت هذه الآية، فأصح الأقاويل: أن

---

(١) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٧٢.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص٧٣.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٤٠/٦.

(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣١٦/١.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٤٤/٦.

(٦) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: محمد سالم هاشم، ١٦٦/١و١٦٧.

(٧) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، ٣٣٣/٢.

(٨) محمد عزة دَرْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ١٠٧/٦.

(٩) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (أ-س-ر)، ٩٩١/٢.

الآية على العموم"[١]، ﴿حُبِّهِۦ﴾ على حب الطعام، قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"الضمير للطعام"[٢]، ﴿وَأَسِيرًا﴾ من أُسارى المشركين[٣]، وقيل: المسجون من المسلمين والمملوك والمرأة[٤].

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: مدح إطعام الأسرى، قال ابن الجوزي (٥٩٧هـ):"وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك، قال: وهذا منسوخ بآية السيف، وليس هذا القول بشيء، فإن في إطعام الأسير المشرك ثوابًا، وهذا محمول على صدقة التطوع، فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفار، ذكره القاضي أبو يعلى"[٥].

٤. ٢– الذم والتوبيخ والإنكار:

من آيات الذم والتوبيخ والإنكار:

٤. ٢. ١– الإنكار على من يساوي المجاهدين بغيرهم:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {التوبة: ١٩}

السياق: قال القيسي (٤٣٧هـ):"إن المشركين من قريش افتخروا بالسقاية وسدانة البيت، فأعلمهم الله ﷻ أن الفخر إنما هو بالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيل الله"[٦].

الفعل القولي: قرأ ابن وردان بخلف عنه (سُقاة/عَمرة) وله مثل الباقين (سقاية/عمارة)[٧]، قال الفراء (٢٠٧هـ):"ولم يقل: سُقَاة الحاجّ وعامرى..كمن آمن، فهذا مثل قوله:﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ {البقرة:١٧٧} يكون المصدر يكفي من الأسماء، والأسماء من المصدر إذا كان المعنى مستدَلا عليه بهما"[٨]، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"وقرىء:{أجعلتم سُقَاة الحاج وعَمَرة المسجد الحرام} وعلى هذه القراءة لا يحتاج إلى تقدير الأهل"[٩].

الإحالة:﴿أَجَعَلْتُمْ﴾ قال أبو السعود (٩٨٢هـ):"الخطاب إما للمشركين على طريقة الالتفات وهو المتبادر من تخصيص ذكر الإيمان بجانب المشبَّه به، وإما لبعض المؤمنين المؤثِرين للسقاية والعِمارة ونحوهما على الهجرة والجهاد

---

(١) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ١١٦/٦.

(٢) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص١١٦٤.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٥٢٥/٤.

(٤) ينظر: البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٢٩٤/٨.

(٥) ابن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، ت: محمد زهير الشاويش وآخرون: ١٤٩٨.

(٦) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٢٩٥٢/٤.

(٧) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٨٩.

(٨) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٤٢٧/١.

(٩) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٢٩٥/٢.

ونظائرهما، وهو المناسب للاكتفاء في الرد عليهم ببيان عدم مساواتهم عند الله للفريق الثاني"[١]، ومن الإحالة الزمانية: ﴿وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ سمي ذلك اليوم باليوم الآخر؛ لأنه اليوم الذي لا يوم بعده[٢]، وحسب تصنيف الباحثة (أوركيوني) فيمكن عدّه من الظروف الحيادية التي يصعب تحديد زمانها.

القضية: أفضلية الجهاد على سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال التبيينية، والاستفهام ﴿أَجَعَلۡتُمۡ﴾ خرج عن حقيقته للتوبيخ والإنكار.

القوة الإنجازية: الإنكار على من يساوي بين أهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بالمؤمنين المجاهدين، قال الطبري (٣١٠هـ):"هذا توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسِدانة البيت، فأعلمهم جل ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله، لا في الذي افتخروا به من السِدانة والسقاية"[٣]، وقال رشيد رضا:"والاستفهام للإنكار المتضمن لمعنى النهي؛ أي لا تفعلوا ذلك، فإنه خطأ ظاهر كما بينه ما بعده"[٤].

٤ . ٢ . ٢- توبيخ المتباطئين عن الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّ مِنكُمۡ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنۡ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَالَ قَدۡ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذۡ لَمۡ أَكُن مَّعَهُمۡ شَهِيدٗا ٧٢ وَلَئِنۡ أَصَٰبَكُمۡ فَضۡلٞ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمۡ تَكُنۢ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُۥ مَوَدَّةٞ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا﴾ {النساء: ٧٢ - ٧٣}

السياق: نزلت في عبد الله بن أبي بن ملك بن أبي عوف بن الخزرج رأس المنافقين[٥].

الفعل القولي: قرأ ابن كثير وحفص ورويس (لم تكن)، والباقون (لم يكن)[٦].

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرأ بالياء أن المودة والود بمعنى واحد، كما كانت الموعظة بمعنى الوعظ، قال الله ﷻ: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ {البقرة:٢٧٥}، وأخرى: قال أهل البصرة: فلما فصل بين الاسم والفعل بفاصل صار الفاصل كالعوض من التأنيث"[٧].

﴿لَّيُبَطِّئَنَّ﴾ قال الهواري (٣٠٠هـ):"عن الغزو والجهاد في سبيل الله"[٨].

الإحالة: ﴿مِنكُمۡ﴾ قال السمرقندي (٣٧٣هـ):"فهذا الخطاب للمؤمنين، فكأنه يقول: إن فيكم منافقين

---

(١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٥٢/٤.

(٢) عمر سليمان الأشقر: العقيدة في ضوء الكتاب والسنة، ٢١/٥.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٣٧٧/١١.

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (المنار)، ٢٦١/١٠.

(٥) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٨٨/١.

(٦) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٨٩.

(٧) ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني، ص٢٠٨.

(٨) الهُواري: تفسير كتاب الله العزيز، ت: بالحاج سعيد شريفي، ٣٩٨/١.

يتثاقلون ويتخلفون عن الجهاد"(١)، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"قوله ﴿مِنكُمْ﴾ يحتمل وجوهًا: يحتمل في الظاهر منكم، ويحتمل في الحكم منكم، ويحتمل في الدعوى؛ لأنهم كانوا يدعون أنهم منا، ويظهرون الموافقة للمؤمنين، وإن كانوا في الحقيقة لم يكونوا"(٢).

القضية: التباطؤ عن الجهاد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: توبيخ المتخاذلين عن الجهاد وبيان بعض ما يخفونه، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"ولما كان التقدير: فإن منكم الخارج إلى الجهاد عن غير حزم ولا حذر، عطف عليه قوله، مبينًا لما هو من أجل مقاصد هذه الآيات، من تبكيت المنافقين للتحذير منهم، ووصفهم ببعض ما يخفون"(٣)، وقال رشيد رضا (١٣٥٤هـ):"شرح الله حال هذا القِسْم من الضعفاء توبيخًا لهم وإزعاجًا إلى تطهير نفوسهم وتزكيتها"(٤).

٤. ٢. ٣- الإنكار على يكرهون فرض القتال ويخشون الناس كخشية الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ {النساء: ٧٧}

السياق: قال الماوردي (٤٥٠هـ):"أربعة أقاويل: أحدها: أنها نزلت في ناس من الصحابة استأذنوا النبي ﷺ بمكة في قتال المشركين فلم يأذن لهم، فلما كُتِبَ عليهم القتال وهم بالمدينة قال فريق منهم ما ذكره الله عنهم، وهذا قول ابن عباس، وعكرمة، وقتادة، والسدي، والثاني: أنها نزلت في المنافقين، وهو قول بعض البصريين، والثالث: أنها نزلت في اليهود، والرابع: أنها من صفة المؤمن لما طُبِعَ عليه البشر من المخافة، وهذا قول الحسن"(٥)،

الفعل القولي: قرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وعاصم ورويس (ولا تظلمون)، والباقون (ولا يظلمون)(٦).

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرأ بالياء قوله:﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ فأخبر عنهم ولم يقل (خير لكم) وأن الكلام أيضًا جرى قبل ذلك بلفظ الخبر عنهم فقال:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ﴾، وحجة من قرأ بالتاء قوله:﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ﴾"(٧).

﴿فَتِيلًا﴾ أي قدر فتيل، وهو السحاة في شق النواة(٨).

---

(١) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٣٦٧/١.

(٢) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٢٥٢/٣.

(٣) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣٢٤/٥.

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (المنار)، ٢٥٤/٥.

(٥) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٥٠٧/١.

(٦) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٩٠.

(٧) ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني، ص٢٠٨.

(٨) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ف-ت-ل)، ١٦٢٧/٣.

الإحالة: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ ألم تر بقلبك يا محمد(١)، ﴿الَّذِينَ﴾ فريق من المسلمين على الراجح. ﴿النَّاسَ﴾ كفار مكة(٢). ﴿قُلْ﴾ قل يا محمد(٣).

القضية: الكراهية لفرض القتال.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: ذم وتقريع للمرتاعين من فرض القتال، قال درْوزة (١٤٠٤هـ):"في الآيات تساؤل إنكاري وتعجبي في مقام التنديد بفريق من المسلمين بسبب ارتياعهم من فرض القتال عليهم وإظهارهم الخوف من الناس كخوفهم من الله أو أشد وتساؤلهم تساؤل الفزع المستنكر عن سبب فرض ربهم القتال عليهم وتمنيهم أو لو أخره مدة أخرى مع أن منهم من كانوا يستعجلونه ولم يؤذن لهم به، واكتفى منهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وأمروا بكف أيديهم عن القتال"(٤).

٤. ٢. ٤- توبيخ الراضين بالحياة الدنيا من الآخرة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ {التوبة: ٣٨}

السياق: نزلت في المؤمنين، وذلك أن النبي ﷺ أمر الناس بالسير إلى غزوة تبوك في حر شديد(٥).

الفعل القولي: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ﴾ ثقل نفسي من فقد الحماس للجهاد(٦)، قال الفراء (٢٠٧هـ):"معناه والله أعلم: (تثاقلتم) فإذا وصلتها العرب بكلام أدغموا التاء في الثاء؛ لأنها مناسبة لها، ويحدثون ألِفًا لم يكن؛ ليبنوا الحرف على الإدغام في الابتداء والوصل، وكأن إحداثهم الألف ليقع بها الابتداء، ولو حذفت لأظهروا التاء؛ لأنها مبتدأة، والمبتدأ لا يكون إلا متحركًا"(٧).

الإحالة: ﴿ٱنفِرُواْ﴾ أي المؤمنين. ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"ثلاثة أوجه: أحدها: إلى الإقامة بأرضكم ووطنكم، والثاني: إلى الأرض حين أخرجت الثمر والزرع، قال مجاهد: دعوا إلى ذلك أيام إدراك النخل ومحبة القعود في الظل، الثالث: اطمأننتم إلى الدنيا، فسماها أرضًا لأنها فيها، وهذا قول الضحاك"(٨).

القضية: التثاقل عن الجهاد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٣٠/٧.

(٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٩٠/١.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٣٣/٧.

(٤) محمد عزة درْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ١٧٠/٨و١٧١.

(٥) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٧٠/٢.

(٦) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ث-ق-ل)، ٢٤٦/١.

(٧) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٤٣٧/١و٤٣٨.

(٨) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٦٢/٢.

القوة الإنجازية: التنديد والعتاب والإنكار على المسلمين المتخلفين عن الجهاد، قال درْوزة (١٤٠٤هـ):"في الآيات تنديد وعتاب موجه للمسلمين على تثاقلهم وعدم نشاطهم حينما يدعون إلى النفرة إلى الجهاد في سبيل الله، وسؤال على سبيل الإنكار والعتب عما إذا كانوا قد رضوا بالحياة الدنيا بدلا من الآخرة، مع أن مدة الحياة الدنيا ومتاعها بالنسبة للآخرة قليلة تافهة"(١).

٤. ٢. ٥- ذم الكسالى والمتثاقلين عن الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ {التوبة:٤٢}

السياق: مرّ الكلام عن الآية ونزولها في المتخلفين عن غزوة تبوك.

الفعل القولي: ﴿عَرَضًا﴾ كثرة المال، طمع الدنيا قليلًا أو كثيرًا؛ لأنه عارض يريك عُرْضَه، أو أنه يَعْرِض للنظر ثم يزول ويعرض غيره، ومن هذه أخذ معنى سرعة زواله(٢)، ﴿قَاصِدًا﴾ سهل قريب فهو متوسط ليس بعيدًا(٣)، ﴿الشُّقَّةُ﴾ والشقة بالضم والكسر: بُعْدُ مسيرٍ إلى الأرض البعيدة، وهو انشقاق معنوي إذ هو انفصال بابتعاد(٤).

الإحالة: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا﴾ قال الرازي (٦٠٦هـ):"قال الزجاج: فيه محذوف والتقدير: لو كان المدعو إليه سفرا قاصدا، فحذف اسم ﴿كَانَ﴾ لدلالة ما تقدم عليه"(٥)، قال عبد الرزاق (٢١١هـ):"هي غزوة تبوك"(٦)، ﴿لَّاتَّبَعُوكَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ وضمير الواو المقصود به المنافقون، نزل في المتخلفين عن غزوة تبوك من المنافقين(٧). ﴿مَعَكُمْ﴾ مع المؤمنين.

القضية: التثاقل عن الجهاد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية وما جاء بعدها من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: ذم المتخاذلين عن الجهاد، يقول البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"وفي هذا إشارة إلى ذمهم بسفول الهمم ودناءة الشيم بالعجز والكسل والنهم والثقل، وإلى أن هذا الدين متين لا يحمله إلا ماضي الهم صادق العزم"(٨).

٤. ٢. ٦- ذم المرجفين والمذيعين للأخبار العسكرية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ

---

(١) محمد عزة درْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٤٣٧/٩.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ع-ر-ض)، ١٤٤٧/٣.

(٣) المرجع السابق، (ق-ص-د)، ١٧٩٢/٤.

(٤) نفسه: (ش-ق-ق)، ١١٥٧/٢.

(٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٥٦/١٦.

(٦) عبد الرزاق: تفسير عبد الرزاق، ت: محمود محمد عبده، ١٥٠/٢.

(٧) الثعلبي: الكشف والبيان، ت: محمد الطاهر بن عاشور، ٥٠/٥.

(٨) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٨٠/٨.

يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ {النساء: ٨٣}

السياق: قال الفراء (٢٠٧هـ):"هذا نزل في سرايا كان رسول الله ﷺ يبعثها، فإذا غَلَبوا أو غُلِبوا بادر المنافقون إلى الاستخبار عن حال السرايا، ثم أفشوه قبل أن يفشيه رسول الله ﷺ أو يحدّثه"(١). وقيل غير ذلك.

الفعل القولي: ﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ ذاع الخبر يذيع: فشا وانتشر، وقد أذاعه وأذاع به: أفشوه ونشروه(٢).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿جَآءَهُمۡ﴾ يعني: المنافقين(٣)،﴿ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ ﴾ أمراء السرايا(٤)، ﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾ يعني: أولي الأمر، والهاء والميم في قوله:﴿مِنۡهُمۡ﴾ من ذكْر أولي الأمر، يقول: لعلم ذلك من أولي الأمر من يستنبطه(٥).

القضية: إذاعة أمور الأمن أو الخوف دون الرجوع للرسول ولأولي الأمر.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: ذم الإرجاف وإذاعة الأخبار العسكرية والتشهير بها، قال الرازي (٦٠٦هـ):"العداوة الشديدة كانت قائمة بين المسلمين وبين الكفار، وكان كل واحد من الفريقين في إعداد آلات الحرب وفي انتهاز الفرصة فيه، فكل ما كان أمنًا لأحد الفريقين كان خوفًا للفريق الثاني، فإن وقع خبر الأمن للمسلمين وحصول العسكر وآلات الحرب لهم أرجف المنافقون بذلك فوصل الخبر في أسرع مدة إلى الكفار، فأخذوا في التحصن من المسلمين، وفي الاحتراز عن استيلائهم عليهم، وإن وقع خبر الخوف للمسلمين بالغوا في ذلك، وزادوا فيه وألقوا الرعب في قلوب الضعفة والمساكين، فظهر من هذا أن ذلك الإرجاف كان مَنْشَأً للفتن والآفات من كل الوجوه، ولما كان الأمر كذلك ذم الله تلك الإذاعة وذلك التشهير، ومنعهم منه"(٦).

٤. ٣- التعزية:

العزاء: الصبر عن كل ما فقدت، تقول: عزيت فلانًا أعزيه تعزية أَسَّيْته وضربت له الأُسى، وأَمَرْتُه بالعزاء فتَعَزَّى تَعَزِّيًا أَي تَصَبَّرَ تَصَبُّرًا(٧)، ومما جاء في هذا الباب:

٤. ٣. ١- تعزية المؤمنين على ما أصابهم يوم أحد:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٤٠

(١) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ٢٧٩/١.
(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ذ-ي-ع)، ٧١٣/٢.
(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٩٣/١.
(٤) المرجع السابق، ٣٩٣/١.
(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٥٥/٧.
(٦) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٥٣/١٠.
(٧) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، (ص-ب-ر)، ٥٢/١٥.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ {آل عمران: ١٣٩ - ١٤١}

السياق: نزلت يوم أحد حين أمر النبي ﷺ بطلب القوم مع ما أصابهم من الجراح، فاشتد ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى هذه الآية(١).

الفعل القولي: قرأ شعبة وحمزة وعلي وخلف (قُرح)، والباقون (قَرح)(٢)، وقد مر أنها بالفتح والضم: الجرح، ﴿نُدَاوِلُهَا﴾ مسارّها لهؤلاء حينًا ولغيرهم حينًا(٣)، ﴿وَلِيُمَحِّصَ﴾ أي يخلصهم من الذنوب، قال السمرقندي (٣٧٣هـ):"أي: لكي يُطْهر المؤمنين ويكفر ذنوبهم، والتمحيص في اللغة الاختبار والتطهير"(٤)، ﴿وَيَمْحَقَ﴾ المعنى المحوري: فقد الشيء حقيقته أو أصله وصلبه .. محق الله الشيء: أذهب خيره وبركته(٥)، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"يهلكهم ويستأصلهم"(٦).

الإحالة: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟﴾ لأصحاب رسول الله ﷺ على ما أصابهم من الجراح والقتل بأُحد(٧)، ﴿ٱلْقَوْمَ﴾ كفار قريش(٨)، ﴿ٱلنَّاسِ﴾ ويعني بالناس: المسلمين والمشركين(٩).

القضية: ما أصاب المسلمين يوم أحد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: تعزية المؤمنين على ما أصابهم يوم أحد، قال الطبري (٣١٠هـ):"وهذا من الله تعالى ذكره تعزية لأصحاب رسول الله ﷺ على ما أصابهم من الجراح والقتل بأُحد .. عن قتادة: قوله ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾يعزّي أصحاب محمد ﷺ كما تسمعون، ويحثهم على قتال عدوهم، وينهاهم عن العجز والوهن في طلب عدوهم في سبيل الله"(١٠).

٤ . ٣ . ٢- التجاوز والعفو عن زلل المؤمنين وخطأهم يوم أحد:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ {آل عمران: ١٥٥}

---

(١) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ت: عبد السلام شاهين، ٣٠١/١.
(٢) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٦٧.
(٣) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (د-و-ل)، ٦٧٢/٢.
(٤) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٣٠٤/١.
(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (م-ح-ق)، ٢٠٣٧/٤.
(٦) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٤٩٦/٢.
(٧) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٧٦/٦.
(٨) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٠٣/١.
(٩) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٨٢/٦.
(١٠) المرجع السابق، ٧٦/٦و٧٧.

السياق: نزلت فيمن فر يوم أحد(١).

الفعل القولي: ﴿ٱسۡتَزَلَّهُمُ﴾ أمكنته ذنوبهم من استغوائهم وإزلاقهم(٢).

الإحالة: ﴿تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ﴾ الذين ولوا عن المشركين من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أُحد وانهزموا عنهم(٣)، ﴿ٱلۡجَمۡعَانِ﴾ جمع المؤمنين وجمع المشركين يوم أحد(٤).

القضية: تولي بعض المسلمين يوم أحد وعفو الله عنهم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: التعبير عن العفو والتجاوز عن المؤمنين المنهزمين يوم أحد، جاء في المنتخب:"إن الذين انصرفوا منكم عن الثبات في أماكنهم –يا معشر المسلمين– يوم التقى جمعكم وجمع الكفار للقتال بأُحد، إنما جرَّهم الشيطان إلى الزلل والخطأ بسبب ما ارتكبوا من مخالفة الرسول، ولقد تجاوز الله عنهم؛ لأنه كثير المغفرة واسع الحلم"(٥).

٤ . ٣ . ٣– التخفيف عنهم ومواساتهم لما أصابهم يوم أحد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ {النساء: ١٠٤}

السياق: سبب نزول الآية: أن الكفار يوم أحد لما انهزموا، بعث النبي ﷺ طائفة من أصحابه على إثرهم، فشكوا ألم الجراحات؛ فنزلت الآية(٦).

الفعل القولي: ﴿تَأۡلَمُونَ﴾ تتوجعون(٧)، ﴿وَتَرۡجُونَ﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"قال بعض المفسرين: معنى ترجون: تخافون، ولم نجد معنى الخوف يكون رجاء إلا ومعه جحد، فإذا كان كذلك كان الخوف على جهة الرجاء والخوف، وكان الرجاء كذلك؛ كقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغۡفِرُواْ لِلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ {الجاثية:١٤} هذه: للذين لا يخافون أيام الله، وكذلك قوله: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ {نوح:١٣}: لا تخافون لله عظمة، وهي لغة حجازية.

وقال الراجز : لا ترتجِي حِين تلاقى الذائدا أسبعة لاقت معا أم واحدا

وقال الهدلىّ : إذا لسعته النحلُ لم يرجَ لَسْعها وخالفها في بيتِ نُوب عوامِلِ

(١) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: عبد الله الخالدي، ١٦٨/١.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ز–ل–ل)، ٩١١/٢.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٧١/٦.

(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٠٨/١.

(٥) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٩٦.

(٦) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٤٧٤/١.

(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٠٤/١.

ولا يجوز: رجوتك وأنت تريد: خفتك، ولا خفتك وأنت تريد رجوتك"[١].

الإحالة: ﴿تَكُونُواْ﴾ المسلمون لما أصابتهم الجراحات يوم أحد، ﴿يَأْلَمُونَ﴾ المشركون أبو سفيان وأصحابه بعد يوم أحد[٢].

القضية: الألم الذي أصاب المسلمين يوم أحد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: عزاء للمؤمنين، قال سيد قطب (١٣٨٧هـ):"ولربما أتت على العصبة المؤمنة فترة لا تكون فيها في معركة مكشوفة متكافئة، ولكن القاعدة لا تتغير، فالباطل لا يكون بعافية أبدا، حتى ولو كان غالبا! إنه يلاقي الآلام من داخله، من تناقضه الداخلي؛ ومن صراع بعضه مع بعض، ومن صراعه هو مع فطرة الأشياء وطبائع الأشياء، وسبيل العصبة المؤمنة حينئذ أن تحتمل ولا تنهار، وأن تعلم أنها إن كانت تألم، فإن عدوها كذلك يألم، والألم أنواع، والقرح ألوان، ﴿وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ وهذا هو العزاء العميق، وهذا هو مفرق الطريق"[٣].

٤. ٤– العتاب:

عاتَبهُ مُعاتَبَةً وعِتابًا: لَامَهُ[٤]، ومن المعاتبة في آيات الجهاد:

٤. ٤. ١– عتاب للمؤمنين بشأن الأسرى:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {الأنفال: ٦٧-٦٨}

السياق: نزلت بعد قتال بدر[٥].

الفعل القولي: قرأ أبو عمرو وأبو جعفر ويعقوب (تكون له)، والباقون (يكون له)، وقرأ أبو جعفر (أُسَارَى) والباقون (أَسْرَى)[٦].

﴿يُثْخِنَ﴾ أي بعد أن يصبح العدو عاجزًا عن القتال يكون الأسر، أو لا يكون أسر حتى يقوم أمر النبي ﷺ ويعظم ويتمكن[٧]، قال أبو عبيدة (٢١٠هـ):"يغلب ويغالب ويبالغ"[٨].

الإحالة: ﴿تُرِيدُونَ﴾ للمؤمنين من أصحاب رسول الله ﷺ[٩].

---

(١) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ١/٢٨٦.

(٢) ينظر: السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ١/٣٨٤.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، ٢/٧٥٠.

(٤) ابن منظور: لسان العرب، (ع-ت-ب)، ١/٥٧٧.

(٥) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢/١٢٥.

(٦) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٨٥.

(٧) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ث-خ-ن)، ١/٢٣٤.

(٨) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سزكين، ١/٢٥٠.

(٩) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١١/٢٧١.

القضية: اتخاذ الأسرى.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيتين من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: عتاب للمؤمنين على اتخاذ الأسرى للفداء أو للمن قبل الإثخان في الأرض، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"هذه الآية تتضمن عندي معاتبة من الله لأصحاب نبيه ﷺ، والمعنى ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي أسرى قبل الإثخان"(١)، وقال القرطبي (٦٧١هـ):"ولهم هذا الإخبار بقوله ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾، والنبي ﷺ لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد قط عرض الدنيا، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب، فالتوبيخ والعتاب إنما كان متوجهًا بسبب من أشار على النبي ﷺ بأخذ الفدية، هذا قول أكثر المفسرين، وهو الذي لا يصح غيره"(٢).

٤ . ٤ . ٢– عتاب المتخلفين عن غزوة تبوك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ {التوبة: ١٢٠}

السياق: قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"نزلت فيمن تخلف من أهل المدينة عن غزوة تبوك، وفيمن تخلف ممن حولهم من الأعراب من مزينة وجهينة وأشجع وأسلم وغفار"(٣).

الفعل القولي: ﴿ٱلْمَدِينَةِ﴾ المصر الجامع المحصن، وقد أطلقت المدينة في القرآن الكريم على العواصم ونحوها، فأطلقت على مدينة الرسول ﷺ .. وربما كان اشتقاق المدينة من (دين) أولى(٤).

الإحالة: ﴿لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ مدينة رسول الله ﷺ.

﴿وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾ سكان البوادي(٥)، قال مقاتل (١٥٠هـ):"ذكر المؤمنين الذين لم يتخلفوا عن غزاة تبوك"(٦)، وقال السمرقندي (٣٧٣هـ):"يعني: المنافقين الذين بالمدينة وحوالي المدينة"(٧)، وقال الطبري (٣١٠هـ):"الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك، وهم من أهل الإيمان به"(٨)، والصحيح أنها في المؤمنين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك.

القضية: تخلف بعض أهل المدينة والأعراب عن غزوة تبوك.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٥١/٢.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: التركي وآخرون، ٧١/١٠و٧٢.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٥٢٢/٥.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (م–د–ن)، ٢٠٤٧/٤و٢٠٤٨.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٧١/١٢.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٠٢/٢.

(٧) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٨١/٢.

(٨) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٧١/١٢.

القوة الإنجازية: عتاب للمتخلفين عن الجهاد من المؤمنين عن غزوة تبوك، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"هذه معاتبة للمؤمنين من أهل يثرب وقبائل العرب المجاورة لها على التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوه"(١)، وقال ابن جُزَيّ (٧٤١هـ):"﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ﴾ الآية: عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب"(٢).

٤. ٤. ٣- عتاب للنبي ﷺ على إذنه للمنافقين بالتخلف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ {التوبة: ٤٣}

السياق: قال مجاهد (١٠٤هـ):"وذلك أنه قال ناس: استأذنوا الرسول، فإن أذن لكم فاقعدوا، وإن لم يأذن لكم فانفروا"(٣).

الفعل القولي: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ قال القرطبي (٦٧١هـ):"قيل: هو افتتاح كلام، كما تقول: أصلحك الله وأعزك ورحمك، كان كذا وكذا، وعلى هذا التأويل يحسن الوقف على قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ حكاه مكي والمهدوي والنحاس، وأخبره بالعفو قبل الذنب لئلا يطير قلبه فرقًا، وقيل: المعنى عفا الله عنك ما كان من ذنبك في أن أذنت لهم، فلا يحسن الوقف على قوله: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ﴾ على هذا التقدير، حكاه المهدوي واختاره النحاس"(٤).

الإحالة: ﴿عَنكَ﴾ محمد ﷺ، ﴿لَهُمْ﴾ للمنافقين(٥).

القضية: الإذن للمنافقين في التخلف عن الجهاد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: عتاب للنبي ﷺ في أذنه للمنافقين بالقعود عن الجهاد، قال الطبري (٣١٠هـ):"وهذا عتاب من الله تعالى ذكره، عاتب به نبيه ﷺ في إذنه لمن أذن له في التخلف عنه، حين شخص إلى تبوك لغزو الروم، من المنافقين"(٦)، وقال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وقالت فرقة: إنّ رسول ﷺ أذن لهم دون أن يؤمر بذلك فعفي عنه ما يلحق من هذا، وقدم له ذكر العفو قبل العتاب إكرامًا له ﷺ، وقال عمرو بن ميمون الأودي: إن رسول الله ﷺ صدع برأيه في قصتين دون أن يؤمر فيهما بشيء، هذه، وأمر أسارى بدر، فعاتبه الله فيهما"(٧).

٤. ٥- الامتنان:

المن: العطاء، ومنّ عليه: أنعم وأحسن(٨)، ومن أسماء الله المنان وهو العظيم الهبات الوافر العطايا، الذي ينعم

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٩٥/٣.

(٢) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: محمد سالم هاشم، ٣٧٢/١.

(٣) مجاهد: تفسير مجاهد، ت: محمد عبد السلام، ص٣٦٩.

(٤) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: التركي وآخرون، ٢٢٧/١٠.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٤٧٧/١١.

(٦) المرجع السابق، ٤٧٧/١١.

(٧) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٣٨/٣.

(٨) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (م-ن-ن)، ٢١٢٠/٤.

غيرَ فاخِرٍ بالإنعام، والذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، وهو المعطي ابتداء وانتهاء، فلله المنة على عباده، ولا منة لأحد عليه، فهو المحسن إلي العبد والمنعم عليه، ولا يطلب الجزاء في إحسانه إليه، بل أوجب بفضله لعباده حقًا عليه، منة منه وتكرمًا إن هم وحدوه في العبادة، ولم يشركوا به شيئًا.

والله ﷻ يمتن على عباده بعطاياه لعلهم يعرفون له قدره فيعبدونه ويوحدونهم، ومن ذلك:

٤. ٥. ١– الامتنان بتشريع القتال:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {البقرة: ٢٥١}

وقال تعالى:

﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا﴾ {الحج: ٤٠}

السياق: سبق بيانه.

الفعل القولي: قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (دِفَاع)، والباقون (دَفْع) في الآيتين[1].

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرأ بغير ألف: أن الله ﷻ لا مدافع له؛ وأنه هو المنفرد بالدفع من خلقه، وكان أبو عمرو يقول: (إنما الدفاع من الناس والدفع من الله).

وحجة من قرأ بالألف: أن الدِّفاع مصدر من دَفَعَ، كالكتاب من كَتَبَ،كما قال تعالى:﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ {النساء:٢٤}، ويجوز أن يكون مصدر (فاعل)، تقول: دافع الله عنك الشيء يدافع مدافعة ودفاعًا، والعرب تقول: (أحسن الله عنك الدفاع)، ومثل ذلك: عافاك الله، ومثل فاعلت للواحد كثير، قال الله:﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ {التوبة: ٣٠}[2].

وقرأ نافع وابن كثير وأبو جعفر (لهدِمت)، والباقون (لهدِّمت)[3]، قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وهم لغتان، غير أن التشديد للتكثير، هدّمت شيئًا بعد شيء، مثل: ذبحت وذبّحت[4].

الإحالة:﴿ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ لفظ الناس يشمل المؤمنين والكافرين قال طنطاوي (١٤٣١هـ):"والمراد بقوله:﴿بَعْضَهُم﴾ الكافرون، وبقوله:﴿بِبَعْضٍ﴾ المؤمنون"[5]، من الإحالة المكانية[6]: ﴿صَوَٰمِعُ﴾ صوامع الرهبان، ﴿وَبِيَعٌ﴾ بيع النصارى، ﴿وَصَلَوَٰتٌ﴾ صلوات اليهود وهي كنائسهم، ﴿وَمَسَٰجِدُ﴾ مساجد المسلمين، ﴿فِيهَا﴾

---

(١) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٤١و٣٣٧.

(٢) ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني، ص١٤٠و١٤١.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٣٣٧.

(٤) ينظر: ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني، ٤٧٩.

(٥) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣١٧/٩و٣١٨.

(٦) ينظر في جميع الإحالات المكانية: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٥٨٦/١٦.

قال القيسي (٤٣٧هـ):"في المساجد؛ لأنها أقرب إلى الضمير من غيرها، وقيل: الضمير في ﴿فِيهَا﴾يعود على جميع ما ذكره"(١).

القضية: دفع الله الناس بعضهم ببعض.

الفعل الإنجازي: الآيتان من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: امتنان من الله ﷻ على عباده بتشريع الجهاد، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والآية مسوقة مساق الامتنان"(٢)، وقال طنطاوي (١٤٣١هـ):"الله تعالى صاحب فضل عظيم، وإنعام كبير على الناس أجمعين؛ لأنه وضع لهم هذا التنظيم الحكيم الذي أوجب فيه على المصلحين أن يدافعوا المفسدين، وأن يقاوموهم بالطريقة التي تمنع فسادهم حتى ولو أدى ذلك إلى رفع السلاح في وجوههم؛ لأن السكوت عن فساد المفسدين سيؤدي إلى العقاب الذي يعمهم ويصيب معهم المصلحين"(٣).

٤ . ٥ . ٢- الامتنان بالإيواء والتأييد بالنصر والرزق من الطيبات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ {الأنفال: ٢٦}

السياق: يذكرهم بما كانوا عليه، قيل: حال المهاجرين خاصة، وقيل: حال المؤمنين يوم بدر، وقيل للعرب قاطبة(٤).

الفعل القولي: ﴿مُّسْتَضْعَفُونَ﴾ كل ما في القرآن من الفعل (ضعُف) و(استضعف) ومضارعه للفاعل والمفعول، وكلمة (ضَعْف) بالفتح، والصفة (ضعيف) وجمعها (ضِعاف) و(ضُعفاء) وكذلك صفة التفضيل (أضعف)، واسم المفعول (مستضعف) وجمعها.. كل ذلك من الضعف: عدم القوة(٥).

﴿يَتَخَطَّفَكُمُ﴾ المعنى المحوري نزعُ الشيء مما يمسكه بخفةٍ: سُرعةٍ أو لُطْف .. يقال خَطِفَ الشيءَ (كسمع وضرب): اجْتَذَبه بسرعة، أخذه بسرعة واستلاب .. وكل ما في القرآن من التركيب فهو بمعنى الخطف المذكور(٦).

الإحالة: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟﴾ يعنى المهاجرين خاصة(٧)، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وقيل: الخطاب للرسول والصحابة وهي حالهم يوم بدر .. وقال وهب وقتادة الخطاب للعرب قاطبة"(٨). ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ يعني بمكة(٩).

---

(١) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٤٩٠١/٧.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٥٠٣/٢.

(٣) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٥٧٤/١و٥٧٥.

(٤) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣٠٦/٥.

(٥) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ض-ع-ف)، ١٢٨٩/٣.

(٦) ينظر: المرجع السابق، (خ-ط-ف)، ٥٧٩/١.

(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٠٨/٢.

(٨) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣٠٦/٥.

(٩) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٤٧٧/١٣.

﴿ٱلنَّاسُ﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"فيه قولان: أحدهما: يعني بالناس كفار قريش، قاله عكرمة وقتادة. والثاني: فارس والروم، قاله وهب بن منبه"(١).

القضية: إيواء المؤمنين ونصرهم ورزقهم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: امتنان من الله ﷻ بإيواء المؤمنين وتأييده لهم بالنصر ورزقهم من الطيبات. قال القيسي (٤٣٧هـ):"هذه الآية تذكير من الله ﷻ للمؤمنين بما أنعم عليهم من العز، بعد أن كان المشركون يستضعفونهم، وهم قليل، ويفتنونهم عن دينهم، ويسمعونهم المكروه"(٢).

٤. ٥. ٣- الامتنان على المؤمنين بنصرهم يوم بدر:

قال تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ {الأنفال: ١٧ - ١٨}

السياق: قال مجاهد (١٠٤هـ):"يعني أصحاب محمد ﷺ حين قال بعضهم: قتلت، وقال بعضهم: قتلت. فقال الله ﷻ: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ يعني به محمدا ﷺ حين حصب الكفار"(٣).

الفعل القولي: قرأ ابن عامر وحمزة وعلي وخلف (لكنِ اللهُ)، والباقون (لكنَّ اللهَ)(٤).

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرأ بالتخفيف أن العرب تجعل إعراب ما بعد (لكنْ) كإعراب ما قبلها في الجحد فتقول:"ما قام عمرو ولكنْ أخوك"، وتصير (لكنْ) نسقًا إذا كان ما قبلها جحد.

وحجة من قرأ بالتشديد أن دخول الواو في (ولكنَّ) يؤذن باستئناف الخبر بعدها، وأن العرب تؤثر تشديدها ونصب الأسماء بعدها"(٥).

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر (مُوَهِّنٌ كيدَ)، وقرأ حفص (مُوهِنُ كيدِ)، والباقون كذلك (مُوهِنٌ كيدَ)(٦).

قال ابن زنجلة (٤٠٣هـ):"وحجة من قرأ (مُوَهِّنٌ كيدَ) أن التشديد إنما وقع لتكرار الفعل، وذلك ما ذكره الله من تثبيت أقدام المؤمنين بالغيث، وربطه على قلوبهم، وتقليله إياهم في أعينهم عند القتال، فذلك منه شيء بعد شيء وحال بعد حال، في وقت بعد وقت؛ فكان الأولى بالفعل أن يشدد لتردد هذه الأفعال، فكأنه أوقع الوهن بكيد الكافرين مرة بعد مرة، فوجب أن يقال (مُوَهِّنٌ) لهذه العلة.

وقرأ أهل الكوفة وأهل الشام (مُوهِنٌ) بإسكان الواو من (أوهن يوهن فهو موهن) مثل (أيقن يوقن فهو موقن)

---

(١) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣١٠/٢.

(٢) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٢٧٩٠/٤.

(٣) مجاهد: تفسير مجاهد، ت: محمد عبد السلام، ص٣٥٢.

(٤) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٧٩.

(٥) ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني، ص١٠٨و١٠٩.

(٦) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٧٩.

وهما لغتان مثل (كرَّم وأكرم) وكلهم ينصبون (كيدَ) وينونون (موهنٌ) إلا حفصًا عن عاصم فإنه أضافه فقرأ (موهنُ كيدِ) ومثله (بالغُ أمرِهِ) فمن نون أراد الحال والاستقبال كقولك:(الأمير خارجٌ الآن أو غدًا) ومن لم ينون جاز أن يريد الماضي والاستقبال"(١).

﴿وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا﴾وقال الطبري (٣١٠هـ):"معناه: وكي ينعم على المؤمنين بالله ورسوله بالظفر بأعدائهم، ويعدهم ما معهم، ويكتب لهم أجور أعمالهم وجهادهم مع رسول الله ﷺ، وذلك هو البلاء الحسن رمي الله هؤلاء المشركين، ويعني بالبلاء الحسن النعمة الحسنة الجميلة، وهي ما وصفت، وما في معناه"(٢)، وقال الرازي (٦٠٦هـ):"قال القاضي: ولولا أن المفسرين اتفقوا على حمل الابتلاء ههنا على النعمة، وإلا لكان يحتمل المحنة بالتكليف فيما بعده من الجهاد، حتى يقال: إن الذي فعله تعالى يوم بدر، كان السبب في حصول تكليف شاق عليهم فيما بعد ذلك من الغزوات"(٣)، قال جبل:"النعم هي أيضًا شدائد أي مجال اختبار من حيث إنها تستوجب شكرًا وحسن استعمال يؤديان أو لا يؤديان"(٤).

﴿مُوهِنُ﴾ كل ما في القرآن من التركيب هو من الوَهَن الضعف المادي، ثم منه الوَهَن الضعف النفسي أو المعنوي، وهو في هذا التركيب فقد العزيمة أو ضعف نتيجة الكيد"(٥).

الإحالة: ﴿تَقْتُلُوهُمْ﴾ للمؤمنين به وبرسوله ممن شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ(٦)، ﴿رَمَيْتَ﴾ عن قتادة قال: رماهم رسول الله ﷺ بالحصباء يوم بدر(٧)، وضمير ﴿مِنْهُ﴾ عائد إلى اسم الجلالة و(من) الابتداء المجازي لتشريف ذلك الإبلاء، ويجوز عود الضمير إلى المذكور من القتل والرمي ويكون (من) للتعليل والسببية(٨)، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"الذي ذكرت من القتل، والرمي، والبلاء الحسن"(٩).

القضية: قتل كفار قريش ورميهم يوم بدر.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيتين من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: الامتنان على الرسول ﷺ والمؤمنين بنعمه ﷻ عليهم ونصره إياهم يوم بدر، قال طنطاوي (١٤٣١هـ):"المعنى: ذلكم الذي منحته إياكم من العطاء الحسن، والقتل للمشركين، والإمداد بالملائكة، وإنزال الماء عليكم، ذلكم كله نعم مني إليكم، ويضاف إلى ذلك كله أنه سبحانه مضعف لكيد الكافرين ومفسد لمكرهم

---

(١) ابن زنجلة: حجة القراءات، ت: سعيد الأفغاني: ٣٠٩و٣١٠.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٨٧/١١و٨٨.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٦٧/١٥.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، ١٦٦/١.

(٥) المرجع السابق، ٢٣٢٧/٤.

(٦) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٨٢/١١.

(٧) ينظر: المرجع السابق، ٨٤/١١.

(٨) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٩٧/٩.

(٩) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٣٤٠/٣.

بكم"[١].

٤. ٥. ٤- الامتنان بالتوبة على المؤمنين في غزوة تبوك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١١٧ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ {التوبة:١١٧-١١٨}

السياق: قال الجصاص (٣٧٠هـ):"وكان ذلك في غزوة تبوك ؛ لأن النبي ﷺ خرج في شدة الحرّ وقلةٍ من الماء والزاد والظَّهْرِ ، فخصَّ الذين اتبعوه في ساعة العسرة بذكر التوبة؛ لعظم منزلة الاتّباع في مثلها، وجزيل الثواب الذي يستحق بها؛ لما لحقهم من المشقة مع الصبر عليها، وحسن البصيرة واليقين منهم في تلك الحال، إذْ لم تغيرهم عنها صعوبة الأمر وشدة الزمان"[٢].

الفعل القولي: قرأ أبو جعفر (العُسُرة)، والباقون (العُسْرة)، قرأ حفص وحمزة (يزيغ) والباقون (تزيغ)[٣].

﴿ٱلْعُسْرَةِ﴾ الضيق والشدة والصعوبة.. ينصرف كثيرًا إلى ضيق النفقة أي قلة الموجود منها عن المطلوب[٤]، ﴿يَزِيغُ﴾ زيغ القلوب انحرافها عن الاستقامة في العقيدة والمقاصد وتقويم الأمور[٥]، ﴿خُلِّفُوا۟﴾ قال الماوردي (٤٥٠هـ):"فيه وجهان: أحدهما: خلفوا عن التوبة وأخرت عليهم حين تاب عليهم، أي على الثلاثة الذين لم يربطوا أنفسهم مع أبي لبابة، قاله الضحاك وأبو مالك، الثاني: خلفوا عن بعث رسول الله ﷺ، قاله عكرمة"[٦].

الإحالة: ﴿ٱلنَّبِيِّ﴾ محمد ﷺ[٧]، ﴿وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ هم الذين هاجروا معه إلى المدينة.. والأنصار: هم الذين بايعوا بيعة الرضوان[٨]، ﴿ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ مُرارة بن ربيعة، وهلال بن أمية، وكعب بن مالك[٩]. ومن الإحالة الزمانية ﴿سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ غزوة تبوك[١٠].

القضية: التوبة على مجاهدي غزوة تبوك.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيتين من الأفعال التبيينية.

---

(١) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٦٦/٦.

(٢) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، ٣٦٩/٤.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٢٠٥.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ع-س-ر)، ١٤٦٤/٣و١٤٦٥.

(٥) المرجع السابق، (ز-ي-غ)، ١٤٦٤/٣و١٤٦٥.

(٦) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٤١٣/٢.

(٧) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٤٩/١٢.

(٨) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ت: أسعد محمد الطيب، ١٨٩٨/٦.

(٩) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٠٢/٢.

(١٠) عبد الرزاق: تفسير عبد الرزاق، ت: محمود محمد عبده، ١٧٠/٢.

القوة الإنجازية: الامتنان على المؤمنين ممن حضر غزوة تبوك بالتوبة، وامتنان خاص للثلاثة الذين خلفوا، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ) في الآية الثانية:"امتنان عليهم بالتوبة من عظيم ما ارتكبوا، وإنما خصوا عن رفقائهم بأن أرجئوا لأمر الله لعلو مقامهم بما لهم من السابقة ورسوخ القدم في الإسلام، فالمخالفة اليسيرة منهم أعظم من الكثير من غيرهم؛ لأنهم أئمة الهدى ومصابيح الظُّلَم"(١).

٤. ٥. ٥- الامتنان على العباد بذكر بعض أدوات الجهاد:

جاءت في بعض الآيات ذكر بعض وسائل القتال وأدواته، ومن ذلك:

٤. ٥. ٥. ١- الخيل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ {العاديات:١-٥}

السياق: اختلف فيها، فقيل: مكية، وقيل: مدنية. قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"وأقسم بخيله وصهيلها وغُبارها وقَدْح حوافرها الدَّار مِن الْحَجَر، فقال:﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا﴾ الآيات الخمس"(٢)؛ أي خيله ﷺ.

الفعل القولي:﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾ فيها قولان: الخيل في الجهاد، أو الإبل في الحج(٣)، ﴿ضَبْحًا﴾ الضبيح: أصوات أنفاسها إذا عدون(٤)،﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ يقدحن بحوافرهن في الحجارة نارًا(٥)، ﴿نَقْعًا﴾ النقع: الغبار، ويقال: التراب(٦).

الإحالة:﴿بِهِۦ﴾ قال الرازي (٦٠٦هـ):"الضمير في قوله:﴿بِهِۦ﴾ إلى ماذا يعود؟ فيه وجوه، أحدها: وهو قول الفراء أنه عائد إلى المكان الذي انتهى إليه، والموضع الذي تقع فيه الإغارة؛ لأن في قوله:﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ دليلا على أن الإغارة لابد لها من وضع، وإذا علم المعنى جاز أن يكنى عما لم يجز ذكره بالتصريح كقوله:﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾{القدر:١} وثانيها: إنه عائد إلى ذلك الزمان الذي وقعت فيه الإغارة، أي فأثرن في ذلك الوقت نقعا، وثالثها: وهو قول الكسائي أنه عائد إلى العدْو، أي فأثرن بالعدو نقعًا، وقد تقدم ذكر العدو في قوله: ﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ﴾"(٧).

القضية: الخيل حال عدوها.

الفعل الإنجازي: الآيات من الأفعال التبيينية.

---

(١) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٠/٩و٤١.

(٢) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ٤٤١/٤.

(٣) ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٢٣/٦.

(٤) الفراء: معاني القرآن، ت: عبد الفتاح شلبي، ٢٨٤/٣.

(٥) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٨٠١/٤.

(٦) الفراء: معاني القرآن، ت: عبد الفتاح شلبي، ٢٨٤/٣.

(٧) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٢٦٠/٣٢و٢٦١.

القوة الإنجازية: الامتنان على العباد بنعمة الخيل، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"لما ختم الزلزلة بالجزاء لأعمال الشر يوم الفصل، افتتح هذه ببيان ما يجر إلى تلك الأعمال من الطبع.. مقسمًا بما لا يكون إلا عند أهل النعم الكبار الموجبة للشكر، فمن غلب عليه الروح شكر، ومن غلب عليه الطبع وهم الأكثر كفر، فقال:﴿وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ﴾ أي الدواب التي من شأنها أن تجري بغاية السرعة، وهي الخيل التي ظهورها عز، وبطونها كنز، وهي لرجل وزر، ولرجل أجر، فمن فاخر بها، ونادى بها أهل الإسلام، وأبطره عزها حتى قطع الطريق، وأخاف الرفيق، كانت له شرًا، ومن جعلها في سبيل الله كانت له أجرًا، ومن حمل عليها ولم ينس حق الله في رقابها وظهورها كانت له سترًا، وإنما أقسم بها ليتأمل ما فيها من الأسرار الكبار التي باينت به أمثالها من الدواب كالثور مثلًا والحمار؛ ليعلم أن الذي خصها بذلك فاعل مختار واحد قهار، فالقسم في الحقيقة به سبحانه"[١].

٤. ٥. ٥. ٢- الحديد:

قَالَ تَعَالَى:﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ {الحديد: ٢٥}

السياق: قال دروزة (١٤٠٤هـ):"ولم نطلع على رواية خاصة في مناسبة نزول الآية. ومع أنها تبدو فصلًا جديدًا إلا أن احتمال اتصالها بالآيات السابقة لها اتصال تعقيب واستطراد وارد. ولا سيما أن الآيات السابقة احتوت دعوة إلى الجهاد والبذل في سبيل الله. وهذه الآية احتوت بيان هدف من أهداف هذه الدعوة وهو توطيد الحق والعدل بين الناس"[٢].

الفعل القولي:﴿وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ﴾ قال السمعاني (٤٨٩هـ):"فيه قولان: أحدهما: أن معناه: وخلقنا الحديد وأحدثناه، والقول الثاني: أن المراد به هو الإنزال من السماء حقيقة"[٣]، ﴿فِيهِ بَأۡسٞ شَدِيدٞ﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"السلاح للقتال"[٤]، قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"قال مجاهد: فيه جنة وسلاح يعني آلة الدفع وآلة الضرب"[٥]، ﴿وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"في مصالحهم ومعايشهم وصنائعهم، فما من صناعة إلا والحديد آلة فيها، أو ما يعمل بالحديد"[٦].

الإحالة:﴿أَرۡسَلۡنَا﴾ الله ﷻ.

القضية: إرسال الله للرسول بالبينات وإنزاله ﷻ للكتاب والميزان والحديد.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال التبيينية.

(١) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢/٢١٠و٢١١.
(٢) محمد عزة درْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٣٢٨/٩.
(٣) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٣٧٨/٥.
(٤) الفراء: معاني القرآن، ت: عبد الفتاح شلبي، ١٣٦/٣.
(٥) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٤١/٨.
(٦) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص١٠٨٥.

القوة الإنجازية: الامتنان على الناس بنعم كثيرة ومنها نعمة الحديد يستخدمونه في قتالهم ومعايشهم، قال الغزالي:"قال امتنانًا على عباده: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾"[١]، وقال:"وإنما أنزل هذه الثلاث؛ لأن الناس ثلاثة أصناف، وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم"[٢]، وقال مخلوف:"﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ أي فيه قوة وشدة، فمنه جنة وسلاح، وآلات للحرب وغيره، وفي الآية إشارة إلى احتياج الكتاب والميزان إلى القائم بالسيف؛ ليحصل القيام بالقسط، ﴿وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ في معاشهم ومصالحهم، وما من صنعة إلا والحديد آلتها؛ كما هو مشاهد، فالمنة به عظمى"[٣].

٤. ٥. ٥. ٣- الدروع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ {الأنبياء: ٨٠}

وأيضًا:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ {سبأ: ١٠-١١}

السياق: الأنبياء وسبأ سورتان مكيتان، قال دروزة (١٤٠٤هـ):"ولعله أريد بالآيات تسلية النبي ﷺ، فإذا كان الكفار يقفون من دعوته إلى الله ذلك الموقف، فإن من عباده من يشكر نعمه ويقف منه موقف العابد الأواب المسبح دائما بحمده، وهم من أعظم الناس شأنا وسلطانا كداود وسليمان عليهما السلام"[٤].

الفعل القولي: في آية الأنبياء: قرأ ابن عامر وحفص وأبو جعفر (لتحصنكم)، وشعبة ورويس (لنحصنكم)، والباقون (ليحصنكم)[٥].

﴿لَبُوسٍ﴾ اللبوسُ: السلاح كلها من درع إلى رمح[٦]، ﴿سَابِغَاتٍ﴾ الدروع الطوال، وكانت الدروع قبل داود إنما هي صفائح الحديد مضروبة[٧]، ﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾ لا تجعل مسمار الدرع دقيقًا فيقْلق، ولا غليظًا فيقصِم الحلق[٨].

الإحالة: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ﴾ المتكلم رب العزة ﷻ، والهاء إحالة على داود ﵇، ﴿لَّكُمْ﴾ قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وضمائر الخطاب في ﴿لَّكُمْ﴾، ﴿لِتُحْصِنَكُم﴾، ﴿مِّن بَأْسِكُمْ﴾، ﴿فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾ موجهة

---

(١) الغزالي: الحكمة في مخلوقات الله ﷻ، ت: محمد رشيد قباني، ص٣٠.

(٢) الغزالي: القسطاس المستقيم، ت: محمود بيجو، ص٦٢.

(٣) حسنين محمد مخلوف: صفوة البيان لمعاني القرآن، ص٧٠٤.

(٤) محمد عزة درْوزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٢٧١/٤.

(٥) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٣٢٨.

(٦) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ٤١/٢.

(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٥٢٦/٣.

(٨) الفراء: معاني القرآن، ت: محمد علي النجار، ٣٥٦/٢.

إلى المشركين تبعًا لقوله تعالى قبل ذلك:﴿وَهَٰذَا ذِكۡرٞ مُّبَارَكٌ أَنزَلۡنَٰهُۚ أَفَأَنتُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ﴾{الأنبياء: ٥٠} لأنهم أهملوا شكر نعم الله تعالى التي منها هذه النعمة إذ عبدوا غيره"(١)، ﴿لِتُحۡصِنَكُم﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"و(ليُحْصِنَكم) و(لنُحْصِنكم) فمن قال: (ليُحصنكم) بالياء كان لتذكير اللَّبوس، ومن قال: (لِتُحْصنكم) بالتاء ذهب إلى تأنيث الصنعة، وإن شئت جعلته لتأنيث الدروع؛ لأنها هي اللبوس، ومن قرأ: (لنُحصنكم) بالنون يقول: لنحصنكم نحن، وعلى هذا المعنى يجوز (ليُحصنكم) بالياء الله من بأسكم أيضًا"(٢)، ﴿وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ قال ابن جُزَيّ (٧٤١هـ):"خطاب لداود وأهله"(٣).

الفعل الإنجازي: الآيات من الأفعال التبيينية.

القوة الإنجازية: الامتنان على العباد بنعمة الدروع والتحضيض على شكر تلك النعمة، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"امتن الله بصنعة علمها داود فانتفع بها الناس وهي صنعة الدروع، أي دروع السرد، قيل: كانت الدروع من قبل داود ذات حراشف من الحديد، فكانت تثقل على الكُماة إذا لبسوها فألهم الله داود صنع دروع الحَلَق الدقيقة فهي أخف محملا وأحسن وقاية"(٤).

وقال السعدي (١٣٧٦هـ):"يحتمل أن تعليم الله لداود صنعة الدروع وإلانتها أمر خارق للعادة، وأن يكون كما قاله المفسرون: إن الله ألان له الحديد، حتى كان يعمله كالعجين والطين، من دون إذابة له على النار، ويحتمل أن تعليم الله له، على جاري العادة، وأن إلانة الحديد له، بما علمه الله من الأسباب المعروفة الآن، لإذابتها، وهذا هو الظاهر؛ لأن الله امتن بذلك على العباد وأمرهم بشكرها، ولولا أن صنعته من الأمور التي جعلها الله مقدورة للعباد، لم يمتن عليهم بذلك، ويذكر فائدتها؛ لأن الدروع التي صنع داود عليه السلام، متعذر أن يكون المراد أعيانها، وإنما المنة بالجنس، والاحتمال الذي ذكره المفسرون لا دليل عليه إلا قوله:﴿وَأَلَنَّا لَهُ ٱلۡحَدِيدَ﴾ وليس فيه أن الإلانة من دون سبب، والله أعلم بذلك"(٥).

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٢٢/١٧.

(٢) الفراء: معاني القرآن، ت: محمد علي النجار، ٢٠٩/٢.

(٣) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: محمد سالم هاشم، ٢٠٢/٢.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٢٠/١٧و١٢١.

(٥) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق، ص٥٢٨.

٥- الأفعال الإخبارية:

يقول سيرل عن الإخباريات أو الإثباتيات Assertive:"هي أن نقدم الخبر بوصفه تمثيلًا لحالة موجودة في العالم، ومن أمثلتها الأحكام التقريرية والأوصاف الطبية والتصنيفات والتفسيرات. وتنطوي جميعها على اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم، وشرط الصدق فيها هو دائمًا الاعتقاد، فكل إثبات هو تعبير عن اعتقاد، وأبسط اختبار لتحديد هوية الإثبات هو أن نسأل ما إذا كان المنطوق صادقًا أو زائفًا بالمعنى الحرفي. ولأن لها اتجاه ملاءمة من الكلمة إلى العالم، فهي يمكن أن تكون صادقة أو زائفة"[1].

وقد قام الباحث عبد الله حسن بدراسة التركيب الخبري أنماطه ووظائفه بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية، وعقد مقارنة بينهما، فخلص إلى عدة نتائج، من أهمها[2]:

١- إن مباحث البلاغيين العرب في الخبر والإنشاء في علم المعاني ليست على مستوى واحد من التحليل اللغوي، فكلامهم عن الإنشاء يدخل في مستوى الأغراض الذي على ضوئه جعلوا الكلام منقسمًا إلى خبر وإنشاء، أما الخبر فقد بحثوه في مستوى بنيوي وظيفي أدنى، فكلام البلاغيين عن المسند إليه والمسند ومتعلقات الفعل، وكذلك البحث في الإسناد الذي يربط بين هذه الوظائف، كلها يعد كلامًا عن الخبر بمعنى القضية التي يشترك فيها الخبر والإنشاء على حد سواء، وبعبارة أخرى فإن البلاغيين العرب في مباحث الخبر كانوا وظيفيين يلتقون مع النظريات والمدارس الوظيفية كحلقة براغ والنحو الوظيفي عند سيمون ديك، وفي مباحثهم في الإنشاء هم تداوليون يلتقون مع نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل.

٢- كان مذهب البلاغيين العرب أن الخبر أصل الإنشاء، ولذلك كانوا يؤولون العبارات الإنشائية بعبارات خبرية، فأولوا حرف النداء بـ (أدعو)، وحرف الاستفهام بـ (أستفهم)، وما شابه ذلك من التأويلات، أما التداوليون فقد ساروا في الاتجاه المعاكس وذهبوا إلى تغليب الجانب الإنجازي للعبارات الخبرية، حتى أنكروا التقسيم القديم للأقوال بحسب الأغراض إلى خبر وإنشاء، واستطاعوا أن يستوعبوا العبارات الخبرية في الإنشاء تغليبًا لما تحويه من أفعال إنجازية، وفي الحقيقة فإن كلتا المدرستين البلاغية والتداولية توصلت إلى إمكانية استيعاب أحد الجانبين للآخر، وقد يؤدي الدمج بين النظريتين إلى مقاربة تداولية من شأنها أن تستوعبهما في نظرية لغوية واحدة.

٣- البلاغة العربية لا تهتم كثيرًا بفصل المعاني الوظيفية عن المعاني السياقية، بخلاف التداولية التي تبحث المعاني الوظيفية في النظريات الوظيفية كمدرسة براغ والنحو الوظيفي، وتبحث المعاني السياقية في نظرية الأفعال الكلامية ونظرية المحادثة.

٤- هناك بعض الجوانب الإيجابية التي ما تزال تحسب لصالح البلاغيين العرب والتي يتفوقون فيها على التداوليين المحدثين، من ذلك استيعابهم الظواهر الشكلية في التحليل الوظيفي، فقد أوجد البلاغيون العرب بابًا وظيفيًا مستقلًا لكل باب من أبواب البنية التحويلية، كأغراض الذكر والحذف، وأغراض التقديم والتأخير، وأغراض التعريف والتنكير،

---

(١) ينظر: جون سيرل: العقل واللغة والمجتمع؛ الفلسفة في العالم الواقعي، ت: سعيد الغانمي، ص٢١٧و٢١٨.

(٢) عبد الله حسن طودي: التركيب الخبري أنماطه ووظائفه بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية، ماجستير، ص١٧٢و١٧٣.

واستطاعوا أن يعللوا كل ذلك تعليلًا تداوليًا، بخلاف المحدثين الذين لا يزالون يستبعدون منجزات النظريات الشكلية من النظرية الوظيفية، ولم يدركوا حتى الآن ما أدركه البلاغيون العرب من التلازم وعدم القدرة على الفصل بين الشكل والمضمون أو اللفظ والمعنى في التحليل اللغوي.

٥- جل المباحث في علم البيان من علوم البلاغة العربية عبارة عن مباحث تداولية للتركيب الخبري، فمباحث التشبيه والتمثيل والاستعارة والمجاز المرسل والكناية والتعريض كلها مباحث يمكن تحليلها على أنها وظائف للتركيب الخبري في خطاب مباشر أو غير مباشر.

٥. ١- الإخباريات عن الأمم السابقة:

إذا نظرنا في آيات الجهاد نجد أن القرآن الكريم قد ذكر العديد من الأخبار المتنوعة، اشتملت بعضها على أمور حدثت للأمم السابقة، ومجمل هذه الأخبار جاءت لغرض إنجازي رئيس وهو العظة والعبرة والتذكير، وإن كان لكل خبر منها أغراضه الإنجازية المتنوعة، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"وفي إنباء هذه الأمة قصصَ الأمم الخالية وأخبارهم وجهان:

أحدهما: دلالة إثبات رسالة رسولنا محمد ﷺ؛ لانهم علموا أنه لم يختلف إلى أحد منهم ممن يعلم هذا، ثم أخبر بذلك، فكان ما أخبر فدل أنه علم ذلك بالله.

والثاني: العمل بشرائعهم وسننهم، إلا ما ظهر نسخه بشريعتنا؛ ألا ترى أنه ذكر محاسنهم وخيراتهم؟ وإنما ذكر لنتبعهم في ذلك ونقتدي بهم، وذكر مساوئهم وما لحقهم بها؛ لننتهي عنها، ونكون على حذر مما أصابهم بذلك، والله أعلم"[(١)].

وقال القاسمي (١٣٣٢هـ) نقلا عن الرازي (٦٠٦هـ):"في هذه القصص معتبر لهذه الأمة في احتمال الشدائد في الجهاد كما احتملها المؤمنون في الأمم المتقدمة، كما أن فيها تسلية للرسول ﷺ من الكفار والمنافقين، فكأنه قيل: قد عرفت بهذه الآيات ما جرى على الأنبياء عليهم السلام في بني إسرائيل من الخلاف عليهم والرد لقولهم؛ فلا يعظمن عليك كُفر من كفر بك، وخلاف من خالف عليك؛ لأنك مثلهم، وإنما بعث الكل لتأدية الرسالة، ولامتثال الأمر على سبيل الاختيار والطوع، لا على سبيل الإكراه، فلا عتب عليك في خلافهم وكفرهم، والوبال في ذلك يرجع عليهم"[(٢)].

ويقول محمد دروزة عن الأخبار التي ذكرها الله ﷻ في آيات الجهاد:"جاءت للعظة والعبرة وتذكير المسلمين بما يسر الله لهم، بحيث لو لم يكن تيسيره لما تم لهم ما تم، ولم تأت للسرد القصصي وهو شأن سائر حوادث الجهاد في القرآن"[(٣)].

ويقول ناصر الحنين:"كثيرًا ما يختار الله ﷻ أنبه الأمم شأنًا، وأكثرهم نعمًا، ممن أغدق الله عليهم مظاهر نعمته، وذلك كبني إسرائيل، الذين كثر ذكرهم في الكتاب العزيز تنبيهًا لأمة سيد المرسلين، وتحذيرًا لهم من أن يقعوا في

---

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٥٠١/٢.

(٢) القاسمي: محاسن التأويل، ت: محمد باسل، ١٨٤/٢.

(٣) ينظر: محمد عزة دروزة، محمد عزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٣٠٤/٧و٣٠٥.

أخطائهم، أو يسيروا سيرتهم في العناد والمكابرة، وغير ذلك من صفات الضلال التي أورثتهم الذل والعار في الدنيا والآخرة"(١).

ويؤكد ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أن الهدف ليس مجرد حصول العظة والعبرة فيقول:"وأبصر أهل العلم أن ليس الغرض من سوقها قاصرًا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله بهم أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله عليهم كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء و أوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل، إن في تلك القصص لعبرا جمة وفوائد للأمة ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن التفكه بها، من أجل ذلك كله لم تأت القصص في القرآن متتالية في سورة أو سور كما يكون كتاب تاريخ، بل كانت مفرقة موزعة على مقامات تناسبها؛ لأن معظم الفوائد الحاصلة منها لها علاقة بذلك التوزيع، هو ذكر موعظة لأهل الذين فهو بالخطابة أشبه"(٢).

ومن الأخبار التي نقلتها آيات الجهاد عن الأمم السابقة:

٥. ١. ١– إخبار عن ثبات الأمم السابقة في القتال:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦ وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ أَمۡرِنَا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤٧ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا وَحُسۡنَ ثَوَابِ ٱلۡأٓخِرَةِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ {آل عمران: ١٤٦ – ١٤٨}

السياق: قال القيسي (٤٣٧هـ):"صاح الشيطان يوم أحد قتل محمد فانهزم المسلمون إلا قليلًا منهم، فأنزل الله ﷻ (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قُتِلَ)" (٣).

الفعل القولي: قرأ ابن كثير (كائن) وأبو جعفر مثله لكن مع تسهيل الهمزة مع مد وقصر، والباقون (كأيِّن) ويقف الجميع على النون إلا أبا عمرو ويعقوب على الياء ويقف حمزة بتسهيل(٤).

وحجة من قرأ (كائن) قول الشاعر: وكائن بالأباطح من صديق يراني لو أصبت هو المصابا.

وحجة من قرأ (كأين) قول الشاعر: كأيِّنْ في المعاشر من أناس أخوهم فوقهم وهمُ كرامُ.

وكائن وكأين لغتان جيدتان يقرأ بهما(٥).

وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (قُتِل)، والباقون (قَاتَلَ)(٦).

وحجة من قرأ (قُتل): إن ذلك أنزل معاتبة لمن أدبر عن القتال يوم أحد، إذ صاح الصائح: قتل محمد ﷺ،

(١) ناصر بن عبد الرحمن الحنين: النظم القرآني في آيات الجهاد، ص٥٤٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٦٤/١.

(٣) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١١٤٦/٢.

(٤) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٦٨.

(٥) ابن زنجلة: حجة القراءات، ص١٧٤و١٧٥.

(٦) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٦٨.

فلما تراجعوا كان اعتذارهم أن قالوا: سمعنا (قتل محمد)، فأنزل الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾ {آل عمران: ١٤٤} ثم قال بعد ذلك: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾ أي جموع كثير فما تضعضع الجموع وما وهنوا، لكن قاتلوا وصبروا، فكذلك أنتم كان يجب عليكم ألا تهنوا لو قتل نبيكم، فكيف ولم يقتل ؟

وحجة من قرأ (قاتل): قوله ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ لأنهم لو قتلوا لم يكن لقوله ﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ وجه معروف؛ لأنه يستحيل أن يوصفوا بذلك بعدما قتلوا. وحجة أخرى: إن (قاتل) أبلغ في مدح الجميع من معنى (قُتِل) لعمومها الجميع، وإن كانوا متفاضلين(١).

﴿رِبِّيُّونَ﴾ الرِّبي بالكسر والتضعيف:الجماعة الكثيرة، منسوبة إلى الرِّبة: الفرقة من الناس عشرة آلاف أو نحوها(٢).

الإحالة: على قراءة (قُتِلَ) قال الفراء (٢٠٧هـ):"وقد قال بعض المفسرين:{وكأين من نبي قُتِل} يريد: و{معه ربيون} والفعل واقع على النّبي ﷺ، يقول: فلم يرجعوا عن دينهم ولَم ينهوا بعد قتله، وهو وجه حسن"(٣)،﴿فَمَا وَهَنُوا۟﴾ فما وهن الربيون(٤).

القضية: ثبات الأنبياء السابقين وأتباعهم.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الإخبارية.

القوة الإنجازية: إخبار للمؤمنين عن ثبات الأنبياء السابقين وتابعيهم، قال الطبري (٣١٠هـ) بعد ترجيح قراءة (قُتِل):"أخبرهم عما كان من فعل كثير من أتباع الأنبياء قبلهم، وقال لهم: هلا فعلتم كما كان أهل العلم والفضل من أتباع الأنبياء قبلكم يفعلونه إذا قتل نبيهم، من المضيّ على منهاج نبيهم والقتال على دينه أعداء دين الله، على نحو ما كانوا يقاتلون مع نبيهم، ولم تهنوا ولم تضعفوا كما لم يضعف الذين كانوا قبلكم من أهل العلم والبصائر من أتباع الأنبياء إذا قتل نبيهم، ولكنهم صبروا لأعدائهم حتى حكم الله بينهم وبينهم"(٥).

٥. ١. ٢- إخبار عن قصة موسى وقومه وتخاذلهم عن دخول الأرض المقدسة:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَـٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ

(١) ابن زنجلة: حجة القراءات: ١٧٥و١٧٦.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ر-ب-ب)، ٢/ ٧٤٠.

(٣) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ١/٢٣٧. قال المحقق: يريد أن نائب الفاعل لقتل هو ضمير النبي، وجملة (معه ربيون كثير) حالية.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٦/١١٨.

(٥) المرجع السابق، ١١/١١٠و١١١.

فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوۡمٗا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَا حَتَّىٰ يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ {المائدة: ٢٠ - ٢٦}

السياق: قال دروزة (١٤٠٤هـ):"ولم نطلع على رواية في سبب نزول الآيات. والمتبادر أنها متصلة بالسياق السابق الاستطرادي. فقد ذكر فيه ما أخذه الله من مواثيق من اليهود والنصارى وما كان من نقضهم لها إجمالًا، ثم أخذ يذكر فيه بعض بيانات متصلة بمعنى النقض والانحراف، وقد ذكر شذوذ النصارى في عقيدتهم بالمسيح. فجاء هذا الفصل لذكر بعض مواقف بني إسرائيل وشذوذهم أيضًا"(١).

الفعل القولي: ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكٗا﴾ قال النيسابوري (٥٥٣هـ):"سخر لكم من غيركم خدمًا يخدمونكم، وقال السدي:أي جعلكم أحرارًا تملكون أنفسكم بعد ما استعبدكم القبط"(٢)، ﴿جَبَّارِينَ﴾ جبره على الأمر بمعنى أجبره عليه، وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد، قال الفراء (٢٠٧هـ):"لم أسمع (فعّال) من (أفعل) إلا في حرفين:جبّار من أجبر، ودرّاك من أدرك"(٣).

الإحالة: ومن الإحالة في الآيات:

شخصية: ﴿لِقَوۡمِهِۦ﴾بنو إسرائيل(٤)، ﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"وعنى بذلك عالمي زمانه لا عالمي كل زمان، ولم يكن أُوتي في ذلك الزمان من نعم الله وكرامته ما أُوتي قومه ﷺ أحد من العالمين، فخرج الكلام منه ﷺ على ذلك، لا على جميع كل زمان"(٥). ﴿يَخۡرُجُواْ﴾ إحالة إلى الجبارين. ﴿رَجُلَانِ﴾ الرجلان الصالحان من قوم موسى: يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا وقيل كلاب(٦). ﴿وَأَخِي﴾ هارون عليه السلام(٧)، وقال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والذي في كتب اليهود أن هارون كان قد توفي قبل هذه الحادثة، ويجوز أن يريد بأخيه يوشَع بن نون؛ لأنّه كان ملازمه في شؤونه، وسماه الله فتاه في قوله:﴿وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾{الكهف:٦٠} الآية، وعطفه هنا على نفسه

(١) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٩/٩٠.
(٢) النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ت: زكريا عميرات، ٥٧٣/٢.
(٣) المرجع السابق، ٥٧٣/٢.
(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٦٥/١.
(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٨٤/٨.
(٦) ينظر: المرجع السابق، ٢٩٣/٨.
(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٤٦٧/١.

لأنه كان محرضًا للقوم على دخول القرية"(١). ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ﴾ الضمير في قال: لله تعالى(٢).

مكانية:﴿ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ﴾ لن تخرج من أن تكون من الأرض التي ما بين الفرات وعريش مصر؛ لإجماع جميع أهل التأويل والسير والعلماء بالأخبار على ذلك(٣)، ﴿ٱلْبَابَ﴾ باب مدينة الجبارين(٤)، ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ أي في أرض تلك النازلة، وهو فحص التيه وهو على ما يحكى طول ثمانين ميلًا في عرض ستة فراسخ، وهو ما بين مصر والشام(٥).

زمانية:﴿أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾ قال ابن جُزَيّ (٧٤١هـ):"حرم الله على جميع بني إسرائيل دخول تلك المدينة أربعين سنة، وتركهم في هذه المدة يتيهون في الأرض، أي في أرض التيه وهو ما بين مصر والشام، حتى مات كل من قال إنا لن ندخلها، ولم يدخلها أحد من ذلك الجيل إلا يوشع وكالب"(٦).

القضية: موقف بني إسرائيل من القتال في سبيل الله ودخول الأرض المقدسة.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الإخبارية من الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ وللمؤمنين.

القوة الإنجازية:

١- تعريف النبي محمد ﷺ قديم تمادي هؤلاء اليهود في الغيّ، وبعدهم عن الحقّ، وسوء اختبارهم لأنفسهم، وشدّة خلافهم لأنبيائهم، وبطء إنابتهم إلى الرشاد، مع كثرة نعم الله عندهم، وتتابع أياديه وآلائه عليهم(٧).

٢- إثبات لنبوته ﷺ من خلال إعلام بني إسرائيل بأخبارهم بطريق آخر غير كتبهم فيتيقنوا أن هذا النبي يوحى إليه.

٣- تذكير لبني إسرائيل بنعم الله عليهم، وتلقيهم تلك النعم بالكفر والجحود.

يقول ابن عطية (٥٤٢هـ):"واذكر لهم يا محمد على جهة إعلامهم بغير كتبهم؛ ليحققوا نبوتك، وينتظم في ذلك نعم الله عليهم، وتلقيهم تلك النعم بالكفر وقلة الطاعة والإنابة"(٨).

٤- تسلية لنبيه محمد ﷺ عما يحلّ به من علاجهم، وينزل به من مقاساتهم في ذات الله، يقول الله للرسول ﷺ: لا تأس على ما أصابك منهم، فإن الذهاب عن الله، والبعد من الحقّ وما فيه لهم الحظّ في الدنيا والآخرة، من عاداتهم وعادات أسلافهم وأوائلهم، وتعزّ بما لاقى منهم أخوك موسى عليه السلام(٩).

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٦٦/٦و١٦٧.

(٢) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: محمدسالم هاشم، ٢٣٢/١.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٨٦/٨.

(٤) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ١٧٥/٢.

(٥) المرجع السابق، ١٧٦/٢.

(٦) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: محمدسالم هاشم، ٢٣٢/١.

(٧) ينظر: الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٧٦/٨.

(٨) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ١٧٣/٢.

(٩) ينظر: الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢٧٦/٨و٢٧٧.

٥- رد على تضليل اليهود بأن القرآن قد أقر بأن الله تعالى كتب لهم الأرض المقدسة على التأبيد، وما كتبه عليهم من شتات وذلة وتسليط وغضب بسبب انحرافاتهم(١).

٥. ١. ٣- إخبار عن قصة طالوت وجالوت:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي
سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ
أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ
لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ
بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ
يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ
فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ
مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا
جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم
مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُواْ
لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾
فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ
وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ
ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ {البقرة: ٢٤٦ - ٢٥٢}

السياق: قال محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ):"وجه الاتصال بين آيات هذه القصة وما قبلها هو أن الآيات التي قبلها نزلت في شرع القتال لحماية الحقيقة وإعلاء شأن الحق، وبذل المال في هذه السبيل سبيل الله لعزة الأمم ومنعتها وحياتها الطيبة، التي يقع من ينحرف عنها من الأقوام في الهلاك والموت، كما علم من قصة الذين خرجوا من ديارهم فارين من عدوهم على كثرتهم. وهذه القصة -قصة قوم من بني إسرائيل- تؤيد ما قبلها من حاجة الأمم إلى دفع الهلاك عنها، فهي تمثل لنا حال قوم لهم نبي يرجعون إليه، وعندهم شريعة تهديهم إذا استهدوا، وقد أخرجوا من ديارهم وأبنائهم بالقهر، كما خرج أصحاب القصة الأولى بالجبن، فعلموا أن القتل ضرورة لا بد من ارتكابها ما دام

---

(١) ينظر: محمد عزة دَرْوَزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٨٩/٩.

العدوان في البشر، وبعد هذا كله جبنوا وضعفوا عن القتال، فاستحقوا الخزي والنكال"[١].

الفعل القولي: قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر (غَرفة)، والباقون (غُرفة)، قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (دِفَاع)، والباقون (دَفْع)[٢].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ معنى ألم تر في جميع القرآن: ألم تعلم[٣]، ﴿ٱلْمَلَإِ﴾ وجوههم وأشرافهم[٤]، ﴿يَظُنُّونَ﴾ قال أبو عبيدة (٢١٠هـ):"يوقنون"[٥].

الإحالة: من الإحالة في الآيات:

إحالة شخصية[٦]:﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يا محمد ﷺ، ﴿لِنَبِيٍّ﴾ اسمه شمويل وقيل شمعون، ﴿أُخْرِجْنَا﴾ أخرجهم عدوهم، وهذا الكلام ظاهره العموم وباطنه الخصوص؛ لأنهم كانوا في ديارهم وأوطانهم، وإنما كان أُخرج من داره وولده من أسر وقهر منهم، ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ﴾ أهل الإيمان الذين اعترفوا وأطاعوا، ﴿عَلَيْكَ﴾ أي النبي محمد ﷺ.

إحالة مكانية:﴿بِنَهَرٍ﴾ والنهر بين الأردن وفلسطين[٧].

إحالة زمانية:﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ﴾ أي بعد موته عليه السلام وانقضاء مدته[٨].

القضية: موقف الملأ من بني إسرائيل الذين طلبوا من نبيهم ملكًا يقاتلون في سبيل الله تحت قيادته.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الإخبارية، يخبر الله ﷻ نبيه محمد ﷺ والمؤمنين بأمر هؤلاء الملأ مع نبيهم.

القوة الإنجازية[٩]:

١- هذه القصة وإن كانت خبرًا من الله تعالى ذكره عن الملأ من بني إسرائيل ونبيهم..فإنه تأديب لمن كان بين ظهراني مهاجَر رسول الله ﷺ من ذراريهم وأبنائهم يهود قريظة والنضير، وأنهم لن يَعْدُوا في تكذيبهم محمدا ﷺ فيما أمرهم به ونهاهم عنه، مع علمهم بصدقه ومعرفتهم بحقيقة نبوّته، بعد ما كانوا يستنصرون الله به على أعدائهم قبل رسالته، وقبل بعثة الله إياه إليهم وإلى غيرهم أن يكونوا كأسلافهم وأوائلهم الذين كذبوا نبيهم شمويل بن بالي، مع علمهم بصدقه ومعرفتهم بحقيقة نبوّته، وامتناعهم من الجهاد مع طالوت لما ابتعثه الله ملكًا عليهم بعد مسألتهم نبيهم

---

(١) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ٣٧٦/٢.

(٢) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٤١.

(٣) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٨١٥/١.

(٤) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سَزكين، ٧٧/١.

(٥) المرجع السابق، ٧٧/١.

(٦) ينظر في جميع الإحالات: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٤٣٥/٤ وما بعدها.

(٧) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٨٢٥/١.

(٨) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٣٣٠/١.

(٩) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٤٥٧/٤و٤٥٨.

ابتعاث ملك يقاتلون معه عدوّهم، ويجاهدون معه في سبيل ربهم ابتداء منهم بذلك نبيهم، وبعد مراجعة نبيهم شمويل إياهم في ذلك.

٢- حضّ لأهل الإيمان بالله وبرسوله من أصحاب ﷺ على الجهاد في سبيله.

٣- تحذير منه لهم أن يكونوا في التخلف عن نبيهم محمد ﷺ عند لقائه العدوّ ومناهضته أهل الكفر بالله وبه على مثل الذي كان عليه الملأ من بني إسرائيل في تخلفهم عن ملكهم طالوت، إذ زحف لحرب عدوّ الله جالوت، وإيثارهم الدعة والخفض على مباشرة حرّ الجهاد، والقتال في سبيل الله.

٤- شحذ منه لهم على الإقدام على مناجزة أهل الكفر به الحرب، وترك تهيب قتالهم إن قلّ عددهم وكثر عدد أعدائهم واشتدت شوكتهم.

٥- إعلام منه تعالى ذكره عباده المؤمنين به أن بيده النصر والظفر والخير والشر.

٦- إشعار لهذه الأمة بأن لا تطلب الحرب ابتداءً، مصداقًا لقوله ﷺ:"أيها الناس لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف"(١)، ولا تعارض بين هذا وبين جهاد الطلب إذ معلوم أن دعوة أهل الحرب إلى الإسلام أو قبولهم الاستسلام لأحكامه مقدم على الحرب، وهداية الكافرين أحب عند المسلمين من قتالهم.

٧- بيان فضل الجهاد وشرفه، وظهور فوائده، واقتناع الناس بجني طيب ثمراته؛ فقد اقتنع الملأ بأنه السبيل الوحيد في حفظ الدين، واسترداد الأوطان وصيانتها، وحفظ الأبدان والأموال، والذب عن الأعراض، ثم هو سبيل العز والتمكين على مدار الزمان.

٥. ١. ٤- إخبار عن قصة سليمان عليه السلام مع قوم سبأ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ
لَأَا۟ذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ٢١ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ
يَقِينٍ ٢٢ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ
لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ٢٤ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ
فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ٢٥ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ٢٦ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ
أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ٢٧ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ٢٨ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟
إِنِّيٓ أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ٢٩ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ٣١ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ٣٢ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا
تَأْمُرِينَ ٣٣ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ٣٤ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ
فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ٣٥ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: لا تمنوا لقاء العدو، رقم (٣٠٢٥)، ١٥٦/٦.

﴿ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧﴾ {النمل: ٢٠ - ٣٧}

نكتفي بهذا الجزء من القصة، وفيه ذكر رسالة سليمان عليه السلام لقوم سبأ ودعوته لهم بأن يأتوه مسلمين، وتهديده فيما بعد لهم بالجنود والإخراج، وفيه دلالة على جهاد الطلب.

السياق: سورة النمل مكية(١)، وفي السورة "الإشارة إلى ملك عظيم من العرب وهو ملك سبأ. وفي ذلك إيماء إلى أن نبوة محمد ﷺ رسالة تقارنها سياسة الأمة ثم يعقبها ملك، وهو خلافة النبي ﷺ. وأن الشريعة المحمدية سيقام بها ملك للأمة عتيد كما أقيم لبني إسرائيل ملك سليمان"(٢).

الفعل القولي: ﴿مُسۡلِمِينَ﴾ قال ابن سلام (٢٠٠هـ):"تفسير قتادة: يعني الإسلام، وتفسير الكلبي: وأتوني مقرين بالطاعة، أي مستسلمين، ليس يعني الإسلام"(٣)، ﴿وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ قال السمعاني (٤٨٩هـ):"نخرجهم على وجه الذلة والصغار، وذلك يكون بالأسر والاستعباد، وما أشبه ذلك"(٤).

الإحالة: ﴿وَتَفَقَّدَ﴾ أي سليمان عليه السلام، ﴿إِلَيۡهِمۡ﴾ إلى أهل سبأ، ﴿قَالَتۡ﴾ ملكة سبأ، ﴿جَآءَ﴾ الرسول الذي وجّهته ملكة سبأ إلى سليمان(٥)، ﴿ٱرۡجِعۡ﴾ الرسول أو الهدهد(٦).

القضية: موقف سليمان عليه السلام من شرك قوم سبأ وتهديده لهم بالجنود والإخراج.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الخبرية.

القوة الإنجازية(٧):

١- تقرير أن سليمان عليه السلام كانت رسالته الأولى نشر الإيمان بالله تعالى فى الأرض، وتطهيرها من كل معبود سواه، فالغاية من القتال الذي شرعة الله والذي قاتل عليه الأنبياء هو تحقيق التوحيد وإخلاص العبادة لله، ذكر مقاتل (١٥٠هـ) عن ملكة سبأ أنها قالت:"إن يكن هذا الملك يقاتل على الدنيا، فإنا نمده بما أراد من الدنيا، وإن كان يقاتل لربه، فإنه لا يطلب الدنيا، ولا يريدها، ولا يقبل منا شيئًا غير الإسلام"(٨)، وقال الماوردي (٤٥٠هـ):"﴿وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ﴾ الآية، إخبارًا لهم عما يصنعه بهم ليسعد منهم بالإيمان من هدي، وهذه سنّة كل نبي"(٩).

٢- سليمان عليه السلام قد أقام دولته على الإيمان بالله تعالى وعلى العلم النافع، وعلى القوة العادلة، وهو يمثل

---

(١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٩٥/٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢١٥/١٩.

(٣) ابن سلام: تفسير يحيى بن سلام، ت: هند شلبي، ٥٤٢/٢.

(٤) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٩٨/٤.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٥٧/١٨.

(٦) ينظر: الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢١١/٤.

(٧) ينظر: محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣٣١/١٠ وما بعدها.

(٨) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٣٠٣/٣.

(٩) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٢١١/٤.

الحاكم اليقظ المتنبه لأحوال رعيته يعرف شؤونها الصغيرة والكبيرة، وهو في نفس الوقت الحاكم الحازم الذي يعاقب المقصر.

٣- الجندى الصغير فى الأمة التى يظلها العدل والحرية والأمان، لا يمنعه صغره من أن يرد على الحاكم الكبير، بشجاعة وقوة .

٤- حكمة الله تعالى قد اقتضت أن تتألف الأمم من حاكمين ومحكومين، وأن كل فريق له حقوق وعليه واجبات، وأن الأمم لا تصلح بدون حاكم يحكمها ويرعى شؤونها، ويحق الحق ويبطل الباطل، والحاكم العاقل هو الذى يستشير من هو أهل للاستشارة فى الأمور التى تهم الأمة.

٥- الهدية إذا لمس المهدى إليه من ورائها، عدم الإخلاص فى إهدائها، وأن المقصد منها صرفه عن حق يقيمه، أو عن باطل يزيله، فإن الواجب عليه أن يرد هذه الهدية لصاحبها، وأن يمتنع عن قبولها.

٥. ١. ٥- إخبار عن ذي القرنين:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ٨٤ فَأَتۡبَعَ
سَبَبًا ٨٥ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ
فِيهِمۡ حُسۡنٗا ٨٦ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ٨٧ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً
ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ٨٨ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٨٩ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا
سِتۡرٗا ٩٠ كَذَٰلِكَۖ وَقَدۡ أَحَطۡنَا بِمَا لَدَيۡهِ خُبۡرٗا ٩١ ثُمَّ أَتۡبَعَ سَبَبًا ٩٢ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ
يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣ قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ
سَدّٗا ٩٤ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ
ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦ فَمَا ٱسۡطَٰعُوٓاْ أَن يَظۡهَرُوهُ وَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقۡبٗا ٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحۡمَةٞ مِّن رَّبِّيۖ
فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَۖ وَكَانَ وَعۡدُ رَبِّي حَقّٗا﴾ {الكهف:٨٣-٩٨}

السياق: جاء خبر ذي القرنين بعد خبر موسى عليه السلام مع الخضر، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"لما فرغ من هذه القصة التي حاصلها أنها طواف في الأرض لطلب العلم، عقبها بقصة من طاف الأرض لطلب الجهاد، وقدم الأولى إشارة إلى علو درجة العلم؛ لأنه أساس كل سعادة، وقوام كل أمر"(١).

الفعل القولي: ﴿حَمِئَةٖ﴾ حارة سوداء(٢)، ﴿تُعَذِّبَ﴾ قال الطبري (٣١٠هـ):"إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله، ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم.. وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم

(١) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٢/١٢٨.

(٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢/٦٠٠.

الرشاد"(١)، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"ويحتمل أن يكون الاتخاذ ضرب الجزية"(٢)، ﴿خَرۡجًا﴾ قرأ حمزة وعلي وخلف (خراجًا)، وقرأ الباقون (خرْجًا)(٣)، قال الماوردي (٤٥٠هـ):"وفي اختلاف القراءتين ثلاثة أوجه: أحدها: أن الخراج الغلة، والخرج الأجرة، الثاني: أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض، والخرج ما يؤخذ عن الرقاب، قاله أبو عمرو بن العلاء، الثالث: أن الخرج ما يؤخذ دفعة، والخراج ثابت مأخوذ في كل سنة، قاله ثعلب"(٤).

الإحالة: ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ يعني المشركين من قريش أو أهل الكتاب(٥)، ﴿سَأَتۡلُواْ﴾ محمد ﷺ.

القضية: قتال ذي القرنين.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الإخبارية.

القوة الإنجازية: تقرير ما يأتي(٦):

١- التمكين فى الأرض نعمة يهبها الله لمن يشاء من عباده.

٢- السير فى الأرض لإحقاق الحق وإبطال الباطل من صفات المؤمنين الصادقين.

٣- الحاكم العادل من صفاته: ردع الظالمين عن ظلمهم، والإحسان إلى المستقيمين المقسطين، والعمل على ما يجعلهم يزدادون استقامة وفضلًا.

٤- من معالم الخلق الكريم، أن يعين الإنسان المحتاج، وأن يقدم له ما يصونه عن الوقوع تحت وطأة الظالمين المفسدين، وأن من الأفضل أن يحتسب ذلك عند الله تعالى، وألا يطلب من المحتاج إلى عونه أكثر من طاقته.

٥- من أبرز صفات المؤمنين الصادقين: أنهم ينسبون كل فضل إلى الله تعالى، وإلى قدرته النافذة، وأنهم يزدادون شكرا وحمداً له تعالى كلما زادهم من فضله.

٥. ٢- الإخباريات عن هذه الأمة:

وردت في آيات الجهاد إخباريات كثيرة متعلقة بغزوات النبي ﷺ مثل غزوة بدر وأحد والأحزاب والحديبية وخيبر وغيرها، كما تنقل لنا بعض مواقف الصحابة ﷺ والمشركين من العرب وأهل الكتاب والمنافقين في تلك الغزوات، وقد اخترت من هذه الآيات بعض الإخباريات المتعلقة بغزوة بدر الكبرى وبعض الإخباريات المتعلقة بالمنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد، كذلك بعض الإخباريات المتعلقة بمصير الشهداء في تلك الغزوات.

٥. ٢. ١- إخبار عن غزوة بدر:

من المواضع التي ذكرت فيها أخبار غزوة بدر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٥/٣٧٩.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٣/٥٤٠.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٣٠٣.

(٤) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣/٣٤٢.

(٥) ينظر: الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١٥/٣٦٨.

(٦) ينظر: محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٨/٥٧٥.

رَأْيَ ٱلْعَيْنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾
{آل عمران:١٣}

السياق: قال دروزة (١٤٠٤هـ):"روى المفسرون روايات عديدة في مناسبة هذه الآيات: منها أنها نزلت في اليهود الذين جادلوا النبي في بعض الآيات المتشابهات ابتغاء الدس والفتنة، ومنها أنها نزلت في اليهود الذين ذهلوا لانتصار النبي على قريش في بدر وأخذوا يحسبون حساب العواقب. ومنها أنها نزلت في يهود بني قريظة وبني النضير. ومنها أنها نزلت في حق مشركي قريش؛ حيث علم أنهم يحشدون قواهم بقيادة أبي سفيان لأخذ ثأر بدر. ومنها أنها نزلت خصيصًا في يهود بني قينقاع وأن النبي ﷺ جمعهم بعدها، وأنذرهم بتقوى الله والإيمان برسالته، وحذرهم من الكفر، ولفت نظرهم إلى ما كان من نصر الله للمؤمنين على كفار قريش وهم مثلاهم؛ فأجابوه قائلين: إنكم إنما قاتلتم أناسًا لا بصيرة لهم في الحرب، وإنكم إذا قاتلتمونا علمتم أننا نحن الناس"(١).

الفعل القولي: قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (ترونهم)، وقرأ الباقون (يرونهم)(٢). ﴿ءَايَةٌ﴾ علامة(٣).

الإحالة:﴿لَكُمْ﴾ الآية تحتمل أن يخاطب بها المؤمنون، وأن يخاطب بها جميع الكفار، وأن يخاطب بها يهود المدينة، وبكل احتمال منها قد قال قوم(٤). ﴿فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا﴾ فئة المشركين وفئة المؤمنين يوم بدر(٥)، ﴿يَرَوْنَهُم﴾ قال الفراء (٢٠٧هـ):"ومن قرأ (تَرَوْنَهم) ذهب إلى اليهود؛ لأنه خاطبهم، ومن قال (يَرَوْنهم) فعلى ذلك؛ كما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ وإن شئت جعلت (يَرَوْنَهم) للمسلمين دون اليهود"(٦)، ﴿ذَٰلِكَ﴾ نصر المؤمنين وهم قليل، وهزيمة الكفار وهم كثير(٧).

القضية: قتال المسلمين والمشركين يوم بدر.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآية من الأفعال الإخبارية.

القوة الإنجازية: تذكير للعظة والاعتبار بما كان من نصر الله للفئة المؤمنة القليلة على الفئة الكافرة الكثيرة حينما التقتا وتقاتلتا، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"فمن رأى أن الخطاب بها للمؤمنين فمعنى الآية تثبيت النفوس وتشجيعها.. ومن رأى أن الخطاب لجميع الكفار ومن رأى أنه لليهود فالآية عنده داخلة فيما أمر محمد ﷺ أن يقوله لهم احتجاجًا عليهم، وتبيينًا لصورة الوعيد المتقدم في أنهم سيغلبون"(٨)، وجاء في المنتخب:"لقد كان لكم آية بينة وعبرة ظاهرة في طائفتين من المحاربين التقتا يوم بدر، إحداهما مؤمنة تحارب لإعلاء كلمة الله ونشر الحق، والأخرى كافرة

---

(١) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ١٢٤/٧.
(٢) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٥١.
(٣) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سزكين، ٨٧/١.
(٤) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٤٠٦/١.
(٥) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٦٥/١.
(٦) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ١٩٥/١.
(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢٦٦/١.
(٨) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٤٠٦/١و٤٠٧.

تحارب في سبيل الأهواء والشهوات، فكان من تأييد الله للمؤمنين أن جعل الكافرين يرونهم ضعف عددهم الحقيقي، وبذلك وقع الرعب في قلوب الكفار فانهزموا، والله يمنح نصره لمن يشاء، وإن في ذلك لعبرة لأصحاب البصائر الرشيدة التي لا تنحرف في إدراكها عن الحق"(١).

وعن غزوة بدر أيضًا، قال تعالى:

﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۝٨ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝١٠ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ۝١١ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝١٣ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ {الأنفال: ٥ - ١٤}

السياق: قال دروزة (١٤٠٤هـ):"والمتفق عليه أن هذه الآيات في صدد وقعة بدر. وواضح من أسلوبها وفحواها أنها نزلت بعد انتهاء المعركة وانتصار المسلمين فيها. وأنها استمرار للآيات السابقة التي نزلت هي الأخرى بعد انتهاء المعركة بسبب الخلاف على قسمة الغنائم"(٢).

الفعل القولي: قرأ نافع وأبو جعفر ويعقوب (مردَفين)، وقرأ الباقون (مردِفين)(٣)، قال الفراء (٢٠٧هـ):"فأما (مردِفين) فمتتابعين، و(مردَفين) فُعِل بهم"(٤). وقرأ ابن كثير وأبو عمرو (يَغْشَاكمُ النعاسُ)، ونافع وأبو جعفر (يُغْشِيكمُ النعاسَ)، والباقون (يُغَشِّيكُمُ النعاسَ). وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (يُنْزِلُ) والباقون (يُنَزِّلُ)، وقرأ ابن عامر والكسائي وأبو جعفر ويعقوب (الرعُب) والباقون (الرعْب)(٥).

﴿رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ الوسوسة التي ألقاها في قلوبكم والحزن(٦)، ﴿شَآقُّوا۟﴾ خانوا الله وجانبوا أمره ودينه وطاعته(٧).

---

(١) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٧٢.

(٢) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ١٥/٧.

(٣) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٧٨.

(٤) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف نجاتي ومحمد علي النجار، ٤٠٤/١.

(٥) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص١٧٨.

(٦) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٠٤/٢.

(٧) أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: محمد فؤاد سزكين، ٢٤٣/١.

الإحالة: ﴿أَخْرَجَكَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ، قال الهواري (٣٠٠هـ):"أخرجك من مكة إلى المدينة، ومن المدينة إلى قتال أهل بدر"(١)، ﴿ٱلطَّآئِفَتَيْنِ﴾ العير أو هزيمة المشركين وعسكرهم(٢)، ﴿غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ العير التي ليس فيها قتال(٣)، ﴿فَٱضْرِبُواْ﴾ قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"قيل: هذا خطاب مع المؤمنين، وقيل: هذا خطاب مع الملائكة"(٤)، ﴿ذَٰلِكَ﴾ الضرب والقتل(٥)، ﴿شَآقُّواْ﴾،﴿فَذُوقُوهُ﴾: للمشركين، ﴿ذَٰلِكُمْ﴾ العقاب والعذاب(٦).

القضية: الخروج لغزوة بدر.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الإخبارية.

القوة الإنجازية:

١- تشبيه اختلاف المؤمنين في الغنائم باختلافهم في الخروج لغزوة بدر وكراهية بعضهم له، قال طنطاوي (١٤٣١هـ):"حال بعض المسلمين في بدر في كراهة قسمة الغنيمة بالسوية بينهم، مثل حال فريق منهم في كراهة الخروج للقتال، مع أنه قد ثبت أن هذه القسمة وذلك القتال، كان فيهما الخير لهم، إذ الخير فيما قدره الله وأراده، لا فيما يظنون"(٧).

٢- بيان ضعف الإنسان في رغبته في كل ما لا كلفة فيه ولا مشقة وحكمة الخالق سبحانه في تقديره وتشريعه فهو يريد معالي الأمور، قال الزمخشري (٥٣٨هـ) في تفسير قوله تعالى ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ﴾:"يعني أنكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الأمور وأن لا تلقوا ما يرزؤكم في أبدانكم وأحوالكم والله ﷻ يريد معالي الأمور، وما يرجع إلى عمارة الدين، ونصرة الحق، وعلو الكلمة، والفوز في الدارين، وشتان ما بين المرادين، ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة، وكسر قوتهم بضعفكم، وغلب كثرتهم بقلتكم، وأعزكم وأذلهم، وحصل لكم ما لا تعارض أدناه العير وما فيها"(٨).

٥. ٢. ٢- إخبار عن المنافقين المتخلفين عن الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُواْ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُواْ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا

(١) الهُواري: تفسير كتاب الله العزيز، ت: بالحاج سعيد شريفي، ٢/٧٥.
(٢) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ٢/١٠١.
(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ١١/٤٠.
(٤) البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٣ /٣٣٤.
(٥) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٥/١٦٥.
(٦) المرجع السابق، ٥/١٦٥.
(٧) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٦/٣٧.
(٨) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٠٤.

زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ {التوبة: ٤٤ – ٥٠}

السياق: نزلت هذه الآيات "بسبب قوم من المنافقين استأذنوا دون عذر، منهم عبد الله بن أبي، ورفاعة بن التابوت، والجد بن قيس، ومن تبعهم"(١).

الفعل القولي: ﴿خَبَالًا﴾ الفساد في الأفعال والأبدان والعقول(٢)، ﴿وَلَأَوْضَعُوا﴾ لأسرعوا فيما بينكم بالإفساد والنميمة(٣).

الإحالة: ﴿أَرَادُوا﴾ أخبر عن المنافقين(٤)، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ قال الماتريدي (٣٣٣هـ):" يحتمل أن هؤلاء المنافقين يكونون سُماعًا وخُبُرًا وعيونًا؛ يخبرونهم عن عورات المسلمين وضعفهم، ويحتمل قوله: ﴿وَفِيكُمْ﴾ من المؤمنين ﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ الآية: لأنه قيل: إنه كان في أصحاب النبي أهل محبة لهم وطاعة لشرفهم فيهم، وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ كان الرجل يرى الجماعة من المسلمين، فيضرب دابته حتى يدخل بينهم، ثم يقول: أبلغكم ما بلغني أن العدو أمامكم غوَّروا المياه، وفعلوا كذا، وهيأوا، ويحتمل قوله: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ أي فيكم من المنافقين الذين قعدوا، ولم يخرجوا، يُسمعون للمؤمنين الذين لم يخرجوا أيضا ما يكرهون؛ يقولون: الدَّبْرَةُ على المؤمنين، ونحو ذلك من الهزيمة"(٥)، ﴿لَكَ﴾ محمد ﷺ(٦).

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف الآيات من الأفعال الإخبارية.

من الأغراض الإنجازية لهذا الخبر:

١– إعلام من الله نبيه ﷺ سِيما المنافقين، أن من علاماتهم التي يعرفون بها تخلفهم عن الجهاد في سبيل الله باستئذانهم رسول الله ﷺ في تركهم الخروج معه إذا استنفروا بالمعاذير الكاذبة(٧).

٢– تحذير من وجود منافقين في صفوف المؤمنين، فهو خطر عليهم وضرر كبير لهم فلذا ينبغي أن لا يُشركوا في أمر، وأن لا يعول عليهم في مهمة(٨).

---

(١) ابن الفرس: أحكام القرآن، ت: طه بو سريح وآخرون، ١٥٧/٣.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (خ–ب–ل)، ٥٢٧/١.

(٣) المرجع السابق، (و–ض–ع)، ١٢٨٨/٣.

(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٧٢/٢.

(٥) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٣٨٢/٥.

(٦) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٤٨٨/١١.

(٧) المرجع السابق، ٤٧٩/١١و٤٨٠.

(٨) ينظر: أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٣٧٦/٢.

٣- تذكير بالماضي السيء للمنافقين مع الدعوة الإسلامية فإن هؤلاء المنافقين قد ابتغوا الأذى للدعوة الإسلامية من قبل هذه الغزوة، ودبروا لصاحبها ﷺ المكايد، واستعملوا قصارى جهدهم، ومنتهى اجتهادهم، وخلاصة مكرهم، من أجل صد الناس عن الحق الذي جاء به محمد ﷺ(١).

٤- تنبيه على أن من عصى الله لغرض ما، فإنه تعالى يبطل عليه ذلك الغرض، ألا ترى أن القوم إنما اختاروا القعود لئلا يقعوا في الفتنة، فالله تعالى بين أنهم في عين الفتنة واقعون ساقطون(٢).

٥- بيان فرح المنافقين والكافرين بما يسوء المسلمين، وبيان استيائهم لما يفرح المسلمين وهي علامة النفاق البارزة في كل منافق(٣).

٥. ٢. ٣- إخبار عن الشهداء ومنزلتهم عند الله:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ {البقرة: ١٥٤}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ {آل عمران: ١٦٩ - ١٧١}

السياق: آية البقرة "نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وهم أربعة عشر رجلًا من المسلمين، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين"(٤). وآيات آل عمران نزلت في "الذين قُتِلوا بأُحد من أصحاب رسول الله ﷺ"(٥).

الفعل القولي: ﴿يُقْتَلُ﴾ أصل القتل:"إزالة الروح عن الجسد كالموت"(٦)، ﴿لَّا تَشْعُرُونَ﴾:"بأنهم أحياء مرزوقون، ومساكن أرواح الشهداء سدرة المنتهى في جنة المأوى"(٧).

الإحالة: من الإحالة الشخصية ﴿تَقُولُوا﴾ و﴿تَشْعُرُونَ﴾ إحالة إلى المخاطبين وهم المؤمنون، ﴿يُقْتَلُ﴾ الضمير المستتر يشير إلى من قتل سابقًا ومن سيقتل لاحقًا، وقد جاء أنها "نزلت في قتلى بدر من المسلمين، وهم أربعة عشر رجلا من المسلمين، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين"(٨)، وعمم سعيد بن جبير فقال:"الذين قتلوا

---

(١) ينظر: محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣١١/٦.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٦٥/١٦و٦٦.

(٣) أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، ٣٧٩/٢.

(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٥٠/١.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٣٨٤/٧.

(٦) الراغب الأصفهاني: معجم مفردات ألفاظ القرآن، ت: صفوان عدنان، ٦٥٥/١.

(٧) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٥١/١. وفي الحديث:"أرواحهم في جوف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل" رواه مسلم.

(٨) مقاتل: تفسير مقاتل، ت: عبد الله شحاتة، ١٥٠/١.

في طاعة الله في قتال المشركين"(١)، قال ابن عرفة:"أتى به مضارعًا ليدل على عمومها فيمن بعدهم"(٢).

القضية: حياة من قتل في سبيل الله.

الفعل الإنجازي: يمكن تصنيف قوله تعالى:﴿بَلۡ أَحۡيَآءٌ﴾ في الموضعين، وما بعده من الأفعال الإخبارية.

القوة الإنجازية:

١- "تقرير حقيقة ودفع شبهة"(٣)، قال الجصاص (٣٧٠هـ) في تفسير آية البقرة:"فيه إخبار بإحياء الله تعالى الشهداء بعد موتهم؛ ولا يجوز أن يكون المراد أنهم سيحيون يوم القيامة؛ لأنه لو كان هذا مراده لما قال:﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾؛ لأن قوله:﴿وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ﴾ إخبارٌ بفَقْدِ علمنا بحياتهم بعد الموت؛ ولو كان المراد الحياة يوم القيامة لكان المؤمنون قد شعروا به وعرفوه قبل ذلك، فثبت أن المراد الحياة الحادثة بعد موتهم قبل يوم القيامة"(٤).

ومعلوم أن المؤمنين والكافرين أحياء في قبورهم حياة برزخية، فما وجه تميز حياة الشهداء عن غيرهم؟ قال الطبري (٣١٠هـ):"إن الذي خصّ الله به الشهداء في ذلك وأفاد المؤمنين بخبره عنهم جل ثناؤه إعلامه إياهم أنهم مرزوقون من مآكل الجنة ومطاعمها في برزخهم قبل بعثهم، ومنعمون بالذي ينعم به داخلوها بعد البعث من سائر البشر من لذيذ مطاعمها التي لم يعطها الله أحدًا غيرهم في برزخه قبل مبعثه، فذلك هو الفضيلة التي فضلهم بها وخصهم بها من غيرهم، والفائدة التي أفاد المؤمنين بالخبر عنهم"(٥).

٢- تسلية المؤمنين، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"فإن المؤمنين صعب عليهم فراق إخوانهم وقراباتهم فنزلت الآية مسلية لهم، تعظم منزلة الشهداء، وتخبر عن حقيقة حالهم"(٦).

٣- حث على الجهاد والصبر عليه والاقتداء بالشهداء، جاء في المنتخب:"ولن يؤدي الصبر إلا إلى الخير والسعادة في الدارين، فلا تقعدوا عن الجهاد في سبيل الله، ولا ترهبوا الموت فيه، فمن مات في الجهاد فليس بميت بل هو حي حياة عالية وإن كان الأحياء لا يحسون بها"(٧).

---

(١) ابن أبي حاتم: تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، ت: أسعد محمد الطيب، ١/٢٦٢.

(٢) ابن عرفة: تفسير ابن عرفة، ت: جلال الأسيوطي، ١/١٨٨.

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (المنار)، ٢/٣٧.

(٤) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد الصادق القمحاوي، ١/١١٥.

(٥) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: التركي، ٢/٧٠١و٧٠٢.

(٦) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ١/٢٢٧.

(٧) المنتخب في تفسير القرآن الكريم، ص٣٤.

الفصل الثاني

المتضمنات في آيات الجهاد.

- المبحث الأول:

المتضمنات في اللسانيات الغربية والعربية.

- المبحث الثاني:

تحليل المتضمنات في آيات الجهاد.

المبحث الأول

المتضمنات في اللسانيات الغربية والعربية

١ - المتضمنات المفهـــــوم والأنــــواع.

٢ - المتضمنات في اللسانيات الغربية.

٣ - المتضمنات في اللسانيات العربية.

توطئة

لا أبالغ إنْ قلت إنَّ المعنى هو قمة الهرم في الدراسات اللغوية، والاهتمام بالمعنى وأنواعه في النص، والتمييز بين الصريح منه والضمني، وكيف أنَّ الإنسان يقول أكثر مما يتكلم، ويُفهم من كلامه ما لم يصرح به في كثير من الخطابات وفق سياقات محددة، والأسباب التي تدفع الناس للميل إلى التلميح دون التصريح، كل ذلك كان ومازال موضع اهتمام كثير من علماء اللغة وفلاسفتها على مر العصور، وإن كانت بعض النظريات اللسانية الشكلية أهملت الاهتمام بالمعنى ونحته جانبًا حينًا من الدهر، وعدّته خارج دائرة الدراسة العلمية، إلا أن الاتجاه السائد في الدراسات الحديثة –وفي مقدمتها التداولية– قد أولى عناية كبيرة بالمعنى وبقضاياه الشائكة، وليس ذلك بغريب إذ إنّ الاهتمام الأساس للتداولية هو المعنى في الاستعمال.

وهذا الفصل محاولة لاستكشاف هذا الجانب المهم من اللغة، وفهم هذه الأقسام المتعددة للدلالة، ونظرة العلماء العرب والغربيين لها، ثم الانطلاق بعد ذلك لتطبيق هذه الجوانب النظرية على مادة البحث المختارة؛ لاستكشاف بعض ما يحمله النص من دلالات ومعانٍ مختلفة.

١- المتضمنات المفهوم والأنواع:

حاولت البحث عن كلمة تشمل كل أنواع الكلام الضمني التي ذكرها العلماء العرب والغربيون، فكان العثور على مصطلح يتضمن كل تلك الأنواع أمرًا صعبًا، وهذه الأنواع التي أقصدها للكلام الضمني كثيرة منها: المفهوم بأنواعه عند الأصوليين، وبعض أنواع المنطوق التي تفهم من الألفاظ، والحذف والمعاني الثانوية عند النحاة والبلاغيين، وعند الغربيين نجد: الافتراض السابق، والاستلزام الحواري، والتضمين، والقول المضمر، والغرض الإنجازي للفعل الكلامي غير المباشر... إلخ.

وكان من بين الخيارات المتاحة بعض المصطلحات من قبيل: المفهومات، المضمرات، الاستلزامات، الاستدلالات، الافتراضات، الإلمحات، التلميحات.. وغير ذلك، ولكن وقع الاختيار على لفظ المتضمنات وقريب منها المضمّنات أو التضمينات؛ لما في مادة اللفظ اللغوية من دلالة على المقصود.

١. ١- المفهوم اللغوي:

قال ابن فارس (٣٩٥هـ):"الضاد والميم والنون أصل صحيح، وهو جَعْلُ الشيء في شيء يَحْوِيهِ. من ذلك قولهم: ضَمَّنَتُ الشَّيْءَ، إذا جَعَلْتَهُ في وعائه. والكفالة تسمى ضَمانًا من هذا؛ لأنه كأنه إذا ضَمِنَهُ فقد استوعب ذِمَّتَهُ. والمضامين: ما في بطون الحوامل"[١].

وجاء في لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ):"ضَمَّنَ الشيءَ الشيءَ: أَوْدَعه إياه كما تُودِعُ الوعاءَ المتاعَ والميتَ القبرَ، وقد تضَمَّنه هو.. وكل شيء جعلته في وعاء فقد ضمَّنته إياه. الليث: كل شيءٍ أُحرِزَ فيه شيء فقد ضُمِّنَه.. ضُمِّنَه: أُودِعَ فيه وأُحرِزَ يعني القبر الذي دُفِنَتْ فيه المَوْؤُودَةُ"[٢].

ويقابل ذلك في الإنجليزية كلمة Implicit والتي تدور حول: المذكور ضمنًا، المضمر، المفهوم بالاستدلال، ومنها Implication والتي تعني المضمَّنات أو التضمينات[٣]، وفي الفرنسية Les Implicites.

١. ٢- المفهوم الإصطلاحي:

يطلق بعض اللسانين على الكلام الضمني مصطلح (متضمنات القول)، ويعرفه مسعود صحراوي بقوله:"متضمنات القول مفهوم تداولي إجرائي يتعلق برصد جملة من الظواهر المتعلقة بجوانب ضمنية وخفية من قوانين الخطاب، تحكمها ظروف الخطاب العامة كسياق الحال وغيره"[٤].

١. ٣- أنواع المتضمنات:

الحديث عن متضمنات القول يجرنا إلى الحديث عن الاستلزمات وأنواعها المتعددة، والتي تُستنتج من الألفاظ

---

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة، (ض-م-ن)، ٣/ ٣٧٢.

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، (ض-م-ن)، ٢٥٧/١٣و٢٥٨.

(٣) كما ترجمها عز الدين المجدوب في القاموس الموسوعي للتداولية وفيه أن (دان سبربر) و(دايدر ولسن) أدخلا مصطلحي التضمين والتوضيح لتعيين نوعين من نتائج تأويل الأقوال، ويتمثل التوضيح في إثراء بسيط للصورة المنطقية للقول، أما كل القضايا التي يمكننا استخلاصها من القول وليست توضيحات فهي تضمينات. (القاموس الموسوعي للتداولية، ص٥٧٢).

(٤) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٣٠.

والتراكيب والسياقات المختلفة للقول، وقد ميز طه عبد الرحمن في القوة اللزومية للقول الطبيعي الواحد بين ضروب متنوعة من الاستلزامات، ذكر منها[١]:

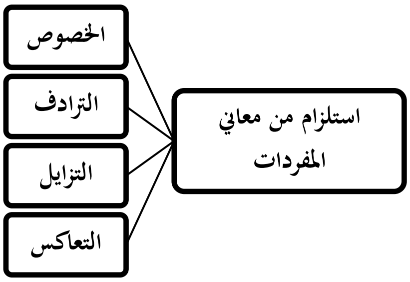
أولًا– الاستلزامات المتولدة من معاني المفردات، مثل:

أ– الخصوص: مثال لفظا (الإنسان) و(الحيوان) فأفراد الإنسان جزء خاص من أفراد الحيوان.

ب– الترادف: مثاله لفظا (الحق) و(الصدق) فالأشياء الحقة هي الأشياء الصادقة نفسها.

ج– التزايل: مثاله التقابل بين لفظ (الحياة) و(الموت)، كما يدخل فيه التضاد الذي هو تقابل بين طرفين لا يمنع من وجود ثالث بينهما، ومثاله التقابل بين اللفظين (القيام) و(الجلوس) الذي يوجد معه ما ليس بقيام ولا جلوس نحو (الاضطجاع) و(الركوع) و(السجود).

د– التعاكس: ومثاله التقابل (فوق) و(تحت)، فقد نقول على سبيل التساوي (العصفور فوق الشجرة).



استلزمات المعاني المفردة

ثانيًا– الاستلزامات المتولدة من البنية الدلالية، مثل:

أ– الاستلزام الدلالي: يستلزم القول (ب) استلزامًا دلاليًا القول (ج) متى صدق مدلول (ج) في كل حالة يصدق فيها مدلول (ب). مثل: أضحك زيد عمرًا – ضحك عمرو، فصدق الأول يستلزم صدق القول الثاني، على أن (أضحك) مستخدمة في معناها الأصلي (جعله يضحك) وليس المجازي (طلب منه الضحك). ويشمل:

١–الأوسع: وهو عبارة عن الاستلزام الدلالي مع جواز صحة عكسه الثبوتي.

٢–الأضيق: وهو عبارة عن الاستلزام الدلالي مع وجوب فساد عكسه الثبوتي.

٣–الأقوى: وهو عبارة عن الاستلزام الدلالي مع جواز صحة عكسه الانتفائي.

٤–الأضعف: وهو عبارة عن الاستلزام الدلالي مع وجوب فساد عكسه الانتفائي.

ب– الاستلزام الاقتضائي: يستلزم القول (ب) استلزامًا قضائيًا القول (ج) متى كان القول (ب) ونقيضه أي: لا (ب)– يستلزمان معًا استلزامًا دلاليًا القول (ج)[٢]. ومثاله: هل يعلم زيد أن عمرًا جاء؟ – لا يعلم زيد أن عمرو جاء، الاستلزام الاقتضائي: عمرو جاء.

ج– الاستلزام القضائي: يستلزم القول (ب) استلزامًا قضائيًا القول (ج) متى كان (ب) يستلزم (ج) استلزامًا

---

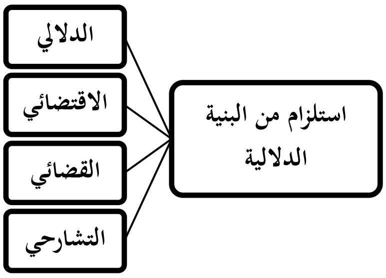
(١) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص٩٠–١٠٠.

(٢) يسمي طه عبد الرحمن الافتراض السابق بالاقتضاء، وشاعت هذه التسمية في المغرب العربي، ويرفض محمد محمد يونس هذه التسمية، إذ يعتبر مفهوم الافتراض السابق يختلف عن مفهوم الاقتضاء الذي وضعه الأصوليون.

دلاليًا وكان نقيضه – أي: لا (ب) – لا يستلزم استلزامًا دلاليًا (ج).

د– الاستلزام التشارحي: يستلزم القول (ب) استلزامًا تشارحيًا القول (ج) متى كان (ب) يستلزم استلزامًا دلاليًا (ج) وكان (ج) يستلزم استلزامًا دلاليًا (ب). مثال: ضرب زيد عمرًا – عمرو ضربه زيد

الاستلزام التشارحي: القول الثاني يصدق إذا صدق الأول، ويكذب إذا كذب؛ إذ هو بمثابة شارح له.



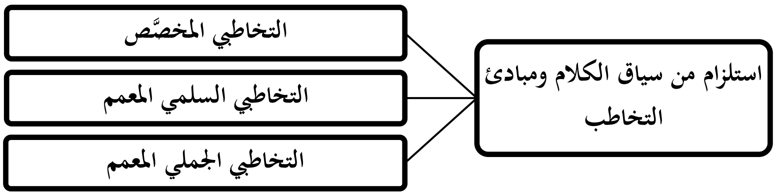
استلزمات البنية الدلالية

ثالثًا– الاستلزامات المتولدة من سياق الكلام ومن المبادئ العامة للتخاطب، مثل:

أ– الاستلزام التخاطبي المخصَّص[(١)]: يستلزم القول (ب) استلزامًا تخاطبيًا القول (ج) في مقام خاص متى كان ادعاؤنا بأن قائله يتبع قواعد التخاطب في هذا المقام الخاص لا يصح إلا إذا سلمنا بأنه يقصد إفهامنا (ج).

ب– الاستلزام التخاطبي السُّلَّمي المعمم: يستلزم القول (ب) استلزامًا تخاطبيًا سلميًا القول لا (ج) عند نطق الناطق به متى كان (ب) لا يختلف عن (ج) إلى في لفظ واحد يدل في (ب) على مقدار ينزل رتبة أدنى من الرتبة التي ينزلها مقدار اللفظ المقابل له في (ج).

ج– الاستلزام التخاطبي الجُمْلي المعمم: يستلزم القول المركب (ب) استلزامًا تخاطبيًا جُمْليًا القولين المتضادين: {يجوز ج في علم القائل} و{يجوز لا (ج) في علمه} متى كان (ج) جزءًا من (ب) من غير أن يكون (ج) ولا نقيضه لا (ج) لازمًا لزومًا قضائيًا أو اقتضائيًا عن (ب)، ومتى ترك القائل –قصدًا– استعمال قول آخر بديل لـ (ب) يلزم عنه (ج) أو لا (ج) لزومًا قضائيًا أو اقتضائيًا.



استلزامات السياق ومبادئ الحوار

(١) وهو المشهور بالاستلزام الحواري الذي أشار إليه جرايس في نظريته للمحادثة.

٢- المتضمنات في اللسانيات الغربية.

اهتم الغربيون كما اهتم غيرهم بالنظر فيما يتضمنه الكلام من المعاني غير المباشرة، ودراسة تلك المعاني وبيان دورها في العملية التواصلية، يقول فيليب بلانشيه Blanchet:"كل دلالة تنشأ في قسم منها عن معطيات ضمنية، وغالبًا ما يبدو في الواقع نصيب الضمني أوفر من نصيب التصريحي، بما في ذلك المستوى البسيط للمعنى الحرفي، إن الضمني موجود حيثما نظرت سواء تعلق الأمر بالمعنى الحرفي أو بالقيمة اللاقولية أو بالأعمال غير المباشرة أو حتى بالإخبارات، أو برؤية للعالم يختص بها لسان ما، ذلك أننا لا نقول كل شيء، كما أننا نحتاج إلى الدخول في محادثات اجتماعية كي ننتج دلالة. فإذا غاب هذا الضمني امتنع التواصل، بما أنه في هذه الحالة يجب إظهار كل شيء دائمًا، وإذاك يصبح أقل خطاب عبارة عن لولب لا ينتهي"(١).

ومن أهم المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع بالبحث والدراسة كتاب L'Implicite لكاترين كيربرات أوريكيوني(٢).

٢. ١- أنواع المتضمنات في اللسانيات الغربية:

في حديث اللسانيين الغربيين عن الكلام الضمني عمومًا تدور هذه المصطلحات: الافتراض السابق Presupposition، التضمين Entailment، الاستلزام Implicature، القول المضمر أو المفهوم، القوة الإنجازية غير المباشرة، الحجة المضمرة، وأحاول الوقف على الفروق بين هذه المصطلحات والتمييز بين تلك الأنواع.

٢. ١. ١- الافتراض السابق Presupposition:

ينسب مصطلح Presupposition إلى الفيلسوف الألماني جوتلوب فريجه(٣). ويعرفه جورج يول George Yule بقوله:

A Presupposition is something the speaker assumes to be the case prior to making an utterance. Speakers, not sentences, have presuppositions(4).

الافتراض السابق هو شيء يفترض المتكلم أن يكون عليه الحال قبل الكلام، المتكلمون وليس العبارات هم الذين يملكون الافتراضات السابقة.

استخدم ديكرو مقياسًا لاكتشاف الافتراض السابق وهو مقياس النفي والاستفهام، نظرًا إلى أن هاتين البنيتين التركيبيتين تحافظان على المحتوى المقتضى(٥)، وبهذا يتميز الافتراض السابق عن غيره من الدلالات أنه هو الدلالة الوحيدة من بين كل دلالات اللفظ من قبيل المطابقة والتضمن والالتزام التي تنجو من النفي، ومثال ذلك: (خرج

---

(١) فيليب بلانشيه: التداولية من أوستن إلى جوفمان، ت: صابر الحباشة، ص١٤٤و١٤٥.

(٢) كاترين كيربرات – أوريكيوني: أستاذة في فرع علوم الكلام في جامعة لوميير – ليون الثانية، تترأس فريق CNRS وهو مجموعة عمل تعنى بالأبحاث حول التفاعلات التواصلية، لها مجموعة من الكتب حول علم الدلالة والتداولية التواصلية.

(٣) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٣١. نقلا عن:
Paul Larreya: Enoncés performatifs et presupposition, Paris, Nathan, 1979, P.7

(٤) George yule: Pragmatics, p.25.

(٥) ينظر: آن ربول وجاك موشلار: القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢٥٥.

المعلم من الفصل) عند تحويله إلى استفهام (هل خرج المعلم من الفصل؟)، ثم الإجابة بالنفي (لم يخرج المعلم من الفصل)، فيستنتج من ذلك أن الافتراض السابق وهو الثابت بعد النفي والاستفهام (المعلم كان في الفصل). لكن هذا المقياس ليس قابلًا للاستعمال دائمًا، والدليل على ذلك صعوبة تطبيقه في الأقوال المنفية.

ويميل بعض الباحثين المغاربة إلى ترجمة مصطلح Presupposition بالمصطلح التراثي في أصول الفقه (الاقتضاء)[١]، ويعترض محمد يونس على تلك الترجمة قائلًا إنه ليس هنالك مصطلح في التراث أو في الدراسات الحديثة يقابل مصطلح الافتراض السابق عند الغربيين، فهو مصطلح غربي محض، ولكنه يتداخل بنسبة قليلة مع مفهوم الاقتضاء، فالاقتضاء عند الأصوليين هو ما قدر لحفظ صدق المتكلم، أو للمحافظة على الصحة العقلية، أو المحافظة على الصحة الشرعية، وهذا النوع الأخير هو الأقرب للافتراض السابق، فالاختلاف بينهما في المفهوم والماصدق، فالافتراض هو شرط في المعنى، والاقتضاء هو عمل يقوم به المخاطب، أي أنه نوع من التأويل، فالعلاقة بينهما علاقة عام بخاص[٢].

وأتفق مع ما ذهب إليه محمد يونس إذ إن الافتراض السابق كما يظهر من تعريفه عند الغربيين عمل مرتبط بالمتكلم أصالةً، والمخاطَب في محاولته للكشف عن الافتراض السابق في كلام غيره إنما يسعى لفهم ما يفترضه المتكلم بغض النظر عن مطابقة ما افترضه للواقع أو عدمها، أم الاقتضاء فهو كما يُدرِجه الجمهورُ ضمن دلالات المنطوق غير الصريح، أما الحنفية، فجعلوها دلالةً مستقلة بذاتها، كدلالة الإشارة، ودلالة الدلالة، ودلالة العبارة، وهو متعلق بالمخاطَب أصالةً، وهو نوع من الاجتهاد في فهم النص.

---

(١) كما في القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢٥٤.

(٢) كلمة مرئية في مناقشة رسالة علمية بجامعة الشارقة منشورة على صفحته على موقع التواصل الاجتماعي (الفيسبوك).

٢. ١. ١. ١- أنواع الافتراض السابق **Presupposition**:

للافتراض السابق أنواع متعددة ذكرها جورج يول ويوضحها الجدول التالي(١):

النوع	المثال	الافتراض السابق	التوضيح
افتراض وجودي Exitential presupposition	الـ (س)/ ليس (س)	(س) موجود	افتراض مفاده أن شخصًا أو شيئًا معرف باستعمال جملة اسمية موجود.
افتراض واقعي Factive presupposition	ندمت على مغادرتي	غادرت	المعلومة الواردة بعد كلمات معينة، مثل (يعرف) و(يأسف) صحيحة.
افتراض غير واقعي Non-factive Presupposition	تظاهر بالسعادة	لم يكن سعيدًا	افتراض أن معلومة محددة غير مصرح بها ليست صحيحة.
افتراض معجمي Lexical Presupposition	تمكن من الهروب	حاول الهروب	افتراض أن المتكلم عبر استعمال كلمة واحدة قادر على التصرف وكأنه فهم معنى كلمة أخرى.
افتراض بنيوي Structural Presupposition	متى توفيت؟	توفيت	افتراض أن جزء من البنية تتضمن معلومة تعامل على أنها معروفة سابقًا.
افتراض مناقض للواقع Counter-factual Presupposition	لو كنت صديقي لساعدتني	لست صديقي	معلومة معينة مناقضة للحقيقة.

وأشار جورج يول إلى أن هذه الأنواع محتملة Potential presupposition، ويمكن أن تتحول إلى افترضات سابقة واقعية فقط عندما يقصد المتكلم أن تميز على أنها كذلك في كلامه.

٢. ١. ٢- التضمين **Entailment**:

يعرفه جورج يول George Yule بقوله:

An entailment is something that logically follows from what is asserted in the utterance. Sentences, not speakers, have entailments(2).

التضمين شيء ينبع منطقيًا مما هو منصوص عليه في الكلام، أي أن الجمل -وليس المتكلمون- هي التي تحوي التضمينات.

٢. ١. ٣- الاستلزام **Implicature**:

أشار ليفنسون Levinson إلى أن وليم جيمس William James هو أول من اقترح مصطلح Implicature في محاضرات ألقيت في هارفارد ١٩٦٧م، واستخدمه بعد ذلك جرايس Grice في نظريته المعروفة في المحادثات. وهو يميز بين نوعين من الاستلزام:

---

(١) ينظر: جورج يول: التداولية، ت: قصي العتابي: ص٥٨. وفهرس المصطلحات في آخر الكتاب.

(٢) George yule: Pragmatics, p:25.

١- استلزام عرفي أو اصطلاحي Conventional Implicature

٢- استلزام حواري Conversational Implicature

وسيأتي بيانه عند الحديث عن المباديء الحوارية ونظرية المحادثة عند جرايس Grice.

إن الأقوال غير الصريحة المفهومة من سياق الكلام كثيرة ومتشعبة، منها على سبيل المثال ما يعرف بالقوة الإنجازية للأفعال الكلامية غير المباشرة في نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل، ومنها ما يسميه جرايس بالاستلزام الحواري في نظريته للمحادثة، ومنها ما يعرف بالنتيجة المضمرة للحجة في نظرية الحجاج في اللغة عند ديكرو، وغير ذلك.

والملاحظ أن كثير من الحوارات يقوم على الطريقة غير المباشرة في الحوار، والذي يدفع الناس لتفضيل الأسلوب غير المباشر وغير الصريح في الكلام، أمور عديدة منها:

- الاحتراز أحيانًا من ردود أفعال المخاطبين التي قد تضر به، فيلجأ المتكلم إلى المعنى الضمني ليبعد عن نفسه مسؤولية ما اعتقده الآخر، فهي طريقة تمنح صاحبها القدرة على التبرؤ من مسؤولية ما يترتب عن القول من نتائج.

- وقد يكون الدافع أحيانًا حجاجيًا وذلك بتقديم السبب ويترك للمخاطب الوصول للنتيجة المضمرة من خلال العمليات الاستنتاجية التي يقوم بها الذهن، فيكون المخاطب اكثر اقتناعًا بمراد المتكلم من الطريقة الصريحة والمباشرة، وذلك وفق ما تقدمه نظرية الحجاج.

- وقد يكون الدافع هو التأدب مع المخاطب ونأي المتكلم عن أن يفرض نفسه عليه من خلال الأسلوب الصريح، وهذا يوافق مبدأي التأدب والتأدب الأقصى.

٢. ٢- المبادئ الحوارية:

اهتمت الدراسة الغربية بدراسة الخطاب الحواري ومناهج تحليله، ومحاولة الإجابة عن الأسئلة المطروحة من قبيل لماذا يلجأ الناس إلى التلميح أكثر من التصريح، وكيف يُفهم من الحوار أكثر مما يقال فيه، وما وسائل وآليات تحليل هذه المتضمنات، وظهرت عدة مبادئ حوارية تسعى للإجابة عن تلك الأسئلة، منها نظرية المحادثة أو مبدأ التعاون والاستلزام الحواري لجرايس، وما تلاه من مبادئ أخرى أفادت من جهوده، لذلك كان من المهم أن أتحدث عن هذه المبادئ بصورة مختصرة:

٢. ٢. ١- مبدأ التعاون لجرايس:

إن من المفترض عادة أن تكون الجمل التي نستعملها جملًا تامة الفائدة، ومناسبة للمقام، وقد صار هذا جزءًا مما بات يعرف بمبدأ التعاون Cooperative Principle اللازم للمحادثة، وحين يبدو الكلام غير تام الفائدة، أو غير مناسب للمقام، فإن السامع أو القارئ يفترض حينئذ أن عليه أن يستنبط ما يردُّ به هذا الكلام إلى حال (الإفادة) و(المناسبة)[1].

يعود هذا المبدأ إلى بول جرايس H.P.Grice فيلسوف من فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة

(١) وليم أوجرادي: علم الدلالة، ت: عبد الكريم جبل، ص٢٤٠.

الطبيعية Natural Language ألقى محاضراته في جامعة هارفارد عام ١٩٦٧م، وقد طبعت أجزاء مختصرة من هذه المحاضرات عام ١٩٧٥م في بحث له بعنوان:"المنطق والحوارLogic and Conversation"(١)، وفيه بلور جرايس (مبدأ التعاون)، ويقصد به ذلك المبدأ الذي يرتكز عليه المرسِل للتعبير عن قصده، مع ضمانة قدرة المرسَل إليه على تأويله وفهمه، وصاغه على النحو التالي:"ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار"(٢).

وقد تفرّع عن هذا المبدأ عدد من المبادئ الرئيسة، وهي(٣):

الأول- مبدأ الكم The Maxim of Quantity:

أ- لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته. ب- لا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب.

وينص هذا المبدأ على أن عملية التخاطب يجب أن تكون مفيدة، ويجب أن يكون الخطاب دالا على المطلوب، أي لا يفيد أكثر مما ينبغي، ويوافق هذا المبدأ، مبدأ الاقتصاد اللغوي الذي أثبته اللغويون المعاصرون وهو يقول: إن الإنسان لا يبذل من الجهود العلاجية أو الذهنية في إعمال آلة الخطاب إلا بقدر ما يستطيع إفادة المخاطَب، وبعبارة أخرى: فإن هم المتكلم أن يبلغ أكبر عدد ممكن من الفوائد بأقل عدد ممكن من الجهود.

وقد يُتجاوز عن الكمية عند الاستخفاف Flouting بها، أو استغلالها Expltation، للتوصيل إلى استدلالات متتابعة إلى المقتضى الذي يقتضي إبلاغه، والتجاوز عن مبدأ الكم يحصل عندما يأتي النص بشكل غير مباشر عن طريق الكناية، والتلويح، والرمز، والاستعارة.

الثاني- مبدأ الكيف The Maxim of Quality:

أ- لا تقل ما تعلم كذبه. ب- لا تقل ما ليست لك عليه بينة.

وينص على أن تتصف مساهمة المتخاطبين بالصحة، ويهتم فيه بجانب الصدق طرحًا من المرسِل وإجابة من المستقبل؛ فالأول في مقام يفرض عليه الإيمان بصدق قوله ليقابله صدق الإجابة، ويكون الطرفان على نحو من التفاهم والانسجام. ويتجاوز مبدأ الكيف إما للتهكم Satire أو للمزاح.

الثالث- مبدأ المناسبة أو الترابط The Maxim of Relevance:

- ليناسب مقالك مقامك.

ويؤكد هذا المبدأ أن يكون الكلام مناسبًا لموضوع الحوار وملائمًا له، أي: يكون الكلام ذا دلالات مباشرة وصريحة، وغرضه أن تحقق أجزاء الخطاب الواحد توافقًا دلاليًا يحملها على عدم التعارض؛ فلا يكون الخطاب خطابًا، إذا كان أوله لا يشبه آخره، تنافرًا وتعارضًا.

وقد يتجاوز عنه في الكلام غير المباشر بغرض التأدب مثلا.

الرابع- مبدأ النوع أو الطريقة The Maxim of Manner:

---

(١) محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٢.

(٢) ينظر: عبد الهادي الشهري: استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، ص٩٦.

(٣) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٣٨. القاموس الموسوعي للتداولية، ص٢١٤و٢١٥.

أ- لتحترز من الالتباس. ب- لتحترز من الإجمال.

ج- لتتكلم بإيجاز. د- لترتب كلامك.

وإذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك المخاطَب اليقظ ذلك، وسعى إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الانتهاك، كما أن انتهاك مبادئ الحوار لا يقتصر على التعبير الحقيقي بل يشمل المجازي أيضًا، وهو متحقق أيضًا في كل مفارقة Irony يراد بها عكس ما يقال، أو غير ما يتوقع[١].

يقول طه عبد الرحمن:"لقد أريد بهذه القواعد التخاطبية أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادة تبلغ الغاية في الوضوح، بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم والمخاطب معاني صريحة وحقيقية؛ إلا أن المتخاطبين قد يخالفان بعض هذه القواعد، ولو أنهما يدومان على حفظ مبدأ التعاون؛ فإذا وقعت هذه المخالفة، فإن الإفادة في المخاطبة تنتقل من ظاهرها الصريح والحقيقي إلى وجه غير صريح وغير حقيقي، فتكون المعاني المتناقلة بين المتخاطبين معاني ضمنية ومجازية، كما إذا قال القائل:"لقد اشتد الحر بنا في هذا المكان"، وهو يقصد أن يبادر أحد المستمعين إلى فتح النافذة؛ فهذا القول في ظاهره خبر يخل بقاعدة الكم، إذ يخبرنا بما نحن على علم به، لكنه في باطنه طلب نهتدي إليه بافتراض أن القائل يأخذ بمبدأ التعاون"[٢].

٢. ٢. ١. ١- الاستلزام الحواري:

لقد كان مفهوم جرايس للاستلزام الحواري Conversational Implicature أهم إسهاماته في تطور التداولية، وهو يفرق بين نوعين من الاستلزام[٣]:

أ- الاستلزام العرفي أو التوافقي Conventional Implicature: وهو قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب، ومن ذلك مثلا في الإنجليزية (but) ونظيرتها في اللغة العربية (لكن) واللتان تستلزمان أن يكون ما بعدهما مخالفًا لما يتوقعه السامع.

ب- الاستلزام الحواري Conversational Implicature: متغير دائمًا بتغير السياقات التي يرد فيها، وله بعض الخواص وهي: يمكن إحصاؤها، يمكن شطبها، لا يمكن فصلها، غير اتفاقية، لا تنقل عبر ما يقال بل عبر قوله، غير محددة[٤]. ويوضح ذلك محمود نحلة بقوله[٥]:

١- الاستلزام الحواري يمكن إلغاؤه defeasible، ويكون ذلك عادة بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه.

٢- الاستلزام الحواري لا يقبل الانفصال Non-detachable عن المحتوى الدلالي، ويقصد جرايس بذلك

---

(١) ينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٦-٣٨.

(٢) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٣٩.

(٣) ينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٣.

(٤) ينظر: كاترين كيربرات- أوريكيوني: المضمر، ت: ريتا خاطر، ص٣٩.

(٥) ينظر: محمود نحلة: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص٣٨و٣٩.

أن الاستلزام الحواري متصل بالمعنى الدلالي لما يقال لا بالصيغة اللغوية التي قيل بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها.

٣- الاستلزام الحواري متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزامات مختلفة في سياقات مختلفة.

٤- الاستلزام الحواري يمكن تقديره Calculability والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام.

لكن التمييز بين النوعين لا يمكن الحفاظ عليه دائمًا، حيث يمكن للألفاظ المستخدمة في صيغ الطلب المؤدب كما في: من فضلك، هل يمكنك أن ..؟ التي تحسب قوتها أولًا بواسطة الاستلزام الحواري فقط، يمكن أن تصبح عبر الاستخدام المتكرر في نطاق الاستلزام الاصطلاحي(١).

ويقترح سادوك Sadock فكرة التأكيد لتكون اختبارًا إضافيًا لم يذكره جرايس لاكتشاف المفاهيم الحوارية، فيقول:"بما أن بعض المفاهيم الحوارية ليست جزءًا من المحتوى الحواري للكلام، فينبغي أن يكون من الممكن أن ننطق بها دون أن يعد ذلك حشوًا، أي أنه يتحتم أن تكون المفاهيم الحوارية قابلة للتأكيد، في حين أن المفاهيم الوضعية غير قابلة للتأكيد، وهكذا فإن جملة (وهي تأكلها) في (من العجيب أن تأكل الكلاب الجبن، وهي تأكلها) تعد حشوًا؛ لأنها تعيد ذكر ما يفيده المعنى الوضعي للجملة التي قبلها، ولكن ليس ثمة حشو عندما ينطق صراحة بمفهوم حواري، كما في (أكلت بعض الجبن الصلب، وليس كله)" (٢).

ويمكن تلخيص رؤية جرايس للدلالة اللغوية للعبارة في أنها تنقسم عنده إلى قسمين(٣):

الأول- المعاني الصريحة: هي المعاني المستخلصة من الصيغة الحرفية للجملة ذاتها (معاني مباشرة)، ويندرج تحتها:

١- المحتوى القضوي: يتمثل في معاني مفردات الجملة مجتمعة.

٢- القوة الإنجازية الحرفية: المتمثلة في القوة الإنجازية المتضمنة في الجملة والمؤشر لها بصيغة: الاستفهام، الأمر، النهي..إلخ

الثاني- المعاني الضمنية: هي المعاني التي تفهم انطلاقًا من السياق الذي ترد فيه (المعنى المستلزم)، فالسياق هو الذي يقوم بتحديد دلالاتها، ويندرج تحتها:

١- المعاني العرفية: هي المعاني المرتبطة بالجملة، والتي لا تتغير حتى ولو تغير سياق الجملة ويواكبها نوعان من المعاني: الاقتضاء و الاستلزام المنطقي.

٢- معاني حوارية أو سياقية: هي المعاني التي تتولد طبقًا للسياقات التي تنجز فيها الجملة ويواكبها نوعان من المعاني هما:

أ- الاستلزام الحواري الخاص: وهو عبارة عن المعاني الناتجة عن سياق خاص.

---

(١) ينظر: جيفري ليش وجيني توماس: البراغماتية؛ المعنى في السياق، ص٢٦٢.

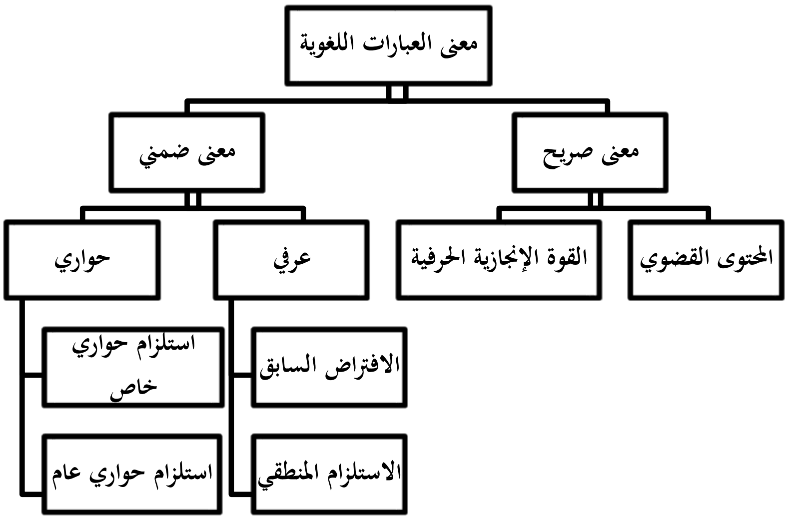
(٢) ينظر: محمد محمد يونس علي: علم التخاطب الإسلامي، ص٢٤٨.

(٣) ينظر: مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٣٤و٣٥.

ب- الاستلزام الحواري العام: وهو عبارة عن المعاني التي لم تعد مرتبطة بطبقة مقامية معينة.

ويسمي جرايس الانتقال من المعنى الخاص إلى المعنى العام بـ"تحجر القوة الإنجازية المستلزمة".

ويمكن تلخيص ما سبق في الشكل الآتي(١):



رؤية جرايس للدلالة اللغوية

٢. ٢. ١. ٢- نقد مبدأ التعاون:

وجهت إلى مبدأ التعاون لجرايس اعتراضات وأدخلت عليه تعديلات كثيرة، ويستوقف طه عبد الرحمن من تلك الاعتراضات اقتصار ذلك المبدأ على الجانب التبليغي فقط وإهماله الجانب التهذيبي، إذ يقول:"لا يخفى أن مبدأ التعاون التخاطبي قد فتح بابًا واسعًا في تطوير التداوليات اللغوية وتنويع الدراسات المتعلقة بموضوع التواصل الإنساني، لكن الاعتراضات التي وردت على هذا المبدأ والتعديلات التي أدخلت عليه، بلغت النهاية في الكثرة؛ بيد أنه لا يستوقفنا من ذلك في هذا الموضع إلا اعتراض واحد، وهو أن مبدأ التعاون والقواعد المتولدة منه لا تضبط إلا الجانب التبليغي من التخاطب، أما الجانب التهذيبي منه فقد أسقط اعتباره إسقاطًا"(٢).

لا يعدّ طه عبد الرحمن الإشارات التي وردت من جرايس لهذا الجانب كافية؛ لأن جرايس لم يُقِم لهذا الجانب التهذيبي كبير وزن حيث لم يفرده بالذكر، ولم يبين كيف يمكن أن نباشر وضع القواعد التهذيبية ولا ترتيبها مع القواعد التبليغية، كذلك لم يتفطن جرايس إلى أن الجانب التهذيبي قد يكون هو الأصل في خروج العبارات عن معناها الأصلي أو المباشر(٣).

ومن الانتقادات التي وجهت لمبدأ التعاون أنه لا يمكننا وصف كافة الأنماط الكلامية على أنها تعاونية حقًا، وهذا ما ذكره ليفنسون Levinson إذ يقول:"يمكن في الواقع أن يكون هناك علاقة ما بين مبادئ جرايس الأساسية في المحادثة وتوقعات محددة مرتبطة بنشاطات معينة، يفترض من مبادئ جرايس الخاصة بالنوعية والكمية والكيفية

(١) مسعود صحراوي: التداولية عند العلماء العرب، ص٣٦. مع تصرف بسيط.

(٢) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٣٩.

(٣) ينظر: المرجع السابق، ص٢٣٩و٢٤٠.

والمناسبة أن تضع شروطًا سابقة للتبادل التعاوني العقلاني للحوار، ولكن هناك شيئًا واحدًا يمكن ملاحظته وهو أنه لا يمكن وصف كافة الأنماط الكلامية على أنها تعاونية حقًا، خذ الاستجواب على سبيل المثال: ليس من المتوقع أن أيًا من الطرفين يتوقع أن يحترم الآخر مبادئ النوعية، والكيفية وخصوصًا الكمية"(١).

ويدلي هارنش Harnish و هولدكروفت Holdcroft بملاحظات مشابهة:"هناك العديد من الأمثلة المتنوعة المضادة، الحوار الاجتماعي بين الأعداء، والمواجهات الدبلوماسية، واستجواب الشرطة لمشتبه به عنيد، ومعظم الخطابات السياسية، والعديد من مؤتمرات الرؤساء الصحفية، ولا تمثل هذه سوى بعض الأمثلة لحالات لا تحترم فيها المبادئ الأساسية مطلقًا، وتلك حقيقة معروفة أيضًا للمشاركين في هذه الأنماط من الكلام"(٢).

لقد فتحت جهود جرايس شهية الباحثين لبذل مزيد من الجهود للوصول لفهم أعمق لطرائق الحوار البشري واستنباط المعاني من خلالها ومحاولة وضع قواعد منظمة لها، وحاولت تلك الجهود استدراك ما فات جرايس عند وضعه لمبدأ التعاون، وإعطاء مزيد من الاهتمام لجوانب أخرى أهملها في قواعده.

---

(١) جيفري ليش وجيني توماس: البراغماتية؛ المعنى في السياق، ص٢٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٢.

٣- المتضمنات في اللسانيات العربية:

اهتم علماء المسلمين بالدلالة وأنواعها المختلفة اهتمامًا بالغًا، ، يقول طه عبد الرحمن:"لا عجب أن نجد علماء المسلمين، لغويين وبلاغيين وأصوليين وفلسفيين، يربطون في التعريف بين (الدلالة) و(الاستدلال) ربطًا، فضلا عن ارتباطهما الاشتقاقي الظاهر، إذ جعلوا (الاستدلال) من مقتضى (الدلالة) في تعريفهم المتواتر (الدلالة على الشيء ما يمكن لكل مستدل الاستدلال به عليه)، علمًا بأن الاستدلال عندهم هو انتقال لزومي بين طرفي الدلالة –أي الدال أو الدليل والمدلول– كما ينص على ذلك حد آخر ليس أقل تواترًا من الحد السابق، وهو (الدلالة أن يكون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، كما أنه لا عجب أن يهتدوا لمثل تلك الأنواع من الاستلزامات والتي أخذ المحدثون، منطقيين كانوا أو لسانيين، يشتغلون بها اشتغالًا"[١].

٣. ١– الدلالة عند المناطقة والأصوليين:

الارتباط بين أصوله الفقه وعلم المنطق واضح جلي، إذ استفاد الأصوليون من معطيات علم المنطق، ووظفوها في دراسة الوحيين، ومن القضايا التي شغلت بال المناطقة والأصوليين قضية الدلالة وأنواعها، وإذا كان غاية المنطق هي تصحيح الأفكار وصون العلم عن الخطأ، فدراسة اللغة كانت أداة المناطقة لنقل الأفكار للغير وفهم أفكارهم.

كما تعدّ اللغة في الوقت نفسه أداة مهمة من أدوات الدرس الأصولي، فالأصوليون من أكثر المهتمين بدراسة الدلالة الصريحة وغير الصريحة، وكان دافعهم في ذلك الرغبة في فهم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وضبط الاستدلال على الأحكام الشرعية.

أما الدلالة فيعرفها الشريف الجرجاني (٨١٦هـ) بقوله:"هي كون الشيء بحالة يلزم من العلم به العلم بشيء آخر، والشيء الأول هو الدالّ، والثاني هو المدلول"[٢]. ويشير الشوكاني (١٢٥٠هـ) إلى علاقة الألفاظ بالمعاني بقوله:"الألفاظ قوالب للمعاني المستفادة منها، فتارة تستفاد منها من جهة النطق تصريحًا، وتارة من جهته تلويحًا، فالأول: المنطوق، والثاني: المفهوم"[٣].

لقد قسم المناطقة الدلالة إلى وضعية وعقلية وطبيعية، كل قسم منها يتفرع إلى لفظي وغير لفظي، أما الدلالة الوضعية اللفظية فتشمل دلالة المطابقة، ودلالة التضمن، ودلالة الالتزام. يقول التفتازاني (٧٩٢هـ):"دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مطابقة وعلى جزئه تضمن وعلى الخارج التزام، ولابد من اللزوم عقلًا أو عرفًا، وتلزمهما المطابقة ولو تقديرًا ولا عكس"[٤].

وقريب من ذلك تقسيم الأصوليين وتفريقهم بين نوعين من الدلالة: الدلالة اللفظية، والدلالة غير اللفظية، وقسموا كل نوع منهما إلى أنواع أخرى، فالدلالة اللفظية تنقسم إلى: وضعية، وعقلية، وطبيعية، أما الدلالة غير اللفظية فتنقسم إلى: وضعية وعقلية، مع بعض الاختلافات بينهم في هذه الأنواع، ويمكن التفريق بين هذه الأنواع

---

(١) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص١٠١.

(١) الشريف الجرجاني: التعريفات، ص١٣٩.

(٣) الشوكاني: إرشاد الفحول، ٣٦/٢.

(٤) التفتازاني: تهذيب المنطق والكلام، ت: عبد القادر الكردي، ص٤.

عند المناطقة والأصوليين على النحو التالي:

النوع الأول– الدلالة اللفظية: هي المستندة لوجود اللفظ، إذا ذكر وجدت. وقسموها إلى أقسام(١):

١– الدلالة الوضعية: وهي كون اللفظ إذا أطلق فهم المعنى الذي هو له بالوضع، سواء كان بوضع اللغة، أو الشرع، أو العرف، لذلك اللفظ، فهي غير الوضعية التي هي قسيم اللفظية. وفرقوا بين ثلاثة أنواع مختلفة من هذا النوع من الدلالة:

أ– دلالة مطابقة: وهي دلالة اللفظ الوضعية على مسماه، كدلالة الإنسان على الحيوان الناطق، فاللفظ موافق للمعنى لكونه موضوعًا بإزائه.

ب– دلالة تضمن: وهي دلالة اللفظ على جزء مسماه، كدلالة الإنسان على حيوان فقط، أو ناطق فقط، سمي بذلك لتضمنه إياه؛ لأنه يدل على الجزء الذي في ضمنه، فيكون دالًا على ما في ضمنه.

ج– دلالة التزام: وهي دلالة اللفظ على لازمه الخارج، كدلالة الإنسان على كونه ضاحكًا أو قابلًا صنعة الكتابة؛ لأنها دلت على ما هو خارج عن المسمى لكنه لازم له، كما مثلناه، لأن اللفظ لا يدل على كل أمر خارج عنه بل على الأمر الخارج اللازم له.

وأشار المرداوي (٨٨٥هـ) إلى الخلاف في تصنيف هذه الدلالات بقوله:"واختلفوا في الدلالات الثلاث، هل هي كلها لفظية، أو المطابقة فقط والأخريان عقليتان، أو المطابقة والتضمن لفظيتان والالتزام عقلية"(٢)، وعَرَضَ لأقوال الأصوليين في ذلك.

٢– الدلالة العقلية: كدلالة المقدمتين الصغرى والكبرى على النتيجة بالعقل، مثل: كل إنسان حيوان، وكل حيوان جسم، فالعقل يستدل أن كل إنسان جسم، ومثل دلالة اللفظ على وجود المتكلم وعلى حياته، ودلالة الأثر على المؤثر، ومنه دلالة العالَم على موجده، وهو الله سبحانه وتعالى(٣).

٣– الدلالة الطبيعية: كدلالة اللفظ الخارج عند السعال على وجع الصدر، ودلالة الحمرة على الخجل، والصفرة على الوجل، ودلالة الأعراض الخاصة بكل مرض عليه مما يعرفه الطبيب والخبير(٤).

النوع الثاني– الدلالة غير اللفظية: يقول المرداوي (٨٨٥هـ):"فهي قسمان: وضعية، وعقلية. فالوضعية: كدلالة الأقدار على مقدوراتها، ومنه دلالة السبب على المسبب كالدلوك على وجوب الصلاة، وكدلالة المشروط على وجود الشرط كالصلاة على الطهارة وإلا لما صحت. قال القطب الشيرازي (٧١٠هـ) في شرح الشمسية: الدلالة الوضعية غير اللفظية كدلالة الخط والعقد والإشارة والنصب.أهـ، والعقلية: كدلالة الأثر على المؤثر، ومنه دلالة العالم على موجده وهو الله تعالى، ونحو ذلك"(٥).

---

(١) ينظر: المرداوي: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ت: عوض القرني وآخرون، ٣١٧/١-٣١٩.

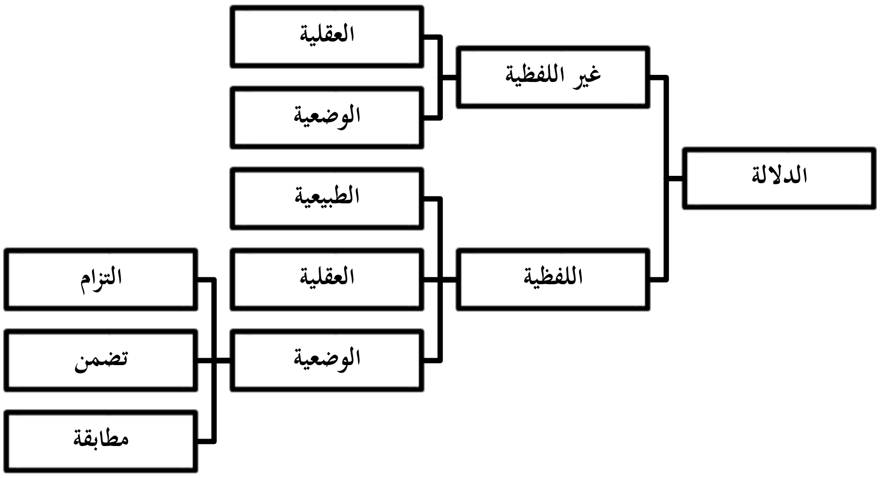
(٢) المرداوي: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ت: عوض القرني وآخرون، ٣٢١/١.

(٣) محمد الزحيلي: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ١٣٦/٢.

(٤) المرجع السابق، ١٣٧/٢.

(٥) المرداوي: التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ت: عوض القرني وآخرون، ٣٢٦/١.

يبين الشكل التالي التصنيف الشائع للدلالة عند الأصوليين:



أقسام الدلالة عند جمهور الأصوليين

٣. ١. ١- المعنى عند الأحناف:

قسم علماء الأصول من الحنفية اللفظ بالإضافة إلى المعنى أربعة أقسام(١):

١- وضع اللفظ للمعنى، وينقسم إلى: خاص، وعام، ومشترك.

٢- استعمال اللفظ في المعنى، وينقسم إلى: حقيقة، ومجاز، وصريح، وكناية.

٣- ظهور المعنى وخفائه، ومراتب هذا الظهور والخفاء، وقسموه إلى: ظاهر، ونص، ومفسِّر، ومحكم، وخفي، ومشكل، ومجمل، ومتشابه.

٤- كيفية دلالة اللفظ على المعنى، وطرق الوقوف على مراد المتكلم منه، وقُسّم إلى: عبارة، وإشارة، ودلالة، واقتضاء. وبيان هذا القسم الأخير على النحو التالي(٢):

أ- عبارة النص: هي المعنى الذي يتبادر فهمه من الصيغة، ويكون مقصودًا أصالة أو تبعًا، ويطلق عليه المعنى الحرفي للنص.

ب- إشارة النص: هي المعنى الذي لا يتبادر فهمه من ألفاظه، ولا يقصد من سياقه أصالة ولا تبعًا، ولكنه معنى لازم للمعنى المتبادر من ألفاظه.

ج- دلالة النص: هي دلالة اللفظ على ثبوت حكم المنطوق به للمسكوت عنه لاشتراكهما في علة الحكم التي يمكن فهمها عن طريق اللغة.

د- اقتضاء النص: هي دلالة الكلام على مسكوت عنه، ويتوقف صدق الكلام أو صحته شرعًا على تقديره، فالمعنى من النص لا يستقيم إلا بتقديره الاقتضاء؛ لأن صحة الكلام واستقامة معناه يقتضي التقدير فيه، وكذلك صدق الكلام ومطابقته للواقع يقتضي التقدير فيه بما هو خارج عنه.

٣. ١. ٢- المعنى عند الشافعية:

---

(١) محمد محمد يونس: المعنى وظلال المعنى، ص٨٧.

(٢) ينظر: محمد الزحيلي: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، ٢/١٣٨-١٤٥.

قال الآمدي (٦٣١هـ):"القسم الثاني في دلالة غير المنظوم وهو ما دلالته لا بصريح صيغته ووضعه، وذلك لا يخلو: إما أن يكون مدلوله مقصودا للمتكلم، أو غير مقصود: فإن كان مقصودا، فلا يخلو، إما أن يتوقف صدق المتكلم أو صحة الملفوظ به عليه، أو لا يتوقف، فإن توقف فدلالة اللفظ عليه تسمى دلالة الاقتضاء، وإن لم يتوقف فلا يخلو، إما أن يكون مفهوما في محل تناوله اللفظ نطقا أولا فيه، فإن كان الأول: فتسمى دلالته دلالة التنبيه والإيماء، وإن كان الثاني فتسمى دلالته دلالة المفهوم. وأما إن كان مدلوله غير مقصود للمتكلم، فدلالة اللفظ عليه تسمى دلالة الإشارة"(١).

يشتمل التصنيف الشافعي على الأنواع الآتية:

١- دلالة المنطوق: قال الآمدي (٦٣١هـ):"المنطوق ما فهم من دلالة اللفظ قطعًا في محل النطق"(٢). وهي نظير عبارة النص في التصنيف الحنفي.

٢- دلالة الإشارة: هي دلالة اللفظ على معنى لازم للمعنى المقصود من السياق، وهو نظير إشارة النص في التصنيف الحنفي.

٣- دلالة الاقتضاء: قال الآمدي (٦٣١هـ):"وهي ما كان المدلول فيه مضمرًا، إما لضرورة صدق المتكلم، وإما لصحة وقوع الملفوظ به"(٣). وهو نظير اقتضاء النص في التصنيف الحنفي.

٤- دلالة التنبيه والإيماء: وينشأ هذا النوع من المعنى (الذي ليس له نظير في التصنيف الحنفي) من ربط ضمني بين حكم وصفة على نحو يوحي بوجود علاقة سببية.

٥- دلالة المفهوم: وقد قُسمت إلى:

أ- مفهوم الموافقة: وهو نظير دلالة النص في التصنيف الحنفي، وهو على ضربين:

١- التنبيه بالأدنى على الأعلى. ٢- التنبيه بالأعلى على الأدنى.

ب- مفهوم المخالفة: يتألف مفهوم المخالفة من أركان خمسة وهي (المذكور، حكم المذكور، القيد، غير المذكور، حكم غير المذكور) ويذهب معظم الأحناف إلى أن مفهوم المخالفة أضعف من أن يعتمد عليه في استنباط الحكم الشرعي، مع إمكان استخدامه بوصفه استنتاجًا سليمًا في غير الخطاب الشرعي.

وقد فرق علماء الأصول بين عدد من أنواع مفهوم المخالفة، من بينها: مفهوم الغاية، مفهوم الزمان، مفهوم المكان، مفهوم العلة، مفهوم اللقب، مفهوم الصفة، مفهوم الشرط، مفهوم المانع، مفهوم العدد، مفهوم الاستثناء، مفهوم الحصر.

٣. ١. ٣- المعنى عند الظاهرية:

يري ابن حزم (٤٥٦هـ) أن دلالة المفهوم غير معتبرة، لأنَّ كل خطاب من وجهة نظره يدل على ما فيه لا على ما في غيره، فلا يُفهم منه موافقة أو مخالفة، بل كل قضية موقوفة على دليلها. يقول ابن حزم (٤٥٦هـ) مبينا رأيه في

---

(١) ينظر: الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، ٦/٣

(٢) المرجع السابق، ٦٦/٣.

(٣) نفسه، ٦٤/٣.

دليل الخطاب:"هذا مكان عظيم فيه خطأ كثير من الناس، وفحش جدا، واضطربوا فيه اضطرابًا شديدًا. وذلك أن طائفة قالت: إذا ورد نص من الله تعالى أو من رسوله ﷺ معلقًا بصفة ما، أو بزمان ما، أو بعدد ما، فإن ما عدا تلك الصفة، وما عدا ذلك الزمان، وما عدا ذلك العدد، فواجب أن يحكم فيه بخلاف الحكم في هذا المنصوص، وتعليق الحكم بالأحوال المذكورة، دليل على أن ما عداها مخالف لها.

وقالت طائفة أخرى، وهم جمهور أصحابنا الظاهريين، وطوائف من الشافعيين منهم: أبو العباس بن سريج، وطوائف من المالكيين: إن الخطاب إذا ورد كما ذكرنا لم يدل على أن ما عداه بخلافه بل كان موقوفا على دليل.

قال أبو محمد: هذا القول هو الذي لا يجوز غيره. وتمام ذلك في قول أصحابنا الظاهريين: أن كل خطاب، وكل قضية، فإنما تعطيك ما فيها، ولا تعطيك حكمًا في غيرها، لا أن ما عداها موافق لها، ولا أنه مخالف لها، لكن كل ما عداها موقوف على دليله"(١).

٣. ٢- الدلالة عند النحاة والبلاغيين:

اهتم النحاة والبلاغيون بالمعنى في أبحاثهم، فالارتباط بين المعنى والإعراب عند النحاة مثلًا ارتباط وثيق، والمرويات التي تحكى عن نشأة علم النحو، أو تلك التي دارت بين أيدي بعض الخلفاء من مناظرات عن أهمية النحو، تظهر العلاقة الوثيقة بين النحو والمعني، وما للإعراب من دور مهم في الإبانة عن المعنى، كذلك اهتم البلاغيون بالمعنى وخصصوا له علمًا مستقلًا وهو على المعاني، وتتبع العلماء للمعنى وقضاياه المختلفة نابع من أهميته الكبيرة في فهم الإنسان لذاته وفهمه للآخرين، والوصول للمعانى التي يحملها النص على اختلاف أنماطها هي غاية الدراسات اللغوية المختلفة.

٣. ٢. ١- الدلالة عند سيبويه:

اهتم سيبويه (١٨٠هـ) بالمعاني المتضمنة في التراكيب المختلفة، وبما يقع في البنى التركيبية من الحذف الجائز أو الحذف الواجب، والعبارات ذات الصيغة الواحدة التي يُفهم منها معان مختلفة حسب مقصد المتكلم، وتلك التي يفهم منها معنى آخر غير المعنى الحرفي لها، كذلك العبارات ذات المعنى المجازي، وبين أهمية السياق في تأويل تلك العبارات.

الحذف الجائز: بوّب سيبويه (١٨٠هـ) في كتابه بابًا بعنوان (باب ما جرى من الأمر والنهي على إضمار الفعل المستعمل إظهاره إذا علمت أن الرجل مستغن عن لفظك بالفعل) يقول فيه:"وذلك قولك: زيدًا، وعمرًا، ورأسَه. وذلك أنك رأيت رجلًا يضرب أو يشتم أو يقتل، فاكتفيت بما هو فيه من عمله أن تلفظ له بعمله فقلت: زيدًا، أى أوقع عملك بزيد.. استغنيت عن الفعل بعلمه أنه مستخبر، فعلى هذا يجوز هذا وما أشبهه. وأما النهى فإنه التحذير، كقولك: الأسد الأسد، والجدار الجدار، والصبى الصبى، وإنما نهيته أن يقرب الجدار المخوف المائل، أو يقرب الأسد، أو يوطئ الصبى. وإن شاء أظهر فى هذه الأشياء ما أضمر من الفعل"(٢).

---

(١) ينظر: ابن حزم: أصول الأحكام، ٣٢٣/٢.

(٢) ينظر: سيبويه: الكتاب، ت: عبد السلام هارون، ٢٥٣/١و٢٥٤.

وفي موضع آخر من الكتاب نجد بابًا آخر باسم (باب يكون المبتدأ فيه مضمرًا ويكون المبني عليه مظهرًا) يقول فيه:"وذلك أنك رأيت صورة شخص فصار آية لك على معرفة الشخص فقلت: عبد الله وربي، كأنك قلت: ذاك عبد الله، أو هذا عبد الله. أو سمعت صوتًا فعرفت صاحب الصوت، فصار آية لك على معرفته فقلت: زيد وربي. أو مسست جسدًا أو شممت ريحًا، فقلت: زيد، أو المسك. أو ذقت طعامًا فقلت: العسل. ولو حدثت عن شمائل رجل فصار آية لك على معرفته لقلت: عبد الله. كأن رجلًا قال: مررت برجل راحم للمساكين بار بوالديه، فقلت: فلان والله"(١).

ويعلق محروس بريك على قول سيبويه (١٨٠هـ) مبينًا اهتمامه بالمؤشرات السياقية التي تبين المراد من تلك العبارات، فيقول:"فالمتكلم لم ينطق جملًا تامة اعتمادًا منه على السياق المقامي في إكمال الجزء الناقص تركيبيًا، والوقوف على الدلالة المقصودة من كلامه المنطوق، وسيبويه هنا أشار إلى مجموعة من المؤشرات السياقية التي يتحقق بها ذلك الإكمال؛ نحو الإدراك بحاسة من الحواس الخمس: الرؤية والسماع واللمس والشم والذوق، وسيبويه ينسب ذلك الإدراك إلى المتكلم.. لكنه يؤكد اشتراك المخاطب في إدراك تلك المؤشرات السياقية"(٢).

الحذف الواجب: اهتم سيبويه (١٨٠هـ) كذلك بالحذف الواجب فبوّب في الكتاب بابًا أسماه (باب ما ينصب من المصادر على إضمار الفعل غير المستعمل إظهاره) ومثّل له بالقول: بعدًا وسحقًا وغير ذلك من المصادر المنصوبة المحذوف فعلها، ثم علق قائلًا:"وإنما اختزل الفعل هاهنا؛ لأنهم جعلوه بدلًا من اللفظ بالفعل، كما جعل الحذر بدلًا من احذر. وكذلك هذا كأنه بدل من سقاك الله ورعاك الله، ومن خيبك الله. وما جاء منه لا يظهر له فعل فهو على هذا المثال نصب، كأنك جعلت بهرًا بدلا من بهرك الله، فهذا تمثيل ولا يتكلم به. ومما يدلك أيضًا على أنه على الفعل نصب، أنك لم تذكر شيئًا من هذه المصادر لتبنى عليه كلامًا كما يبنى على عبد الله إذا ابتدأته، وأنك لم تجعله مبنيًا على اسم مضمر فى نيتك، ولكنه على دعائك له أو عليه"(٣).

ويشبه ذلك قطع الكلام بالنصب، والناصب فعل محذوف وجوبًا؛ لأنه فعل لا يستعمل إظهاره، ويقدر حسب السياق بنحو (أمدح، أو أذم ..).

فهو يشير إلى أن فهم هذا النوع من العبارات يعتمد على ما تعارف عليه أهل اللغة فيما بينهم، وأن المتكلم يعتمد على فهم المخاطب لمراده.

اختلاف معنى الجملة حسب مقصد المتكلم: كما تحدث سيبويه (١٨٠هـ) عن نوع آخر من الجمل لا حذف فيه ولكن يختلف معنى الجملة الواحدة حسب مقصد المتكلم، فقال:"يقول الرجل: أتاني رجل (يريد واحدًا في العدد لا اثنين) فيقال: ما أتاك رجل (أي أتاك أكثر من ذلك)، أو يقول أتاني رجل (لا امرأة) فيقال: ما أتاك رجل (أي امرأة أتتك). ويقول: أتاني اليوم رجل (أي في قوته ونفاذه)، فتقول: ما أتاك رجل، (أي أتاك الضعفاء)"(٤).

---

(١) سيبويه: الكتاب، ت: عبد السلام هارون، ١٣٠/٢.

(٢) ينظر: محروس بريك: التأويل التداولي في كتاب سيبويه، ص٢٣.

(٣) سيبويه: الكتاب، ت: عبد السلام هارون، ٣١٢/١.

(٤) المرجع السابق، ٥٥/١.

فجملة (ما أتاك رجل) بناء تركيبي واحد، ولكن اختلف معناها في كل مرة حسب مقصد المتكلم؛ من حيث العدد أو الجنس أو الصفة.

المعنى غير المباشر: أشار سيبويه (١٨٠هـ) إلى نوع آخر من الجمل التي قد يكون لها معنى آخر غير المعنى المباشر الذي يظهر من بنية الكلمة، حيث قال:"وتقول: قد جربتك فوجدتك أنت أنت، فأنت الأولى مبتدأة والثانية مبنية عليها، كأنك قلت فوجدتك وجهك طليق. والمعنى أنك أردت أن تقول: فوجدتك أنت الذي أعرف.. وهذا كله قول الخليل رحمه الله، سمعناه منه"(١).

ففي المثال السابق نجد المعنى اللغوي المباشر لعبارة (فوجدتك أنت أنت) هو التوكيد اللفظي بتكرار لفظ (أنت)، ولكن قد يفهم من (أنت) الثانية كما تشير الفقرة إلى صفة من صفة المخاطب (وجهك طليق) أو (الذي أعرف) مثلًا، وهذا معنى آخر غير مباشر يفهم من خلال السياق.

المعنى المجازي: أشار سيبويه (١٨٠هـ) إلى نوع آخر من العبارات وهي العبارات المجازية التي يطلق على بعضها اسم المستقيم الكذب، حيث قال:"وأما المستقيم الكذب فقولك: (حملت الجبل)، (وشربت ماء البحر) ونحوه"(٢). ومن ذلك قوله:"ومما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جده ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ {يوسف: ٨٢} إنما يريد: أهل القرية، فاختصر، وعمل الفعل في القرية كم كان عاملًا في الأهل لو كان هاهنا. ومثله:﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ {سبأ: ٣٣} وإنما المعنى: بل مكركم فى الليل والنهار. وقال ﷻ:﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾ {البقرة: ١٧٧} وإنما هو: ولكن البر بر من آمن بالله واليوم الآخر. ومثله فى الاتساع قوله ﷻ ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً﴾ {البقرة: ١٧١} وإنما شبهوا بالمنعوق به. وإنما المعنى: مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع، ولكنه جاء على سعة الكلام والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى"(٣).

يشير سيبويه (١٨٠هـ) إلى أن الكلام جاء على هذه الصورة من السعة والإيجاز لعلم المخاطب بالمعنى، مما يعني أهمية دور المخاطب في تأويل الكلام. ويكون الاعتماد في تأويل هذا النوع من العبارات على تكميل الكلام المختصر، والتأويل المجازي بفهم الكلام فهمًا مخالفًا للمعنى الظاهر من خلال الاعتماد على إدراك مقاصد الكلام أو السياق المقامي الذي يرد فيه الكلام، وأحيانًا يحتوي السياق المقالي على ما يرجح تأويلًا مجازيًا على تأويل مجازي آخر(٤).

٣. ٢. ٢- الدلالة عند الجاحظ:

يبين الجاحظ (٢٥٥هـ) أن المعاني لا حصر لها، بعكس الألفاظ، فيقول:"حكم المعاني خلاف حكم الألفاظ،

---

(١) ينظر: سيبويه: الكتاب، ت: عبد السلام هارون، ٣٥٩/٢و٣٦٠.

(٢) المرجع السابق، ٢٦/١.

(٣) نفسه، ٢١٢/١.

(٤) ينظر: محروس بريك: التأويل التداولي في كتاب سيبويه، ص٤١.

لأن المعاني مبسوطة إلى غير غاية، وممتدة إلى غير نهاية، وأسماء المعاني مقصورة معدودة، ومحصلة محدودة"(١).

ثم يبين الجاحظ (٢٥٥هـ) أصناف الدلالات على المعاني اللفظية وغير اللفظية بقوله:"وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحال التي تسمى نصبة. والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات"(٢).

ويبين الجاحظ (٢٥٥هـ) الفروق بين هذه الأصناف(٣):

١- الألفاظ: هي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها، وعن خاصها وعامها، وعن طبقاتها في السار والضار، وعما يكون منها لغوًا بهرجًا وساقطًا مُطَّرَحًا.

٢- الإشارة: أما الإشارة فباليد، وبالرأس، وبالعين، والحاجب، والمنكب، إذا تباعد الشخصان، وبالثوب وبالسيف.. والإشارة واللفظ شريكان، ونعم العون هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تنوب عن اللفظ وما تغني عن الخط.

٣- العقد: وأما القول في العقد وهو الحساب دون اللفظ والخط، فالدليل على فضيلته وعظم قدر الانتفاع به قول الله ﷻ: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ {الأنعام: ٩٦}.. والحساب يشتمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا؛ لما فهموا عن الله ﷻ ذكره معنى الحساب في الآخرة.

٤- الخط: فأما الخط، فما ذكر الله ﷻ في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب قوله لنبيه: ﴿ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ {العلق: ٤} وأقسم به في كتابه المنزل على نبيه المرسل حيث قال: ﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾ {القلم: ١} ولذلك قالوا: القلم أحد اللسانين.

٥- النُّصْبَة (الحال): وأما النُّصْبَة، فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد، وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض، وفي كل صامت وناطق، وجامد ونام، ومقيم وظاعن، وزائد وناقص، فالدلالة التي في الموات الجامد كالدلالة التي في الحيوان الناطق، فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان.

٣. ٢. ٣- الدلالة عند ابن جني:

قال أبو الفتح ابن جني (٣٩٢هـ):"اعلم أن كل واحد من هذه الدلائل معتدّ مراعًى مُؤْثر إلا أنها في القوّة والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهنّ الدلالة اللفظية، ثم تليها الصناعية، ثم تليها المعنوية .. ففي كل واحد منها الأدلة الثلاثة، ألا ترى إلى (قام) ودلالة لفظه على مصدره، ودلالة بنائه على زمانه، ودلالة معناه على فاعله، فهذه ثلاث دلائل من لفظه وصيغته ومعناه"(٤).

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ٨٢/١.

(٢) المرجع السابق، ٨٢/١.

(٣) ينظر: نفسه، ٨٢/١-٨٦.

(٤) ينظر: ابن جني: الخصائص، ٩٨/٣.

وبيان هذه الدلالات التي ذكرها:

١- الدلالة اللفظية: دلالة اللفظ على المعنى الوضعي. فلفظ (قام) يدل دلالة لفظية على معنى القيام.

٢- الدلالة الصناعية: دلالة الصيغة الصرفية، فلفظ (قام) يدل دلالة صناعية على الزمن الماضي.

٣- الدلالة المعنوية: دلالة الالتزام أو التضمن، فلفظ (قام) يدل بدلالة التضمن أو الالتزام على شخص قائم.

فابن جني (٣٩٢هـ) لم يهمل الحديث عن المتضمنات، ولكنه عدّ هذه النوع هو أضعف أنواع الدلالات، ويعلل تقويته للدلالة الصناعية على الدلالة المعنوية بقوله:"وإنما كانت الدلالة الصناعية أقوى من المعنوية من قبل أنها وإن لم تكن لفظًا فإنها صورة يحملها اللفظ، ويخرج عليها ويستقر على المثال المعتزم بها، فلما كانت كذلك لحقت بحكمه وجرت مجرى اللفظ المنطوق به فدخلا بذلك في باب المعلوم بالمشاهدة، وأما المعنى فإنما دلالته لاحقة بعلوم الاستدلال، وليست في حيز الضروريات"(١).

٣. ٢. ٤- الدلالة عند عبد القاهر الجرجاني:

ألف عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) كتابه (دلائل الإعجاز) للرد على مقولة القاضي عبد الجبار (٤١٥هـ) والتي يقول فيه:"إن المعاني لا تتزايد، وإنما تتزايد الألفاظ"(٢). إذ جعل عبد القاهر الزيادة في المعاني هي الأصل، واشترط لتلك الزيادة أن يكون هناك اتساع ومجاز، حيث يقول:"وجملة الأمر أن صور المعاني لا تتغير بنقلها من لفظ إلى لفظ، حتى يكون هناك اتساع ومجاز، وحتى لا يراد من الألفاظ ظواهر ما وضعت له في اللغة، ولكن يشار بمعانيها إلى معان أخر"(٣).

المعنى ومعنى المعنى: يفرق عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) بين ضربين من المعنى، وهما (المعنى) و(معنى المعنى) إذ يقول:"تعني بالمعنى: المفهوم من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بغير واسطة. وبمعنى المعنى: أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر"(٤).

ويمكن القول إن الجرجاني يقسم الكلام إلى قسمين:

١- الكلام المباشر: وهو الذي ينتج المعنى الظاهر من اللفظ.

٢- الكلام غير المباشر: وهو الذي ينتج معنى المعنى وهو غرض المتكلم.

شمولية معنى المعنى: والذي يظهر أن معنى المعنى ليس مفهومًا بيانيًا خاصًا بالكناية والاستعارة والتمثيل فحسب كما قد يفهم من ظاهر كلام الجرجاني (٤٧١هـ)، والذي يقول فيه:"الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة، فقلت: خرج زيد، وبالانطلاق عن عمرو فقلت: عمرو منطلق، وعلى هذا القياس. وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل

---

(١) ابن جني: الخصائص، ٩٨/٣.

(٢) ينظر: مقدمة دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، ص٤.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، ص٢٦٥.

(٤) المرجع السابق، ص٢٦٣.

بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل"[١]، وإنما مفهوم بلاغي عام وإنما ذكره لهذه الأنواع إنما هو على سبيل المثال لا الحصر، وذلك لوضوح فكرة معنى المعنى فيها، والممارسة الفعلية لتطبيق هذا المفهوم عند عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) تؤكد هذا الرأي.

الاستدلال على معنى المعنى: يشير الجرجاني (٤٧١هـ) إلى دور المخاطب في إدراك معنى المعنى من خلال عملية الاستدلال، فيقول:"فإنك في جميع ذلك لا تفيد غرضك الذي تعني من مجرد اللفظ، ولكن يدل اللفظ على معناه الذي يوجبه ظاهره، ثم يعقل السامع من ذلك المعنى، على سبيل الاستدلال، معنى ثانيًا هو غرضك"[٢].

فعملية الاستدلال عملية تأويلية تنطلق من الدليل للوصول إلى المدلول، وذلك على أساس ملاحظة تلازم بينهما، وذلك التلازم إما أن يعود إلى العرف والمعرفة السابقة كمعرفة التلازم بين كثرة الرماد والكرم، وإما على دلالة الحال وقرائن المقام كغياب السبع من مقام القول مع التلازم العرفي اللغوي بين الشجاعة والأسدية[٣].

(١) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، ص٢٦٢.

(٢) المرجع السابق، ص٢٦٢.

(٣) ينظر: شكري المبخوت: الاستدلال البلاغي، ص٣٣.

المبحث الثاني

تحليل المتضمنات في آيات الجهاد.

١ - المتضمنات في اللسانيات العربية :

١. ١ - المنطوق والمفهوم.

١. ٢ - الحذف والإضمار.

٢ - المتضمنات في اللسانيات الغربية :

٢. ١ - الافتراض السابق.

٢. ٢ - الاستلزام الحواري.

١- المتضمنات في اللسانيات العربية:

إن القرآن الكريم والذي اخترت منه بعضًا من آياته مدونة للتطبيق في هذا البحث، قد جمع بين غايتين عظيمتين من غايات الكلام، قلّما يجتمعان في غيره، تلكم الغايتان هما القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى، يقول محمد عبد الله دراز (١٣٧٧هـ):"إن سرّك أن ترى كيف تجتمع هاتان الغايتان على تمامهما بغير فترة ولا انقطاع، فانظر حيث شئت من القرآن، تجد بيانًا قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا تحس فيه بتخمة الإسراف ولا بمخمصة التقتير، يؤدي لك من كل معنى صورة نقية وافية: نقية لا يشوبها شيء مما هو غريب عنها، وافية لا يشذ عنها شيء من عناصرها الأصلية ولواحقها الكمالية، كل ذلك في أوجز لفظ وأنقاه. ففي كل جملة منه جهاز من أجهزة المعنى، وفي كل كلمة منه عضو من أعضائه، وفي كل حرف منه جزء بقدره، وفي أوضاع كلماته من جمله، وأوضاع جمله من آياته سر الحياة الذي ينتظم المعنى بأدائه"(١).

وهذا المبحث يحاول الغوص في بحار المعاني المتضمنة في آيات الجهاد للكشف عن بعض تلك المعاني، وذلك من خلال تحليل بعض الأمثلة المختارة، وفق الآليات التي اشتملت عليها اللسانيات العربية واعتمدتها للكشف عن تلك المتضمنات، والتي وضع أصولها وفروعها الأصوليون والنحويون والبلاغيون وغيرهم، بغية الوقوف على مدى فاعلية تلك الآليات في الوصول إلى تلك المتضمنات في النص القرآني المقدس.

وقد اقتصرت من تلك الآليات على دراسة المنطوق والمفهوم عند الأصوليين، والحذف عند النحويين والبلاغيين، حيث إن آليات أخرى ذكرها العلماء العرب كفيلة بالكشف عن كثير من المعاني المتضمنة، قد وُظّفت بالفعل في ثنايا هذه الدراسة في فصلي الأفعال الكلامية والحِجاج، ونظرًا لهذا التداخل والترابط بين أجزاء هذه الدراسة فقد حاولت تجنب التكرار قدر المستطاع.

وحاولت في تحليل الأمثلة أن أدعّم ما توصلت إليه بآراء السادة العلماء من مفسري القرآن الكريم وغيرهم على مر العصور، وذلك لأن الخوض في المعاني الضمنية التي اشتملت عليها الآيات، باب خطير لا يجب ولوجه إلا ببينة ونور من آثار أهل العلم بهذا الكتاب العزيز، فقد زلت فيه أقدام، وتاهت في دروبه عقول.

---

(١) محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم؛ نظرات جديدة في القرآن الكريم، ت: أحمد مصطفى فضلية، ص١٤٦.

١. ١– المنطوق والمفهوم:

قسم الأصوليون الكلام إلى منطوق ومفهوم، وكلاهما يشتمل –في بعض أنواعهما– على الكلام الضمني.

١. ١. ١– دلالة المنطوق:

قال الآمدي (٦٣١هـ):"المنطوق ما فهم من دلالة اللفظ قطعًا في محل النطق"[١]. ومن أقسام المنطوق: النص، الظاهر، المؤول، الاقتضاء، الإشارة. وباستثناء (النص) وهو إن أفاد معنى لا يحتمل غيره[٢]، فبقية الأقسام يمكن عدّها من الكلام الضمني.

١. ١. ١. ١– الظاهر:

ما دل على معنى بالوضع الأصلي، أو العرفي، ويحتمل غيره احتمالا مرجوحا"[٣]. ومثال ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ {الأنفال: ٣٨}

دلالة المنطوق (الظاهر): في قوله ﴿يَنتَهُواْ﴾ لم يذكر متعلق الانتهاء، لذلك فهو يحتمل وجهين ذكرهما الماوردي (٤٥٠هـ):"أحدهما: إن ينتهوا عن المحاربة إلى الموادعة يغفر لهم ما قد سلف من المؤاخذة والمعاقبة. والثاني: إن ينتهوا عن الكفر بالإسلام يغفر لهم ما قد سلف من الآثام"[٤].

والظاهر أن المعنى الثاني في الانتهاء وهو الانتهاء عن الكفر وليس مجرد الانتهاء عن مقاتلة المسلمين هو الراجح، لأن غفران الذنوب مرتبط بتحقيق الإيمان، قال أبو زهرة (١٣٩٤هـ):"وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ **ظاهر النص** إن يعودوا إلى الكفر بعد الإيمان فإن معاملة الكافرين تعود إليهم، فمعنى ﴿فَقَدۡ مَضَتۡ﴾ أي فقد تقررت سنة الأولين، وهي معاداتهم لله تعالى، منزل بهم ما نزل بالأولين من إخضاعهم للحق بالمحاربة وتنكيس رءوسهم، وإقامة الحق، أو تدمير ديارهم بزلزال مدمر أو حاصب من السماء، وإن سنة الأولين إما سلم مخزية، أو حرب مجلية، كما في بدر، أو ريح عاصف أو سيل عال"[٥].

١. ١. ١. ٣– المؤول:

حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه، مع احتماله له، بدليل يعضده[٦]. ومثال ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡۚ﴾ {التوبة: ٣٦}

---

(١) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، ٦٦/٣.

(٢) الزركشي: تشنيف المسامع بجمع الجوامع، ت: سيد عبد العزيز وعبد الله ربيع، ٣٣٠/١.

(٣) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، ٥٢/٣.

(٤) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣١٨/٢.

(٥) أبو زهرة: زهرة التفاسير، ٣١٢٧/٦.

(٦) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، ٥٣/٣.

دلالة المنطوق (المؤول): الظلم في الآية يحتمل أن يكون المراد به القتال وهو المعنى الراجح، ويحتمل أن يكون المراد به ارتكاب المعاصي وهو المعنى المرجوح، فقدم المعنى المرجوح على المعنى الراجح، قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"والجمهور على أن حرمة المقاتلة فيهن منسوخة وأن الظلم **مؤول** بارتكاب المعاصي، وتخصيصها بالنهي عن ارتكاب ذلك فيها مع أن الارتكاب منهي عنه مطلقا لتعظيمها، ولله سبحانه أن يميز بعض الأوقات على بعض فارتكاب المعصية فيهن أعظم وزرًا، كارتكابها في الحرم وحال الإحرام"(١).

١. ١. ١. ٤- دلالة الاقتضاء:

وهي ما كان المدلول فيه مضمرًا، إما لضرورة صدق المتكلم، وإما لصحة وقوع الملفوظ به(٢). ومثال ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ {آل عمران: ١٧٣}

دلالة المنطوق (الاقتضاء): الكلام يقتضي أن يكون بعض الناس في الموضعين وليس كلهم، ففي الآية حذف في الموضعين، والتقدير: قال لهم (بعض) الناس، إن الناس (المعادين لكم) قد جمعوا. قال الشافعي (٢٠٤هـ):"فمخرج اللفظ عام على الناس كلهم. وبين عند أهل العلم بلسان العرب منهم أنه إنما يراد بهذا اللفظ العام المخرج بعض الناس دون بعض"(٣).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {الأنفال: ٦٩}

دلالة المنطوق (الاقتضاء): في الآية دلالة اقتضاء أن الغنائم ملك للمجاهدين، قال الجصاص (٣٧٠هـ):"قد اقتضى وقوع ملك الغنائم لهم إذا أخذوا، وإن كان المذكور في لفظ الآية هو الأكل، وإنما خص الأكل بذلك؛ لأنه معظم منافع الأملاك، إذ به قوام الأبدان، وبقاء الحياة، وأراد بذلك تمليك سائر وجوه منافعها.. ولولا قيام الدلالة وكون المعنى معقولًا من اللفظ على الوجه الذي ذكرنا لما كانت إباحة الأكل موجبة للتمليك؛ ولذلك قال أصحابنا فيمن أباح لرجل أكل طعامه: إنه ليس له أن يتملكه ولا يأخذه وإنما له الأكل فحسب؛ ولكنه لما كان في مفهوم خطاب الآية التمليك على الوجه الذي ذكرنا أوجب التمليك"(٤).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ {التوبة: ١٢٠}

دلالة المنطوق (الاقتضاء): لا يجب الجهاد على كل أهل المدينة فتقدير الكلام: ما كان لمن يطيق الجهاد من أهل المدينة. قال الشافعي (٢٠٤هـ):"أُرِيد به مَن أطاق الجهاد من الرجال، وليس لأحد منهم أن يرغب بنفسه عن

(١) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٢٨٣/٥.
(٢) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، ٦٤/٣.
(٣) الشافعي: الرسالة، ٦٠/١.
(٤) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، ٢٦٠/٤.

نفس النبي، أطاق الجهاد، أو لم يُطِقْه؛ ففي هذه الآية الخصوص والعموم"(١).

يقصد أن في الآية عام أريد به الخصوص، وهو إطلاق ﴿أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ﴾ يشير إلى أهل المدينة ومن حولهم من الأعراب، وهو يريد من يطيق الجهاد من رجالهم، وعام أريد به العموم وهو قوله ﴿وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ فليس لأحد أن يرغب بنفسه عن نفسي النبي ﷺ أطاق الجهاد أو لم يطقه.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ {محمد: ٢٠}

دلالة المنطوق (الاقتضاء): في الآية حذف لوصف السورة في الموضع الأول، والتقدير سورة يشرع فيها القتال. قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وحذف وصف ﴿سُورَةٌ﴾ في حكاية قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ لدلالة ما بعده عليه من قوله: ﴿وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ﴾ لأن قوله ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ أي كما تمنَّوا، اقتضى أن المسؤول سورة يشرع فيها قتال المشركين. فالمعنى: لولا نزلت سورة يذكر فيها القتال وفرضه، فحُذف الوصف إيجازًا"(٢).

كذلك حذف للمضاف بعد من، والمعنى من خوف الموت وذكره الطبري (٣١٠هـ):"وإنما عنى بقوله: ﴿مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ من خوف الموت، وكان هذا فعل أهل النفاق"(٣).

١. ١. ١. ٥- دلالة الإشارة:

وأما إن كان مدلوله غير مقصود للمتكلم، فدلالة اللفظ عليه تسمى دلالة الإشارة(٤). وينتقد الصنعاني (١١٨٢هـ) هذا التعريف بقوله:"واعلم أن جعلهم اللازم في دلالة الإشارة غير مقصود للمتكلم محل نظر، وكيف يحكم على شيء يؤخذ من كلام الله أنه لم يقصده تعالى وتثبت به أحكام شرعية؟ ومن أين الاطلاع على مقاصد علام الغيوب؟ فإن أرادوا قياس كلامه على كلام العباد، فإنه قد يستلزم كلامهم ما لا يريدونه ولا يقصدونه ولا يخطر لهم ببال"(٥). فيمكن أن نقول إن دلالة الإشارة هي دلالة اللفظ على معنى لازم للمعنى المقصود من السياق. ومثالها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {البقرة: ١٩٢}

دلالة المنطوق (الإشارة): قال الجصاص (٣٧٠هـ):"وهذا يدلّ على أن قاتل العَمْدِ له توبة، إذ كان الكفر أعظم مأثمًا من القتل، وقد أخبر الله أنه يقبل التوبة منه ويغفر له"(٦).

---

(١) الشافعي: الرسالة، ٥٤/١.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٠٧/٢٦.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٧٥/٢٢.

(٤) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، ٦٤/٣.

(٥) الصنعاني: إجابة السائل شرح بغية الآمل، ت: حسين السياغي وحسن محمد، ص٢٣٨.

(٦) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، ٣٢٤/١.

١. ١. ٢- دلالة المفهوم:

هو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق(١). وهو نوعان: مفهوم الموافقة، ومفهوم المخالفة.

١. ١. ٢. ١- مفهوم الموافقة:

وهو ما كان حكم السكوت عنه موافقا لحكم المنطوق(٢). ويسمى أيضا فحوى الخطاب، ولحن الخطاب، والمراد به معنى الخطاب(٣)، وبعض العلماء يفرق بينهما، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"وأما لحن الخطاب فقد قيل: ما أضمر فى أثناء اللفظ، وقيل: لحن الخطاب ما يدل على مثله، والفحوى ما دل على ما هو أقوى منه"(٤). ومن ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَـٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَـٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ {البقرة: ١٩١}

دلالة المفهوم: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"فاقتضت الآية منع المسلمين من قتال المشركين عند المسجد الحرام، وتدل على منعهم من أن يقتلوا أحدًا من المشركين دون قتال عند المسجد الحرام بدلالة **لحن الخطاب أو فحوى الخطاب**"(٥).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ {الحج: ٣٩}

دلالة المفهوم: يفهم من لفظ ﴿أُذِنَ﴾ وجود المنع عن القتال قبله، قال السعدي (١٣٧٦هـ):"يفهم منه أنهم كانوا قبل ممنوعين، فأذن الله لهم بقتال الذين يقاتلون، وإنما أذن لهم؛ لأنهم ظلموا، بمنعهم من دينهم، وأذيتهم عليه، وإخراجهم من ديارهم"(٦).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ﴾ {الحج: ٦٠}

دلالة المفهوم: قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"لما ذكر حال المقتولين منهم والميتين منهم قيل الأمر ذلك فيما يرجع إلى حال الآخرة وفيما يرجع إلى حال الدنيا إنهم لهم المنصورون؛ لأنهم بين معاقب وعاف وكلاهما منصوران، أما الأول فنصًا، وأما الثاني فمن **فحوى الخطاب**؛ أعني مفهوم الموافقة"(٧).

---

(١) علاء الدين البخاري: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، ٢٥٣/٢.

(٢) الآمدي: الإحكام في أصول الأحكام، ت: عبد الرزاق عفيفي، ٢٥٧/٢.

(٣) المرجع السابق، ٦٦/٣.

(٤) السمعاني: قواطع الأدلة في الأصول، ت: محمد حسن، ٢٣٧/١.

(٥) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٠٣/٢.

(٦) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق، ص٥٣٩.

(٧) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ١٨١/٩.

١. ١. ٢. ٢- مفهوم المخالفة:

وهو أن يكون المسكوت عنه مخالفا للمنطوق به في الحكم ويسمونه دليل الخطاب[١]. ومن أنواع مفهوم المخالفة:

١. ١. ٢. ٢. ١- مفهوم صفة:

والمراد بها لفظ مقيد لآخر وليس بشرط ولا استثناء ولا غاية إلا النعت فقط[٢]. ومن أمثلة ذلك:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {الأنفال: ٣٤}

دلالة المفهوم (صفة): من كانت صفتهم على غير صفة المذكورين في الآية الذين يصدون عن المسجد الحرام، فلهم عند الله الأجر والثواب، قال القشيري (٤٦٥هـ):"بيّن إيصال العذاب إليهم في الآخرة بقوله تعالى ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ دليل الخطاب أن إعانة المسلمين على ما فيه قيام بحق الدين يوجب استحقاق القربة والثواب"[٣].

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُواْ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ {التوبة: ٨٤}

دلالة المفهوم (صفة): من كانت صفتهم على غير صفة المذكورين في الآيات التي تسبق هذه الآية وهم المنافقون، يُصلى عليهم ويقام على قبره بالدعاء، قال ابن عجيبة (١٢٢٤هـ):"واستدل ابن عبد الحكم بهذه الآية، على وجوب الصلاة على المؤمنين، وقرر اللخمي وجه الدليل منها بطريق النهي عن الشيء أمر بضده؛ لأن ضد النهي عن الصلاة أمر بها. وأبطله المازوي قائلا: وإنما هو من دليل الخطاب، ومفهوم المخالفة، وبيان عدم صحة كونها من باب النهي عن الشيء، أن شرط ذلك اتحاد متعلق الأمر والنهي، كقولك لزيد: لا تسكن، ومعناه تحرك، ومتعلقهما هنا مختلف، فمتعلق النهي: المنافقون، ومتعلق الأمر: المؤمنون، وكذا رد؛ كونها دالة مفهوم المخالفة"[٤].

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ {التوبة: ٢٩}

دلالة المفهوم (صفة): استدل بعض العلماء على أن من كانت صفتهم على غير صفة المذكورين في هذه الآية وهم أهل الكتاب لا تُؤخذ منهم جزية، قال ابن الفرس (٥٩٧هـ):"الآية تعطي بدليل الخطاب ترك أخذ الجزية من

(١) علاء الدين البخاري: كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، ٢/٢٥٣.

(٢) زكريا الأنصاري: غاية الوصول في شرح لب الأصول، ١/٣٢.

(٣) القشيري: لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، ١/٦٢٢.

(٤) ابن عجيبة: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، ت: أحمد عبد الله رسلان، ٢/٤١٣.

غير أهل الكتاب، وقد اختلف في ذلك:

فقيل: تؤخذ من جميعهم وحكي عن مالك قريب منه.

وقيل: تؤخذ من جميعهم غير مشركي قريش وهو المروي عن مالك.

وقيل: تؤخذ من جميعهم ما عدا مشركي العرب، وهو قول أبي حنيفة وإليه ذهب ابن حبيب وابن وهب.

وقيل: تؤخذ الجزية مما عدا أهل الكتاب، وهو قول الشافعي وإليه ذهب ابن الماجشون.

فمن ذهب إلى قول الشافعي هذا احتج بدليل خطاب الآية، وبه احتج الشافعي.

والحجة عليه أن النبي ﷺ كان يقول لأمراء السرايا إذا لقيتم العدو فادعوهم إلى الإسلام فإن أجابوا وإلا فالجزية فإن أعطوا وإلا فقاتلوهم. ولم يخص مشركًا دون مشرك فرفع هذا الحديث دليل خطاب الآية وخبر الآحاد إذا عارض دليل خطاب الآية فمن أهل العلم من يقدم الحديث ومنهم من يقدم دليل الخطاب"(١).

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾ {الحجرات: ٦}

دلالة المفهوم (صفة): يفهم من الآية أن من كانت صفته على غير صفة المذكور في الآية وهو الفاسق فلا حاجة للتثبت، قال ابن الفرس (٥٩٧هـ):"واستدل بعضهم بهذه الآية على وجوب قبول خبر الواحد إذا كان عدلًا؛ لأنه تعالى أمر بالتثبت في نبأ الفاسق. فنبأ العدل إذا بخلافه على القول بدليل الخطاب وبوجوب العمل بخبر الواحد"(٢).

١. ١. ٢. ٢. ٢- مفهوم شرط:

حكم الشرط انتفاء الحكم عند انتفائه، وبعضهم يترجم هذه المسألة، بأن المعلق على شيء بحرف (إن) الشرطية، عدم عند عدم ذلك الشيء(٣). ومن أمثلته في الآيات:

المثال الأول: (من قتل المسلمين)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ {البقرة: ١٩٠}

دلالة المفهوم (شرط): يفهم من هذا أن من لم يقاتل المسلمين فلا نقاتله، واختلف في نسخ هذا المفهوم قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وهذا إذن في قتال الدفاع لدفع هجوم العدو ثم نزلت بعدها آية براءة: ﴿ وَقَٰتِلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ كَآفَّةٗ ﴾ {التوبة: ٣٦} ناسخة لمفهوم هذه الآية عند من يرى نسخ المفهوم ولا يرى الزيادة على النص نسخًا، وهي أيضًا ناسخة لها عند من يرى الزيادة على النص نسخًا ولا يرى نسخ المفهوم، وهي وإن نزلت

---

(١) ابن فرس: أحكام القرآن، ت: طه بو سريح وآخرون، ١٣٥/٣. والحديث أصله في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها، رقم (١٧٣١)، ١٣٥٧/٣.

(٢) المرجع السابق، ٤٨٩/٣و٤٩٠.

(٣) نجم الدين الطوفي: شرح مختصر الروضة: ت: عبد الله التركي، ٧٦١/٢و٧٦٢.

لسبب خاص فهي عامة في كل حال يبادىء المشركون فيه المسلمين بالقتال؛ لأن السبب لا يخصص، وعن ابن عباس وعمر بن عبد العزيز ومجاهد أن هاته الآية محكمة لم تنسخ؛ لأن المراد بالذين يقاتلونكم الذين هم متهيئون لقتالكم أي لا تقاتِلوا الشيوخ والنساء والصبيان؛ أي القيد لإخراج طائفة من المقاتلين لا لإخراج المحاجزين"(١).

المثال الثاني: (من سالم المسلمين)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُواْ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا﴾ {النساء: ٩١}

دلالة المفهوم (شرط): يفهم من الآية أن من لم يتحقق فيه ما جاء في فعل الشرط، لم ينطبق عليه ما جاء في جوابه، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"ومفهوم الشرط يدل على أنه إذا وجهوا الاعتزال وإلقاء السلم وكف الأيدي، لم يؤخذوا ولم يقتلوا"(٢).

المثال الثالث: (قصر الصلاة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُواْ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ {النساء: ١٠١}

دلالة المفهوم (شرط): يفهم من الآية أن قصر الصلاة في السفر مرتبط بالخوف، فإن زال الخوف فلا مبرر للقصر، وهذا ما فهمه الصحابة كما سيأتي، ولكن بقي الحكم صدقة من الله على هذه الأمة وإن زال الخوف، قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"قوله: ﴿إِنْ خِفْتُمْ﴾ فشرط الله تعالى الخوف في القصر. وقد اختلف العلماء في الشرط المتصل بالفعل؛ هل يقتضي ارتباط الفعل به حتى يثبت بثبوته ويسقط بسقوطه؟ فذهب بعض الأصوليين إلى أنه لا يرتبط به، وهم نفاة دليل الخطاب، ولا علم عندهم باللغة ولا بالكتاب. وقد بينا ذلك في المحصول بيانًا شافيًا. وعجبًا لهم. «قال يعلى بن أمية لعمر بن الخطاب: إن الله تعالى يقول: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُواْ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ﴾ فها نحن قد أمنا. قال: عجبت مما عجبت منه. فسألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته»"(٣).

١. ١. ٢. ٢. ٣- مفهوم غاية:

مد الحكم إلى غاية بحتى أو إلى(٤). ومن أمثلته:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ البقرة: ١٩١

دلالة المفهوم (غاية): مفهوم الغاية في الآية أنهم إن قاتلوا المؤمنين عند المسجد الحرام فالواجب قتالهم. وقد

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢/٢٠٠.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٤/١٧.

(٣) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ١/٦١٦.

(٤) نجم الدين الطوفي: شرح مختصر الروضة: ت: عبد الله التركي، ٢/٧٥٧.

جاء التصريح بهذا المفهوم في نفس الآية، قال أبو حيان (٧٤٥هـ): "﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ هذا تصريح بمفهوم الغاية، وفيه محذوف. أي: فإن قاتلوكم فيه فاقتلوهم فيه، ودل على إرادته سياق الكلام"(١).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ {التوبة: ٢٩}

دلالة المفهوم (غاية): يفهم من الآية أن أهل الكتاب إن أعطوا الجزية لم يُقاتلوا، قال الجصاص (٣٧٠هـ):"فأوجب قتالهم وجعل إعطاء الجزية غاية لرفعه عنهم؛ لأن (حتى) غاية. هذا حقيقة اللفظ والمفهوم من ظاهره، ألا ترى أن قوله:﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ {البقرة: ٢٢٢} قد حظر إباحة قربهنّ إلا بعد وجود طهرهنّ ؟ وكذلك المفهوم من قول القائل:(لا تُعْطِ زيدًا شيئًا حتى يدخل الدار) مَنْعُ الإعطاء إلا بعد دخوله، فثبت بذلك أن الآية موجبة لقتال أهل الكتاب مزيلة ذلك عنهم بإعطاء الجزية"(٢).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ {الحجرات: ٩}

دلالة المفهوم (غاية): يفهم من الآية ترك قتالهم إذا فاءوا إلى أمر الله، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وأُتْبع مفهوم الغاية ببيان ما تُعامَل به الطائفتان بعد أن تفي الباغية بقوله:﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ﴾"(٣).

١. ١. ٢. ٢. ٤- مفهوم حصر:

إثبات نقيض حكم المنطوق به للمسكوت عنه، بصيغة إنما ونحوها(٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ {الأنفال: ٤١}

دلالة المفهوم (حصر): إذا كان الخمس لمن جاء ذكرهم في الآية؛ فإن المتبقي يكون للغانمين، كما قال القرافي (٦٨٤هـ):"مفهومه: أن الأربعة الأخماس للغانمين"(٥).

المثال الثاني:

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٢/٢٤٥.

(٢) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، ٤/٢٩٤.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٦/٢٤٢.

(٤) القرافي: شرح تنقيح الفصول، ت: طه عبد الرؤوف سعد، ص٥٧.

(٥) القرافي: أنوار البروق في أنواء الفروق، ٣/٨.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾ {التوبة: ٤٥}

دلالة المفهوم (حصر): صرح في هذه الآية بمفهوم الآية السابقة لها ﴿لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ﴾، وحصر المعنى في الطائفة المذكورة هنا. قال محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ):"هذا تصريح بمفهوم ما سبق لزيادة تأكيده وتقريره، وجاء الحصر فيه بإنما التي موضعها ما هو معلوم بالجملة؛ لأن المعنى قد علم من مفهوم الحصر بالنفي والإثبات الذي قبله"(١).

(١) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ١٠/٤٠٥.

١. ٢- الحذف والإضمار:

الحذف لغة:"حذف الشئ: إسقاطه. يقال: حَذَفْتُ من شَعْري ومن ذَنَب الدابة، أي أخذت"(١).

وفي الاصطلاح:"إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل"(٢). ويصفه عبد القاهر الجرجاني (٤٧١هـ) بقوله:"هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر أَفْصَحَ من الذكْر، والصمتَ عن الإفادة، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجِدُكَ أَنْطَقَ ما تكون إذا لم تَنْطِق، وأتمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تبن"(٣).

ويشير روبرت ستانتون Robert J. Stainton إلى أن المتكلم لا ينطق جملًا تامة في كل الأحوال، إنما ينطق بشكل اعتيادي كلمات أو عبارات أو جملًا ناقصة، وهو بذلك ينجز أفعالاً كلامية كاملة، وأن هذا النقص قد يفهم من السياق اللغوي، وقد يفهم من غيره(٤).

ويبين محمد أبو موسى القيمة التداولية لهذا للحذف بقوله:"يرجع حسن العبارة في كثير من التراكيب إلى ما يعمد إليه المتكلم من حذف لا يغمض به المعنى، ولا يلتوي وراءه القصد، وإنما هو تصرف تصفى به العبارة، ويشتد به أسرها، ويقوى حبكها، ويتكاثر إيحاؤها، ويمتلئ مبناها، وتصير أشبه بالكلام الجيد، وأقرب إلى كلام أهل الطبع، وهو من جهة أخرى دليل على قوة النفس، وقدرة البيان، وصحة الذكاء، وصدق الفطرة."(٥).

ويضيف مبينًا ما يفعل الحذف من تأثير في نفس المخاطب بقوله:"وفي طبع اللغة أن تسقط من الألفاظ ما يدل عليه غيره، أو ما يرشد إليه سياق الكلام أو دلالة الحال، وأصل بلاغتها في الوجازة التي تعتمد على ذكاء القارئ والسامع، وتعول على إثارة حسه وبعث خياله وتنشيط نفسه؛ حتى يفهم بالقرينة ويدرك باللمحة ويفطن إلى معاني الألفاظ التي طواها التعبير"(٦).

ويعدد الزركشي (٧٩٤هـ) أسباب الحذف فذكر منها: الاختصار والاحتراز، التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف في بابي التحذير والإغراء، التفخيم والإعظام، حذف نون التثنية والجمع وأثرها باق، رعاية الفاصلة، أن يحذف صيانة له، صيانة اللسان عنه، كون المحذوف لا يصلح إلا له، شهرة المحذوف حتى يكون ذكره وعدمه سواء(٧).

ثم ذكر الزركشي (٧٩٤هـ) أدلة الحذف في القرآن وهي: أن يدل عليه العقل حيث تستحيل صحة الكلام عقلا إلا بتقدير محذوف، أن تدل عليه العادة الشرعية، أن يدل العقل عليهما أي على الحذف والتعيين، أن يدل العقل على أصل الحذف وتدل عادة الناس على تعيين المحذوف، أن تدل العادة على تعيين المحذوف، أن يدل اللفظ على الحذف والشروع في الفعل على تعيين المحذوف، اللغة، تقدم ما يدل على المحذوف وما في سياقه، اعتضاده

---

(١) الجوهري: الصحاح، (ح-ذ-ف)، ١٣٤١/٤.

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، ١٠٢/٣.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، ١٤٦/١.

(4) see: Robert J. Stainton: The Pragmatics of Non-sentences, p.266 in The Handbook of Pragmatics.

(٥) محمد أبو موسى: خصائص التراكيب؛ دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، ص١٥٣.

(٦) المرجع السابق، ص١٥٣.

(٧) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، ١٠٥/٣-١٠٨.

بسبب النزول(١).

والفرق بين الحذف وإيجاز القصر والإضمار يبينه الزركشي (٧٩٤هـ) بقوله:"والفرق بينهما أن شرط الحذف والإيجاز أن يكون في الحذف ثم مقدر، نحو:﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ {يوسف: ٨٢} بخلاف الإيجاز فإنه عبارة عن اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه. والفرق بينهما وبين الإضمار أن شرط المضمر بقاء أثر المقدر في اللفظ، نحو: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ {الإنسان: ٣١} أي: ويعذب الظالمين، ﴿ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ {النساء: ١٧١} أي: ائتوا أمرا خيرا لكم، وهذا لا يشترط في الحذف"(٢).

والحذف يشمل المسند والمسند إليه، وقد يكون المحذوف اسمًا أو فعلًا أو حرفًا، ومن أمثلة الحذف في الآيات:

١. ٢. ١- حذف المبتدأ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ {البقرة: ١٥٤}

الحذف: في الآية حذف مبتدأ في قوله ﴿أَمْوَٰتٌۢ﴾ وقوله ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾، والتقدير: هم أموات، وبل هم أحياء. قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وارتفاع أموات وأحياء على أنه خبر مبتدأ محذوف، أي هم أموات، بل هم أحياء. ويحتمل أن يكون بل أحياء، مندرجًا تحت قول مضمر، أي بل قولوا هم أحياء. لكن يرجح الوجه الأول، وهو أنه إخبار من الله تعالى"(٣).

ومثلها ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ {آل عمران: ١٦٩} والتقدير بل هم أحياء.

الغرض التداولي: لعل في حذف المبتدأ في هذين الموضعين إيحاء بمسارعة القرآن بذكر كون الشهداء أحياء؛ تأكيدًا لما هم عليه من الفضل والنعيم، ودحضًا لأقوال المنافقين والمشركين الذين عدّوا الشهداء من الخاسرين بموتهم للذات الدنيا ونعيمها.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ {آل عمران: ١٣}

الحذف: في الآية حذف للمبتدأ في قوله ﴿فِئَةٌ تُقَٰتِلُ﴾، والتقدير: أحدهما فئة تقاتل. قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ) في بيان وجه من وجوه رفع كلمة فئة:"أن يرتفع على خبر ابتداء مضمر تقديره: إحداهما فئة تقاتل، فقطع الكلام عن أوله، واستأنفه"(٤).

الغرض التداولي: لعل في حذف المبتدأ في هذا الموضع إيحاء بحرص القرآن على القصد في اللفظ مع الوفاء

---

(١) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، ٣/١٠٨-١١١.

(٢) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، ٣/١٠٢.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٢/٥٢.

(٤) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٣/٤٤و٤٥.

بحق المعنى، إذ إن حذف المسند لا يضر فهم المخاطب للنص ومراد الشارع منه.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ﴾ {الأنفال: ٥}

الحذف: في الآية حذف مبتدأ في قوله ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾، قال ابن عادل (٧٧٥هـ) في إعراب محل الكاف:"في محل رفع أيضًا عى خبر ابتداء مضمر، والمعنى: أنَّه شبَّه كراهية أصحاب رسول الله ﷺ لخروجه من المدينة، حين تحققوا خروج قريش للدفع عن أبي سفيان وحفظ غيره بكراهيتهم لنزع الغنائم من أيديهم، وجعلها لله ورسوله، يحكم فيها ما يشاء. واختار الزمخشري هذا الوجه وحسَّنه. فقال:«يرتفع محلُّ الكاف على أنه خبر ابتداء محذوف تقديره: هذه الحالُ كحالِ إخراجك، يعني أنَّ حالهم في كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجهم للحرب». وهذا الذي حسَّنه الزمخشريُّ هو قول الفرَّاءِ – وقد شرحه ابنُ عطيَّة بنحو ما تقدَّم من الألفاظ– فإنَّ الفرَّاء قال:«هذه الكاف شبَّهت هذه القصة التي هي إخراجه من بيته بالقصَّة المتقدمة التي هي سؤالهم عن الأنفال»"(١).

الغرض التداولي: لعل حذف المبتدأ في هذا الموضع، وتنوع أقوال المفسرين في تقديره، خير مثال لحرص القرآن على كثرة الإيحاء، وتزايد المعاني الصحيحة التي تتبادر إلى الذهن من اللفظ الواحد، فقد ذهب المفسرون في تقدير المشبه المحذوف مذاهب شتى، وكلها وجوه محتملة يقرها النص والعقل.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ {الأنفال: ٤١}

الحذف: في الآية حذف مبتدأ أو خبر في قوله ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والمصدر المؤول بعد (أن) في قوله: فأن لله خمسه ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ مبتدأ حذف خبره، أو خبر حذف مبتدؤه، وتقدير المحذوف بما يناسب المعنى الذي دلت عليه لام الاستحقاق؛ أي فحق لله خمسه"(٢).

الغرض التداولي: فائدة حذف المبتدأ في هذا الموضع يبينها ابن عاشور (١٣٩٣هـ) بقوله:"وإنما صيغ على هذا النظم، مع كون معنى اللام كافيًا في الدلالة على الأحقية، كما قرئ في الشاذ فلله خمسه؛ لما يفيده الإتيان بحرف (أن) من الإسناد مرتين تأكيدًا؛ ولأن في حذف أحد ركني الإسناد تكثيرًا لوجوه الاحتمال في المقدر، من نحو تقدير: حق، أو ثبات، أو لازم، أو واجب"(٣).

١. ٢. ٢– حذف الخبر:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ {الأنفال: ١٨}

---

(١) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ٩/٤٥٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٠/٧و٨.

(٣) المرجع السابق، ١٠/٧و٨.

الحذف: في الآية حذف خبر اسم الإشارة ﴿ذَٰلِكُمْ﴾، والتقدير: ذلكم البلاء الحسن، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"واسم الإشارة يفتتح به الكلام لمقاصد يجمعها التنبيه على أهمية ما يرد بعده.. وعليه فاسم الإشارة هنا مبتدأ حذف خبره وعطف عليه جملة: وأن الله موهن كيد الكافرين"(١).

الغرض التداولي: إن وظيفة المبتدأ في هذه الجملة القرآنية هي التنبيه على أهمية ما يرد بعده، فناسب ذلك حذف الخبر، إذ إن المراد صرف أذهان المخاطبين لما بعده لا إليه.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ {التوبة: ٦٢}

الحذف: في الآية حذف خبر في قوله ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾، مذهب سيبويه أنه حَذَفَ خبر الأول وأبقى خبر الثاني، وهو أحسن من عكسه وهو قولُ المبرِدِ، لأن فيه عدم الفصل بين المبتدأ أو خبره؛ ولأن فيه أيضًا الإخبار بالشيء عن الأقرب إليه(٢).

الغرض التداولي: يبين محمد رشيد رضا (١٣٥٤هـ) فائدة حذف خبر الأول وذكر خبر الثاني بقوله:"وكان الظاهر أن يقال: يرضوهما، ونكتة العدول عنه إلى: يرضوه، الإعلام بأن إرضاء رسوله من حيث إنه رسوله عين إرضائه تعالى؛ لأنه إرضاء له في اتباع ما أرسله به، وهذا من بلاغة القرآن في الإيجاز، ولو قال: يرضوهما، لما أفاد هذا المعنى؛ إذ يجوز في نفس العبارة أن يكون إرضاء كل منهما في غير ما يكون به إرضاء الآخر، وهو خلاف المراد هنا، وكذلك لو قيل: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، لا يفيد هذا المعنى أيضًا، وفيه ما فيه من الركاكة والتطويل"(٣).

١. ٢. ٣- حذف وإضمار الفاعل:

مر التفريق بين الحذف والإضمار. والفاعل لا يجوز حذفه عند جمهور البصريين.. وجوز الأخفش حذف الفاعل(٤). وأمثلة حذف وإضمار الفاعل كثيرة في الآيات، منها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ {البقرة: ٢١٧}

الإضمار: في الآية إضمار فاعل المصدر في قوله ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ﴾، وتقديره: وصدكم، وكفركم به، وإخراجكم(٥). وهو مصدر حذف فاعله، وأضيف إلى

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٩٧/٩.

(٢) ينظر: ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ٧٥/٦.

(٣) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ٤٥١/١٠.

(٤) ينظر: ابن عطية: المحرر الوجيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٩٩/١.

(٥) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣٨٥/٢.

مفعوله"(١).

الغرض التداولي: لعل في حذف فاعل المصادر المذكورة (صد، كفر، إخراج) بيان لخطورتها وشناعتها بغض النظر عن فاعلها، ثم هي وإن كانت في نفسها أفعال أكبر من القتل، ففي إغفال ذكر فاعليها تحقير لشأنهم.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ {البقرة: ٢١٦}

الحذف: في الآية حذف الفاعل في قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ وبناء الفعل للمفعول، والتقدير: كتب الله عليكم القتال.

الغرض التداولي: في بناء فعل الكتب -وهو الفرض- حذف للفاعل؛ مع أن فارض ذلك وكاتبه هو الله ﷻ، ولعل في طي ذكر اسم الله تعالى في هذا المقام، وهو مقام فرض القتال الذي تكرهه النفوس وتنفر منه طبعًا وجبلة، في ذلك تنزيه لمقام الألوهية من أن يناله شيء من تلك الكراهية ولو من ضعاف النفوس؛ الذين لا يعرفون قدرًا ولا أدبًا؛ ولذلك ذكر الفعل المناط به الغرض، وترك فاعله ويمكن حذفه لتعينه وعدم اللبس في إدراكه(٢).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ {التوبة: ٣٨}

الحذف: في الآية حذف فاعل في قوله ﴿قِيلَ لَكُمُ﴾، والتقدير: قال الرسول لكم انفروا.

الغرض التداولي: قال ابن عرفة (٨٠٣هـ):"قال الزمخشري:«حذف الفاعل من ﴿قِيلَ لَكُمُ﴾ تحقيرًا للمفعول أن يذكروا معه»، وقال ابن عطية:«للتغليظ عليهم»، وقال الفخر:«حذف قصدًا لعموم النهي للمؤمنين إلى يوم القيامة»"(٣).

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ {التوبة: ٨٧}

الحذف: في الآية حذف الفاعل وبناء الفعل للمفعول في قوله ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾، والأصل: طبع الله على قلوبهم.

---

(١) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٣٩٨/٢.

(٢) ناصر الخنين : النظم القرآني في آيات الجهاد، ص٣٢٣.

(٣) ابن عرفة: تفسير ابن عرفة، ت: جلال الأسيوطي، ١٧٥/٣.

الغرض التداولي: مناسبة آخر الكلام لأوله فيتآلف نظم الكلام، قال ابن الزبير (٧٠٨هـ):"إن مطلع الآية قبلها قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ﴾ على بناء الفعل للمفعول فجاء قوله على ذلك، ونوسب بختام هذه الآية بداءة ما قبلها"(١).

١. ٢. ٤- حذف المفعول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡ﴾ {آل عمران: ١٦٧}

الحذف: في الآية حذف مفعول في قوله ﴿لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا﴾، والتقدير: لو نعلم مكان قتال، وفي بعض التفاسير لو نعلم أنه يقع قتال، قال الزركشي (٧٩٤هـ):"أي مكان قتال، والمراد مكانًا صالحًا للقتال؛ لأنهم كانوا أخبر الناس بالقتال، والعادة تمنع أن يريدوا: لو نعلم حقيقة القتال؛ فلذلك قدره مجاهد: مكان قتال. وقيل: إن تعيين المحذوف هنا من دلالة السياق لا العادة"(٢).

الغرض التداولي: لعل في حذف المفعول في هذا الموضع تحقيرًا لوجوه الاحتمال في المقدر، مهما كانت تلك الوجوه، فكل ما اعتذروا به عن تخلفهم لا قيمة كله، وهو محض نفاق وكذب.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ {الأنفال: ١٧}

الحذف: في الآية حذف مفعول في قوله ﴿رَمَيۡتَ﴾، والتقدير: رميت الحصى في وجوه المشركين.

الغرض التداولي: الإيجاز والاختصار، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"فلكون الرمي قصة مشهورة بينهم حذف مفعول الرمي في المواضع الثلاثة، وهذا أصح الروايات، والمراد بالرمي رمي الحصباء في وجوه المشركين يوم بدر"(٣).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ {الأنفال: ٧١}

الحذف: في الآية حذف مفعول في قوله ﴿فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡ﴾.

الغرض التداولي: القصد في اللفظ، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"حذف مفعوله لدلالة السياق عليه، أي أمكنك منهم يوم بدر، أي لم ينفلتوا منك"(٤).

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ﴾ {الحج: ٣٨}

---

(١) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص٢٣٣.

(٢) ينظر: الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، ١١٠/٣.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٩٤/٩.

(٤) المرجع السابق، ٨٣/١٠.

الحذف: في الآية حذف مفعول في قوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ﴾، والتقدير: يدافع عن الذين آمنوا غوائل المشركين.

الغرض التداولي: قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"ولم يذكر تعالى ما يدفعه عنهم ليكون أفخم وأعظم وأعم"(١).

المثال الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ {الحج: ٣٩}

الحذف: في الآية حذف فاعل ومفعول في قوله ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ﴾، والتقدير: أذن الله للذين يقاتلون في القتال.

الغرض التداولي: قال البقاعي (٨٨٥هـ) عن حذف الفاعل:"أشار بقراءة من بناه للمجهول إلى سهولة ذلك عليه سبحانه"(٢)، وقال السمين الحلبي (٧٥٦هـ) عن حذف المفعول:"أي: في القتال. حذف المأذون فيه لدلالة الصلة عليه"(٣).

١. ٢. ٥- حذف المضاف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ {البقرة: ١٩٠}

الحذف: في الآية حذف مضاف في قوله ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، وتقديره: وقاتلوا في سبيل دين الله، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وهو على حذف مضاف، التقدير: في نصرة دين الله، ويحتمل أن يكون من باب التضمين كأنه قيل: وبالغوا بالقتال في نصرة سبيل الله، فضمن: قاتلوا، معنى المبالغة في القتال"(٤).

الغرض التداولي: لعل في حذف المضاف تعظيمًا لشأن المحذوف، فصار القتال في سبيل الدين قتالًا في سبيل الله ذاته سبحانه.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ﴾ {البقرة: ١٩٤}

الحذف: في الآية حذف مضاف، قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ):"قوله تعالى: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ﴾ مبتدأ خبره الجار بعده، ولا بُدَّ من حذف مضاف، تقديره: انتهاك حرمة الشهر الحرام بانتهاك حرمة الشهر"(٥).

الغرض التداولي: لعل حذف المضاف في هذا الموضع حتى تصفى به العبارة، ويشتد به أسرها، ويقوى حبكها، ويتكاثر إيحاؤها، ويمتلئ مبناها، فأصبحت أنموذجًا في الإيجاز.

---

(١) أبو حيان، البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٧/٥١٥.

(٢) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٣/٥٦.

(٣) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٨/٣٢٤.

(٤) أبو حيان، البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٢/٢٤١.

(٥) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٢/٣٠٩.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُم﴾ {البقرة: ٢١٤}

الحذف: في الآية حذف مضاف في قوله ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾، والتقدير: مثل محنة الذين خلوا من قبلكم(١).

الغرض التداولي: لعل في حذف المضاف في هذا الموضع تعظيمًا لشأن المتحدث عنهم وهم الصابرون من الأمم السابقة، فكأنهم صاروا قدوة في أنفسهم وجميع أفعالهم، وليس في صبرهم على المحن وحسب.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ﴾ {البقرة: ٢١٦}

الحذف: في أحد التأويلات أن بالآية حذف مضاف، والتقدير: وهو ذو كره لكم.

الغرض التداولي: لعل في حذف المضاف في هذا الموضع مبالغة في كراهية الناس للقتال، حتى صار هو الكره نفسه، قال أبو حيان (٧٤٥هـ) في بيان الأوجه في هذا القول:"وهو كره لكم أي مكروه، فهو من باب النقض بمنى المنقوض، أو ذو كره إذا أريد به المصدر، فهو على حذف مضاف، أو لمبالغة الناس في كراهة القتال، جعل نفس الكراهة"(٢).

المثال الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ﴾ {التوبة: ٩٥}

الحذف: في الآية حذف مضاف في قوله ﴿لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡ﴾، والتقدير: لتعرضوا عن لومهم.

الغرض التداولي: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وأدخل حرف (عن) على ضمير المنافقين بتقدير مضاف يدل عليه السياق لظهور أنهم يريدون الإعراض عن لومهم. ففي حذف المضاف تهيئة لتفريع التقريع الواقع بعده بقوله: فأعرضوا عنهم، أي فإذا كانوا يرومون الإعراض عنهم فأعرضوا عنهم تماما. وهذا ضرب من التقريع فيه إطماع للمغضوب عليه الطالب بأنه أجيبت طلبته حتى إذا تأمل وجد ما طمع فيه قد انقلب عكس المطلوب فصار يأسًا؛ لأنهم أرادوا الإعراض عن المعاتبة بالإمساك عنها واستدامة معاملتهم معاملة المسلمين، فإذا بهم يواجهون بالإعراض عن مكالمتهم ومخالطتهم وذلك أشد مما حلفوا للتفادي عنه"(٣).

المثال السادس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾ {الأحزاب: ١٩}

الحذف: في الآية حذف مضافين، والتقدير: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت.

---

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣٧٣/٢.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣٧٩/٢.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٩/١١.

الغرض التداولي: لعل الحذف في ذلك الموضع حتى لا يتصف النظم بضعف التأليف والثقل الكبير. أو مبالغة في وصف حالة المنافقين حال خوفهم كأن الموت يغشاهم لا مجرد دوران العين.

المثال السابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ {الحشر: ٧}

الحذف: في الآية حذف مضافين، والتقدير: من أموال كفار أهل القرى.

الغرض التداولي: لعل حذف المضاف في ذلك الموضع ليكون الكلام أعمّ، فلا يقتصر على المال.

١. ٢. ٦- حذف الموصوف:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ {البقرة: ٢١٤}

الحذف: في الآية حذف مضاف وحذف موصوف في قوله ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾، والتقدير: مثل محنة المؤمنين الذين خلوا(١).

الغرض التداولي: للقصد في اللفظ إذ ورد ذكر إيمانهم في ختام الآية ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ {آل عمران: ١٣}

الحذف: في الآية حذف موصوف في قوله ﴿وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾، والتقدير: وفئة أخرى كافرة. قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ) في بيان وجه من وجوه رفع كلمة فئة:"وقال أبو البقاء: فإنْ قلت: فإذا قَدَّرْتَ في الأولى إحداهما مبتدأً كان القياسُ أن يكون والأخرى، أي: والفئةُ الأخرى كافرةٌ. قيل: لَمَّا عُلِم أنَّ التفريقَ هنا لنفس الشيءِ المقدَّم ذكره كان التعريف والتنكير واحدًا"(٢).

الغرض التداولي: للقصد في اللفظ، والبعد عن الثقل.

١. ٢. ٧- حذف الصفة:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾ {آل عمران: ١٧٣}

الحذف: في الآية حذف صفة في قوله ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟﴾، والتقدير: إن الناس المعادين لكم.

الغرض التداولي: لعل في الحذف مدحًا للصحابة الكرام يبينه البقاعي (٨٨٥هـ) بقوله:"ولما كان قول نعيم بن مسعود أو ركب عبد القيس عند الصحابة رضي الله عنهم صدقًا لا شك فيه؛ لما قام عندهم من القرائن، فكان بمنزلة المتواتر الذي تمالأ عليه الخلائق، وكانت قريش أعلى الناس شجاعة، وأوفاهم قوة، وأعرقهم أصالة، فكانوا كأنهم جميع الناس، كان التعبير بصيغة ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ أي نعيم أو ركب عبد القيس ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ﴾ يعني قريشًا ﴿قَدْ

(١) ينظر: أبو حيان، البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣٧٣/٢.

(٢) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٤٤/٣و٤٥.

﴿جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ﴾ أمدح للصحابة رضي الله عنهم من التعبير عمن أخبرهم ومن جمع لهم بخاص اسمه أو وصفه"(١).

١. ٢. ٨- حذف الفعل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ {آل عمران: ١٥٦}

الحذف: في الآية حذف فعل في قوله ﴿ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى ﴾ والتقدير: إذا ضربوا فماتوا أو كانوا غزى فقتلوا، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وقد حذف فعل دل عليه قوله ﴿مَا مَاتُواْ﴾، تقديره: فماتوا في سفرهم أو قتلوا في الغزو"(٢).

الغرض التداولي: لعل الحذف في ذلك الموضع للقصد في اللفظ، وحتى لا يتصف النظم بضعف التأليف والثقل الكبير.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ {محمد: ٤}

الحذف: في الآية حذف فعل في قوله ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾، والتقدير: فاضربوا الرقاب ضربًا، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وانتصب ﴿فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ﴾ على المفعولية المطلقة على أنه بدل من فعله ثم أضيف إلى مفعوله، والتقدير: فاضربوا الرقاب ضربًا، فلما حذف الفعل اختصارًا، قدم المفعول المطلق على المفعول به، وناب مناب الفعل في العمل في ذلك المفعول، وأضيف إلى المفعول إضافة الأسماء إلى الأسماء؛ لأن المصدر راجح في الاسمية"(٣).

الغرض التداولي: لعل في حذف الفعل في هذا الموضع دلالة على السرعة في تنفيذ الأمر ومباغتة العدو؛ فيتقوى بذلك المعنى. قال البقاعي:"ولما كان المراد القتل المجهر بغاية التحقق، عبر عنه مؤكدًا له من الاختصار بذكر المصدر الدال على الفعل، مصورًا له بأشنع صوره، مع ما فيه من الغلظة على الكفار والاستهانة بهم"(٤).

١. ٢. ٩- حذف حرف:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَا﴾ {البقرة: ٢٤٦}

---

(١) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٢٩/٥.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٤١/٤.

(٣) المرجع السابق، ٧٩/٢٦.

(٤) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٠١/١٨.

الحذف: في الآية حذف حرف في قوله ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ﴾، قال ابن عادل (٧٧٥هـ):"على حذف حرف الجر وهو قول الكسائي، والتقدير: وما لنا في ألاَّ نقاتل؛ أي: في ترك القتال، ثم حُذِفَتْ «في» مع «أَنْ» فجرى فيها الخلاف المشهور بين الخليل وسيبويه: أهي في محل جر أم نصب؟"(١).

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ {النساء: ٧٥}

الحذف: في الآية حذف حرف في قوله ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ﴾، والتقدير: وما لكم في أن لا تقاتلوا، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وجوزوا أن يكون التقدير: وما لكم في أن لا تقاتلوا، فلما حذف حرف الجر، وحذف أن، ارتفع الفعل"(٢).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ﴾ {النساء: ٩٠}

الحذف: في الآية حذف حرف في قوله ﴿أَن يُقَٰتِلُوكُمْ﴾، والتقدير: عن أن يقاتلوكم، قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ):"أصله: عن أن، فلما حذف حرف الجر جرى الخلاف المشهور: أهي في محل جر أو نصب؟"(٣).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ {التوبة: ٣}

الحذف: في الآية حذف حرف في قوله ﴿أَنَّ ٱللَّهَ﴾، قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ):"على حذف حرف الجر أي: بأن الله. ويتعلق هذا الجار إما بنفس المصدر، وإما بمحذوف على أنه صفته"(٤).

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ {الحج: ٧٨}

الحذف: في الآية حذف حرف في قوله ﴿جِهَادِهِۦ﴾، والتقدير: حق جهاد فيه، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"كأنه كان الأصل حق جهاد فيه، فاتسع بأن حذف حرف الجر، وأضيف جهاد إلى الضمير"(٥).

الغرض التداولي: لعل الحذف للحروف في الأمثلة السابقة جرى على عادة العربية في الميل للإيجاز والقصد في اللفظ، والبعد عن الركاكة والثقل.

---

(١) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ٢٦٤/٤.

(٢) أبو حيان، البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٧١٠/٣.

(٣) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٦٨/٤.

(٤) المرجع السابق، ٧/٦.

(٥) أبو حيان، البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٥٣٩/٧.

٢- المتضمنات في اللسانيات الغربية:

المتضمنات التي ذكرها اللسانيون الغربيون كثيرة، ومن أشهرها الافتراض السابق، والاستلزام الحواري.

٢. ١- الافتراض السابق:

اقتصرت في أمثلة الافتراض السابق على الأقوال التي حكاها القرآن على لسان البشر، وتجنبت نسبة الافتراض السابق لله ﷻ تعظيمًا وإجلالًا له سبحانه، أن أنسب إليه فعلًا -وهو فعل الافتراض- لم ينسبه لنفسه، أو ينسبه له رسوله ﷺ. وأنواع الافتراض السابق متنوعة، ومن ذلك:

٢. ١. ١- الافتراض السابق الوجودي:

في هذا النوع من الافتراض يفترض المتكلم وجود الشيء المخبر عنه. ومن ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ {المائدة: ٢٣}

الافتراض السابق: في ﴿ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ﴾ افتراض سابق، وبتطبيق النفي والاستفهام نجد:

أ- هل دخلوا عليهم الباب ؟

ب- لم يدخلوا عليهم الباب.

ج- الباب موجود، والأعداء داخله.

يفترض الرجلان وجود باب، وأن بدخول القوم هذا الباب تتحقق الغلبة على الجبارين، وإلى هذا الافتراض السابق يشير السمعاني (٤٨٩هـ) بقوله:"وذلك باب كانوا عرفوا أنهم إذا دخلوا من ذلك الباب غلبوا"(١). وقيل:"المراد من الباب ليس نفس الباب ولكن جهة من الجهات التي يكون الدخول عليهم من تلك الجهة أوفق وأهون"(٢).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ {الأنفال: ٤٩}

الافتراض السابق: في ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ افتراض سابق، وبتطبيق النفي والاستفهام:

أ- هل غر هؤلاء دينهم ؟

ب- لم يغر هؤلاء دينهم.

ج- عندهم دين.

في قول المنافقين ﴿غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ﴾ افتراض سابق من المتكلمين وهم المنافقون لوجود الدين عند المشار إليهم وهم المؤمنون، وأن هذا الدين يدفعهم للقتال ويعدهم بالنصر، وفيه اعتراف منهم بأن الدين هو الدافع للمؤمنين وليس شيء آخر، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والدين هو الإسلام، وإسنادهم الغرور إلى الدين باعتبار ما فيه من

---

(١) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٢/٢٧.

(٢) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٣/٤٩٢.

الوعد بالنصر"(١).

٢. ١. ٢- الافتراض السابق المعجمي:

في الافتراض السابق المعجمي، يعدّ استعمال المتكلم لتعبير معين على أنه يفترض سابقًا مفهومًا آخر غير مذكور. ومن ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ {آل عمران: ١٧٣}

الافتراض السابق: في قولهم ﴿ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ ﴾ افتراض سابق، وبتطبيق النفي والاستفهام:

أ- هل خشي المؤمنون ما جمعه الناس؟

ب- لم يخش المؤمنون ما جمعه الناس.

ج- الناس قد جمعوا.

يفترض المتكلم -والمعبر عنه بالناس الأولى- أن الناس المعادين للمؤمنين -وهم كفار قريش- قد جمعوا للمؤمنين يريدون القتال، وأنهم قد استعدوا لذلك، وهو افتراض سابق معجمي مستمد من المعنى المعجمي لكلمة ﴿جَمَعُواْ﴾ ومعناه المحوري تضامُّ أشياء متجانسة كثيرة تلاقيًا أو تلاحمًا أو تراكمًا. ثم عُمِّم في كل جمع لمال أو ناس..إلخ. وهو في الآية ﴿جَمَعُواْ﴾ أي جموعًا لقتالكم(٢).

٢. ١. ٣- الافتراض السابق البنيوي:

يظهر الافتراض السابق البنيوي من خلال البنية التركيبية لبعض الجمل. ومن ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ {البقرة: ٢١٤}

الافتراض السابق: في البنية التركيبية للاستفهام ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾ افترض المتكلم افتراضًا سابقًا أن نصر الله متحقق لا شك في وقوعه. والسؤال إنما هو عن قربه، وليس عن وقوعه أو عدم وقوعه، دل على ذلك بنية السؤال وجوابه وتوظيف الأداة ﴿مَتَىٰ﴾ وليس أين نصر الله؟ أو هل ينصرنا الله؟ مثلًا، قال الرازي (٦٠٦هـ):"فلما كان الجواب بذكر القرب دل على أن السؤال كان واقعًا عن القرب، ولو كان السؤال وقع عن أنه هل يوجد النصر أم لا؟ لما كان هذا الجواب مطابقًا لذلك السؤال"(٣).

٢. ١. ٤- الافتراض السابق الواقعي:

في الافتراض السابق الواقعي، يؤخذ استعمال المتكلم لتعبير معين على أنه يفترض صحة المعلومة المذكورة بعده. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٠/٣٨.

(٢) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الإشتقاقي المؤصل، مادة (ج-م-ع)، ١/٣٣٥.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٦/٣٨٠.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ {النساء: ٧٣}

الافتراض السابق: في قول المنافق ﴿ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ افتراض سابق أن الفوز بالغنائم يقتضي مصاحبة المجاهدين في جهادهم، وأنه لم يفز بالغنائم ولا حق له فيها إذ لم يكن معهم، وهذا أمر واقعي. قال ابن جُزيّ (٧٤١هـ):"والمعنى أن المنافق يندم على ترك الغزو معهم إذا غنموا فيتمنى أن يكون معهم"(١).

٢. ١. ٥- الافتراض السابق غير الواقعي:

في الافتراض السابق غير الواقعي، يؤخذ استعمال المتكلم لتعبير معين على أنه يفترض أن الذي يتبعها غير صحيح. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ {النساء: ٧٢}

الافتراض السابق: يفترض المنافق سابقًا أن قعوده عن الجهاد وقاه من الموت وأن ذلك القعود والنجاة من الموت شهيدًا إنعام من الله عليه، وهذا افتراض غير واقعي، والمتكلم يعلم أن قوله غير واقعي وإنما هو تلاعب بالمؤمنين، قال الرازي (٦٠٦هـ) حكاية عن القاضي:"وقال: إنه تعالى حكى عن هؤلاء المبطئين أنهم يقولون عند مصيبة المؤمنين: ﴿ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ فيعد قعوده عن القتال نعمة من الله تعالى، ومثل هذا الكلام إنما يليق بالمنافقين لا بالمؤمنين"(٢).

٢. ١. ٦- الافتراض السابق المناقض للواقع:

في الافتراض السابق المناقض للواقع، يؤخذ استعمال المتكلم لتعبير معين على أنه يفترض أن الذي يتبعها ليس غير صحيح فحسب وإنما هو مناقض للحقائق. ومن أمثلة ذلك:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ {آل عمران: ١٥٤}

الافتراض السابق: يفترض المتكلمون افتراضًا سابقًا أنهم لا يملكون من أمر المشورة أو النصر شيئًا، وأن المؤمنين ليسوا على شيء من الحق، وأن ما أصاب المؤمنين يوم أحد دليل على صواب رأيهم الذي لم يؤخذ به، ودليل على أن وعد الله للمؤمنين بالنصر لا حقيقة له من وجهة نظرهم، وهذا مناقض للواقع ومخالف للحقائق، قال طنطاوي (١٤٣١هـ):"فأنت ترى أن القرآن يحكى عنهم أنهم يريدون تبرئة أنفسهم مما نزل بالمسلمين بأحد، وأنهم لو كان لهم

---

(١) ابن جُزَيّ: التسهيل لعلوم التنزيل، ت: عبد الله الخالدي، ١٩٩/١.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٣٨/١٠.

رأى مطاع لبقوا فى المدينة ولم يخرجوا منها لقتال المشركين، وأن التبعة فى كل ما جرى فى غزوة أحد يتحملها النبى ﷺ وأصحابه الذين ألحوا عليه فى الخروج لقتال المشركين خارج المدينة، وأن النبى ﷺ وأصحابه لو كانوا على الحق لانتصروا"(١).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ {آل عمران: ١٥٦}

الافتراض السابق: في قولهم ﴿لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ﴾ افتراض سابق لدى المنافقين بأن المؤمنين ماتوا وقتلوا لخروجهم للسفر وللجهاد، وهذا افتراض مناقض للواقع، قال ابن عادل (٨٨٠هـ):"فكان المنافقونَ يقولون -إذا رَأَوْا مَنْ مات في سفر أو غزو -:"إنما ماتوا، أو قتلوا بسبب السفر والغزو، وقصدهم بذلك تنفير الناس"(٢).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ {الأحزاب: ١٢}

الافتراض السابق: يفترض المتكلمون افتراضًا سابقًا مناقضًا للواقع وهو أن رسالة محمد ﷺ كذب، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وقولهم ﴿ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ﴾ إنما هو على جهة الهزء، كأنهم يقولون على زعم هذا الذي يدعي أنه رسول يدل على هذا أن من المحال أن يكون اعتقادهم أن ذلك الوعد هو من الله تعالى ومن رسوله ثم يصفونه بالغرور بل معناه على زعم هذا"(٣).

---

(١) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣٠٦/٢.

(٢) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٩/٦.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٣٧٣/٤.

٢. ٢- الاستلزام الحواري:

وضع جرايس مبدأ التعاون بمبادئه الفرعية الأربعة ليكون الأساس الذي يقيس عليه الحوارات المختلفة، فما خالف من تلك الحوارات تلك المبادئ مع بقاء أصل التعاون بين المتكلم والمخاطب، فذلك يعني وجود المعاني المتضمنة التي يجب على المخاطب أن يبذل جهدًا في الوصول إليها وتأويلها التأويل الصحيح لضمان نجاح المحاورة.

٢. ٢. ١- مبدأ الكم:

مبدأ الكم: لتكن إفادتك المخاطب على قدر حاجته، ولا تجعل إفادتك تتعدى القدر المطلوب. ويترتب على مخالفته بالزيادة أو النقصان استلزامات حوارية متنوعة حسب السياقات الحوارية المختلفة. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ {البقرة: ١٩٢}

الاستلزام الحواري: في الآية إيجاز بالحذف، والحذف يخالف (مبدأ الكم) إذ لم يذكر في الآية المتعلق بالفعل ﴿ٱنتَهَوۡاْ﴾ فقد يكون المعنى الانتهاء عن قتال المؤمنين، وقد يكون الانتهاء عن الشرك، فترتب على ذلك (استلزام حواري) تمثل في دعوة المشركين للدخول في الإيمان والانتهاء عن الشرك الذي دفعهم لقتال المؤمنين؛ حتى ينالوا مغفرة الله ورحمته، قال سيد قطب (١٣٨٧هـ):"والانتهاء الذي يستأهل غفران الله ورحمته، هو الانتهاء عن الكفر، لا مجرد الانتهاء عن قتال المسلمين أو فتنتهم عن الدين. فالانتهاء عن قتال المسلمين وفتنتهم قصاراه أن يهادنهم المسلمون. ولكنه لا يؤهل لمغفرة الله ورحمته. فالتلويح بالمغفرة والرحمة هنا يقصد به إطماع الكفار في الإيمان؛ لينالوا المغفرة والرحمة بعد الكفر والعدوان. وما أعظم الإسلام، وهو يلوح للكفار بالمغفرة والرحمة، ويسقط عنهم القصاص والدية بمجرد دخولهم في الصف المسلم، الذي قتلوا منه وفتنوا، وفعلوا بأهله الأفاعيل"(١).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ {البقرة: ٢١٧}

الاستلزام الحواري: لم تكتف الآية بالإجابة عن سؤال السائلين، وإنما زادت عليها أمورًا أخرى، وفي تلك الزيادة خروج عن (مبدأ الكم) إذ لم تكتف الإجابة ببيان حكم القتال في الشهر الحرام، ولكن أضافت لذلك أن ما فعله الكفار من كفرهم بالله، وصدهم عن سبيله، وصدهم عن المسجد الحرام، لهو أكبر من القتال في الشهر الحرام وأن فتنتهم للمؤمنين أكبر إثمًا من القتل.

في الآية (استلزام حواري) يبين أن الرد على المشركين لم يكن مجرد إجابة عن سؤال، ولكن كان تبكيتًا لهم وفضحًا لجرائمهم، قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"فلما نزلت هذه الآية كتب عبد الله بن أنيس إلى مؤمني مكة إذا عيركم

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ١/١٩٠.

المشركون بالقتال في الشهر الحرام، فعيروهم أنتم بالكفر وإخراج رسول الله ﷺ من مكة ومنعهم المسلمين عن البيت الحرام"(١).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {المائدة: ٢٠}

الاستلزام الحواري: المتكلم إذا أخبر المخاطب بما هو على علم به، كان في الكلام زيادة لحاجة في نفس المتكلم، وهذه الزيادة خروج عن (مبدأ الكم) وفي الآية أخبر موسى عليه السلام قومه بما هم على علم سابق به من النِّعم التي أنعم الله عليهم بها، فترتب على ذلك (استلزم حواري) وهو أن هذا التذكير بتلك النعم ليس للتعريف بها، وإنما يقصد به موسى عليه السلام تحريضهم على امتثال أمر الله في قتال الجبارين ودخول الأرض المقدسة، فهو بمثابة التمهيد لهذا الأمر، قال الطبري (٣١٠هـ):"ذكّر قومه من بني إسرائيل بأيام الله عندهم وبآلائه قِبَلهم، فحرّضهم بذلك على اتباع أمر الله في قتال الجبارين"(٢).

٢. ٢. ٢- مبدأ الكيف:

مبدأ الكيف: لا تقل ما تعلم كذبه، ولا تقل ما ليست لك عليه بينة. ويترتب على مخالفة هذا المبدأ كأن لا يصدق المتكلم في حديثه، أو يدعي ما لا بينة عليه، استلزامات حوارية متنوعة حسب السياقات الحوارية المختلفة. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ {الأنفال: ٤٨}

الاستلزام الحواري: قول الشيطان ﴿لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ﴾ يخالف (مبدأ الكيف) فهو على علم بكذب ما يقول، فيترتب على ذلك (استلزام حواري) وهو أن وعده ذلك ما هو إلا مكر وخديعة واستدراج للكفار، لأن غايته أن يموت الناس على الكفر، قال الشعراوي (١٤١٩هـ):"الشيطان لا قوة له ولا قدرة على فعل شيء، وكل ما يمكنه هو الخداع والتزيين والكذب، ولذلك أخذ يخدع الكفار ويكذب عليهم، وما أن صار المؤمنون والكفار على مدى رؤية العين بعضهم لبعض، هرب الشيطان وفزع ونكص على عقبيه"(٣).

الاستلزام الحواري: كذلك في قوله ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ أيضًا يخالف (مبدأ الكيف)؛ لأن الشيطان كاذب في ادعائه مخافة الله، فترتب على ذلك (استلزام حواري) أن قوله هذا

---

(١) البَغَوِيّ: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، ٢٧٦/١.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٦٠/١٠.

(٣) الشعراوي: تفسير الشعراوي؛ الخواطر، ٤٧٣٥/٨.

تبرير كاذب لهروبه وخداعه وكذبه على أوليائه، قال الطبري (٣١٠هـ):"عن قتادة قال: وكذب والله عدو الله، ما به مخافة الله، ولكن علم أن لا قوة له ولا منعة له، وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستعاذ به، حتى إذا التقى الحق والباطل أسلمهم شر مُسْلَم، وتبرأ منهم عند ذلك"(١).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾ {الأحزاب: ١٣}

الاستلزام الحواري: في قول المنافقين ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾ خروج عن (مبدأ الكيف)، إذ قالوا ما يعلمون كذبه، فترتب على ذلك (استلزام حواري) أنهم ما أرادوا بهذا القول إلا الهرب والفرار، قال القيسي (٤٣٧هـ):"يستأذن طائفة من المنافقين النبي في الانصراف إلى منزلهم اعتلالا بالخوف على منزله من السرق، وليس به إلا الفرار والهرب"(٢). وقال القشيري (٤٦٥هـ):"يتعللون بانكشاف بيوتهم وضياع مخلفاتهم، ويكذبون فيما أظهروه عُذرًا، وهم لم يحملهم على فعلهم غير جبنهم وقلة يقينهم"(٣).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ {الفتح: ١١}

الاستلزام الحواري: في كلام المخلفين خروج عن (مبدأ الكيف) إذ قالوا ما يعلمون كذبه في اعتذارهم وطلبهم الاستغفار لهم، فترتب على ذلك (استلزام حواري) أن قولهم هذا كان تقية وخوفًا وليس على حقيقته، قال السمعاني (٤٨٩هـ):"يعني: أنهم لا يبالون استغفرت لهم أو تركت الاستغفار لهم لنفاقهم، وإنما يظهر طلب الاستغفار تقية وخوفًا"(٤).

٢. ٢. ٣- مبدأ المناسبة:

ينص مبدأ المناسبة على: ليناسب مقالك مقامك. ويترتب على مخالفة هذا المبدأ كأن يكون الكلام غير مناسب للمقام، أو غير مترابط، استلزامات حوارية متنوعة حسب السياقات الحوارية المختلفة. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ {التوبة: ٤٩}

الاستلزام الحواري: إن قول المنافقين للنبي ﷺ ﴿ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ﴾ يخالف (مبدأ المناسبة) فهو كلام لا يناسب مقام الجهاد والتضحية بالمال والنفس في سبيل الله ﷻ، فترتب على ذلك (استلزام حواري) أن هذا الاستئذان

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٩/١٣.

(٢) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٥٨٠٦/٩.

(٣) القشيري: لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، ١٥٥/٣.

(٤) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ١٩٥/٥.

والتعلل بالخوف من السقوط في الفتنة ما هو إلا أكاذيب وحجج واهية للهروب من الجهاد، قال أبو زهرة (١٣٩٤هـ) عن كلامهم: "بل كلها تعلات يقولونها بأفواههم، وقلوبهم غير مطمئنة إلى الخروج؛ لأنهم يريدون التعويق، وهو القتال قد أفزعهم، وبعد الشقة قد أقعدهم، وكان من تعلتهم أن قالوا إننا نخشى فتنة النساء في الرومان لجمال نسائهم"(١).

٢. ٢. ٤– مبدأ الطريقة:

وينص مبدأ النوع أو الطريقة على: لتحترز من الالتباس، لتحترز من الإجمال، لتتكلم بإيجاز، لترتب كلامك. ويترتب على مخالفة هذا المبدأ كأن يكون الكلام ملتبسًا أو مجملًا أو يكون الجواب على السؤال سؤالًا آخر أو يتضمن خيالا، استلزامات حوارية متنوعة حسب السياقات الحوارية المختلفة. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {البقرة: ٢٤٦}

استلزام حواري: جاءت إجابة النبي عليه السلام للملأ من بني إسرائيل تتضمن خروجًا عن (مبدأ الطريقة) فالمتوقع أن تكون الإجابة هي القبول أو الرفض لطلبهم، ولكن النبي عليه السلام أجابهم باستفهام تقريري، فترتب على ذلك (استلزام حواري) مفاده شك النبي عليه السلام في الخبر الذي تضمنه طلبهم وهو الرغبة في القتال، وأنه يتوقع جبنهم وفرارهم، قال الماتريدي (٣٣٣هـ): "استخبار عن سؤالهم الذي سألوا: أحق هو أم شيء أجروه على ألسنتهم من غير تحقيق؟ لئلا يستوجبوا العذاب بتركهم ذلك إذا أجيبوا، وأعطوا ما سألوا وتمنوا؛ لما عرف من شدة القتال مع العدو والجهاد في سبيل الله وكراهية ذلك في كل قوم"(٢)، قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ): "﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ﴾ استفهام شك، يقول: لعلكم"(٣).

استلزام حواري: وكان رد الملأ من بني إسرائيل سؤالًا أيضًا، وفيه كذلك خروج عن (مبدأ الطريقة) إذ كان المتوقع أن يكون ردهم إجابة عن سؤال نبيهم، ولكنهم سألوه سؤالًا على سبيل الإنكار والتعجب وقيل النفي، قال طنطاوي (١٤٣١هـ): "قال الملإ من بني إسرائيل على سبيل الإنكار والتعجب مما قاله نبيهم: وأي صارف يصرفنا عن القتال وحالنا كما نرى؟"(٤).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ

(١) أبو زهرة: زهرة التفاسير، ٣٣٢٤/٦.

(٢) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلوم، ٢٢٢/٢و٢٢٣.

(٣) البَغَوِيّ: معالم التنزيل في تفسير القرآن، ت: عبد الرزاق المهدي، ٣٣٢/١.

(٤) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٥٦٥/١.

ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ {النساء: ٧٧}

استلزام حواري: في قوله ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ﴾ وذلك في استخدام الكناية هي خروج عن (مبدأ الطريقة)، فترتب على ذلك (استلزام حواري) أن كف اليد المقصود به الإمساك عن القتال وكل مقدماته؛ لكون القتل الذي يقع فيه من عمل الأيدي، قال الطبري (٣١٠هـ):"كفوا أيديكم، فأمسكوها عن قتال المشركين وحربهم"(١).

استلزام الحواري: ﴿يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾ في هذا القول خروج عن (مبدأ الطريقة) وذلك في استخدام الكناية، فترتب على ذلك (استلزام حواري) أن تلك الخشية دليل على كراهتهم للقتال، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"كناية عن كراهتهم القتال في ذلك الوقت وتمنيهم لتأخيره إلى وقت ما"(٢).

استلزام حواري: ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ﴾ استفهام خرج عن (مبدأ الطريقة) فهم يعلمون سبب فرض القتال وهم الذين طلبوه ابتداءً، فترتب على ذلك (استلزام حواري) وهو أن سؤالهم كان لغرض آخر، فهو للإنكار أو لطلب الحكمة أو التمني على خلاف فيمن نزلت فيهم تلك الآية، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"وقوله ﷻ: ﴿لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ﴾ فإن كانت الآية في المنافقين فهو على الإنكار قالوا ذلك، وإن كانت في المؤمنين فهو يخرج على طلب الحكمة في فرض القتال علينا، وقد تطلب الحكمة في الأشياء، ولا عيب يدخل في ذلك"(٣)، وقال الرازي (٦٠٦هـ):"وقولهم: ﴿لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ﴾ محمول على التمني لتخفيف التكليف، لا على وجه الإنكار لإيجاب الله تعالى"(٤).

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٥٤٨/٨.

(٢) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣٣١/٥.

(٣) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٢٦٣/٣.

(٤) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٤٣/١٠.

الفصل الثالث

الحجاج في آيات الجهاد

- المبحث الأول:

الحجاج في اللسانيات الغربية والعربية.

- المبحث الثاني:

آليـــات الحجــاج فـي آيـــات الجهـــاد.

المبحث الأول

الحجاج في اللسانيات الغربية والعربية

١ - مصطلـح الحجـاج ومفهومـــه .

٢ - الحجاج في اللسانيات الغربية .

٣ - الحجاج في اللسانيات العربية .

توطئة

إن اللغة ليست محض أداة لنقل الأخبار وتبادل المعلومات، وإنما وسيلة من الوسائل المهمة للتأثير في المخاطبين عقليًا وشعوريًا، وهي أداة فاعلة من الأدوات التي تحدث تغييرًا في العالم من حولنا، إذ تدفع المخاطبين لتغيير قناعاتهم، أو تعمل لزيادة الاقتناع لديهم، والحجاج هو وسيلة لكشف هذا الجانب المهم من جوانب اللغة، وتسليط الضوء على قدرة اللغة في إحداث هذا التغيير.

والحجاج من المصطلحات التي اختلط مفهومها عند الكثيرين، فمنهم من يراه مرادفًا للجدل، ومنهم من يجعله قاسمًا مشتركًا بين الجدل والخطابة خاصة؛ لذا كان لزامًا عليّ أن أبدأ هذا الفصل بالحديث عن مفهوم الحجاج، وعن علاقته بالتداولية التي اتخذتها هذه الدراسة منهجًا لتحليل آيات الجهاد في القرآن الكريم، ثم أتبعتُ ذلك بالحديث عن شيء من تاريخ الحجاج عند الغربيين، والمراحل التي مر بها، حتى استقر به الحال مبحثًا فلسفيًا ولغويًا قائم الذات في العصور الحديثة، مع إطلالة موجزة على أهم النظريات الغربية الحجاجية في العصر الحديث، وبخاصة نظرية البلاغة (الخطابة) الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، ونظرية الحجاج في اللغة لديكرو وأنسكومبر.

لقد اهتم البحث في كل فصل من فصوله بجانب التأصيل، والنظر في التراث بعد استعراض النظريات الغربية وذكر ما يقابلها في فكرنا اللغوي العربي، دون إفراط أو تفريط في الاستمساك بالتراث أو الانبهار بالحديث، لذلك قدمت نبذة مختصرة في المبحث الأول من هذا الفصل عن تاريخ الحجاج في اللسانيات العربية، وتحدثت عن أهم الآليات الحجاجية التي ذكرها العلماء العرب، وعن علاقة القرآن الكريم بالحجاج، وآراء العلماء فيما تضمنه من وسائل حجاجية مختلفة.

إن القرآن الكريم قد جمع بين الإقناع والإمتاع، يقول محمد عبد الله دراز (١٣٧٧هـ):"وفي النفس الإنسانية قوتان: قوة تفكير، وقوة وجدان، وحاجة كل واحدة منهما غير حاجة أختها. فأما إحداهما فتنقب عن الحق لمعرفته، وعن الخير للعمل به، وأما الأخرى فتسجل إحساسها بما في الأشياء من لذة وألم، والبيان التام هو الذي يوفي لك هاتين الحاجتين ويطير إلى نفسك بهذين الجناحين، فيؤتيها حظها من الفائدة العقلية والمتعة الوجدانية معًا"(١).

حاولت في المبحث الثاني من هذا الفصل أن استكشف هذا الإقناع والإمتاع في آيات الجهاد، من خلال دراسة وتحليل الأمثلة المختارة من الآيات، وتطبيق المستفاد من الجانب النظري عليها؛ وذلك للتعرف على أهم الوسائل والآليات الحجاجية التي وظفها القرآن الكريم للتأثير في المخاطبين على تنوعهم واختلاف مشاربهم، والاستفادة من النظريات والآليات الحجاجية العربية والغربية في إبراز هذا الجانب وتسليط الضوء عليه.

---

(١) محمد عبد الله دراز: النبأ العظيم؛ نظرات جديدة في القرآن الكريم، ت: أحمد مصطفى فضلية، ص١٤٨.

١- مصطلح الحجاج ومفهومه.

إن مصطلح الحجاج من المصطلحات المختلف في مفهومها بين الباحثين، لذلك أحاول الوقوف على معناه اللغوي ومفهومه الاصطلاحي في اللسانيات العربية والغربية قبل الحديث عن أشهر نظرياته وآلياته.

١. ١- المعنى اللغوي لكلمة الحِجاج:

كلمة (الحِجاج) في اللغة العربية مصدر على وزن (فِعال) للفعل الرباعي (حاجَّ)، وهو كذلك جمع لكلمة (حُجَّة)، جاء في كتاب العين:"المَحَجَّةُ: قارعة الطريق الواضح. والحُجَّةُ: وَجْهُ الظَّفَر عند الخُصومة. والفِعل حاجَجْتُه فَحَجَجْتُه. واحتَجَجْتُ عليه بكذا. وجمع الحُجَّة: حُجَجٌ. والحِجاج المصدر. والحَجاجُ: العظمُ المستدير حولَ العَين، ويقال: بل هو الأَعْلى الذي تحت الحاجب"(١).

وجاء في لسان العرب لابن منظور (٧١١هـ):"حاجَجْتُه أُحاجُّه حِجاجًا ومُحاجَّةً حتى حَجَجْتُه؛ أَي: غَلَبْتُه بالحُجَجِ التي أَدْلَيْتُ بها.. والتَّحاجُّ: التَّخاصُم، وجمع الحُجَّةِ: حُجَجٌ وحِجاجٌ، وحاجَّه مُحاجَّةً وحِجاجًا: نازعه الحُجَّةَ، والحُجَّة: البُرْهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفِعَ به الخصم"(٢).

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في تفسير قوله تعالى:﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ﴾{البقرة: ٢٥٨}:"ومعنى حاجَّ خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة، ولا يعرف لحاجَّ في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام، ولا تعرف المادة التي اشتق منها، ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى مع أن حاج لا يستعمل غالبًا إلا في معنى المخاصمة، قال تعالى:﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ﴾{غافر:٤٧} مع قوله:﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾{ص:٦٤} وأن الأغلب أنه يفيد الخصام بباطل، قال تعالى:﴿وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾{الأنعام:٨٠}، وقال:﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ﴾ {آل عمران:٢٠}"(٣).

وفي المعجم الاشتقاقي المؤصل لمحمد حسن جبل (١٤٣٦هـ) نجد المعنى المحوري لمادة (ح.ج.ج):"تجوف كهفي صلب أو متين (يحمي ضعيفًا في داخله) -كحِجاج العين (يحمي مقلة العين بكل ما حولها).. والحُجَّة- بالضم: البرهان، وهي من المعنى المحوري كأنها ظرف قوي صلب للرأي يحفظه ويدعمه"(٤).

١. ٢- المعنى اللغوي لكلمة **Argumentation**:

أُخذت كلمة Argument من الفعل اللاتيني Argeue وتعني جعل الشيء واضحًا ولامعًا وظاهرًا وهي بدورها من جذر إغريقي Argues ويعني أبيض لامعًا. وفي الإنجليزية تدور معاني Argue حول: جادل، ناقش، دلل، برهن، زعم. Arguable: موضع أخذ ورد، قابل للنقاش، حجة، علة. Argument: مناقشة، جدال،

(١) الليث بن المظفر: كتاب العين، ت: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، (ح-ج-ج)، ٣/ ١٠.

(٢) ينظر: ابن منظور: لسان العرب، (ح-ج-ج)، ٢/ ٢٢٨.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣/ ٣٢.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ح-ج-ج)، ١/ ٣٧٦و٣٧٨.

مجادلة. Argumentation: مجادلة، محاورة، نقاش، مناظرة، محاجة(١). وفي الفرنسية Arguer تعني: استنتج، برهن، احتج بـ، أثبت. Argument: حجة، دليل، برهان، إثبات. Argumentation: برهنة، تدليل، محاجة، إقامة الحجة(٢).

ويُستخلص من ذلك أن الأصل اللغوي للكلمة في العربية يدور معناه المحوري حول الظرف القوي الصلب الذي يحفظ الرأي ويدعمه، بينما في اللاتينية والإغريقية واللغات المشتقة منهما يدور المعنى حول الوضوح والظهور واللمعان، وكلاهما صفات للحجة والحجاج.

١. ٣- ترجمة المصطلح Argumentation بالحجاج:

اختير اللفظ العربي (الحِجاج) في بلاد المغرب العربي لترجمة مصطلح Argumentation، وأصبح -كما يقول عبد الله صولة-:"يطلق على العِلْم وموضوعه أي على النظرية وعلى المحاجة أيضًا"(٣).

وعن سبب اختيار مصطلح (الحِجاج) وتفضيله على مصطلح (الاستدلال) يقول صولة:"وقد وقع اختيارنا على مصطلح (الحِجاج) نعرّب به مصطلح Argumentation في الفرنسية دون مصطلح الاستدلال لأسباب أهمها أن (الحِجاج) شأن مقابله الفرنسي المذكور، وإن وجد في المنطق وفي العلوم الشكلية عمومًا حيث يرادف البرهان أو الاستدلال (La demonstration)، فإنه قد يوجد في أي خطاب فيه منازعة للرأي وخصومة، سواء كان هذا الحجاج في شكل استدلال أو غيره، ثم إن كلمة الحجاج بحكم صيغتها الصرفية الدالة على معنى المشاركة في تقديم الحجج، وعلى مقابلة الحجة بالحجة، مؤهلة أكثر من كلمة الاستدلال لتؤدي مفهومًا مهمًا جدًا تقوم عليه النظرية الحديثة (L'argumentation) وهو مفهوم المناقشة والحوار؛ فظهر من ذلك أن الحجاج أشمل وأوسع من الاستدلال البرهاني الذي ظل رغم انتقاله بين علوم مختلفة يحافظ على حده المنطقي الأول، فهو على العموم مجرد استنتاج قضية من أخرى استنتاج لزوم وتوقف وضرورة؛ لهذا عد في نظرية الحجاج الحديثة نقيضًا للحجاج الذي ينطلق من مبدأ الحرية ويقوم على الحوار"(٤).

إن مصطلح الحِجاج هو المصطلح الأنسب الذي يتخفف من ثقل مصطلحات الجدل والبرهنة والاستدلال؛ لذا اختير في هذا البحث.

١. ٤- المعنى الاصطلاحي:

تعددت مفاهيم الحجاج لدى الباحثين قديمًا وحديثًا، وإلى ذلك يشير عبد الله صولة بقوله:"وجدنا للحجاج ثلاثة مفاهيم على الأقل:

- مفهوم يجعله مرادفًا للجدل، ونجده خاصة عند القدماء وبعض المحدَثين العرب.
- ومفهوم يجعله قاسمًا مشتركًا بين الجدل والخطابة خاصة، ونجده عند اليونان (أرسطو على سبيل المثال).

---

(١) N.S. Doniach: Oxford English Arabic Dictionary, Oxford University, 1981, p.59.

(٢) القاموس (فرنسي- عربي): مكتب الدراسات والأبحاث بمشاركة مجموعة من الباحثين، ص٥٦.

(٣) عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج - الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكا، ص٢٩٩.

(٤) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٩.

– ومفهوم له في العصر الحديث في الغرب؛ وهو مفهوم أدق وأوضح وأعمق من المفهومين السابقين.

ذلك لأن الحجاج قد أخذ شيئًا فشيئًا في الاستواء مبحثًا فلسفيًا ولغويًا قائم الذات في العصور الحديثة مستقلًا عن صناعة الجدل من ناحية، وعن صناعة الخطابة من ناحية أخرى"(١).

ويضيف صولة في موضع آخر:"وقد أخذت هذه السبيل الثالثة في اللحوب شيئًا فشيئًا منذ ١٩٥٨م تاريخ صدور كتابين في الحجاج يضعانه في إطار فلسفي عام، ولم يكن أحد من المؤلفين على الأرجح بمطلع على ما كان يصنع الآخر، ثم إن الحجاج ما فتئ حتى صار بعد ذلك مع أنسكومبر (وزميله ديكرو خاصة) يعالج في إطار لساني محض أو يكاد، وقد حاول ماير أن يستثمر الجهود الفلسفية واللسانية المذكورة، في مجال الفلسفة بوضع الحجاج في إطار نظرية أوسع هي نظرية المساءلة"(٢).

ومن أهم ما قيل في تعريف الحجاج ما ذكره بيرلمان Perelman وتيتيكا Tytica من تعريفات عدة في مواضع مختلفة من كتابهما أهمها قولهما:"موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو أن تزيد في درجة ذلك التسليم"، وقولهما في موضع آخر:"غاية كل حجاج أن يجعل العقول تذعن لما يطرح عليها من آراء، أو أن تزيد في درجة ذلك الإذعان، فأنجع الحجاج ما وفِّق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب (إنجازه أو الإمساك عنه)، أو هو ما وفِّق على الأقل في جعل السامعين مهيئين للقيام بذلك العمل في اللحظة المناسبة"(٣).

ويذكر بلانتان Plantin في كتابه مجموعة من التعريفات(٤):

أ- الحجاج عملية تعتمد على ملفوظ مثبت (مقبول) هو الحجة، قصد بلوغ ملفوظ (أقل قبولًا) هو النتيجة.

ب- يُعرف الحجاج على أنه كل خطاب قابل للتحليل حسب عناصر الخطاطة (أي خطاطة تولمين).

ج- من وجهة نظر التحاور يمكن أن يعتبر حجاجيًا كل خطاب أُنتج في مقام نقاش موجه بسؤال.

د- الحجاج هو مجموع التقنيات (الواعية أو غير الواعية) التي تعطي مشروعية لمعتقدات وسلوكات، وهو يروم أن يؤثر في معتقدات من يستهدف وسلوكاتهم (الواعية أو غير الواعية) أو يغيرها أو يدعمها.

ويفضل بلانتان Plantin التعريف الأول كونه يقتصر على الأدوات اللغوية، أما التعريف الأخير فهو من وجهة نظره تعريف واسع يشمل الآليات اللغوية وغير اللغوية، ويدخل فيه المؤثرات الاجتماعية والنفسية.

والحجاج عند أندرسين Andersen ودفر Dover:"طريقة لاستخدام التحليل العقلي والدعاوى المنطقية، وغرضها حل المنازعات والصراعات، واتخاذ قرارات محكمة، والتأثير في وجهات النظر والسلوك"(٥).

وفي الثقافة العربية يعرفه طه عبد الرحمن بقوله:"حد الحجاج أنه كل منطوق به موجه إلى الغير؛ لإفهامه دعوى

---

(١) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٨و٩.

(٢) المرجع السابق، ص٢١.

(٣) نفسه، ص٢٧.

(٤) ينظر: بلانتان: الحجاج، ت: عبد القادر المهيري، ص٤٣و٤٤.

(٥) محمد العبد: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع، ص٤٣.

مخصوصة يحق له الاعتراض عليها"(١).

ويُستخلص من هذه التعريفات أن الحجاج بمفهومه الحديث يهتم بمعرفة الكيفية التي تُستخدم بها اللغة ووسائلها المختلفة في التأثير على المخاطَبين، على اختلاف في درجة هذا التأثير (تسليم، تغيير، إفهام ..إلخ).

١. ٥– العلاقة بين الحجاج واللسانيات:

تختلف رؤى الحجاج ومفاهيمه لدى الباحثين وفق المنطلقات المختلفة لكل باحث، فالحجاج يتميز بكثرة الحقول المعرفية التي تتناوله كالفلسفة، والمنطق، واللسانيات، والقانون، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وتخصصات أخرى كثيرة.

وما يهمنا هنا هو معرفة العلاقة بين الحجاج بمفهومه الحديث من جهة واللسانيات من جهة أخرى، والتداولية منها على وجه الخصوص، وقد وجدتُ من الباحثين من يعدّ الحجاج أحد أهم أركان التداولية إلى جانب نظرية الأفعال الكلامية، حيث يقول صابر الحباشة:"إن أخذ الحجاج في الاعتبار في الدراسات التداولية هي خصيصة للسنوات الثمانين من القرن العشرين، تشهد على ذلك البيبليوجرافيا وتوضحه المفاهيم"(٢).

لكن هذه العلاقة القوية لما تأت دفعة واحدة فقد مرت العلاقة بين الحجاج واللسانيات أو اللغة عمومًا بمراحل متعددة، تتمثل في(٣):

المرحلة الأولى: تميزت بالنظر إلى اللغة والحجاج كأنهما منفصلان بصورة تامة.

المرحلة الثانية: حصل نوع من التفاعل مع الفلسفة التحليلية مع بقاء استقلال الحجاج عن اللغة في هذه المرحلة. وبدأ الحديث عن انعكاس الحجاج في اللغة عبر بعض الخصائص الدلالية التي تميز الملفوظات.

المرحلة الثالثة: ويمثلها ديكرو وأنسكومبر وفيها التأكيد على أن اللغة مشبعة بالقيم الحجاجية بجانب القيم الخبرية لها.

المرحلة الرابعة: أصبحت فيها الدراسة تميل إلى موقف جذري لا يرى في الجمل اللغوية برمتها إلا مظاهر لحركة حجاجية شاملة.

المرحلة الخامسة: وهي المرحلة الراهنة وتتميز بالمراجعة الشاملة لعلاقة الحجاج باللغة.

وبصورة أوضح يتحدث العزاوي عن أبرز الاتجاهات اللسانية وموقفها من الحجاج وعلاقته باللغة، فيذكر من تلك الاتجاهات(٤):

أ– التيار الوصفي: ويذهب متبنو هذا الاتجاه إلى أن كل قول إثباتي هو تمثيل ووصف للواقع، وغالبًا ما يستعملون مصطلحات ومفاهيم ذات أساس صدقي، وتتمثل الفرضية الأساسية لهؤلاء الوصفيين في عدّ المعنى الوصفي معنى أولًا، وعدّ المعنى الإنجازي أو التكليمي معنى ثانويًا أو هامشيًا، ويمثل هذا الاتجاه ألفرد تارسكي A.

---

(١) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٢٦.

(٢) صابر الحباشة: الحجاج والتداولية، ص١٦.

(٣) ينظر: رشيد الراضي: مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، مجلة عالم الفكر، ص١٩٥و١٩٦.

(٤) ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص٣٤–٣٧.

Tarski ولويس D. Lewis وكثير من النظريات اللغوية المعاصرة.

ب– التيار اللاوصفي: ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن عددًا كبيرًا من الأقوال الإثباتية الإخبارية ليست إثباتات حقيقة، وأنها تمكّن من إنجاز أفعال لغوية، ويمثله أوستن Austin وسيرل Searle.

ج– الحجاجية الضعيفة: ويتعلق بمعالجة لسانية للحجاج، لكن هؤلاء يرفضون إدراج الحجاج ضمن ميكانزمات اللغة، ويرفضون عدّه من الأوليات اللغوية والدلالية، ويرفض بعضهم مثلا عدّ مفهوم السلم الحجاجي الذي اقترحه ديكرو من العناصر الأولية في النظرية الدلالية، ويقلل بعضهم من دور المؤشرات الحجاجية مفترضًا أنها ليست إلا رموزًا وعلامات للحجج، ويمثل هذا الاتجاه جيل فوكونيي G. Fauconnier وهنين نولكه H. Nolke وروبير مارتان R. Martin.

د– نظرية الحجاج في اللغة: التي تندرج تحت ما يمكن تسميته بالدلاليات غير الإخبارية التي تعد المحتوى الإخباري أو المضمون الوقائعي ثانويًا بالقياس إلى المكونات الدلالية الأخرى، وتعد المكونات والظواهر الحجاجية أساسية وجوهرية، وأن تسلسل الأقوال والجمل لا يعتمد المعنى الإخباري أو المحتوى الإعلامي، وإنما يعتمد بالأساس المعنى الحجاجي أو القيمة الحجاجية للقول، وقد يتعارض المعنى الإخباري والمعنى الحجاجي أحيانًا، ويمثل هذا الاتجاه أزفالد ديكرو O.Ducrot وجون كلود أنسكومبر Anscombre.

والخلاصة أن هناك من يرى أن الحجاج واللغة منفصلان تمامًا، وعليه فلا تدخل دراسة الحجاج في الدراسة العلمية للغة، وعلى النقيض هناك من يرى أن الحجاج قائم على جوهر اللغة نفسها، فهو يشمل كل قول، وبين هذا وذاك اتجاهات مختلفة، والقول الوسط في ذلك كما يقوله صولة:"ما كل قول بحجاج، وليست اللغة بكل وحداتها المعجمية ذات طاقة حجاجية في ذاتها"(١).

---

(١) عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٤٠.

٢- الحجاج في اللسانيات الغربية.

إن العصر الحديث يشهد ذروة الاهتمام بالحجاج ووسائله وآلياته تنظيرًا وتطبيقًا عند الغربيين، حتى أصبح سمة بارزة في الدراسات المتعلقة بفلسفة اللغة ونظريات تحليل الخطاب في المجتمعات الغربية، وإن محاولة التعرف على النظريات الحجاجية المعاصرة تدفع الباحث إلى النظر في الأصول التاريخية للحجاج، فالاهتمام بالحجاج في الثقافة الغربية المعاصرة ضارب بجذوره إلى الحضارة اليونانية، وإلى جهود فلاسفة اليونان قديمًا، كما أن للحجاج علاقة قوية بالبيئة الحضارية والحالة السياسية المحيطة، فالممارسات الحجاجية تنشط وتزدهر في أجواء من الحرية، وقبول الرأي والرأي الآخر، وتضمحل في أجواء الكبت السياسي، والديكتاتورية، والرأي الأوحد الذي يهمل التعددية والشورى.

لقد مر الحجاج في الثقافة الغربية بفترات متباينة يمكن تلخيصها في أربع مراحل مهمة وهي(١):

١- فترة التأسيس: وهي مرحلة الكتابات الأولى في البلاغة وتعليم الكتّاب الذين كانوا يعدون المرافعات عن المتهمين وللشاكين، وهذه المرحلة تتزامن مع التعليم السفسطائي، كما أنها الفترة التي ترسخت فيها الديمقراطية اليونانية، وتمتد هذه الفترة من منتصف القرن الخامس وحتى منتصف القرن الرابع قبل الميلاد.

٢- فترة النضوج: وهي أوج فترة أرسطو، وقد قام هذا الفيلسوف الكبير بعملية قطع مع ميراث (صناع الكلام) technologies الذين كان سلوكهم في الفترة السابقة منافيًا للأخلاق، وساد كتابه (البلاغة) الذي من المحتمل أن يكون قد كتبه بين عامي ٣٢٩-٣٢٣ ق.م من الناحية النظرية في هذا المجال حتى يومنا هذا، فكانت هذه البلاغة الأرسطية المرشد لثقافة الحجاج، التي انتشرت في إطار الجمهورية وبداية الإمبراطورية، والتي شهدت كبار الخطباء شيشرون Cicéron وكنتيليان Quintilien وهم ينسقون وينظمون ويعممون معايير الخطاب الإقناعي.

٣- فترة الانحطاط: وهي مرحلة تدهور نظرية الحجاج في داخل البلاغة، وتمتد هذه المرحلة من نهاية الإمبراطورية الرومانية حتى منتصف القرن العشرين، وفيها تحولت البلاغة إلى مجرد نظرية في المحسنات والصور الأسلوبية، أما جزء الحجاج منها ففقد مكانه تدريجيًا في ظل التصاعد القوي للبرهان في العلوم البحتة والتجريبية وبعض فلسفة الوضوح évidence.

٤- فترة التجديد: وهي مرحلة انبعاث (البلاغة الجديدة) خاصة مع كتابات الفيلسوف والقانوني البلجيكي شاييم بيرلمان، وكتابات تولمن حول الحجاج في النطاق الأنجلو-سكسوني.

وقبل أن أبدأ الحديث عن النظريات المعاصرة في الحجاج، للتعرف على أهم أعلامها وأشهر مصطلحاتها، وأبرز آلياتها ووسائلها، أعرض لأهم المحطات التي مر بها الحجاج في الثقافة اليونانية القديمة، منذ معلمي البلاغة الأوائل والسفسطائيين، مرورًا بسقراط وأفلاطون وانتهاءً بأرسطو.

---

(١) ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ت: محمد الغامدي، ص١٨و١٩.

٢. ١- الحجاج في الفكر اليوناني القديم:

يشير رولان بارت (١٩٧٠م) إلى أن البلاغة ولدت من المرافعات في قضايا الملكيات في سيراقوسه Syracuse فقد تأثرت المدينة التي عرفت عقودًا من الاستبداد بالثورة الديمقراطية اليونانية التي كانت تعطي للكلام دورًا كبيرًا، وكان يتمثل ذلك بجلاء في مدينة أثينا، ونتج عن هذا خلق فضاء اجتماعي جديد يحتل فيه الأفراد جميعًا مواقع متماثلة، إنه المجمع (الجورا L'agora) الذي يصفه جان بيير فيرنان بالقول إنه:"يشكل مركزًا لفضاء عام، يعني مجرد دخوله المساواة بين الحضور.. وفي هذا الفضاء السياسي يدخل الموجودون في علاقة تبادلية كاملة" هذه الثورة الفكرية التي حدثت بين القرن الثامن والقرن السابع قبل الميلاد، تحولت مباشرة إلى إعلاء شأن الكلام بشكل يتجاوز كل وسائل السلطة والسيطرة الأخرى، إذ أصبح الكلام كما يقول فيرنان:"أداة السياسة بامتياز، ومفتاح كل سلطة في الحكومة، ووسيلة القيادة والسيطرة على الآخرين" من هنا ظهرت مؤسسات جديدة، وشكل جديد للعدالة(١).

ظهر في هذا المناخ فلاسفة كبار كان لهم تأثير كبير فيمن بعدهم، ومن أهم هؤلاء فلاسفة:

٢. ١. ١- كوراكس:

كان من أوائل معلمي البلاغة، وبطريقة أو بأخرى مخترعها، اليوناني كوراكس Corax، الذي كتب وقتها كتيبًا مفقود منذ ذلك الوقت، صار الأساس الذي بنى عليه كل الخطباء من بعده، وكان موجهًا إلى الكتّاب الذين امتهنوا كتابة الخطب والمرافعات، وقدّم فيه مجموعة من الآليات التي تساعد على الحجاج بطريقة فعالة أمام المحاكم، مما يفيد أن البلاغة ولدت في سياق قضائي، ولم يصلنا منه سوى آثار غير مباشرة عبر أرسطو الذي يستشهد به، ويعدّ أول من وضع الأجزاء الكبرى للخطاب.

وتتلخص نظرته لأجزاء الخطاب البلاغي في الجدول التالي(٢):

الاستهلال	تقديم الأحداث	المناقشة	الخاتمة
استرعاء انتباه المتلقي	عرض القضية	تقديم الحجج الداعمة للقضية	الانتهاء من خلال صيغة تلخيصية

٢. ١. ٢- زينون الإيلي (٤٩٠ – ٤٣٠ ق.م):

أحد فلاسفة ما قبل سقراط عاش زينون في القرن الخامس قبل الميلاد، من إيليا وهي مدينة يونانية على الساحل الجنوبي لإيطاليا. ويمكن عدّ زينون هو مخترع الجدل الفلسفي، فزينون وجد في بداية عصر السفسطائيين، وكانت للفلسفة في زمانه منزلة عظيمة، فقد كان حكام أثينا وأصحاب الرأي فيها يستقدمون الفلاسفة ويستضيفونهم في بيوتهم ويغدقون عليهم الأموال ويستمعون إليهم ويتعلمون على أيديهم، وقد قال أرسطو عن زينون إنه مؤسس علم الجدل، من حيث إنه كان يسلم بإحدى قضايا خصومه ويستنتج منها نتيجتين متناقضتين ويثبت بذلك بطلانها(٣).

---

(١) ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ت: محمد الغامدي، ص٢٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠و٢١.

(٣) موسوعة ويكيبيديا الحرة على الإنترنت. وينظر: ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة؛ دراسة تداولية، دكتوراه، الجزائر، ٢٠١٠م، ص١٩.

٢. ١. ٣- السفسطائيون:

لم يكتف السفسطائيون بأن يكونوا منظرين أو مفكرين، وإنما اختاروا أن يكونوا معلمين محترفين، غرباء متنقلين، يتاجرون بحكمتهم، وثقافتهم، وقدراتهم. ولكنهم في الوقت ذاته كانوا أشخاصًا لهم قوة، يعرفون كيف يقنعون القضاة، وكيف يغيرون رأي الجموع وكيف يؤدون المهام على أفضل وجه، وكيف يضعون القوانين لمدينة جديدة، وكيف يؤهلون الناس للتعامل مع الديموقراطية .. باختصار كانوا يؤدون عملًا سياسيًا.

إن إسهام السفسطائيين في نظرية الحجاج يبقى جوهريًا وكذلك أفكارهم عن اللغة، فلقد وضعوا على سبيل المثال نظامًا لاستخدام محسنات التأطير التي تسمح بتقديم وجهة نظر، أو تصويب رؤية، أو ميزة لموضوع، أو لرأي ما(١).

٢. ١. ٣- سقراط:

لم يرفض سقراط البلاغة ولكنه سعى لتوسيع دائرة استخدامها من جهة، وربطها بمناهج البحث عن الحقيقة من جهة أخرى. ويعرف سقراط البلاغة بقوله:"امتلاك التأثير على الأنفس"، ولكنه يضيف أن هذا لا يتعلق فقط بالخطابات التي توجه في المحاكم والاجتماعات العامة، وإنما أيضًا بتلك التي تستخدم في الاجتماعات الخاصة، وأن الأمر يتعلق بفن لا يختلف وفقًا لصغر أو كبر الموضوع المطروح للنقاش.

وكان سقراط يرى أن الخطباء لم يكونوا يستخدمون سوى تقنيات غير متقنة، وقد اقترح بداية نهجين من المفيد أن يتيح لنا الفن اكتساب قوتهما وهما(٢):

- التوليف: الذي يسمح بتجميع عناصر مشتتة في كل الجهات في شكل واحد.
- التقسيم (التحليل): الذي يسمح بعملية معاكسة وهي تقسيم العناصر باتباع ترابطها الطبيعي.

ومن يتبع هذه الطرق يسمى (جدليًا)، وبعد ذلك اقترح سقراط أن يتم إكمال هذا المنهج من خلال معرفة الجمهور المراد إقناعه.

٢. ١. ٤- أفلاطون:

جعل أفلاطون من الجدل منهجًا فلسفيًا، فهو بالنسبة له صناعة، وهو يقترب عنده اقترابًا شديدًا من العلم، ومن خلاله نقل الحجاج من مجال الظن والاحتمال إلى مجال الحقيقة، ولما كان الجدل هو فن الحوار والمناقشة، بواسطة السؤال والجواب، فضلا على أنه فن تصنيف المفاهيم وتقسيم الأشياء إلى أجناس وأنواع، فإن أفلاطون قدم ممارسته لهذا الفن من خلال أركان رئيسة تتمثل في(٣):

١- المنهج الجدلي: ويتمثل في خطوتين متواليتين ومتعاكستين: الأولى: استكشاف الحجج، وهي سيرورة صاعدة تسمح ببلوغ الفكرة العليا، فكرة الخير. الثانية: تنظيم أجزاء القول، وهي سيرورة هابطة تجعل بتوالي الأجزاء المقسمة بشكل مناسب اجتياز مرتبة الأجناس حتى الأنواع الأخيرة.

---

(١) فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ت: محمد الغامدي، ص٢٣و٢٤.

(٢) المرجع السابق، ص٢٥و٢٦.

(٣) ينظر: ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة؛ دراسة تداولية، دكتوراه، الجزائر، ٢٠١٠م، ص٢٨.

٢- مبدأ التناسب بين القول والسامع: ويتمثل في معرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل.

٣- مبدأ التناسب في الأسلوب وهو معرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب، أي مراعاة المقام والحال.

٢. ١. ٥- أرسطو:

كانت تصورات أرسطو تتعارض مع الآلية السفسطائية ومع ردة الفعل النخبوية لأفلاطون، فقد جعل البلاغة أو الخطابة آلية غير مبالية حينًا بالأخلاق لكنها ليست منافية للحس الأخلاقي أو ضده، ومن جهة أخرى جعل من البلاغة تقنية حجاجية لما هو قابل للصواب، وليس للحقيقة، والفرق كبير جدا، هذا الفصل المزدوج عن الأخلاق وعن الحقيقة حرر البلاغة وسمح لها أن تتطور كتقنية ذات مشروعية في المناظرات داخل الفضاء العام للمدينة(١).

استطاع أرسطو أن يوسع حقل البلاغة لأبعد من المجال القضائي، بحيث يشمل كل الأماكن التي يستخدم فيها الحجاج، وهكذا لم تعد البلاغة تعرف بأنها "فن الإقناع"، وإنما " القدرة على الكشف بتفكر عند كل حالة عما يمكن أن يكون مقنعًا فيها". يقول حمادي صمود:"الخطابة عند أرسطو صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش، بمعنى أنها علاقة بين طرفين تتأسس على اللغة والخطاب، يحاول أحد الطرفين فيها أن يؤثر في الطرف المقابل جنسًا من التأثير يوجه به فعله، أو يثبت لديه اعتقادًا، أو يمليه عنه، أو يصنعه له صنعًا"(٢).

الضروب الخطابية عند أرسطو(٣):

ضرب الخطاب	طبيعة الخطاب	القيم المساعدة	زمنية الخطاب	الموقف الخطابي	إجراءات الحجاج	نوع الخطيب	شكل الخطاب	الموضوع الذي يتناوله
الاستدلالي	المدح، الذم	الجمال، الفضيلة، القبح	الحاضر	المدح أمام العموم	التعظيم	سفسطائي	خطبة في المدح أو الرثاء	القيم
القضائي	الحكم	العدل والظلم	الماضي	المحكمة	القياس المضمر	متهم أو مشتك	مرافعة	البراءة، الإدانة
الاستشاري	استشارة واتخاذ قرار	المفيد، الضار، السعادة	المستقبل	الجورا، جمعية وطنية	المثال	مواطن	خطبة	الميزانية، الأمن، الاقتصاد، القانون

وفرق أرسطو بين ثلاثة أنواع من الأدلة التي يضعها خطاب الحجاج موضوع التنفيذ: تلك التي تعتمد على شخصية الخطيب، وتلك المعتمدة على فحوى الخطاب ذاته، وأخيرًا تلك المعتمدة على مشاعر المتلقي.

إن لب خطاب الحجاج مركب من استدلال يقدمه أرسطو فيما يشبه البرهان وهناك نوعان ممكنان فقط من الاستدلال(٤):

---

(١) ينظر: فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ت: محمد الغامدي، ص٢٧و٢٨.

(٢) حمادي صمود: مقدمة في الخلفية النظرية للمصطلح ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج، ص١٢.

(٣) فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ت: محمد الغامدي، ص٣٠.

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص٣٢و٣٣.

– المثال: الاعتماد على حالة أو أكثر شبيهة بتلك التي نود الإقناع بها، وذلك لاستنباط الدقة أو المشروعية.

– والقياس المضمر: نوع من القياس المؤلف الذي ينتمي لقابلية الصواب، وفي هذه الحالة يكون الانطلاق من مقدمة ما بهدف استنتاج فكرة جديدة ومختلفة، لكنها ناتجة بالضرورة من تلك المقدمة.

المعايير التقليدية لبناء الخطاب البلاغي(١):

مراحل تنفيذ خطاب الحجاج	أسئلة محددة	النظريات المستخدمة
الإبداع	ما القضية المدافع عنها؟ ما المسلمات التي ترتكز إليها؟ ما الحجج التي يجب استخدامها للدفاع جيدًا عنها؟	– المسلمات (معرفة المتفق عليه والآراء المتعارف عليها) – نظرية الاستدلال: * القياس المضمر * المثل
التنظيم	كيف يتم تركيب الحجج داخل الخطة العامة؟ ما التدرج الأفضل للحجج؟	– نظرية الخطة: * الاستهلال * عرض الوقائع * النقاش * الختام
التعبير	ما الصور الأسلوبية الأكثر توافقًا؟ كيف يقوم الخطيب بتقديم نفسه؟ كيف يأخذ المتلقين في اهتماماته؟	– الأسلوب (الخطاب) – صورة الخطيب النصية – مشاعر المتلقي
الاستظهار	كيف يقوم الخطيب بتفعيل ذاكرته؟ كيف يدخل في علاقة مع ذاكرة متلقيه؟ كيف يستخدم الذاكرة الجماعية؟	– منهج المسلمات
الفعل	أي ضرب من ضروب الخطاب؟ ما نوعية المتلقي؟ ما نوعية المواقف الخطابية؟	دور السياق في عملية تلقي الحجة ضروب الخطاب الثلاثة: * القضائي (المنصف والجائر) * الاستشاري (المفيد والضار) * الاستدلالي (السامي والوضيع)

إن بيئة الحضارة اليونانية والجو الديمقراطي الذي تمتعت به إلى حد كبير، والانفتاح على الرأي والرأي الآخر، ساعد بشكل واضح فلاسفة اليونان على تناول الظواهر المرتبطة بالممارسة الحجاجية بدرجة عالية من الدقة والشمول، وساعدهم أيضًا على التنظير لفني الخطابة والجدل، مبينين من خلال ذلك الإستراتيجيات المستخدمة في الإقناع والتي هي لب الحجاج.

وبعد هذه الفترة التي يمكن عدّها مرحلة التأسيس والنضوج ظهرت مرحلة التدهور لنظرية الحجاج في داخل البلاغة، وتمتد هذه المرحلة من نهاية الإمبراطورية الرومانية حتى منتصف القرن العشرين، وفيها تحولت البلاغة إلى مجرد نظرية في المحسنات والصور الأسلوبية، أما جزء الحجاج منها ففقد مكانه تدريجيًا في ظل التصاعد القوي للبرهان في العلوم البحتة والتجريبية وبعض فسلفة الوضوح، حتى أتت فترة التجديد وهي مرحلة انبعاث (البلاغة الجديدة).

(١) فيليب بروتون وجيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ت: محمد الغامدي، ص٣٧.

٢. ٢– النظريات الغربية الحديثة:

النظريات الغربية الحديثة التي اهتمت بالحجاج كثيرة ومتعددة، مثل: نظرية (الخطابة الجديدة) لبيرلمان وتيتيكا، ونظرية (المساءلة) لمايير، و(نظرية الحجاج في اللغة) لديكرو وأنسكومبر، وغير ذلك، وقد اخترت من تلك النظريات أهم نظريتين –من وجهة نظري– لأتكلم عنهما بصورة مختصرة، ثم أطبق أهم معطياتهما على الآيات في مبحث التحليل.

٢. ٢. ١– الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا و"نظرية الخطابة الجديدة"[١]:

يمثل كتاب "مصنف في الحجاج، الخطابة الجديدة" لشايم بيرلمان[٢] Chaïm Perelman ولوسي أولبريخت تيتيكا Lucie Olbrechts Tytica الذي نشر في عام ١٩٥٨م أوْج ما توصلت إليه المدرسة البلجيكية، ففي الكتاب نظرية حجاجية معاصرة لها أسس ومبادئ تقوم عليها[٣]، ويتمثل فضل كتاب بيرلمان وتيتيكا في أنه حاول بصراحة وبجرأة في أحيان كثيرة أن يخلص الحجاج من ربقة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة، مقربًا إياه من مجالات استخدام اللغة، مثل مجال العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون[٤].

٢. ٢. ١. ١– مفاهيم الحجاج والاستدلال والخطابة والجدل:

يستخلص عبد الله صولة أن الحجاج عند المؤلفين يستند إلى صناعة الجدل من ناحية وصناعة الخطابة من ناحية أخرى، بكيفية تجعل الحجاج شيئًا ثالثًا، لا هو بالجدل ولا هو بالخطابة، ولكنه (خطابة جديدة)، ويضيف في موضع آخر:"وتكمن طرافة مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا –حسب رأينا– في جعلهما الجدل في خدمة الخطابة، والخطابة غاية الجدل، فهو لها عماد وهي له امتداد"[٥].

ويبين صولة من خلال كلام المؤلفين أن تحقيق الاقتناع La Conviction الذي هو غاية الحجاج يقع في منطقة وسطى بين الاستدلال La Démontration والإقناع La Persuasion.

ويفرق المؤلفان بين الحجاج والاستدلال من حيث:

– الاستدلال يقتضي أن تكون كافة عناصره المكونة له غير قائمة على التعدد والاشتراك، فهي أحدية المعنى Univoque، بحيث تكون هذه العناصر مما يفهمه الناس جميعًا بدون اختلاف بينهم، ولا يثير تأويلها أي مشاكل

---

(١) ألخص في هذا الجزء ما كتبه عبد الله صولة عن هذه النظرية في كتابيه (الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكا) ضمن مؤلف مشترك بإشراف حمادي صمود. وكتابه (الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية). والحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان.

(٢) ولد شاييم بيرلمان سنة (١٩١٢– ١٩٨٤م) في مدينة وارسو في بولندا، ثم هاجر إلى بلجيكا سنة ١٩٢٥م، حيث اشتغل إلى حدود سنة ١٩٧٨م أستاذًا للمنطق والأخلاق والميتافيزيقا بجامعة بروكسل الحرة، ومن أهم أعماله: الخطابة والفلسفة ١٩٥٢م، مصنف في الحجاج — الخطابة الجديدة ١٩٥٨م وهما بالاشتراك مع تيتيكا، العدل والعقل ١٩٦٣م، القانون والأخلاق والفلسفة ١٩٦٨م، حقل الحجاج ١٩٦٩م، المنطق القضائي ١٩٧٦م، إمبراطورية الخطابة ١٩٧٧م، المعقول وغير المعقول في القانون ١٩٨٤م سنة وفاته.

(٣) ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، دكتوراه، ص٧٢.

(٤) عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكا، ص٣٤٨.

(٥) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٢٨.

أو مسائل خلافية بينهم، بينما في الحجاج يكون التعدد والاختلاف.

- والاستدلال غير مرتبط كذلك بمقام مخصوص، بينما في الحجاج الخصوصية والارتباط بالمقام.

- إن الحجاج مجاله الخطابة أو هو أقرب إلى الخطابة في حين أن الاستدلال مجاله المنطق.

يرى المؤلفان أن الحجاج غايته إحداث التأثير العملي الذي يمهد له التأثير الذهني، بحيث يبدو المؤلفان يجمعان بين جدل أرسطو وخطابته معًا، ويبدو هذا فعلًا في تعريفهما للحجاج بكونه:"العلاقات الجدلية القائمة بين الفكر والعمل"، إن الحجاج لما كانت وجهته هي المستقبل كانت الغاية منه أن يؤدي إلى حصول عمل ما أو الإعداد له، ويكون ذلك بالتأثير في الذهن بواسطة الوسائل الخطابية.

إن الحجاج عند المؤلفين غير الخطابة، فهو يختلف عنها من جهتين:

أ- من جهة نوع الجمهور: تقصر الخطابة جمهورها على الجماعة المجتمعة في الساحة تستمع إلى الخطيب، أما جمهور الحجاج كما يراه المؤلفان يمكن أن يكون عامًا، حاضرًا أو غائبًا، وقد ينشأ بين شخصين اثنين متحاورين، أو بين المرء ونفسه.

ب- من جهة نوع الخطاب: تحصر الخطابة الخطاب فيما هو شفوي؛ أما الخطاب الحجاجي عند المؤلفين يمكن أن يكون منطوقًا أو مكتوبًا، بل إنهما ليلحان على المكتوب، ولا يكادان يأخذان أمثلتهما إلا مما هو مكتوب.

٢. ٢. ١. ٢- منطلقات الحجاج:

وإن كان الفصل بين منطلقات الحجاج وتقنياته فصلًا متكلفًا، ولكنه فصل منهجي كما يقول المؤلفان، وتتمثل منطلقات الحجاج في:

٢. ٢. ١. ٢. ١- مقدمات الحجاج والموافقة عليها:

وهي المقدمات المتعلقة بالقضايا التي منها يكون الانطلاق، ومنها: الوقائع والحقائق والافتراضات والقيم وهرمية القيم والمعاني أو المواضع.

أ- الوقائع Les Faits: وتمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس، ولا تكون عرضة للدحض أو الشك، وهي نوعان: وقائع مشاهدة معاينة، ووقائع مفترضة.

ب- الحقائق Vérités: ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية.

ج- الافتراضات Les Présomption: وهي تحظى بالموافقة العامة، ولكن التسليم بها لا يكون قويًا حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويها، وهي تحدد بالقياس إلى العادي أو المحتمل وهما يتغيران بتغير الحالات.

د- القيم Les Valeurs: إن القيم عليها مدار الحجاج بكل ضروبه، وهي لئن خلت منها الاستدلالات ذات البعد العلمي، فإنها تمثل بالنسبة إلى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء أساسيًا، وهي نوعان: قيم مجردة من قبيل الحق والعدل، وقيم محسوسة من قبيل الوطن مثلا.

هـ- الهرميات Les Hiérarchies: إن القيم ليست مطلقة وإنما هي خاضعة لهرمية ما، فـ(الجمال) درجات وكذلك (النفع)، وهي نوعان:

– مجردة: مثل عدّ العدل أفضل من النافع – مادية محسوسة:كعدّ الإنسان أعلى درجة من الحيوان.

و– المعاني أو المواضع Les lieux: وهي عند شيشرون Ciceron مخازن للحجج أو مستودعات حجج، وتنقسم إلى مواضع مشتركة ومبتذلة. وهي أنواع:

الأول– مواضع الكم Lieux de quantité: وهي المواضع التي تثبت أن شيئًا ما أفضل من شيء آخر لأسباب كمية، مثل أن المال الأوفر أفضل من المال الأقل.

الثاني– مواضع الكيف Lieux de qualité: وهي ضد الكم من حيث إنها نسيج وحدها، فهي واحدة ضد جمع، وتستمد قيمتها من وحدانيتها تلك، مثل الحق الذي لا يمكن إلا أن يعلو ولا يعلى عليه مهما كان عدد خصومه وأعدائه كثيرًا.

الثالث– مواضع أخرى: مثل مواضع الترتيب كعدّ السابق –مثل المبادئ والقوانين في التفكير غير الاختباري– أفضل من اللاحق، وهي الوقائع التي تنتج عن تطبيق تلك المبادئ.

ومنها مواضع الموجود Les Lieux D'existant: التي تقول بفضل الموجود والراهن والواقع على المحتمل والممكن أو غير الممكن.

وكل هذه المقدمات يمكن ردها إلى ضربين اثنين: ضرب مداره على الواقع Le Réel وهو المتعلق بالوقائع والحقائق والافتراضات، وضرب مداره على المؤثر والمفضل Le Préférable وهو المتعلق بالقيم ومراتبها ومواضع الأفضل فيها، كما أن هذه المقدمات تخضع للاختيار، ويقع هذا الاختيار على أساس نوعية الجمهور المتلقي للحجاج، وأهم وسيلة تعتمد في تقديم هذه العناصر المنتقاة وسيلة الحضور La Présence ويتمثل ذلك في استحضار العنصر المنتقى للمحاجة، وجعله ماثلًا بين أعين المخاطبين وفي أذهانهم.

واختيار هذه المقدمات بدوره يخضع لطريقة العرض، علمًا بأن اختيار عناصر الحجاج وعرضها عمليتان متداخلتان إلى حد أنهما تشكلان عملية واحدة، ويرى المؤلفان أنه لا فصل بين الشكل والمضمون في شأن الخطابة، وأنه لا يمكن دراسة البنى الأسلوبية منفصلة عن أهدافها الحجاجية.

٢. ٢. ١. ٢. ٢– صيغ الحجاج اللفظية:

حاول المؤلفان ضبط الصيغ التعبيرية والموجهات التعبيرية التي لها دور حجاجي في عرض المعطيات، ومن ذلك النفي و طرائق الربط بين القضايا بواسطة أدوات الاستئناف فهي تبني النتيجة على السبب أو تحدث هرمية في شأن القيم، ومنها عبارات من قبيل: رغم أن، وإن كذا، فهي من التقنيات التي تتيح للخطيب سلاسة انقياد السامعين.

لقد حصر المؤلفان الموجهات بالمعنى اللساني التي لها دور حجاجي في عرض المعطيات في أربعة هي:

١– التوجيه الإثباتي Modalité Assertive: ومن شأنه أن يستخدم في أي حجاج.

٢– التوجيه الإلزامي Modalité Injonctive: وصيغته اللغوية هي الأمر، لكن ليس لهذه الصيغة قوة إقناعية، وذلك على عكس ما قد يعتقد، إذ يستمد الأمر طاقته الإقناعية من شخص الآمر وليس من ذات الصيغة، ولهذا يتحول الأمر إلى معنى الترجي حين لا يكون الآمر مؤهلًا شرعيًا لتوجيه الأوامر.

٣- التوجيه الاستفهامي Modalité Interrogative: وهي ذات قيمة خطابية جليلة إذ يفترض السؤال شيئًا تعلق به ذلك السؤال، ويوحي بحصول إجماع على وجود ذلك الشيء، كما أن اللجوء إلى الاستفهام قد يهدف أحيانًا إلى حمل من وجه إليه الاستفهام على إبداء موافقته -إذا أجاب- على ما جاء الاستفهام يقتضيه.

٤- التوجيه بالتمني Modalité Optative: ومداره على الصيغ المفيدة تمنيًا، وهذه الصيغ يستفاد منها الاعتماد على فكرة ما أو رأي ما تقر به المجموعة.

وصيغ لغوية أخرى لها بعد حجاجي شأن الأزمنة، وشأن استخدام الضمائر يعوض بعضها بعضًا، ومجال هذه الصيغ التوجيهية في الحجاج أوسع بكثير من مجال التوجيهيات المنطقية، وقد حصرها المناطقة في اليقين والإمكان والضرورة، فالهدف من الحجاج ليس تدقيق بعض الجهات المنطقية للقضايا بقدر ما هو توفير الوسائل المفضية إلى إقناع الجمهور وحمله على التصديق من خلال التنويع في ضروب التعبير عن الفكرة.

على أن من الصيغ اللغوية ما يتجاوز مجرد إحداث التأثير الحجاجي في الجمهور إلى الاتحاد مع هذا الجمهور فكرًا ووجدانًا، من ذلك القوالب المكرورة وهي حسب المؤلفين من إنتاج الاجتماع القائم على الطبقية والهرمية حيث الخضوع للشعائر وللسنة والعادة يجعل الكلام بدوره تعابير وصيغًا لغوية شعائرية أي قوالب جاهزة، وذلك على عكس الكلام في المجتمعات القائمة على المساواة بين أفرادها حيث يكون التشديد على ركن المسند في الجملة أي على اللفظ الذي يحمل موقف الذات المتكلمة وتقويمها الخاص للناس والأشياء.

ومن الأشكال أو الصيغ اللغوية ذات المدى الحجاجي الوجوه أو الصور البلاغية Figures التي كثيرًا ما نظر إليها نظرة أدبية حصرتها في وظيفة التحسين والتزويق، إن ما يهم صاحبي "مصنف في الحجاج" هو النظر إلى بعض الصور البلاغية بعدّها مستخدمة في الخطاب لحاجات الحجاج، وأنها ذات قيمة حجاجية حتى وإن لم يقبل الجمهور بالأطروحة التي جاء يعرضها الخطاب.

ومن هذه الصور البلاغية Les Périphrases التي تساعد على التوحيد بين الخطاب وجمهوره وتمهد السبيل إلى إقناعه "التعريف الخطابي" وهو صورة تستخدم لا على سبيل شرح معنى كلمة وإنما لتبرز بعض المظاهر الحافة بواقعة ما مما من شأنه أن يعزب عن ذهن السامع، ومن هذه الصور الكناية والمجاز المرسل بجميع وجوهه، وكذلك الاستدراك أو التدارك La Correctio والتكرار Figure والإسهاب L'amplification والالتفات في الأزمنة Enallage de Temps وفي الضمائر Enallage de la Personne والتلميح والشاهد والاستفهام ..إلخ.

٢. ٢. ١. ٣- التقنيات الحجاجية:

حصر بيرلمان وتيتيكا أشكال الحجاج وبناه في طريقتين حجاجيتين وهما: طريقة الوصل Dissociation وطريقة الفصل Liaison الحجاجيين.

٢. ٢. ١. ٣. ١- الطرائق الاتصالية في الحجاج:

والمقصود عندهما بطرائق الوصل أو الطرائق الاتصالية التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها؛ فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها، لغاية إبراز تلك العناصر في بنية واضحة، ولغاية تقويم أحد هذه العناصر

بواسطة الآخر تقويمًا إيجابيًا أو سلبيًا. وحصر الباحثان هذه الأشكال الاتصالية في ثلاثة أنواع من الحجج هي:

النوع الأول- الحجج شبه المنطقية:

التي تستمد طاقتها الإقناعية في مشابهتها للطرائق الشكلية Formelle والمنطقية والرياضية في البرهنة، لكن هي تشبهها فحسب وليست هي إياها، إذ في هذه الحجج شبه المنطقية ما يثير الاعتراض فوجب من أجل ذلك تدقيقها بأن يبذل في بناء استدلالها جهد غير شكلي محض Non Formel، ولكن رغم ذلك تبقى الحجج شبه المنطقية مثل التناقض Contradiction والتماثل التام أو الجزئي Identité totale ou partielle ومثل قانون التعدية La transtivité، كما تعتمد الحجج شبه المنطقية العلاقات الرياضية مثل علاقة الجزء بالكل وعلاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة التواتر وغيرها.

أ- البنى المنطقية:

١- التناقض والتعارض Incompatibilité: المقصود بالتناقض Contradiction هو أن تكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها، في حين أن عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى.

٢- التماثل: التماثل التام مداره على التعريف Définition من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرَّف Le definiens والمعرِّف Le definien dum ، وليس المعرَّف تمام المعرِّف على الحقيقة؛ لهذا سمي الحجاج من هذا القبيل حجاجًا شبه منطقي، فقولنا على سبيل المثال: (الرجل رجل) أو (الأب يبقى دائمًا أبا) وهو من قبيل تحصيل الحاصل La tautologie لا تجد فيه معنى المعرف وهو رجل أو أبا هو نفسه معنى المعرف وهو الرجل والأب؛ لهذا قيل عن مثل هذه القضايا أن أحد ركنيها أو لفظيها ورد على الحقيقة والآخر على وجه المجاز.

إن صيغة التماثل ليست إلا طريقة شكلية نتوخاها في تقويم شيء ما تقويمًا إيجابيًا أو سلبيًا بواسطة الحشو Le pléonasme، ففي هذا نجد اللفظ الثاني دائمًا هو الذي يحمل القيمة الدلالية شأن ما يحدث في ظاهرة التكرار.

٣- العلاقة التبادلية وقاعدة العدل: تتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة، وهو ما يعني أن تينك الوضعيتين متماثلتان وإن بطريقة غير مباشرة، وتماثلها ضروري لتطبيق قاعدة العدل La régle de justice، وقاعدة العدل هي تلك القاعدة التي تقتضي معاملة واحدة لكائنات أو وضعيات داخلة في مقولة واحدة، ومثال ذلك:(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وفيه حجة عكسية ودعوة إلى تطبيق قاعدة العدل على وضعيتين متناظرتين Symétriques.

على أن الحجج القائمة على القائمة على العلاقة التبادلية أو العكسية يمكن أن تنشأ عن قلب وجهات النظر من قبيل قول الله تعالى:﴿قَالَ إِن تَسْخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ {هود: ٣٨}.

٤- التعدية Transitivité: إن التعدية خاصية شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين (أ) و (ب) من ناحية و (ب) و (ج) من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و (ج)، وضروب العلاقات التي تقوم على خاصية التعدية هي

علاقات التساوي والتفوق Supériorité والتضمن Inclusion، ومثال ذلك: (عدو عدوي صديقي) حيث يدعم الطابع شبه المنطقي في هذه الحكمة ما يمكن أن يستنتج منها وهو (صديق عدوي عدوي).

إن من أهم علاقات التعدية ذات الصبغة الحجاجية شبه المنطقية علاقة التضمن وهي العلاقة المنطقية التي تبين أن قضية أخرى، ويبدو هذا خاصة في الاستدلال القياسي القائم أساسا على التعدية في القياس الخطابي الذي يسميه أرسطو ضميرًا Enthymème ويسميه كنتيليان Quintilien قياسًا ظنيًا Epichérème فالضمير ليس من بعض الوجوه حسب برلمان إلا حجة أو دليلا شبه منطقي يقدم في شكل قياس ويؤدي إلى ظهور علاقة التعدية.

ب- العلاقات الرياضية:

١- الإدماج: أي إدماج الجزء في الكل، فيكون الحجاج في هذه الحالة قائمًا على النموذج التالي:"ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء"، وتكون العلاقة في إدماج الجزء في كلٍ منظورًا إليها عادة من زاوية كمية، فالكل يحتوي الجزء، وتبعًا لذلك فهو أهم منه وهو ما يجعل هذا الضرب من الحجاج في علاقة بمواضع الكم أو معاني الكم.

٢- التقسيم: أي تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، إن تصور الكل على أنه مجمل أجزائه تبنى عليه طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم Division أو التوزيع Partition كقولنا: الكلام اسم وفعل وحرف، والشرط في استخدام الحجة القائمة على التقسيم استخدامًا ناجحًا هو أن يكون تعداد الأجزاء شاملًا Exhaustive، والغاية الأساسية من المحاجة بالتقسيم حسب بيرلمان البرهنة على وجود المجموع ومن ثمة تقوية الحضور Augmenter la présence بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضوع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه.

النوع الثاني- الحجج المؤسَّسَة على بنية الواقع:

الحجج القائمة على بنية الواقع تستخدم الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مسلم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها وجعلها مقبولة مسلمًا بها، وذلك بجعل الأحكام المسلم بها والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلم بالآخر ومن هنا جاء وصفها بكونها حججًا اتصالية أو قائمة على الاتصال.

إن الحجج التي تعتمد فيها بنى الواقع لا تصف الواقع وصفًا موضوعيًا، وإنما هي طريقة في عرض الآراء المتعلقة بهذا الواقع، ويمكن أن تكون هذه الآراء وقائع Des faits أو حقائق Des vérités أو افتراضات Des présomptions.

أ- وجوه الاتصال التتابعي:

١- الوصل السببي والحجاج. وهو ثلاثة ضروب:

- حجاج يرمي إلى الربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي مثل: اجتهد فنجح.
- حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سببًا أحدثه وأدى إليه مثل: نجح لأنه اجتهد.
- حجاج يرمي إلى التكهن بما سيترتب على حدث ما من نتائج مثل: هو يجتهد فسينجح.

ومعنى هذا أن في الربط السببي يكون المرور في الاتجاهين: من السبب إلى النتيجة ومن النتيجة إلى السبب، وفي هذا الإطار يمكن أن نتحدث عما يسميه بيرلمان الحجة البراغماتية L'argument pragmatique، وحد هذه الحجة أنها الحجة التي يحصل بها تقويم عمل ما أو حدث ما بالنظر إلى نتائجه الايجابية أو السلبية، ومن هنا كان للحجة البرغماتية تأثير مباشر في توجيه السلوك وعدت من أهم وسائل الحجاج، إن مدار هذه الحجة كما قلنا على تثمين حدث ما بذكر نتائجه فعلى هذا لا يكون المقصود من هذه الحجة مجرد التثمين بل وتوجيه العمل أيضًا.

٢- حجة التبذير L'argument de Gaspillage: وهي حجة تقوم على الاتصال والتتابع وإن لم تكون ليعتمد فيها أساسًا على السببية، وتتمثل في أن نقول حسب بيرلمان:"بما أننا شرعنا في إنجاز هذا العمل وضحينا في سبيله بما لو أعرضنا عن تمامه لكان مضيعة للمال وللجهد، فإنه علينا أن نواصل إنجازه".

٣- حجة الاتجاه L'argument de Direction: وتتمثل أساسًا في التحذير من مغبة اتباع سياسة المراحل التنازلية كقولنا إذا تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تنازل أكثر في المرة القادمة والله أعلم أين ستقف بك سياسة التنازل هذه؟ أو التحذير من مغبة انتشار ظاهرة ما مما يسمى حجة الانتشار L'argument de la propagation أو حجة العدوى L'argument de contagion.

ب- الاتصال التواجدي:

١- الشخص وأعماله: الأعمال تجلو جوهر الشخص وتفسره، كذلك في المقابل يمكن أن يكون الشخص أو ما نعرفه عنه هو الذي يفسر لنا ما غمض من أعماله، فالشخص ههنا ينهض لدور السياق الذي يعين على تأويل العمل، وفي هذه الحالة يلعب القصد أو النية أو الطوية دورًا مهمًا ونعني بها ما توفر لدينا من أفكار وآراء سابقة حول الشخص صاحب العمل، وهكذا فإن اللجوء إلى القصد أو النية يمثل مناط الحجاج فهو يربط العمل بصاحبه ويعيننا على فهم عمله وعلى إمكان تقويمه، وإذن علاقة الوصل التواجدية لا يتبع الحجاج فيها مسار (عمل - شخص)، وإنما يتبع فيها أيضًا مسار (شخص - عمل) وهو ما أسماه بيرلمان "التداخل بين العمل والشخص".

٢- حجة السلطة Argument d'autorité: حجة السلطة تستخدم أعمال شخص أو مجموعة أشخاص أو أحكامهم حجة على صحة أطروحة ما، وتختلف السلطة وتتعدد تعددًا كبيرًا فقد تكون "الإجماع" أو "الرأي العام" أو "العلماء" أو "الفلاسفة" أو "الكهنوت" أو "الأنبياء"، وقد تكون غير شخصية مثل "الفيزياء" أو "العقيدة"، وقد يعمد في الحجاج بالسلطة إلى ذكر أشخاص معينين بأسمائهم، على أن تكون سلطة هؤلاء جميعًا معترفًا بها من قبل جمهور السامعين في المجال التي ذكرت فيه، والعادة في الحجاج ألا تكون الحجة بالسلطة الحجة الوحيدة فيه وإنما تأتي هذه الحجة مكملة لحجاج يكون غنيًا بحجج أخرى غير حجة السلطة، كما أنه كثيرًا ما نعمد إلى الثناء على هذه السلطة قبل استخدامها حجة في كلامنا.

٣- الاتصال الرمزي La liaison symbolique: إن الوصل الرمزي يقوم على انتقال من الرمز إلى ما يرمز إليه مثلما ينتقل من العَلَم إلى الوطن، وما تثيره هذه الأشياء المادية من عواطف وأحاسيس يعود إلى ما بين الرمز والمرموز إليه من علاقة مشاركة Rapport de participation أو تبرير Rapport de motivation،

فهذه العلاقة هي التي تثير العاطفة الدينية أو الوطنية، وعلى هذا يكون للوصل الرمزي وهو ربط تواجدي دور كبير في التأثير في الكائنات التي صنعته وجعلت له دلالة ما، فمن الضروري إذن بالنسبة إلى صانع الحجاج أن يدرك مدى اكتساب شيء ما طبيعة رمزية.

إن الرمز يؤثر في الذين يقرون بوجود الاتصال بين طرفيه، لكنه لا يؤثر بأي وجه في الذين لا يدركون تلك العلاقة الترابطية القائمة بين طرفيه، وهو ما يعني أن الرمز خاص بقوم ما وبثقافة ما، ولا يصلح أن يستخدم في مخاطبة جمهور عام، وهو ما يؤكده بعده اللاعقلي Irrationnel.

النوع الثالث– الاتصال المؤسِّس لبنية الواقع:

١– تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

أ– المثل L'exemple: ويؤتى به في الحالات التي لا توجد فيها عادة مقدمات Des prémisses، إن المحاجة بواسطة المثل تقتضي وجود بعض الخلافات في شأن القاعدة الخاصة التي جيء بالمثل لدعمها وتكريسها، ويمكن للمثل أن تبني عليه قاعدة تكون عامة Une règle وتشكل قانونًا.

ب– البينة أو الاستشهاد L'illustration: والفرق بين (المثل) و(الاستشهاد) أن الغاية من (المثل) تأسيس القاعدة، أما (الاستشهاد) من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام، وتقوي حضور هذا القول في الذهن، وعلى هذا فإن (الاستشهاد) يؤتى به للتوضيح render clair في حين أن (المثل) يؤتى به للبرهنة ولتأسيس القاعدة، وعلى العموم فإن (المثل) يكون عادة سابقًا للقاعدة، في حين يكون (الاستشهاد) لاحقًا قصد تقوية حضور الحجة وقصد جعل القاعدة المجردة حسية وملموسة.

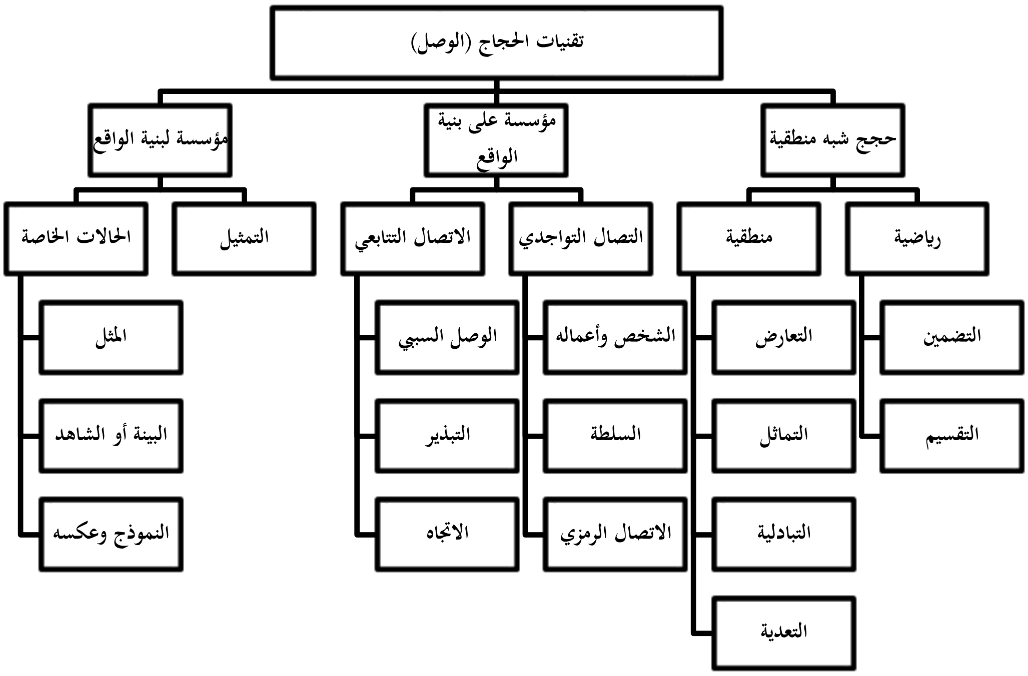
ج– النموذج وعكس النموذج Le modèle l'anti-modèle: ومداره على كائن نموذج يصلح على صعيد السلوك لا لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب، وإنما يصلح كذلك للحض على عمل ما اقتداء به ومحاكاة له ونسجًا على منواله وإن بطريقة غير موفقة تمام التوفيق، وفي خط مواز (للمثال أو النموذج) يوجد (عكس النموذج)، فبواسطة حجة (عكس النموذج) هذه يكون الحض لا على الاقتداء بطبيعة الحال، وإنما على الانفصال عن الشخص الذي يمثل (عكس النموذج).

٢– الاستدلال بالتمثيل: يرى المؤلفان أن (التمثيل) في الحجاج ينبغي أن تكون له مكانته بعدّه أداة برهنة، فهو ذو قيمة حجاجية تظهر حين ننظر إليه على أنه تماثل قائم بين البنى، وصيغة هذا التماثل العامة هي: العنصر (أ) يمثل بالنسبة إلى العنصر (ب) ما يمثله العنصر (ج) بالنسبة إلى العنصر (د)، فالتمثيل مواجهة بين بنى متشابهة وإن كانت من مجالات مختلفة.

إن الشرط في (التمثيل) وهو من الحجاج القائم على الترابط بين أشياء ما كان لها أن تكون مترابطة بدءًا، أن يكون الموضوع والحامل من ميدانيين مختلفين، فإذا كانت العلاقتان أي العلاقة بين عنصري الموضوع من ناحية وبين عنصري الحامل من ناحية أخرى تنتميان إلى مجال واحد وتشملهما بنية واحدة لم تسم الظاهرة إذا (تمثيلا) وإنما

تسمى (استدلالا) بواسطة (المثل أو الاستشهاد)، بحيث يكون الموضوع والحامل ههنا حالتين خاصتين يؤسسان قاعدة أو يدعمانها.

ملخص تقنيات (الوصل) عند بيرلمان وتيتيكا:



٢. ٢. ١. ٣. ٢- الطرائق الانفصالية في الحجاج:

أما طرائق الفصل أو الطرائق الانفصالية فهي تلك الطرائق التي تقوم على الفصل بين عناصر تقتضي في الأصل وجود وحدة بينها ولها مفهوم واحد، فهي عناصر راجعة إلى اسم واحد يعينها، وإنما وقع الفصل بينها وعمد إلى كبر المفهوم الواحد الذي يجمع بينها لأسباب دعا إليها الحجاج، ويبني الحجاج القائم على كسر وحدة المفهوم بالفصل بين عناصره المتضامنة، على زوج: الظاهر/ الحقيقة Apparence/Réalité، ويمثل الظاهر الحد الأول، والحقيقة الحد الثاني، وكل الأشياء والأنام والمعطيات يمكن أن يكون لها حدان، فهي من ناحية لها ظاهر هو الشيء أو الإنسان أو المعطى كما هو مشاهد معاين، فذلك هو الحد الأول، وهي من ناحية أخرى لها حقيقة هي جوهر ذلك الشيء أو الإنسان أو المعطى وصورته المثلى، فذلك هو الحد الثاني، ومثال ذلك أن يقال عن شخص غير ذي مروءة:"ليس هذا الإنسان بإنسان"، فهنا يمثل الإنسان الأول الظاهر، ظاهر وجوده في المجتمع ويمثل الإنسان الثاني الحقيقة أي حقيقة الإنسان مطلقًا وصورته المثلى كما ركزها في عقلنا الدين والأخلاق والثقافة والمجتمع(١).

إن زوج الظاهر/ الواقع أو الحقيقة هو الزوج الذي إليه ترد كل ضروب الفصل بين المفاهيم، وذلك لعمومه ولأهميته الفلسفية.

وأكثر ما يكون الفصل داخل المفهوم الواحد في الحدود والتعريفات فالتعريف كما يقول المؤلفان وسيلة حجاج شبه منطقي، وهو أيضًا وسيلة لإحداث الفصل داخل المفاهيم خصوصًا إذا جاءت هذه التعريفات تزعم تقديم معنى

---

(١) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص٣٢و٣٣.

للمفهوم الحقيقي في مقابل معناه الظاهري الجاري به العرف والعادة، وقد يكون الاعتراض على المعنى الظاهر مفهومًا فحسب.

يتمثل دور الفصل الحجاجي بواسطة الطرائق اللغوية والكتابية في حمل السامع أو القارئ على تمثل مظهرين اثنين للشيء الواحد أو المعطى الواحد، مظهر زائف ظاهري خداع براق من حيث إنه أول ما تصادفه الحواس ويراه الفكر، ومظهر هو الحقيقة عينها، على أن طريقة الفصل هذه لا تعين السامع أو القارئ على تمثل حقيقة الأشياء فحسب بل هي تدعوه بإلحاح إلى معانقتها فهي الحقيقة وإلى ترك غيرها فهو الزيف.

٢. ٢. ١. ٤– نقد نظرية الحجاج عند بيرلمان وتيتيكا:

– حاول بيرلمان وتيتيكا تخليص الحجاج من ربقة المنطق ومن أسر الأبنية الاستدلالية المجردة وتقريبه من مجالات استخدام اللغة مثل: مجال العلوم الإنسانية والفلسفة والقانون، وإضفاء بعد عقلي للخطابة يحفظها من أن تلتبس بالسفسطة والمغالطة والمناورة.

– تمثل مشروعهما في إقامة "خطابة جديدة" تهدف إلى التأثير في الجماهير وتغيير أوضاعها الذهنية لكن على أسس معقولة ومقبولة، فالخطابة عندهما حوار تكون فيه حجج الخطيب معقولة فيقبل بها الجمهور في سهولة ويسر.

– حاول بيرلمان وتيتيكا المزج بين الخطابة الأرسطية والجدل الأرسطي في سبيل بناء هذه "الخطابة الجديدة" على مفهوم هو في الوقت نفسه مكمن القوة والضعف في نظريتهما الحجاجية، وهو مفهوم الحقيقة La réalité والمعقول Le raisonnable والمبرر Le justifié في عملية الإقناع، ومرد ذلك إلى أمرين:

١– كون بيرلمان فيلسوف في مادة القانون.

٢– اعتماد بيرلمان وتيتيكا من أجل بناء نظريتهما الحجاجية مدونة تدور على ضروب المحاجات التي يستخدمها الصحفيون في صحفهم والسياسيون في خطبهم والمحامون في مرافعاتهم والقضاة في حيثياتهم والفلاسفة في تصانيفهم.

فكانت النظرية من أجل ذلك تركز على جانب الظفر بالحجة أو مصادر الأدلة L'inventio أكثر من اهتمامها بجمالية العرض اللغوي أي الأسلوب L'élocutio.

– من أهم ما جاء في النظرية عدّ الحجاج "حوارًا" وفضاء اتفاق بين الخطيب وجمهوره، وليس هو استدلالا شكليًا ولا مغالطة أو مناورة وتلاعب بالمشاعر والعقول، لكن مفهوم "الحوارية" في الحجاج لم يتضح بما فيه الكفاية عندهما.

– أهم أثر تركه كتاب "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" في دارسي الحجاج خاصتهم وعامتهم هو تعريفه للحجاج نفسه، فالحجاج في أعم تعريف له كما يقول بلونتين "هو العملية التي من خلالها يسعى المتكلم إلى تغيير نظام المعتقدات والتصورات لدى مخاطبه بواسطة الوسائل اللغوية"، فهذا التعريف الذي عدّه بلونتين أعم تعريف للحجاج قد اعتمد في صياغته اعتمادًا واضحًا تعريف بيرلمان وتيتيكا.

٢. ٢. ٢- الحجاج عند ديكرو و أنسكومبر و"نظرية الحجاج في اللغة":

تحدث أزفالد ديكرو O.Ducrot عن الحجاج في مؤلفه المشترك مع اللساني الفرنسي جون كلود أنسكومبر Anscombre والمعنون بـ"الحجاج في اللغة l'argumentation dans la langue" سنة ١٩٧٣م.

يقول شكري المبخوت:"تمثل أعمالهما تيارًا تداوليًا متميزًا، ويكمن وجه تميزه في رفض التصور القائم على الفصل بين الدلالة وموضوعها معنى الجملة، والتداولية وموضوعها استعمال الجملة في المقام من جهة، والسعي إلى سبر كل ما له صلة داخل بنية اللغة بالاستعمال البلاغي المحتمل من جهة أخرى، فيكون البحث عندهما هو الجزء التداولي المدمج في الدلالة، ويكون موضوع البحث هو بيان الدلالة التداولية (لا الخبرية الوصفية) المسجلة في أبنية اللغة وتوضيح شروط استعمالها"(١).

نظرية الحجاج في اللغة نظرية لسانية تهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوفر عليها المتكلم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، وهي تنطلق من الفكرة الشائعة التي مؤداها :"إننا نتكلم عادة بقصد التأثير"(٢)، وهي تبين أن اللغة تحمل بصفة ذاتية وجوهرية وظيفة حجاجية، أي أن هذه الوظيفة مؤشر لها في بنية اللغة، وفي بينة الجمل والأقوال نفسها، فنحن نجدها في الظواهر الصوتية والصرفية والمعجمية والتركيبية والدلالية والتداولية(٣).

انبثقت نظرية الحجاج في اللغة من داخل نظرية الأفعال اللغوية التي وضع أساسها أوستين وسيرل، وقد قام ديكرو بتطوير أفكار وآراء أوستين بالخصوص، واقترح في هذا الإطار إضافة فعلين لغويين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، وقام ديكرو بإعادة تعريف مفهوم الإنجاز L'illocutoire وهو يعرفه بأنه فعل لغوي موجه إلى إحداث تحويلات ذات طبيعة قانونية، أي مجموعة من الحقوق والواجبات(٤).

وليست نظرية الأفعال اللغوية هي العامل الوحيد في ظهور نظرية الحجاج في اللغة، فقد تأثرت كذلك بأبحاث إميل بنفنيست والتي مفادها أن اللغة نشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة، تلك العلامات هي الإشاريات ويكمن دورها في تصيير اللغة خطابًا فعليًا، كذلك التأثر بأعمال بول جرايس والتي تعد مرحلة توسيع لنظرية أفعال الكلام والتداوليات القصدية، ذلك أن القواعد التخاطبية (الكم، الكيف، الإضافة، الجهة) تمثل مقومات فعالة في التفاعلات التخاطبية والحجاجية، وهي أيضًا بمثابة ضوابط لكل عملية تخاطبية تساق لتحقيق المطلوب(٥).

٢. ٢. ٢. ١- التداولية المدمجة ذات الشكل Y:

تبنى ديكرو وأنسكومبر فكرة إدراج المظهر التداولي في الدلالة فيما يعرف بالتداولية المدمجة، والتي تعارض تيارًا

(١) شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ص٣٥١.

(٢) ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص١٤.

(٣) ينظر: أبو بكر العزاوي: الخطاب والحجاج، ص١١.

(٤) ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص١٥و١٦.

(٥) ينظر: ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، دكتوراه، ص١٣٣.

منطقيًا قائمًا على تصور خطي للعلاقة بين التركيب والدلالة والتداول، ينحدر من تقاليد الوضعية الجديدة أو ذات النزعة المنطقية في تحليل اللغة (بيرس Pierce ١٩٣١-١٩٥٨م، موريس Morris ١٩٣٨م، كارناب Carnap ١٩٤٢م)[١]، فدراسة اللغة سواء أكانت طبيعية أو اصطناعية حسب هذا التصور ترتكز على مراحل ثلاث[٢]:

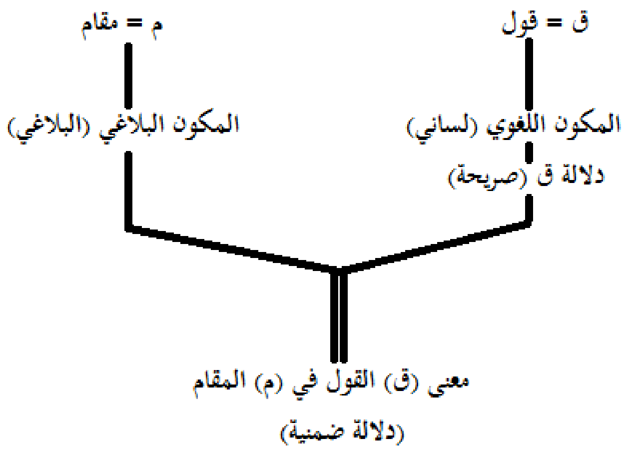
١- التركيب: ويعنى بقواعد التوليف بين المكونات اللغوية لتحديد نحويتها.

٢- الدلالة: وتعنى بالعلاقة بين العلامات ومراجعها والحكم على الجملة بالصدق أو الكذب انطلاقًا من ضبط مدى استيفائها لشروط الصدق.

٣- التداول: يعنى باستعمال الجمل في التخاطب للبحث في مدى مناسبتها للمقام أو خروجها عن الموضوع، وتحديد العمل القولي المتحقق هل تجيز ظروف التخاطب إنجازه؟ وما التأثير الذي يسعى إليه المتكلم من خلال ذلك القول؟

استخلص ديكرو وأنسكومبر أن في جل الأقوال بعض السمات التي تحدد قيمتها التداولية باستقلال عن محتواها الخبري؛ لذلك يجب أن يدرج المظهر التداولي في الدلالة، فالتداولية المدمجة في الدلالة هي بحث في الجوانب التداولية المسجلة في بنية اللغة ودلالة الجملة لاستخراج الأشكال اللغوية ذات القيمة التداولية (لا القيمة الوصفية التمثيلية أي ما يعبر عن حالة الأشياء في الكون) لضبط شروط استعمالها.

ويمكن تمثيل هذه التداولية المدمجة بالشكل Y المأخوذ من بروندونير Berrendonner ١٩٨١م، والتي طالب به ديكرو منذ ١٩٧٢م، على النحو التالي[٣]:



٢. ٢. ٢. ٢- مفهوم الحجاج عند ديكرو وأنسكومبر:

إن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤديّة إلى نتيجة معينة، وهو يتمثل في إنجاز تسلسلات استنتاجية داخل الخطاب، ومثال ذلك: الجو جميل لنذهب إلى النزهة، فهذه العبارة تتكون من حجة ونتيجة، الحجة تتمثل في جمال

---

(١) ينظر: جاك موشلار، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص٤٠-٤٢.

(٢) ينظر: شكري المبخوت: نظرية الحجاج في اللغة، ص٣٥٣و٣٥٤.

(٣) ينظر: جاك موشلار، آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، ص٤٣. وينظر: صابر الحباشة: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، ص٣٣. وينظر: ابتسام بن خراف: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، دكتوراه، ص١٣٥.

الجو الذي يدعو ويدفع للتنزه، ويعتمده المتكلم لإقناع مخاطبه بضرورة الخروج للتنزه وهي النتيجة، فالمتكلم يقدم هذا العنصر بعدّه حجة ودليلا لصالح النتيجة المقصودة، وقد اتسع مفهوم الحجة عند ديكرو من اقتصارها على الأقوال إلى عدّها أي عنصر دلالي يقدمه المتكلم لصالح عنصر دلالي آخر، فالحجة على هذا قد تكون قولًا أو فقرة أو نصًّا، أو قد تكون مشهدًا طبيعيًا أو سلوكًا غير لفظي إلى غير ذلك، وقد تكون الحجة ظاهرة أو مضمرة بحسب السياق والشيء نفسه بالنسبة للنتيجة والرابط الحجاجي الذي يربط بينهما(١).

وتتسم الحجج اللغوية بعدة سمات، منها على سبيل المثال لا الحصر(٢):

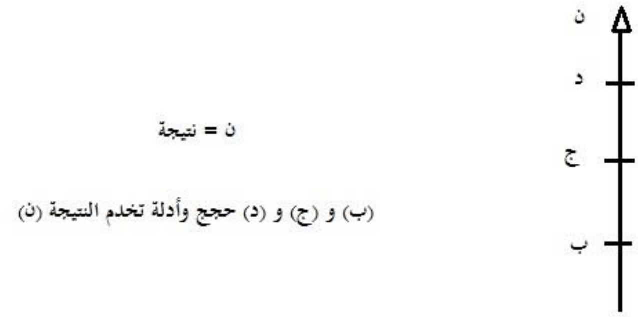
أ- سياقية: فالعنصر الدلالي الذي يقدمه المتكلم بعدّه يؤدي إلى عنصر دلالي آخر، فإن السياق هو الذي يصيره حجة، وهو الذي يمنحه طبيعته الحجاجية، ثم إن العبارة الواحدة قد تكون حجة أو نتيجة، أو قد تكون غير ذلك بحسب السياق.

ب- نسبية: فلكل حجة قوة حجاجية معينة، فقد يقدم المتكلم حجة ما لصالح نتيجة معينة، ويقدم خصمه حجة مضادة أقوى بكثير منها، فهناك الحجج القوية والحجج الضعيفة والحجج الأوهى والأضعف.

ج- قابلة للإبطال: فالحجاج اللغوي نسبي ومرن وتدريجي وسياقي بخلاف البرهان المنطقي والرياضي الذي هو مطلق وحتمي.

٢. ٢. ٢. ٣- السلم الحجاجي:

يعرف العزاوي السلم الحجاجي على أنه هو علاقة ترتيبية للحجج، ويمكن أن نرمز لها كالتالي(٣):



فعندما تقوم بين الحجج المنتمية إلى فئة حجاجية ما علاقة ترتيبية معينة، فإن هذه الحجج تنتمي إذاك إلى نفس السلم الحجاجي، فالسلم الحجاجي هو فئة حجاجية موجهة، ويتسم بالسمتين الآتيتين:

أ- كل قول يرد في درجة ما من السلم، يكون القول الذي يعلوه دليلا أقوى منه بالنسبة لـ "ن".

ب- إذا كان القول "ب" يؤدي إلى النتيجة "ن"، فهذا يستلزم أن "ح" أو "د" الذي يعلوه درجة يؤدي إليها، والعكس غير صحيح.

---

(١) ينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص١٦-١٨.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص١٩و٢٠.

(٣) نفسه، ص٢٠و٢١.

٢. ٢. ٢. ٣. ١- قوانين السلم الحجاجي:

وأهم هذه القوانين ثلاثة(١):

١- قانون النفي (تبديل السلم): إذا كان قول ما "أ" مستخدمًا من قبل متكلم ما ليخدم نتيجة معينة، فإن نفيه سيكون حجة لصالح النتيجة المضادة.

٢- قانون القلب: يرتبط هذا القانون أيضًا بالنفي، ومفاده أن السلم الحجاجي للأقوال المنفية هو عكس سلم الأقوال الإثباتية.

٣- قانون الخفض: يوضح قانون الخفض الفكرة التي ترى أن النفي اللغوي الوصفي يكون مساويًا للعبارة moins que، وقد صاغه طه عبد الرحمن في قوله:"إذا صدق القول في مراتب معينة من السلم، فإن نقيضه يصدق في المراتب التي تقع تحتها".

يقول طه عبد الرحمن:"والجدير بالذكر هاهنا أن بين قوانين السلم وقوانين الاستدلال القياسي وجوهًا قوية من التماثل" ويلفت انتباهنا إلى أن "هذه القوانين لها تعلق بالخطاب الطبيعي وحده، بحيث قد لا يصح بعضها متى أجري على القول الصناعي كما هو شأن قانون تبديل السلم"(٢).

ويرتبط بمفهوم السلم الحجاجي مفهوم الوجهة أو الاتجاه الحجاجيL'orientation argumentative، ويعني هذا المفهوم أنه إذا كان قول ما يمكن من إنشاء فعل حجاجي، فإن القيمة الحجاجية لهذا القول يتم تحديدها بواسطة الاتجاه الحجاجي، وهذا الأخير قد يكون صريحًا أو مضمرًا.

٢. ٢. ٢. ٤- الروابط والعوامل الحجاجية:

تشتمل اللغات الطبيعية على مؤشرات لغوية خاصة بالحجاج، فاللغة العربية مثلًا تشتمل على عدد كبير من الروابط والعوامل الحجاجية التي لا يمكن تعريفها إلا بالإحالة على قيمتها الحجاجية، ومن هذه الأدوات: لكن، بل، إذن، حتى، لاسيما، إذ، لأن، بما أن، مع ذلك، ربما، تقريبًا، إنما، ما، إلا .. وغيرها، وهذه الأدوات هي التي دفعت ديكرو وأنسكومبر إلى رفض نموذج شارل موريس (فصل الدلالة عن التداولية) والدفاع عن فرضية التداوليات المندمجة La pragmatique intégrée، وترتبط القيمة الحجاجية لقول ما بالنتيجة التي يمكن أن يؤدي إليها، وليس بالمعلومات التي يتضمنها.

وينبغي أن نميز بين صنفين من المؤشرات والأدوات الحجاجية: الروابط الحجاجية Les connecteurs، والعوامل الحجاجية Les opérateurs، فالروابط تربط بين وحدتين دلاليتين أو بين حجتين أو أكثر، وتسند لكل منها دورًا محددًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة، ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لاسيما، إذن، لأن، إذ .. إلخ.

ونميز بين أنماط عديدة من الروابط:

---

(١) ينظر: طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي: ٢٧٧و٢٧٨. وينظر: أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ص٢٢-٢٥.

(٢) طه عبد الرحمن: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص٢٧٨.

أ- الروابط المدرجة للحجج (حتى، بل، لكن، مع، ذلك، لأن ..) والروابط المدرجة للنتائج (إذن، لهذا، وبالتالي..).

ب- الروابط التي تدرج حجج قوية (حتى، بل، لكن، لاسيما ..) والروابط التي تدرج حججًا ضعيفة.

ج- روابط التعارض الحجاجي (بل، لكن، مع ذلك ..) وروابط التساوق (التوافق) الحجاجي (حتى، لاسيما ..).

أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية (أي بين حجة ونتيجة أو مجموعة حجج)، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، ومن ذلك: ربما، تقريبًا، كاد، قليلًا، كثيرًا، ما .. إلا، وجل أدوات القصر.

٢. ٢. ٢. ٥- المبادئ الحجاجية:

وجود الروابط والعوامل الحجاجية لا يكفي لضمان سلامة العملية الحجاجية، ولا يكفي أيضًا لقيام العلاقة الحجاجية، بل لابد من ضامن يضمن الربط بين الحجة والنتيجة، وهذا الضامن هو ما يعرف بالمبادئ الحجاجية Les topoi، وهي تقابل مسلمات الاستنتاج المنطقي في المنطق الصوري أو الرياضي، هذه المبادئ هي قواعد عامة تجعل حجاجًا خاصًا ما ممكنًا، ولها خصائص عديدة، منها:

أ- إنها مجموعة من المعتقدات والأفكار المشتركة بين الأفراد داخل مجموعة بشرية معينة.

ب- العمومية: فهي تصلح لعدد كبير من السياقات المختلفة والمتنوعة.

ج- التدرجية La gradualité: إنها تقيم علاقة بين محمولين تدرجيين أو بين سلمين حجاجيين (العمل- النجاح) مثلًا.

د- النسبية: فإلى جانب السياقات التي يتم فيها تشغيل مبدأ حجاجي ما، هناك إمكان إبطاله ورفض تطبيقه بعدّه غير وارد وغير ملائم للسياق المقصود، أو يتم إبطاله باعتماد مبدأ حجاجي آخر مناقض له.

فالمبادئ الحجاجية هي مجموعة من المسلمات والأفكار والمعتقدات المشتركة بين أفراد مجموعة لغوية وبشرية معينة، والكل يسلم بصدقها وصحتها.

٣- الحجاج في اللسانيات العربية:

الممارسة الحجاجية للعرب ثابتة قبل الإسلام وبعده، يدل على ذلك ما وصلنا إلينا من أشعار العرب وخطبهم، وجاء القرآن الكريم معجزة خالدة يسعى لتغيير معتقدات الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، ويرد على أهل الباطل باطلهم ويدحض مغالطاتهم، داعيًا المؤمنين إلى الحوار والجدال بالحسنى مع الآخر، ليعزز من قيمة الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية. كان ذلك في المرحلة المكية التي لم يشرع فيها القتال، وبعد تشريع القتال في المدينة لم يتوقف الجدال بالحسنى، بل اتسع نطاقه داخل الجزيرة العربية وخارجها، فإن الإسلام اشترط على المجاهدين الفاتحين دعوة الناس إلى الإسلام بالحسنى قبل القتال.

والناظر في تراث المسلمين يجد أن الحجاج دار في أفلاك علوم مختلفة، كعلوم القرآن، والفقه وأصوله، والبلاغة، وعلم الكلام، والفلسفة وغيرها، واهتمام العلماء العرب بدراسة الحجاج وبيان الوسائل المنطقية واللغوية والبلاغية التي يوظفها المتكلم للتأثير في المخاطَبين ظاهر لكل ناظر في التراث.

وتختلف الظروف البيئية التي نشأ فيها الحجاج في الحضارتين العربية والغربية، فإن كان الدافع لازدهار الممارسة الحجاجية عند الغرب هو ذلك الجو الديمقراطي الذي تمتعوا به في حضارتهم اليونانية القديمة، ثم في واقعهم المعاصر، فإن الواقع العربي والإسلامي يختلف، فالدافع لازدهار الحجاج لم يكن سياسيًا بالدرجة الأولى، ولكنه كان دافعًا دينيًا وعلميًا نابع من رغبة حقيقية في نشر الإسلام ، والدفاع عن معتقداته، والرد على الشبهات والمغالطات التي تثار حوله، كما كان للخلافات الفقهية والمذهبية بين المذاهب والفرق الإسلامية دورها في ازدهار علم المناظرات والجدل.

وكما أن الحضارة الغربية قد مرت بفترة انحطاط وتدهور للممارسة الحجاجية، فالأمر لا يختلف كثيرًا عند العرب والمسلمين، الذين شهدوا فترات من الجمود والتقليد والتعصب، والبعد عن الحوار والجدال بالحسنى، حتى بدأت تشهد في العصور الحديثة حالة من النهضة العلمية والصحوة الدينية والرغبة في القيام من السبات العميق، واللحاق بركب التقدم المذهل من حولنا، وتلك التقلبات سنة كونية تمر بها الحضارات المختلفة عبر تاريخها.

إن المتأمل في الثقافة العربية الإسلامية يجدها تشتمل على نوعين من الحجاج(١):

الأول: حجاج عقلي أو جدلي يناقش الآراء مناقشة نظرية محضة بغية التأثير العقلي المجرد على المخاطب، تجد ذلك في مناظرات علم الكلام، والمناظرات الفقهية، وتجتهد كتب علوم القرآن في استخراجه من القرآن الكريم تحت عناوين جدل القرآن، أو المذهب الكلامي في القرآن، أو الاحتجاج النظري في القرآن.

الثاني: حجاج عاطفي أو بلاغي يقوم على التأثير العاطفي وإثارة المشاعر والانفعالات واستمالة المخاطبين، ذلك الذي انبثقت عنه عند العرب بلاغة الدعاية والاستمالة والمغالطة وتحسين القبيح وتقبيح الحسن وإخراج الباطل في صورة الحق إلى جانب إظهار ما غمض من الحق.

ولكن بمزيد من التأمل نجد أن القرآن الكريم في حجاجه قد جمع بين الإقناع والإمتاع، وخاطب العقل كما خاطب العاطفة، بحيث يمكن أن نقول إن حجاج القرآن كان حجاجًا مختلفًا عن أي حجاج آخر.

---

(١) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، ص١٨و١٩.

٣. ١– الحجاج في الفقه وعلوم القرآن:

مرّ أن الحجاج عند العلماء العرب قديمًا –ومنهم الفقهاء والأصوليون– كان مرادفًا للجدل، ولعلّ اهتمام علماء الشريعة بعلم الجدل من كون القرآن الكريم يحث على مجادلة أهل الباطل لدفع باطلهم، كما يرجع لكثرة الخلافات الفقهية والمذهبية، وحِرْص علماء كل مذهب على الدفاع عن اجتهاداتهم والرد على من خالفهم، فكانت البيئة العلمية في ذلك الزمان عاملاً مهمًا في ازدهار علم الجدل والمناظرة، وقد أُلِّفت في ذلك مؤلفات، ودارت حوارات ومناظرات، ووضعت أسس وقواعد لهذا العلم.

٣. ١. ١– الفقه:

كان أبو بكر القفال الشاشي (٣٦٥هـ) أول من صنف الجدل الحسن من الفقهاء(١).

ومن بين الكتب التي حملت اسم الحجاج في الثقافة العربية الإسلامية كتاب (المنهاج في ترتيب الحجاج) الذي ألفه أبو الوليد الباجي (٤٧٤هـ) وهو كتاب في الخلاف الفقهي وصناعة الجدل، إذ يقصد بالحجاج علم الجدل، وعنه يقول:"وهذا العلم من أرفع العلوم قدرًا وأعظمها شأنًا؛ لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة، ولا علم الصحيح من السقيم ولا المعوج من المستقيم"(٢).

وكان ركن الدين العميدي (٦١٥هـ) أول من ميز قواعد الجدل أو المناظرات، وجعلها علمًا مستقلًا، وصنف فيها كتاب (الإرشاد)، يقول مرتضى الزبيدي (١٢٠٥هـ) عن علم الجدل:"وهو طريقان: طريق البزدوي، وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والإجماع والاستدلال. وطريق العميدي: وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان، والمغالطات فيه كثيرة. وإذا اعتبر بالنظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي، إلا أن صور الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاة، تتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي. وهذا العميدي هو أول من كتب فيها ونسبت الطريقة إليه وضع الكتاب المسمى بالإرشاد مختصرًا، وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسفي وغيره"(٣).

٣. ١. ٢– علوم القرآن:

عدّ الزركشي (٧٩٤هـ) الجدل علمًا من علوم القرآن، وأكد اشتمال القرآن على جميع أنواع البراهين والأدلة، إذ يقول:"قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

أحدها: بسبب ما قاله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ {إبراهيم: ٤}

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم

---

(١) ينظر: الشيرازي: طبقات الفقهاء، ت: إحسان عباس، ص١١٢. وينظر: الذهبي: سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، ٢٨٤/١٦.

(٢) أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج، ت: عبد المجيد تركي، ص٨.

(٣) مرتضى الزبيدي: إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين، ٤٤٦/١.

بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزًا فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة، ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء"(١).

ولم يستخدم الزركشي (٧٩٤هـ) لفظ الجدل في هذا الفصل من كتابه، ولكنه وظّف مشتقات مادة (حجج) كلفظي الحجاج والمحاجة.

وذكر السيوطي (٩١١هـ) بعض أنواع الجدل ومثل لها من القرآن الكريم، والأنواع التي ذكرها هي(٢):

السبر والتقسيم: ومن أمثلته في القرآن قوله تعالى: ﴿ثَمَٰنِيَةَ أَزۡوَٰجٖۖ مِّنَ ٱلضَّأۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ {الأنعام: ١٤٣} الآيتين فإن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإناثها أخرى، رد تعالى ذلك عليهم بطريق السبر والتقسيم، فقال: إن الخلق لله خلق من كل زوج مما ذكر ذكرًا وأنثى فمم جاء تحريم ما ذكرتم؟ أي ما علته؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة، أو الأنوثة، أو اشتمال الرحم الشامل لهما، أو لا يدري له علة، وهو التعبدي بأن أخذ ذلك عن الله تعالى، والأخذ عن الله تعالى إما بوحي وإرسال رسول، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه، وهو معنى قوله: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا﴾ {الأنعام: ١٤٤} فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن واحد منها، والأول يلزم عليه أن يكون جميع الذكور حرامًا، والثاني يلزم عليه أن يكون جميع الإناث حرامًا، والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معًا، فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة، وبعض في حالة؛ لأن العلة على ما ذكر تقتضي إطلاق التحريم، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل، ولم يدعوه، وبواسطة رسول كذلك؛ لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي ﷺ وإذا بطل جميع ذلك، ثبت المدعى وهو أن ما قالوه افتراء على الله وضلال.

القول بالموجب: قال ابن أبي الإصبع: وحقيقته رد كلام الخصم من فحوى كلامه. وقال غيره: هو قسمان:

أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم، فيثبتها لغير ذلك الشيء، كقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعۡنَآ إِلَى ٱلۡمَدِينَةِ لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ﴾ {المنافقون: ٨} الآية فـ﴿ٱلۡأَعَزُّ﴾ وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم، و﴿ٱلۡأَذَلَّ﴾ عن فريق المؤمنين، وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة، فأثبت الله في الرد عليهم صفة العزة لغير فريقهم، وهو الله ورسوله والمؤمنون، وكأنه قيل: صحيح ذلك ليخرجن الأعز منها الأذل، لكن هم الأذل المخرَّج، والله ورسوله الأعز المخرّج.

والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه. ولم أر من أورد له مثالًا من القرآن، وقد ظفرت بآية منه، وهي قوله تعالى: ﴿وَمِنۡهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٞۚ قُلۡ أُذُنُ خَيۡرٖ لَّكُمۡ﴾ {التوبة: ٦١}.

التسليم: وهو أن يفرض المحال إما منفيًا أو مشروطًا بحرف الامتناع؛ لكون المذكور ممتنع الوقوع لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليمًا جدليًا، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه، كقوله تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢/٢٤.

(٢) ينظر: السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٤/٦٠-٦٦.

﴿ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ {المؤمنون: ٩١} المعنى ليس مع الله من إله، ولو سلم أن معه سبحانه وتعالى إلهًا، لزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله من الاثنين بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر، ولا ينفذ حكم، ولا تنتظم أحواله، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فصاعدًا محال؛ لما يلزم منه المحال.

الإسجال: وهو الإتيان بألفاظ تسجل على المخاطب وقوع ما خوطب به، نحو: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ {آل عمران: ١٩٤}، ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ﴾ {غافر: ٨} فإن في ذلك إسجالًا بالإيتاء والإدخال، حيث وصفا بالوعد من الله الذي لا يخلف وعده.

الانتقال: هو أن ينتقل المستدل إلى استدلال غير الذي كان آخذا فيه لكون الخصم لم يفهم وجه الدلالة من الأول كما جاء في مناظرة الخليل الجبار لما قال له ﴿رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ﴾ {البقرة: ٢٥٨} فقال الجبار ﴿قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ﴾ {البقرة: ٢٥٨} ثم دعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه ومن لا يجب عليه فقتله فعلم الخليل أنه لم يفهم معنى الإحياء والإماتة أو علم ذلك وغالط بهذا الفعل فانتقل عليه السلام إلى استدلال لا يجد الجبار له وجها يتخلص به منه فقال ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ {البقرة: ٢٥٨} فانقطع الجبار وبهت ولم يمكنه أن يقول أنا الآتي بها من المشرق؛ لأن من هو أسن منه يكذبه.

المناقضة: وهي تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه كقوله تعالى ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ {الأعراف: ٤٠}.

مجاراة الخصم: ليعثر بأن يسلم بعض مقدماته حيث يراد تبكيته وإلزامه، كقوله تعالى ﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ {إبراهيم: ١٠-١١} الآية فقولهم: ﴿إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ {إبراهيم: ١١} الآية، فيه اعتراف الرسل بكونهم مقصورين على البشرية، فكأنهم سلموا انتفاء الرسالة عنهم، وليس مرادًا، بل هو من مجاراة الخصم ليعثر، فكأنهم قالوا ما ادعيتم من كوننا بشرًا حق لا ننكره، ولكن هذا لا ينافي أن يمن الله تعالى علينا بالرسالة.

٣. ٢– الحجاج في البلاغة العربية:

لم أقف على مصطلح الحجاج عند علماء البلاغة العرب في المؤلفات التي اطلعت عليها، ولكن يكثر الحديث عن كلمات مشتقة من نفس الجذر اللغوي من قبيل: الحجة والاحتجاج والمحاجة، أو كلمات أخرى كالجدل، أو المجادلة أو غير ذلك.

ومن ذلك ما نقله الجاحظ (٢٥٥هـ) عن ابن المقفع (١٤٢هـ) في تعريفه للبلاغة وفيه:"البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابًا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعرًا، ومنها ما يكون سجعًا وخطبًا، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البلاغة"(١).في هذا التعريف جعل ابن المقفع (١٤٢هـ) الاحتجاج وجهًا من وجوه البلاغة، على أن الاحتجاج هو نوع من أنواع الخطاب مستقل بذاته، يختلف عن الشعر والخطب والرسائل وهكذا.

أما الجاحظ (٢٥٥هـ) نفسه فيعرف البلاغة بقوله:"والبلاغة إصابة المعنى، والقصد إلى الحجة، مع الإيجاز، ومعرفة الفصل من الوصل"(٢). وفيه بيان أهمية الحجة حتى صارت ركنًا من أركان البلاغة.

وألف ابن وهب (٣٣٥هـ) كتابه (البرهان في وجوه البيان) وفيه يعرف الجدل بقوله:"وأما الجدل والمجادلة، فهما قول يقصد بهما إقامة الحجة فيما اختلف فيه اعتقاد المتجادلين، ويستعمل في المذاهب والديانات، وفي الحقوق والخصومات، وفي التساؤل والاعتذارات؛ ويدخل في الشعر وفي النثر"(٣).

أما أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ) فيجعل أعلى رتب البلاغة قائمة على الاحتجاج، فيقول:"فأعلى رتب البلاغة أن يحتجّ للمذموم حتى يخرجه فى معرض المحمود، وللمحمود حتى يصيّره فى صورة المذموم"(٤).

ويميز حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) بين الصناعة الخطابية والصناعة الشعرية بقوله:"لما كان كل كلام يحتمل الصدق والكذب، إما أن يرد على جهة الإخبار والاقتصاص، وإما أن يرد على جهة الاحتجاج والاستدلال.."(٥).

إن حازم القرطاجني (٦٨٤هـ) يجعل للكلام الذي يحتمل الصدق والكذب جهتين إما الإخبار والاقتصاص وإما الاحتجاج والاستدلال، وكلاهما يدخل في الصناعتين الخطابية والشعرية، فهو يشير إلى أن الاحتجاج يدخل في الخطابة وفي الشعر أيضًا، وليس فنًا مستقلًا بذاته، ثم هو يحكم على الأقاويل الخطابية بأنها أقوال غير صادقة، والأقوال الشعرية بأنها لا تقع في طرف من النقيضين فتارة صادقة وتارة كاذبة. والنوع الثاني من الكلام والذي يقع على جهة الاحتجاج والاستدلال قد يكون غايته تقوية الظن عند المخاطب إن كان في الخطابة، وفي الشعر تكون غايته تخييل الأشياء، وبإقامة صورها في الذهن بحسن المحاكاة.

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين، ١/١١٤.

(٢) الجاحظ: رسائل الجاحظ، ت: عبد السلام هارون، ٤/١٥١.

(٣) ابن وهب: البرهان في وجوه البيان، ت: حفني شرف، ص١٧٦.

(٤) أبو هلال العسكري: الصناعتين، ت: علي محمد ومحمد أبو الفضل، ص٥٣.

(٥) حازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ت: محمد الحبيب ابن الخوجة، ص٦٣.

٣. ٢. ١- آليات الحجاج في البلاغة العربية:

حفلت كتب البلاغة العربية بالعديد من الآليات الحجاجية، على أن الحجاج في حقيقته يشمل كل أسلوب أو بنية لغوية قامت بها الحجة، ولكني أذكر بعضًا من الآليات التي ذكرتها بعض كتب البلاغة بشيء من الاختصار:

١- المذهب الكلامي: وقد عده ابن المعتز النوع الخامس من أنواع البديع إذ يقول:"الباب الخامس من البديع وهو المذهب الكلامي، وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي"(١). ويعرفه ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) بقوله:"المذهب الكلامي عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه، لأنه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية. وهو الذي نسبت تسميته إلى الجاحظ، وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد في الكتاب العزيز، وهو محشو منه"(٢).

٢- الاستدلال: ذكر ابن سنان الخفاجي (٤٦٦هـ) نوعين من الاستدلال وهما الاستدلال بالتمثيل وعرفه بقوله:"وأما الاستدلال بالتمثيل: فأن يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له"(٣). والنوع الثاني الاستدلال بالتعليل ولم يعرفه.

٣- القول الموجب: ويعرفه ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) بقوله:"هو أن يخاطب المتكلم مخاطَبًا بكلام، فيعمد المخاطَب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم، فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم"(٤).

٤- الأسلوب الحكيم: ذكر القزويني (٧٣٩هـ) أن الأسلوب الحكيم نوعان:"وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له"(٥).

٥- الإلجاء: قال ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ):"هو أن تكون صحة الكلام المدخول، ظاهرهُ موقوفة على الإتيان فيه، بما يبادر الخصم إلى رده بشيء يلجئه إلى الاعتراف بصحته، وملخص تعريفه أن يقال: لكل كلامُ يرد فيه على المعترض عليه جواب مدخول إذا دخله الخصم به التجأ إلى تصحيح الجواب"(٦).

٦- الإسجال: قال ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ):"وهو أن يقصد الشاعر غرضًا من ممدوح، فيأتي بألفاظ تقرر بلوغه ذلك الغرض، فيسجل عليه ذلك، مثل أن يشترط لبلوغ ذلك الغرض شرطًا يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض، ثم يقرر وقوع ذلك الغرض مغالطة، ليقع المشروط"(٧).

٧- مجاراة الخصم: قال بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ):"مجاراة الخصم؛ إذ شأن من يدعى عليه خصمه الخلاف

---

(١) ابن المعتز: البديع في البديع، ص١٤٧.

(٢) ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر، ت: حفني شرف، ص١١٩.

(٣) ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص٢٧٥.

(٤) ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ت: حفني محمد شرف، ص٥٩٩.

(٥) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد خفاجي، ٢/٩٤.

(٦) ابن أبي الإصبع: بديع القرآن، ت: حفني محمد شرف، ٢/٢٢٦.

(٧) ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ت: حفني محمد شرف، ص٥٧٤.

فى أمر لا يخالف فيه أن يعيد كلام خصمه على صفته ليعثر الخصم حيث يراد تبكيته؛ أى: إفحامه وإسكاته"(١).

٨- **الاستدراج:** ويعرفه ابن الأثير (٦٣٧هـ) بقوله:"وهو التوصل إلى وصول الغرض من المخاطب، والملاطفة له بلوغ المعنى المقصود، من حيث لا يشعر به"(٢).

٩- **سوق المعلوم مساق غيره:** قال النويري (٧٣٣هـ):" تجاهل العارف: فهو سؤال المتكلّم عما يعلمه حقيقة تجاهلًا منه؛ ليخرج كلامه مخرج المدح أو الذمّ، أو ليدلّ على شدّة التدلّه فى الحبّ، أو لقصد التعجّب أو التوبيخ أو التقرير؛ وقال السكاكيّ: هو سوق المعلوم مساق غيره لنكتة كالتوبيخ"(٣).

١٠- **الكلام المنصف:** ومثاله ما ذكره بهاء الدين السبكي (٧٧٣هـ):"وقوله تعالى ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢٤ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ {سبأ: ٢٤-٢٥} فإنه لو جرى على الظاهر لجاء (لا تسألون عما نعمل ولا نسأل عما أجرمتم). ووجه حسنه إسماع المخاطبين الحق على وجه لا يغضبهم، فإنه ليس فيه التصريح بنسبتهم إلى الباطل، وصرفه إلى المتكلم إشارة إلى أنه لا يريد لهم إلا ما أراده لنفسه"(٤).

---

(١) بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: عبد الحميد هنداوي، ٤١١/١.

(٢) ابن الأثير: الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ت: مصطفى جواد، ص٢٣٥.

(٣) النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٢٣/٧.

(٤) بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: عبد الحميد هنداوي، ٣٣٦/١.

المبحث الثاني

آليات الحجاج في آيات الجهاد.

١ - آليات الحجاج في اللسانيات العربية.

١. ١ - الحجاج بالبيان والبديع.

١. ٢ - الحجـــــاج بالأساليب.

١. ٣ - الرد على المغالطات الحجاجية.

١. ٤ - القيمة الحجاجية في الآيات المتشابهات.

٢ - آليات الحجاج في اللسانيات الغربية.

٢. ١ - آليات الوصل والفصل.

٢. ٢ - السلالـم الحجـاجية.

١ - آليات الحجاج في اللسانيات العربية:

يميل الإنسان بفطرته إلى ضرب الأمثال، والانطلاق من المحسوس إلى المعقول، ومن الجزئي إلى الكلي، والمقايسة بين المتشابهات، والتفريق بين المفترقات، ولذلك كثرت هذه الطرائق في القرآن الكريم هداية للناس؛ لأنه الكتاب المعجز الذي أنزله الله ﷻ حجة على البشر.

وكغيرها من الآيات القرآنية جاءت آيات الجهاد حافلة بالآليات الحجاجية التي تسعى للتأثير في المخاطَبين على تنوعهم، بالإقناع تارة وبزيادة الاقتناع تارة أخرى، أو بالرد عليهم وبيان مغالطاتهم وكشف عوارها.

وتتنوع آليات الحجاج في الفكر اللغوي العربي، من أساليب بلاغية ونحوية، فنرى التشبيه والاستعارة والكناية تلعب دورًا مهما في إقناع المخاطَبين والتأثير عليهم، كما أن للمحسنات البديعية دورها في التأثير أيضًا، بجانب الأساليب اللغوية المختلفة كالقصر والشرط والاستثناء وغير ذلك. وأعرض لبعض تلك الآليات مع ذكر بعض الأمثلة عليها من آيات الجهاد، فمن ذلك:

١. ١- الحجاج بالبيان والبديع:

المقصود بالصور البيانية: التشبيه والاستعارة والكناية والتورية والمجاز المرسل، وهي كثيرة في المدونة، ومن ذلك:

١. ١. ١- الحجاج بالتشبيه:

يعرف السكاكي (٦٢٦هـ) التشبيه بقوله:"التشبيه مستدعٍ طرفين مشبهًا ومشبهًا به واشتراكًا بينهما من وجه، وافتراقًا من آخر مثل أن يشتركا في الحقيقة ويختلفا في الصفة أو بالعكس"(١). وفي خزانة الأدب التشبيه:"إلحاق أدنى الشيئين بأعلاهما في صفة اشتركا في أصلها، واختلفا في كيفيتها قوة وضعفًا"(٢).

فهذا الإلحاق الذي يحدثه التشبيه بين طرفيه في الصفة المشتركة بينهما، له قوته الحجاجية تسعى إلى التأثير في المخاطبين، ويشير إلى ذلك الجرجاني (٤٧١هـ) بقوله:"واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه: أنّ التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني، أو برزت هي باختصار في معرضه، ونقلت عن صورها الأصلية إلى صورته كساها أبهة وكسبها منقبة، ورفع من أقدارها، وشب من نارها، وضاعف قواها في تحريك النفوس لها، ودعا القلوب إليها، واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفًا، وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفًا .. وإن كان حجاجا: كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر، وبيانه أبهر"(٣).

فالتشبيه له قوة حجاجية في إقناع المخاطبين، تتمثل في حثهم على تأمل الأمور المشتركة أو وجه الشبه بين طرفي التشبيه، واستدعاء الصفات المشتركة بين المتشابهات يعين على تبين الصواب في المواقف المختلفة، وقد تظهر القوة الحجاجية أحيانًا في نفي المشابهة وإنكارها، وإرشاد المخاطَب إلى خطأ تشبيهه ومساواته بين أمور لا تتشابه ولا تستوي في حقيقتها. ومن أمثلة التشبيه في الآيات:

---

(١) السكاكي: مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، ص٣٣٢.

(٢) ابن حِجَّة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ت: عصام شقيو، ١/٣٨٤.

(٣) ينظر: الجرجاني: أسرار البلاغة، ت: شاكر، ص١١٥.

المثال الأول: (يخشون الناس كخشية الله)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَخۡشَوۡنَ ٱلنَّاسَ كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗۚ وَقَالُواْ رَبَّنَا لِمَ كَتَبۡتَ عَلَيۡنَا ٱلۡقِتَالَ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖۗ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ {النساء: ٧٧}

التشبيه: في الآية تشبيه تتمثل أركانه في:

أركان التشبيه			
المشبه: مفعول مطلق محذوف دل عليه المشبه به (خشية)	المشبه به: خشية الله	أداة التشبيه الكاف	وجه الشبه: محذوف تقديره إلحاق البأس وصنوف العذاب

قال جبل (١٤٣٦هـ) في تعريف الخشية:"كل ما في القرآن من التركيب فهو بمعنى الخوف المشوب بتنبه لأمر أو أمور"(١).

وفي تشبيه خشية فريق من المؤمنين من قتال المشركين بخشيتهم من الله أو أشد، هو توبيخ لهم. قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"﴿كَخَشۡيَةِ ٱللَّهِ أَوۡ أَشَدَّ خَشۡيَةٗ﴾ مسوق مساق التوبيخ لهم حيث رغبوا تأخير العمل بأمر الله بالجهاد لخوفهم من بأس المشركين، فالتشبيه جار على طريقة المبالغة؛ لأنّ حمل هذا الكلام على ظاهر الإخبار لا يلائم حالَهم من فضيلة الإيمان والهجرة"(٢).

الغرض الحجاجي: هذا التشبيه الجاري على طريقة المبالغة لا شك له دور حجاجي في تحذير المخاطَبين من سلوك هذا المسلك، والاتصاف بتلك الصفات، فهو تنفير لهم منه.

المثال الثاني: (فإنهم يألمون كما تألمون)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ {النساء: ١٠٤}

التشبيه: في الآية تشبيه تتمثل أركانه في:

أركان التشبيه التمثيلي			
المشبه: حال المؤمنين بعد المعركة	المشبه به: حال الكافرين بعد المعركة	أداة التشبيه الكاف	وجه الشبه: الاشتراك في الألم

قال القيسي (٤٣٧هـ) قي تفسيرها:"أي لا تضعفوا عن عدوكم من أجل ما أصابكم من الجراح، والتعب فإنهم

(١) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (خ-ش-و/خ-ش-ي)، ٥٦١/١.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٢٥/٥.

قد أصابهم مثل ما أصابكم، ولكم عليهم فضيلة، وهي أنكم ترجون من الله الجنة في الآخرة، والأجر والخلاص من النار، وترجون الغنيمة في الدنيا وهم لا يرجون جنة ولا أجرًا، ولا يأمنون من عذاب، فأنتم أيها المؤمنون أولى ألا تضعفوا وأن تصبروا على عدوكم"(١).

الغرض الحجاجي: إن الحجاج في هذه الآية هدفه تحريض المؤمنين على مواصلة الجهاد بعد أحد، وحثهم على طلب المشركين، وهو قائم على ركنين:

الركن الأول: جاء من تشبيه حال المؤمنين وما أصابهم من جراحات وآلام بعد المعركة، بحال المشركين وأنهم قد أصابهم مثل ما أصاب المؤمنين، فهذا التشبيه له دور حجاجي في التأثير على المخاطَبين وهم المؤمنون، حتى لا يتذرعوا بتلك الحال فيضعفوا عن ابتغاء القوم وملاحقتهم.

والركن الثاني: هو تنبيه المؤمنين إلى الفضيلة التي يمتازون بها عن المشركين، وهي رجاؤهم من الله دخول الجنة والنجاة من النار، تحفيزًا لهم على مواصلة الجهاد.

المثال الثالث: (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق)

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ {الأنفال: ٥ – ٦}

التشبيه: في الآية تشبيه تتمثل أركانه في:

أركان التشبيه التمثيلي			
المشبه: حال المؤمنين في أمر الأنفال	المشبه به: حالهم وقت الخروج من المدينة للقتال ببدر	أداة التشبيه الكاف	وجه الشبه: كراهتهم للأمر ثم انقلابه في مصلحتهم.

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"فالتشبيه تمثيلي وليس مراعى فيه تشبيهُ بعض أجزاء الهيئة المشبهة ببعض أجزاء الهيئة المشبّه بها، أي أن ما كرهتموه من قسمة الأنفال على خلاف مشتهاكم سيكون فيه خير عظيم لكم، حسب عادة الله تعالى بهم في أمره ونهيه"(٢).

وقد اختلف المفسرون في الكاف في قوله تعالى ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"اضطرب المفسرون في قوله ﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ﴾ واختلفوا على خمسة عشر قولًا"(٣). وذكر السمين الحلبي (٧٥٦هـ) فيها عشرين وجهًا(٤).

(١) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ١٤٥٦/٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٦٤/٩.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٢٧٢/٥.

(٤) ينظر: السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٥٥٩/٥-٥٦٣.

قال السمعاني (٤٨٩هـ):"واختلفوا في أن قوله:﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ﴾ إلى ماذا ترجع كاف التشبيه؟ قال المبرد: تقديره: الأنفال لله وللرسول وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك وإن كرهوا. وقول الفراء قريب من هذا، وهكذا قول الزجاج؛ فإنهما قالا: تقديره: امض لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا، كما مضيت لأمر الله عند إخراجك من بيتك وإن كرهوا. وقيل: هو راجع إلى قوله تعالى:﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ وتقديره: كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فاتبعت أمره، فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم. وقيل: هو راجع إلى قوله تعالى: ﴿لَّهُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمۡ﴾ وتقديره: وعد الدرجات حق كما أخرجك ربك من بيتك بالحق؛ فأنجز الوعد بالنصر والظفر. قال أبو عبيدة (٢١٠هـ):"مجازها مجاز القسم، كقولك: والذي أخرجك ربك؛ لأن «ما» في موضع «الذي»"(١).

الغرض الحجاجي: هذا التشبيه له قوته الحجاجية في التأثير على المخاطبين وإقناعهم بالتسليم للأمر الإلهي في تقسيم الأنفال، وإن كان على غير مرادهم، فاستدعاء الحدث السابق فيما حدث ببدر، وكراهة المؤمنين له في أول الأمر، وتشبيه الحدث الحالي به، له تأثيره الواضح في نفوسهم. قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"ولما كان ترك الدنيا شديدًا على النفس، وترك النزاع بعد الانتساب فيه أشد، شرع يذكر لهم ما كانوا له كارهين ففعله بهم وأمرهم به لعلمه بالعواقب فحمدوا أثره، ليكون ادعى لتسليمهم لأمره وازدجارهم بزجره، فشبه حال كراهتهم لترك مرادهم في الأنفال بحال كراهتهم لخروجهم معه ثم بحال كراهتهم للقاء الجيش دون العير، ثم إنهم رأوا أحسن العاقبة في كلا الأمرين"(٢).

المثال الرابع: (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام)

قَالَ تَعَالَى:﴿ أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {التوبة: ١٩}

التشبيه: جاءت الآية تنفي وجه المشابهة بين العملين والعاملين، وهو نفي للأفضلية التي ادعاها بعض الناس من باب أولى. وتتمثل أركان التشبيه في:

أركان التشبيه			
المشبه: سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام (العمل مذكور والعامل محذوف)	المشبه به: من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله (العامل مذكور والعمل محذوف)	أداة التشبيه الكاف	وجه الشبه: في الفضيلة وعلو الدرجة (محذوف)

ويشير البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ) إلى الاحتباك(٣) في الآية بقوله:"فالآية على قراءة الجماعة من الاحتباك: حذف أولًا المشبه به لدلالة المشبه عليه، وثانيًا المشبه لدلالة المشبه به عليه"(٤). ويبين ابن عاشور (١٣٩٣هـ) هذا الاحتباك

(١) ينظر: أبو عبيدة: مجاز القرآن، ت: فؤاد سزكين، ص٢٤٠.

(٢) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٢٢٣/٨.

(٣) الاحتِباك:"هو أن يَجتمع في الكلام متقابِلان، ويُحذف من كلِّ واحدٍ منهما مُقابِلُه؛ لدلالة الآخَر عليه" (الشريف الجرجاني: التعريفات، ص١٢).

(٤) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤١٦/٨.

بقوله:"وقد دلّ ذكرُ السقاية والعمارة في جانب المشبّه، وذكرُ من آمن وجاهد في جانب المشبّه به، على أنّ العملين ومَن عملهما لا يساويان العملَين الآخرين ومَن عملهما. فوقع احتباك في طرفي التشبيه، أي لا يستوي العملان مع العملين ولا عاملوا هذين بعاملي ذينك العملين"(١).

الغرض الحجاجي: إنكار هذه المشابهة بالاستفهام الإنكاري ﴿أَجَعَلْتُمْ﴾ في مطلع الآية، ونفي المساواة بجملة ﴿لَا يَسْتَوُونَ﴾ المستأنفة استئنافًا بيانيًا لتقرير الإنكار وتأكيده، له قوته الحجاجية في التأثير على المخاطبين، ليدركوا خطأهم في الحكم على الأعمال، وتبيين أفضلية الإيمان بالله والجهاد في سبيله على غيره. قال أبو السعود (٩٨٢هـ):"وتوجيهُ النفي هاهنا والإنكارُ فيما سلف إلى الاستواء والتشبيهِ مع أن دعوى المفتخِرين بالسقاية والعمارةِ من المشركين والمؤمنين إنما هي الأفضليةُ دون التساوي والتشابه للمبالغة في الرد عليهم فإن نفيَ التساوي والتشابهِ نفيٌ للأفضلية بالطريق الأولى"(٢).

المثال الخامس: (خرجوا من ديارهم بطرًا ورئاء الناس)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ {الأنفال: ٤٧}

التشبيه: في الآية تشبيه تتمثل أركانه في:

أركان التشبيه التمثيلي			
المشبه: حال المؤمنين في الخروج للقتال	المشبه به: حال المشركين في الخروج للقتال	أداة التشبيه الكاف	وجه الشبه: البطر ورئاء الناس

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وجِيء في نهيهم عن البطَر والرئَاء بطريقة النهي عن التشبّه بالمشركين إدماجًا للتشنيع بالمشركين وأحوالِهم، وتَكريهًا للمسلمين تلكَ الأحوالَ؛ لأنّ الأحوال الذميمة تتّضح مذمتها، وتنكشف مزيد الانكشاف إذا كانت من أحوال قوم مذمومين عند آخرين، وذلك أبلغ في النهي، وأكشف لقبْح المنهي عنه .. فنهوا عن أن يشبهوا حال المشركين في خروجهم لبَدْر إذْ خرجوا بطَرًا ورئاء الناس؛ لأنّ حقّ كلّ مسلم أن يريد بكلّ قول وعمل وجه الله، والجهاد من أعظم الأعمال الدينية"(٣).

الغرض الحجاجي: كما أن للتشبيه دوره في الحجاج، فإن نفيه والنهي عنه أيضًا له دور مؤثر في تنفير المخاطَب من الوقوع في هذه الصورة المذمومة، وحثه على البعد عنها ومجانبتها.

المثال السادس: (كالذي يغشى عليه من الموت)

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٠/١٤٦.

(٢) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٤/٥٢.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٠/٣٣.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ {الأحزاب: ١٨ – ١٩}

التشبيه: تكشف الآيات جبن المنافقين عند القتال، وطمعهم حال الرخاء وعند الغنائم، وقد جاء التشبيه في وصف حال المنافقين عند الخوف في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾. وتتمثل أركانه في:

أركان التشبيه التمثيلي			
المشبه: حال المنافقين إذا جاء الخوف	المشبه به: حال الذي يغشى عليه من الموت	أداة التشبيه الكاف	وجه الشبه: الخوف والاضطراب

قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ): "قوله: ﴿كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ﴾ يجوز فيه ثلاثةُ أوجهٍ، أحدها: أن تكونَ حالًا مِنْ ﴿أَعْيُنُهُمْ﴾ أي: تدورُ أعينُهم حالَ كونِها مُشْبِهَةً عينَ الذي يُغْشى عليه من الموت. الثاني: أنه نعت مصدر مقدَّر لقوله ﴿يَنظُرُونَ﴾ تقديرُه: ينظرون إليك نَظَرًا مثل نَظَرِ الذي يُغْشى عليه من الموت، ويؤيِّده الآية الأخرى ﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ {محمد: ٢٠} الثالث: أنه نعت لمصدر مقدَّر أيضًا لـ﴿تَدُورُ﴾ أي: دَوَرانًا مثلَ دَوَرانِ عَيْنِ الذي. وهو على الوجهين مصدرٌ تشبيهيٌّ"(١).

وبعد هذا التشبيه، تأتي صورة بيانية أخرى تصور حال المنافقين بعد ذهاب الخوف، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾ قال الألوسي (١٢٧٠هـ): "يشبه اللسان بالسيف ونحوه على طريق الاستعارة المكنية، ويثبت له السلق بمعنى الضرب تخييلًا"(٢).

الغرض الحجاجي: كان لهاتين الصورتين البيانيتين دورهما الحجاجي في التأثير على المخاطبين، وذلك من خلال وصف المنافقين للمخاطَبين في صورة واضحة كاشفة تفضح حالهم وتبين أمرهم؛ ليكون المؤمنون على حذر من أقوالهم وأفعالهم.

المثال السابع: (نظر المغشي عليه من الموت)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ {محمد: ٢٠}

التشبيه: في الآية تشبيه تتمثل أركانه في:

(١) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٩/١٠٦.

(٢) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ١١/١٦٣.

أركان التشبيه المؤكد المجمل (البليغ)			
المشبه: نظر المنافقين إليك وقت نزول القرآن بالجهاد	المشبه به: نظر المغشي من الموت	أداة التشبيه محذوفة	وجه الشبه: محذوف وتقديره الحيرة والاضطراب والخوف

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وانتصب ﴿نَظَرَ ٱلْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ على المفعولية المطلقة لبيان صفة النظر من قوله:﴿يَنظُرُونَ إِلَيْكَ﴾ فهو على معنى التشبيه البليغ. ووجه الشبه ثبات الحدقة وعدم التحريك، أي ينظرون إليك نظر المتحيّر بحيث يتجه إلى صوب واحد ولا يشتغل بالمرئيات؛ لأنه في شاغل عن النظر، وإنما يوجهون أنظارهم إلى النبي ﷺ إذ كانوا بمجلسه حين نزول السورة، وكانوا يتظاهرون بالإقبال على تلقي ما ينطق به من الوحي فلما سمعوا ذكر القتال بهتوا، فالمقصود المشابهة في هذه الصورة"(١).

الغرض الحجاجي: إن الدور الحجاجي الذي يقوم به هذا التشبيه يتمثل في أنه يفضح ويبين للمخاطَب وهو النبي ﷺ ومن معه من المؤمنين صفات هؤلاء المنافقين حين ينزل القرآن يأمرهم بالقتال في سبيل الله، وذلك حتى يأخذ حذرهم منهم. قال القشيري (٤٦٥هـ):"رأيتَ المنافقين يكرهون ذلك لِمَا كان يشق عليهم من القتال، فكانوا يفتضحون عندئذٍ، وكانوا ينظرون إلى النبي ﷺ بغاية الكراهة"(٢).

المثال الثامن: (زرع أخرج شطأه)

قَالَ تَعَالَى:﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ {الفتح: ٢٩}

حجة التشبيه: في الآية تشبيه تتمثل أركانه في:

أركان التشبيه التمثيلي			
المشبه: حال الإسلام في مراحله	المشبه به: حال الزرع في مراحل نموه	أداة التشبيه الكاف	وجه الشبه: يبدأ ضعيفًا ثم يشتد عوده وينمو

قال الماوردي (٤٥٠هـ):"ووجه ضرب المثل بهذا الزرع الذي أخرج شطأه، هو أن النبي ﷺ حين بدأ بالدعاء إلى دينه كان ضعيفًا، فأجابه الواحد بعد الواحد، حتى كثر جمعه وقوي أمره، كالزرع يبدو بعد البذر ضعيفًا فيقوى

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٠٨/٢٦.

(٢) القشيري: لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، ٤١١/٣.

حالا بعد حال حتى يغلظ ساقه وأفراخه فكان هذا من أصح مثل وأوضح بيان، والله أعلم"(١).

ويعدّ ابن عاشور (١٣٩٣هـ) التشبيه قابل للتجزئة حال أي تشبيه تمثيلي يكون التشبيه فيه مركبًا وليس مفردًا، فيقول:"وهذا التمثيل قابل لاعتبار تجزئة التشبيه في أجزائه بأن يشبه محمد ﷺ بالزارع كما مثل عيسى غلب الإسلام في الإنجيل، ويشبه المؤمنون الأولون بحبات الزرع التي يبذرها في الأرض، مثل: أبي بكر وخديجة وعلي وبلال وعمّار، والشطْء: من أيدوا المسلمين فإن النبي ﷺ دعا إلى الله وحده وانضم إليه نفر قليل ثم قواه الله بمن ضامن معه كما يقوي الطاقة الأولى من الزرع ما يحتف بها مما يتولد منها حتى يعجب الزرّاع. وقوله:﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ تحسين للمشبّه به ليفيد تحسين المشبه"(٢).

الغرض الحجاجي: نلمس في هذا التشبيه دورًا حجاجيًا واضحًا تتمثل قوته الحجاجية في مدح هؤلاء الصحابة الكرام ومن سار على دربهم بأجمل الأوصاف وألطف العبارات، مما يؤثر في نفس المخاطَب أقوى التأثير فيسلم لهم بالفضل ويقر لهم بالمنزلة العالية والمكانة الرفيعة عند الله ﷻ.

المثال التاسع: (البنيان المرصوص)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴾ {الصف: ٤}

التشبيه: في الآية تشبيه تتمثل أركانه في:

أركان التشبيه التمثيلي			
المشبه: حال المقاتلين في سبيل الله	المشبه به: حال البنيان المرصوص	أداة التشبيه كأن	وجه الشبه: الوترابط والتماسك والصلابة والقوة

قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"والظاهر أن المراد تشبيههم في التحام بعضهم ببعض بالبنيان المرصوص من حيث أنهم لا فرجة بينهم ولا خلل، وقيل: المراد استواء نياتهم في الثبات حتى يكونوا في اجتماع الكلمة كالبنيان المرصوص، والأكثرون على الأول"(٣).

الغرض الحجاجي: التعبير عن الاتحاد والتماسك بهذه الصورة البيانية التي تظهر المعنى في صورة حسية ملموسة، لا شك أن تأثيرها الحجاجي في المخاطَبين أقوى من التعبير العادي.

١. ١. ٢- الحجاج بالاستعارة:

يعرف الجرجاني (٤٧١هـ):"الاستعارة في الجملة أن يكون للَّفظ أصلٌ في الوضع اللغوي معروفٌ تدلُّ الشواهد على أنه اخْتُصَّ به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلًا غير لازم،

(١) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٢٤/٥.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢١٠/٢٦.

(٣) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٢٧٩/١٤.

فيكون هناك كالعاريَّة"(١). ويصفها في موضع آخر بقوله:"أما الاستعارة، فهي ضربٌ من التشبيه، ونَمَطٌ من التمثيل، والتشبيه قياس، والقياس يجري فيما تعيه القلوب، وتُدركه العقول، وتُستَفتَى فيه الأفهامُ والأذهان، لا الأسماع والآذان"(٢).

يقول السكاكي (٦٢٦هـ) في تعريف الاستعارة:"حدها عند بعضهم تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإنابة، وعند الأكثر جعل الشيء الشيء لأجل المبالغة في التشبيه، كقولك: رأيت أسدًا في الحمام وجعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه، كقولك لسان الحال، وزمام الحكم، ولا أزيد على الحكاية"(٣).

إذا كان للتشبيه في إثباته ونفيه قوة حجاجية في نفس المخاطَب، فالاستعارة من باب أولى، إذ إن الاستعارة تعتمد على المبالغة في التشبيه.

ومن الاستعارات في الآيات:

المثال الأول: (مس البأس والضراء للمؤمنين وزلزلتهم)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾ {البقرة: ٢١٤}

الاستعارة: في الآية عدة استعارات تتمثل في قوله تعالى(٤):

﴿حَسِبۡتُمۡ﴾ **استعارة تصريحية تبعية**(٥): استعمال حسب والتي أصلها من الحساب وهو العدّ بمعنى الظنّ، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"ومصدره الحِسبان بكسر الحاء وأصله من الحساب بمعنى العد، فاستعمل في الظن تشبيهًا لجولان النفس في استخراج علم ما يقع بجولان اليد في الأشياء لتعيين عددها، ومثله في ذلك فعل عَدَّ بمعنى ظن"(٦).

الغرض الحجاجي: تقريب صورة المظنون به في صورة المجزوم بعلمه.

﴿مَّثَلُ﴾ **استعارة تصريحية أصلية:** المثل وهو الشبه، استعير للحال الغريبة أو للقضية العجيبة، بجامع الاشتهار والتميز في كل منهما.

الغرض الحجاجي: إيماء للمؤمنين بضرورة تميز حالهم وتفرد أحوالهم عن غيرهم من الكفار؛ بأن يقع لهم ما يمحص إيمانهم، ويظهر مقدار صبرهم، وعلى قدر الأذى والصبر عليه يكون الجاء والثواب.

﴿يَأۡتِكُم مَّثَلُ﴾ **استعارة مكنية:** شبَّه مثل ما وقع للمؤمنين الأولين وما سيقع لأسلافهم بقادم من مكان؛

---

(١) الجرجاني: أسرار البلاغة، ت: محمود شاكر، ص٣٠.

(٢) المرجع السابق، ص٢٠.

(٣) السكاكي: مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، ص٣٨٤.

(٤) ينظر: ناصر الخنين: النظم القرآني في آيات الجهاد، ص٤٦٨-٤٧٢.

(٥) تكون الاستعارة أصليّة إذا كان اللفظ الذي جرت فيه اسمًا جامدًا. وتكون الاستعارة تبعيّة إذا كان اللفظ الذي جرت فيه مُشتقًّا أو فعلا وكلٌّ تبعيّة قَرينتها مَكْنيَّة، وإذا أُجْريت الاستعارة في واحدة منهما امتنع إجراؤها في الأخرى. (على الجارم، مصطفى أمين: البلاغة الواضحة، ص٨٤).

(٦) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٣١٤/٢.

بجامع الحضور والمثول، وحذف المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو الفعل ﴿يَأْتِكُم﴾.

الغرض الحجاجي: إشعار المخاطبين بأن شَبَهَهُم بغيرهم واقع فيهم وقوع الحضور من إنسان شرع في الإتيان إلى مكان معين، فهو قادم وإن تلبث قليلًا، غاية ذلك أن يهيئوا أنفسهم لتحمل المصائب والرزايا.

﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ **استعارة تصريحية تبعية**: استعير المس لوقع البأساء والضراء على المؤمنين، بجامع حدوث الأثر في كل منهما.

ويجوز أن تجري الاستعارة في ﴿ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ على سبيل تشبيههما بأمر يحس الجسد ويؤلمه، بجامع إحداث الأثر من كليهما، وقد حذف المشبه به، ودل عليه بلازم من لوازمه، وهو فعل المس، فتكون استعارة مكنية.

الغرض الحجاجي: إشعار المخاطبين بمدى ما لحق بالمؤمنين وأثّر في حالهم حتى كأنّ تلك البأساء والضراء التصقت بأجسامهم.

﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ **استعارة تصريحية تبعية**: تشبيه اضطراب المؤمنين وشدة خوفهم بالزلزلة التي تهز الأرض هزًّا عنيفًا.

ومثلها في قوله تعالى في سورة الأحزاب:﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ {الأحزاب: ١١}

الغرض الحجاجي: إشعار المخاطبين بمدى ما لحق بالمؤمنين من البلايا والرزايا حتى بلغ منهم كل مبلغ، وأخذ يقيمهم ويقعدهم، وأزعجهم إزعاجًا شديدًا شبيهًا بالزلزلة الأرضية.

المثال الثاني: (شراء الله لأنفس وأموال المؤمنين بالجنة)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ {التوبة: ١١١}

الاستعارة: في الآية استعارة تتمثل في قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم﴾ **استعارة مكنية تبعية**: تضمنت الآية مجازًا في نسبة الشراء إلى الله ﷻ وهو المالك للأنفس والأموال. قال الجصاص (٣٧٠هـ):"أطلق الشِّرَى فيه على طريق المجاز؛ لأن المشتري في الحقيقة هو الذي يشتري ما لا يملك، والله تعالى مالك أنفسنا وأموالنا، ولكنه كقوله تعالى:﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ {البقرة: ٢٤٥}، فسماه شِرًى كما سمَّى الصدقة قَرْضًا؛ لضمان الثواب فيهما به، فأجرى لفظه مجرى ما يملكه العامل فيه استدعاء إليه وترغيبًا فيه"(١).

ويبين أبو السعود (٩٨٢هـ) الاستعارة في الآية وأثرها الحجاجي بقوله:"ترغيبٌ للمؤمنين في الجهاد ببيان فضيلته إثرَ بيان حال المتخلفين عنه، ولقد بولغ في ذلك على وجه لا مزيد عليه حيث عبّر عن قَبول الله تعالى من المؤمنين أنفسَهم وأموالَهم التي بذلوها في سبيله تعالى وإثابتِه إياهم بمقابلتها الجنةَ بالشراء على طريقة الاستعارةِ التبعية، ثم جُعل

(١) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، ٣٦٨/٤.

المبيعُ الذي هو العُمدةُ والمقصِدُ في العقد أنفُسَ المؤمنين وأموالَهم، والثمنُ الذي هو الوسيلةُ في الصفقة الجنةُ، ولم يُجعل الأمرُ على العكس بأن يقال: إن الله باع الجنةَ من المؤمنين بأنفسهم وأموالهم؛ ليدل على أن المقصِد في العقد هو الجنةُ، وما بذله المؤمنون في مقابلتها من الأنفس والأموال وسيلةٌ إليها، إيذانًا بتعليق كمال العناية بهم وبأموالهم، ثم إنه لم يقل بالجنة بل قيل: ﴿بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ {التوبة: ١١١} مبالغةً في تقرير وصولِ الثمنِ إليهم واختصاصِه بهم كأنه قيل: بالجنة الثابتة لهم المختصة بهم"(١).

الغرض الحجاجي: بيان فضل الجهاد في سبيل الله ﷻ، وترغيب المخاطبين للمسارعة فيه، موظفة في ذلك أقرب فكرة وأبلغها تأثيرًا في نفوس المخاطبين.

يقول أسامة بن منقذ (٥٨٤هـ):"والاستعارة أوكد في النفس من الحقيقة، وتفعل في النفوس ما لا تفعله الحقيقة"(٢). ويقول الجرجاني (٤٧١هـ) عن تأثير الاستعارة:"فإنك لترى بها الجماد حيًّا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفيّة بادية جليّة، وإذا نظرت في أمر المقاييس وجدتها ولا ناصر لها أعزّ منها، ولا رونق لها ما لم تزنها"(٣).

المثال الثالث: (ذات الشوكة وقطع دابر الكافرين)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ {الأنفال: ٧}

الاستعارة: في الآية استعارة تتمثل في قوله تعالى:

﴿ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ﴾ **استعارة تصريحية أصلية:** وفيها استعارة لحدة السلاح في طائفة النفير، فقد شبهت حدة سلاحهم بإبر الشوك بجامع شدة التأثير فيهما، ثم حذف المشبه، وصرح بلفظ المشبه به.

الشوكة البأس والسلاح مستعار من واحدة الشوك. شبه حدة الرمح ونصل السهم بحدة شوك النبات كشوك النخلة، وشجر الطلح.

وقيل هي من تصوير المحسوس بالمحسوس، فحدة السلاح من سيوف ورماح محسوسة الأثر وأطراف الشوك كذلك. ويرى ابن عاشور (١٣٩٣هـ) أنها من تشبيه المعقول بالمحسوس إذ يقول:"وشاع استعارة الشوكة للبأس، يقال: فلان ذو شوكة، أي ذو بأس يتقى كما يستعار القرن للبَاس في قولهم: أبدى قَرنه، والناب أيضًا في قولهم: كشّر عن نابه، وذلك من تشبيه المعقول بالمحسوس أي تودون الطائفة التي لا يخشى بأسها تكون لكم أي مِلْكَكُم فتأخذونهم"(٤).

الغرض الحجاجي: تصوير نفوس بعض المؤمنين قبيل غزوة بدر، وأنهم ما اختاروا العير إلا خوفًا من شوكة

---

(١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ١٠٥/٤.

(٢) أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ت: أحمد بدوي وآخرون، ص٤١.

(٣) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ت: محمود شاكر، ص٤٣.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٧٠/٩.

العدو، لينبه بذلك على أن ما كل ما تشتهيه أنفسهم يكون خيرًا لهم حتى يجروا وراء اختيارهم، ويبحثوا عن راحتهم، بل عليهم أن ترتفع هممهم، وتعلو هامات رؤوسهم إلى ما هو أعلى وأجل؛ بأن يعملوا بمراد الله ﷻ وإن كان فيه مصادمة لرغباته، ومعارضة لشهواتهم، فإن وراءه الخير والكنز كله، كما حصل في بدر في عاقبة أمرهم عندما تدارك الله رغباتهم برحمته، فأرشدهم إلى سبيل النصر من بابه، وملكهم العز من أبوابه(١).

﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ **استعارة تصريحية تبعية**: استعار القطع للإفناء، فشبه إفناء الكافرين بالقطع، بجامع الاستئصال في كل منهما.

ويجوز أن يكون ﴿وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ **استعارة مكنية**: شبه دابر الكافرين بعضو فاسد بجامع استحقاق الإزالة في كل منهما، ثم حذف المشبه به، ودل عليه بلازم من لوازمه وهو القطع.

الغرض الحجاجي: إشعار المخاطَبين بأن الله تعالى قد غضب على الكافرين، وأراد سبحانه استئصال شأفتهم، فكونوا من جنوده الذين يفعلون مراده، ويزيلون أعداءه من على وجه الأرض، فهم أعضاء فاسدة تستحق البتر، وفي ذلك تهييج لجند المسلمين على الكافرين، وتعزيز نفسي لهم، وتجريء على أعدائهم؛ لأنهم يمضون في أمر أراده الله ﷻ وندب إليه، فهم يتعبدون الله تعالى بقطع دابر الكافرين(٢).

المثال الرابع: (الإنزال من الصياصي وقذف الرعب)

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ {الأحزاب: ٢٦}

الاستعارة: في الآية استعارة تتمثل في قوله تعالى:

﴿وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ **استعارة مكنية تبعية**: الإنزال من الصياصي تضمن استعارة، قال الطبري:"وأصل الصياصي: جمع صيصة، يقال: وعنى بها ههنا: حصونهم، والعرب تقول لطرف الجبل: صيصة، ويقال لأصل الشيء: صيصة، يقال: جزّ الله صيصة فلان: أي أصله، ويقال لشوك الحاكة: صياصي، كما قال الشاعر: كَوَقْعِ الصّيَاصِي فِي النّسِيجِ المَمَدّدِ. وهي شوكتا الديك"(٣).

استعار لها الصياصي الموضوع لكل ما يمتنع به، كالقرون للثور والظبي، وشوكة الديك في رجله، لجامع الامتناع، وإنزالهم من الصياصي عبارة عن إذلالهم على طريق الاستعارة التبعية، وقذف الرعب سبب له، وأخّره لأن السرور بإنزالهم أكثر.

الغرض الحجاجي: جاء هذا التعبير لغاية حجاجية تتمثل في إشعار المخاطَبين بالمنعة والقوة التي كان عليها الأعداء، ليدركوا عظيم فضل الله عليهم بأن نصرهم على اليهود، وأنزلهم من حصونهم، وملّكهم أمرهم.

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ **استعارة مكنية تبعية**: صور الرعب كأنه قذيفة تسقط في هذه القلوب الشديدة

---

(١) ناصر الخنين: النظم القرآني في آيات الجهاد، ص٤٧٧.

(٢) المرجع السابق، ص٤٨٠.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٢٤٩/٢٠.

المتحجرة فتزلزلها، ولا يبقى فيها ذرة من ثبات(١).

الغرض الحجاجي: إشعار المخاطبين بقوة الرعب الذي أصاب أعداءهم فيستشعر المؤمنون عظيم فضل الله عليهم بأن أرعب أعداءهم، وزلزل ثباتهم، ونصرهم عليهم.

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ {الحشر: ٢}

الاستعارة: في الآية استعارة تتمثل في قوله تعالى:

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَ﴾ **استعارة مكنية تبعية:** القذف الرمي الشديد أو الرمي من بعيد، والمراد هنا الإثبات الشديد، استعارة من الحسي للعقلي، وهو إثبات الرعب في قلوبهم.

الغرض الحجاجي: سبق ذكره في الآية السابقة.

المثال الخامس: (إنزال السكينة)

قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ {التوبة: ٢٦}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدۡ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذۡ أَخۡرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {التوبة: ٤٠}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ {الفتح: ٤}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ {الفتح: ١٨}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ

---

(١) ينظر: كامل الدقس: آيات الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية وتاريخية وبيانية، ص٤٤٥.

وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾ {الفتح: ٢٦}

الاستعارة: في الآيات استعارات تتمثل في قوله تعالى:

﴿أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ﴾، ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ **استعارة مكنية تبعية:** والمعنى المحوري لمادة (سكن): استقرار في جوفِ حيّز أو باطن: كالقُوت في الجوف، وكهمود ما يُذْبح بالسكين في مكانه.. السَكِينة: الدَعَةُ والوَقَار. سكن: هدأ ووَدعَ(١).

قال ابن عادل (٨٨٠هـ):"والمراد بالسّكينة: ما يسكن إليه القلبُ، ويوجب الأمنة، ووجه الاستعارة فيه: أنَّ الإنسان إذا خاف فرَّ وفُؤاده متحرك، وإذا أمن؛ سكن وثبت؛ فلمَّا كان الأمن موجبًا للسكون جعل لفظ السَّكينة كناية عن الأمن"(٢).

ويُلاحظ التالي:

- استخدام الفعل ﴿أَنزَلَ﴾ وليس ﴿نَزَّلَ﴾ في كل المواضع، مما يدل على أن نزول السكينة في القلب يكون جملة واحدة، وليس متفرقًا.

- الفرق الكبير بين استخدام القذف مع الرعب والإنزال مع السكينة، فالقذف يحمل معنى الفجأة والقوة والسرعة، والإنزال يحمل معنى الهدوء والرفق والطمأنينة.

الغرض الحجاجي: إشعار المخاطَبين برحمة الله ﷻ برسوله ﷺ وبالمؤمنين ونصره وتأييده لهم، وتسكينه لقلوبهم في مواطن الخوف والفزع.

المثال السادس: (غشيان النعاس)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴾ {الأنفال: ١١}

الاستعارة: في الآية استعارة تتمثل في قوله تعالى:

﴿يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ﴾ **استعارة مكنية تبعية:** قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"ومعنى ﴿يُغَشِّيكُمُ﴾ يغطيكم به ويفرغه عليكم، وهذه استعارة"(٣).

قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"فإن قلت: هل يجوز أن ينتصب على أنّ الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم؟ أي يغشاكم النعاس لأمنه على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس على الحقيقة، أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم على غشيانكم؟ وإنما غشيكم

(١) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (س-ك-ن)، ١٠٤٢/٢.

(٢) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٥٩/١٠.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٠٦/٢.

أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل؟ قلت: لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله، وله فيه نظائر، وقد ألم به من قال:

يَهَابُ النومُ أَنْ يَغْشَى عُيُونا تَهَابُكَ فَهُوَ نَفَّارٌ شَرُودُ"(١).

قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"والقطب جعل في الكلام استعارة بالكناية حيث ذكر أنه شبه النعاس بشخص من شأنه أن يأتيهم، لكنه لا يأتيهم في وقت الخوف وإذا أمن أتاهم، ثم ذكر النعاس وأراد ذلك الشخص، والقرينة ذكر الأمنة لأنها من لوازم المشبه به"(٢).

الغرض الحجاجي: إشعار المخاطَبين بفضل الله على المؤمنين ونعمة الأمن التي وهبهم الله إياها يوم بدر، حتى غشيهم النعاس رغم صعوبة الظروف، فكانت هذه الاستعارة حجة على أمنهم؛ لأن الخائف الفزع لا يغشاه النعاس.

المثال السابع: (السقوط في الفتنة)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ {التوبة: ٤٩}

الاستعارة: في الآية استعارة تتمثل في قوله تعالى:

﴿فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟﴾ **استعارة مكنية تبعية:** قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والسقوط مستعمل مجازًا في الكَون فجأة على وجه الاستعارة: شُبّه ذلك الكون بالسقوط في عدم التهيّؤ له وفي المفاجأة، باعتبار أنّهم حصلوا في الفتنة في حال أمنهم من الوقوع فيها، فهم كالساقط في هُوّة على حينِ ظَنّ أنّه ماش في طريق سهل ومن كلام العرب «على الخبير سقطتَ»"(٣).

الغرض الحجاجي: بيان خطورة ما ارتكبه هؤلاء المنافقون من قعودهم عن الجهاد تذرعًا بخشية الوقوع في الفتنة، وذلك من خلال هذا التصوير البديع بالسقوط في فتنة النفاق الأكبر والتمرد على دين الله بعصيانه ومخالفة أوامره حتى استحقوا دخول جهنم.

المثال الثامن: (أخذ الحذر)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا﴾ {النساء: ٧١}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ

(١) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٠٦.

(٢) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ١٦٤/٥.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢١٢/٥.

بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴾ {النساء: ١٠٢}

الاستعارة: في الآية استعارة تتمثل في قوله تعالى:

﴿خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾ **استعارة مكنية تبعية:** قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"الحِذْر مصدر كالحَذَر ، وهو الاحتراز عما يخاف، فهناك الكناية والتخييل بتشبيه الحذر بالسلاح وآلة الوقاية، وليس الأخذ مجازًا ليلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز في قوله سبحانه:﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ {النساء: ١٠٢} إذ التجوز في الإيقاع، وقد صرح المحققون بجواز الجمع فيه، والمعنى استعدوا لأعدائكم أو تيقظوا واحترزوا منهم ولا تمكنوهم من أنفسكم"(١).

ويرى ابن عاشور (١٣٩٣هـ) خلاف ذلك إذ يقول:"لفظ ﴿خُذُوا﴾ استعارة لمعنى شدّة الحذر وملازمته؛ لأنّ حقيقة الأخذ تناول الشيء الذي كان بعيدًا عنك. ولما كان النسيان والغفلة يشبهان البعد والإلقاء، كان التذكّر والتيقّظ يشبهان أخذ الشيء بعد إلقائه، كقوله:﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ {الأعراف: ١٩٩}، وقولهم: أخذ عليه عهدًا وميثاقًا. وليس الحذر مجازًا في السلاح كما توهّمه كثير، فإنّ الله تعالى قال في الآية الأخرى ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ {النساء: ١٠٢} فعطف السلاح عليه"(٢).

الغرض الحجاجي: تنبيه المخاطبين لأهمية الاحتراس والاستعداد لأعدائهم من الكافرين، والمبالغة في ذلك بتوظيف الاستعارة التي ترمي إلى الأخذ الشديد للحذر بعد أن كان مهملًا مبعدًا، أو كأن السلاح والعدة هي الحذر نفسه.

١. ١. ٣- الحجاج بالكناية:

الكناية في اللغة: أن تتكلم بشيء وتريد غيره(٣).

وفي الاصطلاح يعرفها الجرجاني بقوله:"أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود؛ فيومئ به إليه، ويجعله دليلًا عليه"(٤).

وتتمثل بلاغة الكناية ودوره الحجاجي في عدة أمور(٥):

- إثبات الصفة بإثبات دليلها، وإيجابها بما هو شاهد في وجودها، آكد وأبلغ في الدعوى.
- وسيلة قوية من وسائل التأثير والإقناع، ولها أثر كبير في تحسين الأسلوب وتزيين الفكرة.
- تبرز المعاني المجردة في صور محسوسة؛ فيكون ذلك أدعى إلى قبولها وتأكيدها.
- توقظ الفكر وتدفعه إلى البحث عما وراء الصورة الظاهرة للكلام حتى يصل إلى المراد ويعرفه عن طريق

---

(١) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٧٧/٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١٨/٥.

(٣) ابن منظور: لسان العرب، (ك-ن-ي)، ٢٣٣/١٥.

(٤) الجرجاني: دلائل الإعجاز، ت: محمود شاكر، ٦٦/١.

(٥) ينظر: ناصر الخنين: النظم القرآني في آيات الجهاد، ص٤٨١و٤٨٢.

العلائق والصلات بين المعاني الظاهرة للكلام والمعاني المرادة منه.

- أسلوب الكناية يكون طريفًا معجبًا؛ تأنس له النفس، وتجد متعتها في الإنصات إليه.

ومن أمثلة الكنايات في الآيات:

المثال الأول: (كف اليد وبسطها)

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ {النساء: ٧٧}

ومثلها:

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَنْ يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ {المائدة: ١١}

ومثلها:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ {الفتح: ٢٤}

الكناية: في الآيات كنايات تتمثل في قوله تعالى:

﴿كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾، ﴿فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ﴾، ﴿كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ﴾ **كناية عن صفة:** قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وأما كف اليد فهو مجاز عن الإعراض عن السوء خاصة"[١].

﴿يَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وبسط اليد مجاز في البطش"[٢].

قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"يقال: بسط إليه يده إذا بطش به، وبسط إليه لسانه إذا شتمه، والبسط في الأصل مطلق المدّ، وإذا استعمل في اليد واللسان كان كناية عما ذكر"[٣].

الغرض الحجاجي: جاءت الكناية عن القتال بتعبير (كف الأيدي) لغرض حجاجي يخدم سياق الآيات الكريمة؛ لأن هذا التعبير أشمل وأعمّ وأبلغ في نهي المخاطبين، وهم المؤمنون، عن القتال ومقدماته وكل ما يؤدي إليه؛ مراعاة لأحوال المسلمين بمكة، وذلك في آية النساء.

وهو أيضًا أشمل وأعمّ وأبلغ في إشعار المخاطبين بكمال النعمة وعظيم الفضل في صون المسلمين عن الاعتداء ومكر الأعداء، وذلك في آيتي المائدة والفتح.

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٣٨/٦. هناك خلاف بين العلماء في كون الكناية من قبيل المجاز أو الحقيقة أو واسطة بينهما، وممن ناقش ذلك العلوي في الطراز: ٣٧٢/١-٣٧٩.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٣٨/٦.

(٣) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٢٥٦/٣.

المثال الثاني: (زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ {الأحزاب: ٩ – ١٠}

الكناية: في الآيات كناية تتمثل في قوله تعالى:

﴿إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ﴾ قال الماتريدي (٣٣٣هـ) في بيانها:"قال بعضهم: من فوق الوادي ومن أسفل منه. وقيل: أحاطوا بهم من النواحي جميعًا، وجائز أن يكون ذلك كناية عن الخوف؛ أي أحاطوا بهم حتى خافوا على أنفسهم الهلاك. وعلى ذلك يخرج قوله:﴿وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ {الأحزاب: ١٠}"(١).

﴿وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ﴾ قال الرازي (٦٠٦هـ):"كناية عن غاية الشدة، وذلك لأن القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة وقد يفضي إلى أن يسد مجرى النفس لا يقدر المرء يتنفس ويموت من الخوف"(٢).

ومسألة انتقال القلوب التي قال بها بعض العلماء قول ضعيف، يقول الألوسي (١٢٧٠هـ):"عن عكرمة أنه قال في الآية: إن القلوب لو تحركت وزالت خرجت نفسه ولكن إنما هو الفزع فالكلام على المبالغة"(٣).

الغرض الحجاجي: إشعار المخاطبين بالكرب الشديد الذي أصاب المؤمنين في غزوة الأحزاب، من خلال التعبير عن ذلك المعنى في صورة محسوسة. وإدراكهم لهذا الوضع الصعب يسهم في تقديرهم وشكرهم لنعمة الله على المؤمنين، بتثبيت قلوبهم ونصرهم على أعدائهم.

المثال الثالث: (تولية الدبر)

قال تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمۡ إِلَّآ أَذٗىۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمۡ يُوَلُّوكُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ {آل عمران: ١١١}

ومثلها:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ﴾ {الأنفال: ١٥}

ومثلها:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا﴾ {الأحزاب: ١٥}

ومثلها:

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلۡأَدۡبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا﴾ {الفتح: ٢٢}

---

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٣٦٠/٨.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ١٦٠/٢٥.

(٣) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ١٥٤/١١.

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ {الحشر: ١٢}

الكناية: في الآيات كنايات تتمثل في قوله تعالى:

﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، ﴿تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾، ﴿يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾، ﴿لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾، ﴿لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾

كناية عن صفة: وكلها متعلقة بأعداء المسلمين إلا قوله ﴿تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ في سياق نهي المؤمنين عن ذلك.

قال الطبري (٣١٠هـ):"﴿يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ كناية عن انهزامهم؛ لأن المنهزم يحوّل ظهره إلى جهة الطالب هربا إلى ملجأ، وموئل يئل إليه منه، خوفا على نفسه، والطالب في أثره، فدبر المطلوب حينئذٍ يكون محاذي وجه الطالب الهازمة"(١).

ويرفض ابن عادل (٨٨٠هـ) تسميتها بالكناية ويقول إنه من باب التعريض، إذ يقول في قول الله تعالى ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾:"وهذا من باب التعريض حيث ذكر لهم حالة تُسْتَهْجَنُ من فاعلها؛ فأتى بلفظ الدُّبُر دون الظهر لذلك، وبعضهم من أهل علم البيان سمى هذا النوع كناية، وليس بشيء"(٢).

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"فهو مستعمل في لازم معناه مع بعض المعنى الأصلي، وإلا فإن صرف الظهر إلى العدو بعد النصر لا بد منه وهو الانصراف إلى المعسكر، إذ لا يفهم أحد النهي عن إدارة الوجه عن العدو، وإلا للزم أن يبقى الناس مستقبلين جيش عدوهم؛ فلذلك تعين أن المفاد من قوله:﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ النهي عن الفرار قبل النصر أو القتل"(٣).

الغرض الحجاجي: تنفير المخاطَبين من الفرار والهزيمة، إذ عبرت الآيات عن ذلك بحالة تستهجن من فاعلها وهي تولية الدبر لمن يقاتله.

١. ١. ٤- الحجاج بالمذهب الكلامي:

يعرف المذهب الكلامي الخطيب القزويني (٧٣٩هـ) بقوله:"هو إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام"(٤).

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٠٩/٧.

(٢) ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل أحمد وعلي معوض، ٤٧٦/٩. والفرق بين التعريض والكناية كما يقول ابن قتيبة:"والتعريض أخفى من الكناية؛ لأن دلالة الكناية لفظية وضعية من جهة المجاز، ودلالة التعريض من جهة المفهوم لا بالوضع الحقيقي ولا المجازي، وإنما سمي التعريض تعريضا؛ لأن المعنى فيه يفهم من عرضه أي: من جانبه، وعرض كل شيء جانبه. واعلم أن الكناية تشمل اللفظ المفرد والمركب معا، فتأتي على هذا تارة، وعلى هذا تارة أخرى، وأما التعريض فإنه يختص باللفظ المركب، ولا يأتي في اللفظ المفرد ألبتة. والدليل على ذلك أنه لا يفهم المعنى فيه من جهة الحقيقة ولا من جهة المجاز، وإنما يفهم من جهة التلويح والإشارة، وذلك لا يستقل به اللفظ المفرد، ولكنه يحتاج في الدلالة عليه إلى اللفظ المركب" (ابن قتيبة: المثل السائر، ت: محمد محيي الدين، ١٨٦/٢).

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٨٩/٩.

(٤) القزويني: تلخيص المفتاح، ص١٢٤.

قال ابن حِجَّة الحموي (٨٣٧هـ):"المذهب الكلامي نوع كبير نسبت تسميته إلى الجاحظ. وهو في الاصطلاح أن يأتي البليغ على صحة دعواه وإبطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها إلى علم الكلام ، إذ علم الكلام عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة"(١).

قال عبد الرحمن حَبَنَّكَة (١٤٢٥هـ):"والسبب في إطلاق هذه التسمية أن علم الكلام يستند في حُجَجه إلى الحجج العقلية، فإذا استخدم الأديب الحجج العقلية في كلامه، فقد ذهب مذهب علماء الكلام"(٢).

ونُسب إلى الجاحظ (٢٥٥هـ) أنه أنكر وقوعه في القرآن الكريم. وقد تبنى ابن المعتز (٢٩٦هـ) قول الجاحظ حيث قال:"وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئًا، وهو ينسب إلى التكلف تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا"(٣).

ورد ذلك السيوطي (٩١١هـ) فقال:"وقال ابن أبي الإصبع: زعم الجاحظ أن المذهب الكلامي لا يوجد منه شيء في القرآن وهو مشحون به. وتعريفه أنه احتجاج المتكلم على ما يريد إثباته بحجة تقطع المعاند له فيه على طريقة أرباب الكلام، ومنه نوع منطقي تستنتج منه النتائج الصحيحة من المقدمات الصادقة، فإن الإسلاميين من أهل هذا العلم ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ {الحج: ٧} خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات"(٤). ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنۢ بَعۡدِ ٱلۡغَمِّ أَمَنَةٗ نُّعَاسٗا يَغۡشَىٰ طَآئِفَةٗ مِّنكُمۡۖ وَطَآئِفَةٞ قَدۡ أَهَمَّتۡهُمۡ أَنفُسُهُمۡ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ ظَنَّ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِۗ يُخۡفُونَ فِيٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبۡدُونَ لَكَۖ يَقُولُونَ لَوۡ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٞ مَّا قُتِلۡنَا هَٰهُنَاۗ قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ {آل عمران: ١٥٤}

المذهب الكلامي: اشتملت الآية على ردود عقلية على مغالطات أهل النفاق، تمثل الرد الأول على حجة المنافقين ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلۡأَمۡرِ مِن شَيۡءٖ﴾ الذي جاء على صورة الفعل الكلامي غير المباشر وهو الاستفهام الذي جاءت قوته الإنجازية للإنكار، قال الرازي (٦٠٦هـ) في وجه من وجوه تأويل هذا الاستفهام:"وكان غرضهم منه الاستدلال بذلك على أن محمدًا ﷺ كان كاذبًا في ادعاء النصرة والعصمة من الله تعالى لأمته، وهذا استفهام على سبيل الإنكار"(٥).

وذكر أبو حيان (٧٤٥هـ) قولين في معنى الاستفهام وهما النفي أو أنه باقٍ على حقيقته، مع ترجيح القول الثاني، حيث قال:"والذي يظهر أنه استفهام باقٍ على حقيقته؛ لأنهم أجيبوا بقوله:﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ولو

---

(١) ابن حِجَّة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ت: عصام شقيو، ٣٦٤/١.

(٢) عبد الرحمن حبنكة: البلاغة العربية، ٤٤٦/٢.

(٣) ابن المعتز: البديع في البديع، ص١٤٧.

(٤) الزركشي: الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٦٠/٤.

(٥) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣٩٥/٩.

كان معناه النفي لم يجابوا بذلك، لأنّ من نفى عن نفسه أن يكون له شيء من الأمر لا يجاوب بذلك، إلا إنْ قدر مع جملة النفي جملة ثبوتية لغيرهم"(١).

قال الرازي (٦٠٦هـ):"فظاهر هذه الآية مطابق للبرهان العقلي، وذلك لأن الموجود، إما واجب لذاته أو ممكن لذاته، والممكن لذاته لا يترجح وجوده على عدمه إلا عند الانتهاء إلى الواجب لذاته، فثبت أن كل ما سوى الله تعالى مستند إلى إيجاده وتكوينه، وهذه القاعدة لا اختصاص لها بمحدث دون محدث، أو ممكن دون ممكن، فتدخل فيه أفعال العباد وحركاتهم وسكناتهم، وذلك هو المراد بقوله:﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾وهذا كلام في غاية الظهور لمن وفقه الله للإنصاف"(٢).

أما حجة المنافقين الثانية فهي قولهم ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ وجاء رد القرآن عليهم، على طريقة المذهب الكلامي، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ هذا النوع عند علماء البيان يسمى الاحتجاج النظري؛ وهو أن يذكر المتكلم معنى يستدلّ عليه بضروب من المعقول.. وبعضهم يسميه: **المذهب الكلامي**"(٣).

١. ١. ٥ – الحجاج بالقول بالموجب:

القول بالموجب هو أحد أساليب الحجاج في البلاغة العربية، ويعرفه ابن أبي الإصبع (٦٥٤هـ) بقوله:"هو أن يخاطب المتكلم مخاطبًا بكلام، فيعمد المخاطَب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم، فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم"(٤).

وذكر العلماء أنّ القول بالموجب ضربان(٥):

الأول: أن يقع في كلام الغير إثبات صفةٍ لشيء وترتيب حكم عليها، فينقل السامع تلك الصفة إلى غير ذلك الشيء، من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو انتفائه عنه.

الثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده بذكر متعلّق له.

ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ {التوبة: ٦١}

القول بالموجب: استخدم القرآن الكريم في حجاج المنافقين أسلوب القول بالموجب، قال القاسمي (١٣٣٢هـ):"أبلغ أسلوب في الرد عليهم، فإنّه صدقهم في كونه أذنًا، إلا أنّه فسّره بما هو مدح له، وثناء عليه. قال

(١) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣/٣٩٣.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٩/٣٩٦.

(٣) ينظر: أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣/٣٩٥و٣٩٦.

(٤) ابن أبي الإصبع: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ت: حفني محمد شرف، ص٥٩٩.

(٥) أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ت: يوسف الصميلي، ص٣١٦.

الناصر: لا شيء أبلغ من الرد عليهم بهذا الوجه؛ لأنّه في الأوّل إطماع لهم بالموافقة ثم كرّ على طمعهم بالحسم، وأعقبهم في تنقصه باليأس منه. ويضاهي هذا من مستعملات الفقهاء **القول بالموجب**؛ لأنّ في أوله إطماعًا للخصم بالتسليم، ثم بتا للطمع على قرب، ولا شيء أقطع من الإطماع ثم اليأس يتلوه ويعقبه"(١).

الغرض الحجاجي:

الإبطال: لما تبجّح المنافقون بوصف النبي ﷺ بأنه أذن يصدق ما يقال له، أُبطِل قولهم بطريق القول بالموجب بإثبات تلك الصفة أنه يصدق الله ويصدق المؤمنين وأنه رحمة لهم، وقصرها عليهم دون غيرهم، وبذلك سقط تهمتهم.

الإسجال: الإسجال عليهم بالتهديد والوعيد بالعذاب الأليم.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ {التوبة: ٩٥}

القول بالموجب: في قوله ﴿لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ﴾ قول بالموجب، إذ طلب المنافقون إعراض المؤمنين عن لومهم ومعاتبتهم، فجاء رد القرآن يأمر المؤمنين بالإعراض عنهم.

الغرض الحجاجي:

التقريع: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وهذا ضرب من التقريع فيه إطماع للمغضوب عليه الطالب بأنه أجيبت طلبته حتى إذا تأمل وجد ما طمع فيه قد انقلب عكس المطلوب فصار يأسًا؛ لأنهم أرادوا الإعراض عن المعاتبة بالإمساك عنها واستدامة معاملتهم معاملة المسلمين، فإذا بهم يواجهون بالإعراض عن مكالمتهم ومخالطتهم وذلك أشد مما حلفوا للتفادي عنه، فهم من تأكيد الشيء بما يشبه ضده أو من **القول بالموجب**"(٢).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {المنافقون: ٨}

القول بالوجب: كَنَّ عبد الله بن أبي بالأعز عن فريقهم، وبالأذل عن فريق المؤمنين، وأثبتوا للأعز الإخراج، فأثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، من غير تعرض لثبوت حكم الإخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم.

قال القرافيّ (٦٨٢هـ):"فقد سلّم موجب الدليل ومقتضاه مع بقاء النزاع في الأعز من هو، والأذل من هو، وليس هو تلقي المخاطَب بغير ما يترقب فقط، الذي اصطلح عليه أرباب المعاني"(٣).

قال السبكيّ (٧٧٣هـ):"ولا شك أن طي ذكر الحكم أبلغ؛ لأنه إذا ثبت للمؤمنين أنهم الأعز كان الإخبار بإخراجهم للكفار مستغنى عنه باعتراف الكفار به، واعترافهم أن مَن هذا صفته يُخرِج، وهو معنًى بديع، وبه يتضح

(١) القاسمي: محاسن التأويل، ت: محمد باسل، ٤٤٥/٥.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٩/١١.

(٣) القرافي: أنوار البروق في أنواء الفروق، ٨٨/٤.

أن هذا نوع من المذهب الكلامي السابق؛ لأنه إلزام بالحجة، فإنهم قالوا: الأعز يخرج الأذل، وفريق المؤمنين هو الأعز، فيلزم من ذلك أن المؤمنين يُخرجون الكفّار بقياس اقتراني"(١).

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وقد أبطل الله كلامهم بقوله:﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ وهو جواب بالطريقة التي تسمي **القول بالموجَب** في علم الجدل وهي مما يسمّى بالتسليم الجَدلي في علم آداب البحث"(٢).

الغرض الحجاجي:

الإبطال: لما تبجّح المنافقون بإخراج الأعزّ الأذلّ من المدينة قاصدين بالأوّل أنفسهم، أُبطِل قولهم بطريق القول بالموجب بإثبات العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين، وقصرها عليهم دون غيرهم، وبذلك سقط ادِّعاء المنافقين.

الإسجال: الإسجال عليهم بالجهل وانتفاء العلم.

١. ١. ٦- الطباق:

الطباق في اللغة، قال ابن فارس (٣٩٥هـ):"الطاء والباء والقاف أصل صحيح واحد، وهو يدلُّ على وَضْع شيء مبسوط على مثله حتى يُغَطِّيه. من ذلك الطَّبَقُ. تقول: أَطْبَقْتُ الشَّيء على الشَّيء، فالأوَّل طَبَقٌ لِلثَّاني؛ وقد تَطَابَقَا. ومن هذا قولهم: أَطْبَقَ النَّاس على كذا، كأنَّ أقوالهم تساوتْ حتى لو صُيِّرَ أحدهما طِبْقًا للأخَر لَصَلَحَ"(٣).

وفي الاصطلاح، قال أبو هلال العسكري (٣٩٥هـ):"قد أجمع الناس أنّ المطابقة فى الكلام هى الجمع بين الشىء وضدّه فى جزء من أجزاء الرّسالة أو الخطبة أو البيت من بيوت القصيدة؛ مثل الجمع بين البياض والسواد، والليل والنهار، والحرّ والبرد"(٤). ومن أمثلة الطباق في آيات الجهاد:

المثال الأول: (الرشد والغي)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ {البقرة: ٢٥٦}

الطباق: في الآية طباق يتمثل في قوله تعالى:﴿قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ﴾ **طباق إيجاب**: بين كلمتي ﴿ٱلرُّشۡدُ﴾ و﴿ٱلۡغَيِّ﴾، قال القيسي (٤٣٧هـ):"والرشد إصابة الحق، والغي ضده"(٥).

الغرض الحجاجي: بيان وضوح الحق، والتأكيد على ظهوره وتبيّنه من الباطل، قال الواحدي (٤٦٨هـ) في معناها:"ظهر الإيمان من الكفر، والهدى من الضلالة؛ بكثرة الحجج والآيات الدالة"(٦).

المثال الثاني: (العدوة الدنيا والعدوة القصوى)

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي

(١) السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ت: عبد الحميد هنداوي، ٢٧٩/٢

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٤٩/٢٨.

(٣) ابن فارس: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، (ط-ب-ق)، ٤٣٩/٣.

(٤) العسكري: الصناعتين، ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ص٣٠٧.

(٥) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٨٥٣/١.

(٦) الواحدي: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، ت: عادل أحمد وعلي معوض وآخرون، ٣٦٩/١.

ٱلۡمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ {الأنفال: ٤٢}

الطباق: في الآية طباق يتمثل في قوله تعالى:﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ **طباق إيجاب**: بين كلمتي ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ و﴿ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾. ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ هي القريبة أي العدوة التي من جهة المدينة، فهي أقربُ لجيش المسلمين من العُدوة التي من جهة مكة. و﴿بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ هي التي ممّا يلي مكة، وهي كثيب، وهي قصوى بالنسبة لموقع بلد المسلمين.

وقد أشار ابن عاشور (١٣٩٣هـ) إلى فائدة الوصف بهذا الطباق بقوله:"والوصف بـ ﴿ٱلدُّنۡيَا﴾ و﴿ٱلۡقُصۡوَىٰ﴾ يَشعُر المخاطبون بفائدته، وهي أنّ المسلمين كانوا حريصين أن يسبقوا المشركين إلى العدوة القصوى؛ لأنّها أصلب أرضًا فليس للوصف بالدنو والقصُو أثر في تفضيل إحدى العدوتين على الأخرى، ولكنّه صادف أن كانت القصوى أسعدَ بنزول الجيش، فلمّا سبق جيشُ المشركين إليها اغتمّ المسلمون، فلمّا نزل المسلمون بالعدوة الدنيا أرسل الله المطر، وكان الوادي دَهْسًا فلبّد المطرُ الأرضَ، ولم يعقهم عن المسير، وأصاب الأرض التي بها قريش فعطّلهم عن الرحيل، فلم يبلغوا بدرًا إلاّ بعد أن وصل المسلمون وتخيروا أحسن موقع وسبقوا إلى الماء، فاتّخذوا حوضًا يكفيهم وغوروا الماء، فلمّا وصل المشركون إلى الماء وجدوه قد احتازه المسلمون، فكان المسلمون يشربون ولا يجد المشركون ماء"[١].

الغرض الحجاجي: تذكير المخاطَبين بنعمة الله عليهم يوم بدر، وأن ما اختاره الله لهم خير مما اختاروه لأنفسهم، حتى في اختيار المكان الذي يعسكر فيه الجيش، وإن كان ظاهر الأمر أنه ليس في مصلحتهم، وذلك من خلال توظيف الطباق بين مكاني الجيشين؛ فيكون ذلك لهم هاديًا ومعينًا في الاستسلام والقبول بأحكام الله الشرعية الأخرى.

١ . ١ . ٧- المقابلة:

المقابلة في اللغة، قال الجوهري (٣٩٣هـ):"المقابَلَةُ: المواجهةُ. والتقابُلُ مثله"[٢].

وفي الاصطلاح:"أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب"[٣].

ومن أمثلة المقابلة في آيات الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ {البقرة: ٢١٦}

المقابلة: في الآية مقابلة بين قوله تعالى ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ وقوله ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٠/١٦.

(٢) الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ت: أحمد عبد الغفور عطار، ٥/١٧٩٧.

(٣) عبد المتعال الصعيدي: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ٤/٥٨٠.

﴿شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ حيث قابل الكراهية بالحب، والخير بالشر.

الغرض الحجاجي: بيان أن القتال قد يكون هو الخير، والشر في تركه، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في سبب ذكر المقابلة في هذا الموضع:"لأنّ المقام في سورة البقرة مقام بيان الحقيقة بطَرفيها إذ المخاطبون فيها كَرِهوا القتال، وأحبّوا السلم، فكان حالهم مقتضيًا بيان أنّ القتال قد يكون هو الخير لما يحصل بعده من أمن دائم، وخَضْدِ شوكة العدوّ، وأنّ السلم قد تكون شرًّا لما يحصل معها من استخفاف الأعداء بهم، وطمعهم فيهم، وذهاب عزّهم المفضي إلى استعبادهم"(١).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ {المائدة: ٥٤}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ {الفتح: ٢٩}

المقابلة: في الآية مقابلة بين قوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ وقوله تعالى: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، واستعمل حرف الجر ﴿عَلَى﴾ مع قوله ﴿أَذِلَّةٍ﴾ ولم يقل: أذلة للمؤمنين، وأجاب البيضاوي (٦٨٥هـ) عن ذلك بقوله:"واستعماله مع على إما لتضمنه معنى العطف والحنو، أو للتنبيه على أنهم مع علو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خاضعون لهم، أو للمقابلة"(٢).

وفي آية الفتح مقابلة بين قوله تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ وقوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

الغرض الحجاجي: جاءت المقابلة تبين عظمة أخلاق الصحابة وما هم عليه من الخلق الأقوم، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وفيه إيماء إلى أن صفاتهم تُسيّرُها آراؤهم الحصيفة، فليسوا مندفعين إلى فعل ما إلا عن بصيرة، وليسوا ممّن تنبعث أخلاقه عن سجية واحدة، بأن يكون ليّنًا في كل حال، وهذا هو معنى الخلق الأقوم، وهو الذي يكون في كل حال بما يلائم ذلك الحال"(٣).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ {الأنفال: ٣٨}

المقابلة: في الآية مقابلة بين قوله تعالى: ﴿إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾، وجاءت المقابلة على صورة الشرط وجوابه، وهي تخير المشركين بين حالين: إما أن

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٨٧/٤و٢٨٨.

(٢) البيضاوي: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ت: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ١٣٢/٢.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٣٨/٦.

يتركوا الكفر وينتهوا عن قتال المؤمنين فيكون جزاؤهم المغفرة عن كل ما اقترفوه، وإما أن يعودوا لكفرهم وعنادهم وقتالهم للمؤمنين فليس لهم جزاء إلى الهلاك كما فعل بمن مضى من الأمم السابقة، ووُظفت فيه أداة الشرط ﴿إِن﴾ التي تفيد الشك؛ لأن انتهاء كفار قريش عن قتال النبي ﷺ مشكوك فيه.

الغرض الحجاجي: حصرت المقابلة مصير الكافرين بين ذينك السبيلين، وجعلت أمام كل سبيل ما يلتئم معها ويليق بدربها، فجعلت كل عاقل يفكر مليًا في هذين الطريقين المتقابلين وبإزائهما نهايتاهما الحاسمتان؛ فمن من الله عليه بالهداية والرضا، سلك سبيل الرشاد وفاز بالمغفرة، ومن ضل وغوى وتنكب طريق الهدى، حقت عليه كلمة العذاب في الدنيا والآخرة(١).

١. ١. ٨- الجناس:

الجناس في اللغة، قال ابن منظور (٧١١هـ):"يُقال: هذا يُجانِس هذا أي يُشاكِلُهُ"(٢).

وفي الاصطلاح، يسمى الجناس والمجانسة والتجنيس، ويعرفه العلوي (٧٤٥هـ) بقوله:"اتفاق اللفظين في وجه من الوجوه، مع اختلاف معانيهما(٣). ومن أمثلة الجناس في آيات الجهاد:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ {الحشر: ١١}

الجناس: في الآية جناس يتمثل في قوله تعالى: ﴿أَحَدًا أَبَدًا﴾ فبين الكلمتين جناس لاحق؛ لكونهما اختلفتا في حرفين متباعدين في مخرجهما، وهما الحاء ومخرجها من الحلق، والباء ومخرجها من الشفتين، ولأن اللفظين متواليان فالجناس يسمى المزدوج أو المكرر أو المردد(٤).

الغرض الحجاجي: جاءت كلمة ﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النفي فأفادت العموم، فشملت كل أحد مهما كان شأنه، وفي ذلك تعريض بالنبي ﷺ.

والمعنى المحوري لكلمة ﴿أَبَدًا﴾ البقاء الدائم أو الإقامة الدائمة بلا حدَّ مع عدم الأُلفة أي الأُنس.. ومن انتفاء الحد الزمني: الأَبَد - محركة: الدهر أو آخر الدهر (فهو ظرف زمني للدوام بلا حدود).. أي في أي وقت وبأي حال. وكل ما في القرآن الكريم من هذا التركيب هو هذا الظرف (أبدا) بمعناه هذا(٥).

واجتماع الكلمتين جاء لغاية حجاجية وهي تأكيد المعنى الذي قصد المنافقون إثباته لليهود، وهو أنهم معهم، وأنهم لن يطيعوا في ترك نصرتهم أي أحد في أي زمن مهما طال.

---

(١) ناصر الخنين: النظم القرآني في آيات الجهاد، ص٥٢٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، (ج-ن-س)، ٤٣/٦.

(٣) العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ١٩٦/٣.

(٤) ينظر: ناصر الخنين: النظم القرآني في آيات الجهاد، ص٥٢٥.

(٥) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (أ-ب-د)، ٨٧/١.

١. ٢- الحجاج بالأساليب:

تتداخل في اللسانيات علوم اللغة المختلفة كالنحو والصرف والبلاغة والدلالة، وغير ذلك من العلوم والمعارف المختلفة، إذ المقصود هو الدراسة العلمية للغة بغية الوصول لمقاصد الكلام ومعانيه، وطرقه في التأثير والإقناع.

والأساليب العربية كثيرة ومتعددة، ولكل أسلوب دوره في العملية الحجاجية، ومن تلك الأساليب التي تلعب دورًا مهمًا في التواصل والحجاج:

١. ٢. ١- الحجاج بالأسلوب الحكيم:

قال السيوطي (٩١١هـ):"الأصل في الجواب أن يكون مطابقًا للسؤال إذا كان السؤال متوجهًا، وقد يعدل في الجواب عما يقتضيه السؤال؛ تنبيهًا على أنه كان من حق السؤال أن يكون كذلك، ويسميه السكاكي (٦٢٦هـ) الأسلوب الحكيم. وقد يجيء الجواب أعم من السؤال للحاجة إليه في السؤال وقد يجيء أنقص لاقتضاء الحال ذلك"(١).

وذكر القزويني (٧٣٩هـ) أن الأسلوب الحكيم نوعان:"وهو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده تنبيها على أنه الأولى بالقصد، أو السائل بغير ما يتطلب بتنزيل سؤاله منزلة غيره تنبيهًا على أنه الأولى بحاله أو المهم له"(٢).

ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ {التوبة: ١٢٤ – ١٢٥}

الأسلوب الحكيم: وقد استخدمت الآية الأسلوب الحكيم في الرد على سؤال المنافقين، وإلى هذا أشار ابن عاشور(١٣٩٣هـ):"والفاء في قوله:﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ للتفريع على حكاية استفهامهم بحمله على ظاهر حاله وصرفه عن مقصدهم منه، وتلك طريقة **الأسلوب الحكيم**، وهو: تلقي المخاطب بغير ما يترقب بحمل كلامه على خلاف مراده لنكتة، وهي هنا إبطال ما قصدوه من نفي أن تكون السورة تزيد أحدًا إيمانًا قياسًا على أحوال قلوبهم؛ فأجيب استفهامهم بهذا التفصيل المتفرع عليه؛ فأثبت أن للسورة زيادة في إيمان بعض الناس وأكثر من الزيادة، وهو حصول البشر لهم"(٣).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ {الكهف: ٨٦ – ٨٧}

---

(١) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، ٣٦٩/٢.

(٢) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد خفاجي، ٩٤/٢.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٦٥/١١.

الأسلوب الحكيم: قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"والمعنى إما أن تعذب بالقتل، وإما أن تحسن إليهم بإبقاء الروح والأسر، وما حكى من الجواب على هذا الوجه قيل: من **الأسلوب الحكيم**؛ لأن الظاهر أنه تعالى خيره في قتلهم وأسرهم وهم كفار فقال: أما الكافر فيراعى فيه قوة الإسلام وأما المؤمن فلا يتعرض له إلا بما يجب"(١).

١. ٢. ٢- أسلوب الشرط:

الشرط لغة:"الشريطة: شبه خيوط تفتل من الخوص والليف، وقيل هو الحبل ما كان، سُمّي بذلك لأنه يُشْرَط خوصه أي يشقُّ ثم يفتل.. المعنى المحوري ضم الشيء أو شد بعضه إلى بعض باستطالة ودقّة ما.. ومن شدّ الشيء بشيء أي ربطه به جاء (أ) معنى "الشرط: إلزام شيء والتزامه في البيع ونحوه"(٢).

واصطلاحًا، قال المبرد (٢٨٥هـ):"معنى الشرط: وقوع الشيء لوقوع غيره"(٣).

قال ابن جني (٣٩٢هـ):"وحرفه المستولي عليه (إِنْ) وتشبه به أسماء وظروف، فالأسماء: (مَنْ وما وأيْ ومهما) والظروف (أيْن ومتى وأي حين وأنى وحيثما وإذما)"(٤).

ويعد الشرط واحدًا من آليات الحجاج اللغوية، ووسيلة مهمة من وسائل الإقناع، ذلك من منطلق مبدأ التعليق كونه نحويًا يعني وقوع الشيء لوقوع غيره، وربط تحقق قضية بقضية أخرى، وهو الشيء الذي يُكسبه تلك القوة الحجاجية العاملة على تفعيل مهمة الإقناع. ومن أدوات الشرط في الآيات:

١. ٢. ٢. ١- إنْ الشرطية:

قال الأنباري (٥٧٧هـ):"ذهب الكوفيون إلى أن (إنْ) الشرطية تقع بمعنى إذْ، وذهب البصريون إلى أنها لا تقع بمعنى إذ"(٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ {البقرة: ١٩١}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ {البقرة: ١٩٢}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {البقرة: ١٩٣}

الشرط: تضمنت الآيات السابقة أساليب الشرط ففي الآية الأولى فعل الشرط ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ﴾ وجوابه ﴿فَٱقْتُلُوهُمْ﴾ وفي الثانية فعل الشرط ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟﴾ وجوابه ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وفي الثالثة فعل الشرط

---

(١) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٣٥٧/٨.

(٢) ينظر: محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ش-ر-ط)، ١١٢٨/٢-١١٣٠.

(٣) المبرد: المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، ٤٦/٢.

(٤) ابن جني: اللمع في العربية، ت: فائز فارس، ص١٣٣.

(٥) أبو البركات الأنباري: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، ٥١٨/٢.

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ وجوابه ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

الغرض الحجاجي: في الآية الأولى حمل جواب الشرط -الذي جاء بالأمر بقتلهم وليس قتالهم- بشارة بنصرة المبغي عليه، قال البقاعي (٨٨٥هـ):"وفي التعبير بالفعل في جواب المفاعلة في قراءة الجمهور، أو الفعل في قراءة حمزة والكسائي بشارة بنصرة المبغي عليه وقوة إدالته"(١).

وفي الآية الثانية والثالثة حمل فعل الشرط بشارة بأن بعضهم سينتهي عن الكفر وعن قتال المؤمنين، قال البقاعي (٨٨٥):"وفيه إشعار بأن طائفة منهم تنتهي، فإن العالم بكل شيء لا يعبر بأداة الشك إلا كذلك. ولما كان التقدير: فكفوا عنهم ولا تعرضوا لهم فإن الله قد غفر لهم علله بأمر عام"(٢).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ {آل عمران: ١٦٠}

الشرط: تضمنت الآية أسلوبي شرط، بينهما السمين الحلبي (٧٥٦هـ) بقوله:"قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ﴾ شرط وجوابه. وقوله: ﴿وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ﴾ مثلُه، وهذا التفاتٌ من الغَيْبة إلى الخطاب، كذا قاله الشيخ أبو حيان، يعني من الغَيْبة في قوله: ﴿لِنتَ لَهُمۡ﴾ و﴿لَٱنفَضُّواْ﴾ و﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ وَشَاوِرۡهُمۡ﴾ وفيه نظر. وجاء قولُه: ﴿فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ﴾ جوابًا للشرط وهو نفيٌ صريح، وقولُه ﴿فَمَن ذَا ٱلَّذِي﴾ وهو متضمِّنٌ للنفي جوابًا للشرط الثاني تلطُّفًا بالمؤمنين حيث صَرَّح لهم بعدم الغَلَبة في الأولِ، ولم يُصَرِّح لهم بأنه لا ناصِرَ لهم في الثاني، بل أتى في صورة الاستفهام وإنْ كان معناه نفيًا"(٣).

الغرض الحجاجي: حث المخاطبين على الإقبال على الله بقلوبهم وقصر هممهم عليه، قال البقاعي (٨٨٥هـ):"ولما كان التقدير؛ فإذا فعلوا ما يحبه أعطاهم مُناهم مما عزموا عليه لأجله؛ استأنف الإخبار بما يقبل بقلوبهم إليه ويقصر هممهم عليه، بأن من نصره هو المنصور، ومن خذله هو المخذول"(٤).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ﴾ {الممتحنة: ٢}

الشرط: قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"كيف أورد جواب الشرط مضارعًا مثله ثم قال: ﴿وَوَدُّواْ﴾ بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرط مجرى المضارع في علم الإعراب، فإن فيه نكتة، كأنه قيل: وودّوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضارّ الدنيا والدين جميعًا: من قتل الأنفس، وتمزيق

(١) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١١٢/٣.
(٢) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١١٢/٣و١١٣.
(٣) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٤٦٤/٣.
(٤) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٠٩/٥.

الأعراض، وردّكم كفارًا أسبق المضارّ عندهم وأوّلها؛ لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم؛ لأنكم بذّالون لها دونه، والعدوّ أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه"(١).

قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وكأن الزمخشري فهم من قوله:﴿وَوَدُّواْ﴾ أنه معطوف على جواب الشرط، فجعل ذلك سؤالًا وجوابًا. والذي يظهر أن قوله:﴿وَوَدُّواْ﴾ ليس على جواب الشرط؛ لأن وِدادتهم كفرهم ليست مترتبة على الظفر بهم والتسلط عليهم، بل هم وادون كفرهم على كل حال، سواء أظفروا بهم أم لم يظفروا، وإنما هو معطوف على جملة الشرط والجزاء، أخبر تعالى بخبرين: أحدهما اتضاح عداوتهم والبسط إليهم ما ذكر على تقدير الظَّفَر بهم، والآخر وِدادتهم كفرهم، لا على تقدير الظَّفَر بهم"(٢).

الغرض الحجاجي: إخبار المخاطَبين بما سيكون عليه الأمر لو ظفر بهم المشركون من ظهور العداوة، ومد الأيدي والألسن بالأذى والقتل وكل ما سوء المسلمين، مع ما يتنمونه من كفر المؤمنين، وهذا الإخبار حتى لا يميل إليهم المؤمنون. قال السمرقندي (٣٧٣هـ):"إخبار من الله تعالى للمؤمنين بعداوة كفار مكة إياهم لكيلا يميلوا إليهم"(٣).

وذلك من خلال توظيف أسلوب الشرط، وأداته (إن) التي تفيد الشك، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"وأشار بأداة الشك إلى أن وجدانهم وهم على صفة الثقافة مما لا تحقق له، وإنما هو على سبيل الفرض والتقدير، وأنه إنما علم سبحانه أنه لو كان كيف كان يكون، مع أنه مما لا يكون"(٤).

١. ٢. ٢. ٢- مَنْ الشرطية:

أجمع النحاة على اسميتها، وهي من صيغ العموم، وتدل على شيئين(٥):

١- الشخص العاقل، وهو معناها الوضعي، وبه اكتسبت اسميتها.

٢- معنى الشرطية، وهو معنى عرض لها؛ لتضمنها معنى إنْ الشرطية.

ومن هذا نستخلص دورها الحجاجي في الخطاب، والذي يتمثل في عموم الدلالة على الشخص العاقل، ودلالتها على معنى الشرط.

المثال الأول: (من اعتدى على المسلمين)

قَالَ تَعَالَى:﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ {البقرة: ١٩٤}

الشرط: تضمنت الآية أسلوب شرط في قوله تعالى ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ قال السمين الحلبي (٧٥٦هـ):"يجوزُ في (مَنْ) وجهان، أحدُهما: أن تكونَ شرطيةً وهو الظاهرُ فتكونُ الفاء جوابًا.

(١) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص١٠٩٨.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ١٠/١٥٤.

(٣) السمرقندي: بحر العلوم، ت: على محمد معوض وآخرون، ٣/٥٣٥.

(٤) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٩/٤٩٣.

(٥) ينظر: ابن هشام: رسالة المباحث المرضية المتعلقة بـ (من) الشرطية، ت: مازن المبارك، ص٣٣.

والثاني: أن تكونَ موصولةً فتكونَ الفاءُ زائدةً في الخبر، وقد تقدَّم لذلك نظائر. قوله: ﴿بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ﴾ في الباء قولان، أحدُهما: أن تكونَ غيرَ زائدةٍ، بل تكونُ متعلقةً باعتدوا، والمعنى بعقوبةٍ مثلِ جنايةِ اعتدائِه. والثاني: أنها زائدةٌ؛ أي: مثلَ اعتدائه، فتكون: إمّا نعتًا لمصدرٍ محذوف أي: اعتداء مماثلا لاعتدائه، وإمَّا حالًا من المصدرِ المحذوفِ كما هو مذهبُ سيبويه؛ أي: فاعتدوا الاعتداء مُشْبِهًا اعتداءَه. و(ما) يجوزُ أن تكونَ مصدريةً فلا تفتقر إلى عائدٍ، وأَنْ تكونَ موصولةً فيكونُ العائدُ محذوفًا، أي: مثلَ ما اعتدى عليكم به، وجاز حذفُه لأنَّ المضافَ إلى الموصول قد جُرَّ بحرفٍ جُرَّ به العائدُ واتَّحد المتعلَّقان"(١).

الغرض الحجاجي: يتمثل الغرض الحجاجي في ربط قضية قتال المسلمين في الشهر الحرام بما بدر من المشركين من اعتداء فيه، بأسلوب يعمّ كل شخص عاقل بدأ منه الاعتداء على المسلمين، أنه استوجب لنفسه أن يُعتدى عليه بمثل اعتدائه، فمن انتهك حرمة الشهر الحرام وقاتل المسلمين فيه، قوتل في الشهر الحرام. قال الجصاص (٣٧٠هـ):"فأفاد أنهم إذا قاتلوهم في الشهر الحرام فعليهم أن يقاتلوهم فيه، وإن لم يَجُزْ لهم أن يبتدؤوهم بالقتال. وسمَّى الجزاء اعتداءً؛ لأنه مثله في الجنس، وقدر الاستحقاق على ما يوجبه فسُمّي باسمه على وجه المجاز؛ لأن المعتدي في الحقيقة هو الظالم"(٢).

المثال الثاني: (من يقاتل في سبيل الله)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ {النساء: ٧٤}

الشرط: تضمنت الآية أسلوبي شرط، الأول مقدر والآخر مصرح به، أما الشرط المصرح به فجاء موظفًا أداة الشرط (من)، قال القرطبي (٦٧١هـ):"﴿وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ شرط. ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾ عطف عليه، والمجازاة ﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾"(٣). وجاءت (سوف) للتأكيد، قال أبو زهرة (١٣٩٤هـ):"و(سوف) هنا لتأكيد نيل الجزاء في المستقبل، وأكثر استعمالاتها في القرآن هي لتأكيد الوقوع في المقابل، ولذا لا تدخل على النفي"(٤).

ومطلع الآية ﴿فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ﴾ شرط مقدّر بينه أبو السعود (٩٨٢هـ) بقوله:"فالفاء جواب شرط مقدر؛ أي إن بطّأ هؤلاء عن القتال فليقاتل المخلِصون الباذلون أنفسَهم في طلب الآخرة، أو الذين يشترونها ويختارونها على الآخرة، وهم المبطِّئون، فالفاءُ للتعقيب؛ أي لِيتركوا ما كانوا عليه من التثبُّط والنفاق، ولْيُبدِّلوه بالقتال في سبيل الله"(٥).

---

(١) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، ت: أحمد محمد الخراط، ٣١٠/٢.

(٢) الجصاص: أحكام القرآن، ت: محمد صادق القمحاوي، ٣٢٥/١.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ٢٧٧/٥.

(٤) أبو زهرة: زهرة التفاسير، ١٧٦١/٤.

(٥) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ٢٠١/٢.

الغرض الحجاجي: يتمثل الغرض الحجاجي لهذا الأسلوب في أنه وعد يعمّ كل مسلم قاتل في سبيل الله أنه استحق بذلك الأجر العظيم من الله ﷻ ففيه تأثير على المخاطبين من خلال تعليق الحصول على الأجر العظيم (جواب الشرط) بالقيام بما يلزمه وهو القتال في سبيل الله (فعل الشرط). قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وعد من قاتل في سبيل الله بالأجر العظيم، سواء استشهد، أو غلب. واكتفى في الحالتين بالغاية؛ لأن غاية المغلوب في القتال أن يقتل، وغاية الذي يقتل أن يغلب ويغنم، فأشرف الحالتين ما بدء به من ذكر الاستشهاد في سبيل الله، ويليها أنْ يقتل أعداء الله، ودون ذلك الظفر بالغنيمة، ودون ذلك أن يغزو فلا يصيب ولا يصاب. ولفظ الجهاد في سبيل الله يشمل هذه الأحوال"(١).

١. ٢. ٢. ٣- لولا:

قال المبرد (٢٨٥هـ):"و(لَوْلَا) حرف يُوجب امتناع الفعل لوُقُوع اسم، تقول: لولا زيد لكان كذا وكذا فقوله: لكان كذا وكذا، إنَّما هو لشئ لم يكن من أجل ما قبله، و(لولا) إنَّما هي (لو) و(لا) جعلتا شيئًا واحدًا وأوقعتا على هذا المعنى، فإن حذفت لا من قولك (لولا) انقلب المعنى فصار الشَّيء في (لو) يجب لوُقُوع ما قبله"(٢).

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ {البقرة: ٢٥١}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ {الحج: ٤٠}

الشرط: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في بيان الشرط في الآية:"أصل «لولا» (لو) مع (لا) النافية؛ أي لو كان انتفاءُ الدفاع موجودًا لفسدت الأرض، وهذا الاستدراك في هذه الآية أدل دليل على تركيب «لولا» من (لو) و(لا)، إذ لا يتم الاستدراك على قوله:﴿لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ لأن فساد الأرض غير واقع بعد فرض وجود الدفاع، إن قلنا «لولا» حرف امتناع لوجود"(٣).

وقال في موضع آية الحج:"و{لولا} حرف امتناع لوجود؛ أي حرف يدل على امتناع جوابه؛ أي انتفائه لأجل وجود شرطه؛ أي عند تحقق مضمون جملة شرطه فهو حرف يقتضي جملتين"(٤).

الغرض الحجاجي: الامتنان على المخاطبين بنعمة الدفع، وبيان أهميتها في منع الفساد، وذلك من خلال بيان المآل في عدم وجود سنة الدفع من فساد الأرض بفساد من عليها.

---

(١) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣/٧١٠.

(٢) المبرد: المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، ٣/٧٦.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢/٥٠٣.

(٤) المرجع السابق، ١٧/٢٧٦.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {الأنفال: ٦٨}

الشرط: قال أبو زهرة (١٣٩٤هـ) في بيان الشرط في الآية:"و﴿لَّوْلَا﴾ في قوله تعالى ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ﴾ حرف شرط امتناع لوجود، أي امتناع الجواب لوجود الشرط، أي امتنع أن يمسكم عذاب عظيم بوجود كتاب سبق، والكتاب الذي سبق هو الذي عهد إلى بني آدم ألا يعذبهم حتى يبين، (فلا عذاب إلا إذا سبقه بيان)، وهو أيضا ألا عقاب على الخطأ في اللفظ كما قال النبي ﷺ:"رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه"، والعهد أيضا لا عقاب على الخطأ في الرأي، وأن المخطئ في الاجتهاد له أجر، ومن له أجر في أمر ليس عليه عقاب فيه، فلا يجتمع الأجر والعقاب، فلوجود الكتاب كان العفو، وهذا الشرط وجوابه يومئ إلى أن أخذ أسرى هو في ذاته موضع مؤاخذة، ولكن لم يكن العقاب لهذا الكتاب الذي أشرنا إليه، فالنص يومئ إلى أن أخذ الأسرى لولا ما حف به لكان محل العقاب"(١).

الغرض الحجاجي: عتاب المخاطبين على ما فعلوه من أخذ الأسرى قبل أن يباح لهم ذلك، وذلك ببيان ما امتنع وقوعه مما كان سيصيبهم من العذاب جزاء فعلهم.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ {الفتح: ٢٥}

الشرط: قال البغوي (٥١٠هـ) في بيان جواب لولا في الآية:"وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك. ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فاللام في ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ متعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام، يعني: حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾ لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار، ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالسبي والقتل بأيديكم. قال بعض أهل العلم: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ جواب لكلامين أحدهما ﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ﴾ والثاني ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟﴾"(٢).

الغرض الحجاجي: بيان علة منع دخول المؤمنين لمكة وإباحة قتال المشركين فيها.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ {الحشر: ٣}

---

(١) أبو زهرة: زهرة التفاسير، ٣١٩٤/٦و٣١٩٥.

(٢) البغوي: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ٣٢٠/٧و٣٢١.

الشرط: قال الرازي (٦٠٦هـ) في بيان العذاب الممتنع عنهم في الدنيا:"فإن قيل: أن (لولا) تفيد انتفاء الشيء لثبوت غيره فيلزم من ثبوت الجلاء عدم التعذيب في الدنيا، لكن الجلاء نوع من أنواع التعذيب، فإذا يلزم من ثبوت الجلاء عدمه وهو محال، قلنا معناه: ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا بالقتل كما فعل بإخوانهم بني قريظة، وأما قوله: ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ﴾ فهو كلام مبتدأ وغير معطوف على ما قبله، إذ لو كان معطوفًا على ما قبله لزم أن لا يوجد لما بيّنّا أن لولا تقتضي انتفاء الجزاء لحصول الشرط"(١).

الغرض الحجاجي: بيان علة منع تعذيب بني النضير بالقتل في الدنيا.

١. ٢. ٣- الحجاج بالطلب وجوابه:

الطلب في اللغة، قال جبل (١٤٣٦هـ):"بئر طَلوب: بعيدةُ الماء، وماء مُطْلب -كمُحسن: بعيدٌ من الكلأ، وكلأ وماء مُطلب: بعيدُ المطْلب يكلّف أن يُطلب. المعنى المحوري: استجلاب الشيء من بعيد. كما هو واضح في الأمثلة المذكورة. ومنه: طلب الشيء (كنصر): طَلَبًا -بالتحريك، وهو سَعْي إلى وجدان الشيء وأخذه"(٢).

والشرط المحذوف هو أصل الطلب وجوابه، قال ابن جني (٣٩٢هـ):"وقد حذف الشَّرْط وأقيمت أشياء مقَامه دَالَّة عليه، وتلك الأشياء: الأمر والنهي والاستفهام والتمني والدعاء والعرض"(٣).

وتتمثل قوته الحجاجية في تقديم الطلب مشفوعًا بعلته أو ما يترتب عليه، على خلاف الأمر أو غيره من الطلب الصريح، وهذا له دوره في العملية الحجاجية والتأثير على المخاطب، والنجاح في إقناعه. ومن ذلك في الآيات:

١. ٢. ٣. ١- جواب الأمر:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ {البقرة: ٢٤٦}

جواب الأمر: في قوله تعالى ﴿ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ﴾ أمر وجوابه، فالأمر هو قوله ﴿ابْعَثْ﴾ وجوابه ﴿نُقَاتِلْ﴾، والمعنى (إنْ تبعث لنا ملكًا نقاتلْ)، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"والجزم: نقاتلْ، على جواب الأمر. وقرأ الجمهور بالنون والجزم، والضحاك، وابن أبي عبلة بالياء ورفع اللام على الصفة للملك؛ وقرئ بالنون ورفع اللام على الحال من المجرور، وقرئ بالياء والجزم على جواب الأمر"(٤).

ويوضح الفراء (٢٠٧هـ) أوجه الإعراب في جواب الطلب بقوله:"﴿نُقَاتِلْ﴾ مجزومة لا يجوز رفعها. فإن قرئت بالياء (يُقاتل) جاز رفعها وجزمها. فأما الجزم فعلى المجازاة بالأمر، وأما الرفع فإن تجعل (يُقاتل) صلة للملك؛ كأنك قلت: ابعث لنا الذي يقاتل. فإذا رأيت بعد الأمر اسما نكرة بعده فعل يَرجع بذكره أو يصلح في ذلك الفعل إضمار

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٥٠٤/٢٩.

(٢) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ط-ل-ب)، ١٣٤٤/٣.

(٣) ابن جني: اللمع في العربية، ت: فائز فارس، ص١٣٥.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٥٧٠/٢.

الاسم، جاز فيه الرفع والجزم؛ تقول في الكلام: علِّمني عِلْما أنتفعُ به، كأنك قلت: علمني الذي أنتفع به، وإن جزمت (أنتفع) على أن تجعلها شرطًا للأمر، وكأنك لم تذكر العلم جاز ذلك. فإن ألقيت (به) لم يكن إلا جزمًا؛ لأن الضمير لا يجوز في (انتفع)؛ ألا ترى أنك لا تقول: علِّمني علما انتفعه"[١].

الغرض الحجاجي: لم يكتف المتكلمون في هذه الآية بطلب مَلِكٍ وفقط، بل قدّموا علة طلبهم، وهي الرغبة في القتال، ولاشك أن السؤال مشفوعًا بعلة الطلب أقوى في الإقناع.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۝١٤ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ {التوبة: ١٤ – ١٥}

جواب الأمر: في الآية أمر وجوابه، أما الأمر فقوله تعالى ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ وأما الجواب فمتعدد، قال القرطبي (٦٧١هـ):"قوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوهُمْ﴾ أمر، ﴿يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ﴾ جوابه، وهو جزم بمعنى المجازاة، والتقدير: إن تقاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين. ﴿وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ﴾ دليل على أن غيظهم كان قد اشتد، وقال مجاهد: يعني خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ. وكله عطف، ويجوز فيه كله الرفع على القطع من الأول، ويجوز النصب على إضمار (أن) وهو الصرف عند الكوفيين"[٢].

وجزم في جواب هذا الأمر أربعة أفعال يتضمن معانيهن الترتب على القتال: تعذيبهم بأيديكم، وخزيهم، وشفاء صدور قوم مؤمنين، وإذهاب غيظ قلوبهم. وأما التوبة على من يشاء فليست مرتبة على قتالهم، فرفع ﴿وَيَتُوبُ﴾ لذلك، إذ ليس المعنى أَن قاتلوهم يتب الله على من يشاء، بل عطف قصة على أُخرى.

الغرض الحجاجي: تحريض المؤمنين على قتال المشركين مع بيان الفوائد المترتبة على هذا الأمر على صورة الوعد من الله ﷻ ليستنشط هممهم بذلك، قال الشنقيطي (١٣٩٣هـ):"لما أمر الله النبي ﷺ وأصحابه بمقاتلة أئمة الكفر وعدهم وعده الجميل – وهو لا يخلف الميعاد – ليستنشط هممهم بهذا الوعد على امتثال الأمر"[٣].

١. ٢. ٣. ٢– جواب الاستفهام:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝١٠ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝١١ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٢ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ {الصف: ١٠ – ١٣}

جواب الاستفهام: على قول الفراء (٢٠٧هـ) فإن ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جواب الاستفهام ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾، حيث قال:"﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ جزمت في قراءتنا في ﴿هَلْ﴾ وفي قراءة عبد الله للأمر الظاهر، لقوله: (آمِنوا)، وتأويل: هل أدلكم

---

(١) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ١/١٥٧.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٨/٨٦و٨٧.

(٣) محمد الأمين الشنقيطي: العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، ت: خالد بن عثمان السبت، ٥/٣١٤.

أمر أيضًا في المعنى، كقولك للرجل: هل أنت ساكت؟ معناه: اسكت، والله أعلم"(١).

الغرض الحجاجي: تحريض المؤمنين على الجهاد في سبيل الله من خلال توظيف الاستفهام وجوابه. والاستفهام هنا عند الفراء (٢٠٧هـ) في معنى الأمر قال الرازي (٦٠٦هـ):"﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ في معنى الأمر عند الفراء، يقال: هل أنت ساكت أي اسكت وبيانه: أن هل بمعنى الاستفهام، ثم يتدرج إلى أن يصير عرضًا وحثًا، والحث كالإغراء، والإغراء أمر"(٢).

١. ٢. ٣- أسلوب القصر:

القصر لغة يدور حول معنى الحبس والحصر، قال ابن فارس (٣٩٥هـ):"القاف والصاد والراء أصلان صحيحان، أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر على الحبس. والأصلان متقاربان"(٣).

وقال جبل (١٤٣٦هـ):"فَرَسٌ قَصير أي مُقَرَّبَةٌ لا تُتْرَك أن تَرُودَ لنفاستها. والقصير من الشَعْر: خِلافُ الطويل. وقَصَر الشيء في بيته: حَبَسه. والقِصَر -كعنب وبالفتح: خلاف الطول. المعنى المحوري: حبس عن الانتشار طولًا أو عرضًا كالفرس المذكورة والشَعر، وحبس الشيء في البيت والقِصَر خلاف الطول"(٤).

وفي الاصطلاح، يعرف السكاكي (٦٢٦هـ) أسلوب القصر بقوله:"تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان"(٥). وبعبارة أخرى "هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"(٦).

ويتمثل الدور الحجاجي لأسلوب القصر في توجيه المعنى نحو نتيجة محددة، وإبعاد التأويلات الأخرى التي قد تدور في ذهن المخاطب؛ مما يسهم في عملية الإقناع والتأثير.

وللقصر في اللغة العربية عدة طرق منها:

١. ٢. ٢. ١-النفي والاستثناء:

أقوى طرق القصر وأشهرها هي القصر بالنفي والاستثناء، وفيه يكون المقصور ما قبل أداة الاستثناء والمقصور

---

(١) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ١٥٤/٣.

قال ابن عادل (٨٨٠هـ):"وقال الفراء: هو مجزوم على جواب الاستفهام، وهو قوله:﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ واختلف الناس في تصحيح هذا القول، فبعضهم غلطه. قال الزجاج: ليسوا إذا دلهم على ما ينفعهم يغفر لهم، إنما يغفر لهم إذا آمنوا وجاهدوا. يعني: أنه ليس مرتبًا على مجرد الاستفهام ولا على مجرد الدلالة. قال القرطبي: و﴿تُؤْمِنُونَ﴾ عند المبرد والزجاج في معنى «آمِنُوا» ولذلك جاء ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ﴾ مجزومًا على أنه جواب الأمر. قال ابن الخطيب:﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾ في معنى الأمر عند الفرَّاء، يقال: هل أنت ساكت؟ أي: اسكت، وبيانه أن «هَلْ » بمعنى الاستفهام ثم يندرج إلى أن يصير عرضًا وحثًّا، والحث كالإغراء، والإغراء أمر. وقال المهدوي: إنما يصح حمله على المعنى ، وهو أن يكون ﴿تُؤْمِنُونَ ﴾،﴿وَتُجَٰهِدُونَ﴾ عطف بيان على قوله:﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ﴾. كأن التجارة لم يدر ما هي فبينت بالإيمان والجهاد، فهي هما في المعنى، فكأنه قيل: هل تؤمنون وتجاهدون؟ قال: فإن لم يقدر هذا التقدير لم يصح؛ لأنه يصير إن دُللتم يغفر لكم والغفران إنما يجب بالقبول والإيمان لا بالدلالة. وقال الزمخشري قريبًا منه أيضًا". (ابن عادل: اللباب في علوم الكتاب، ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض، ٦١/١٩).

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٥٣١/٢٩.

(٣) ابن فارس: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، (ق-ص-ر)، ٩٦/٥.

(٤) محمد حسن جبل: المعجم الاشتقاقي المؤصل، (ق-ص-ر)، ١٧٩٣/٤.

(٥) السكاكي: مفتاح العلوم، ت: نعيم زرزور، ٢٨٨/١.

(٦) الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ت: يوسف الصميلي، ١٦٥/١.

عليه ما بعدها، ويجوز تقديم المقصور عليه أحيانًا. ومن أساليب القصر بالنفي والاستثناء في الآيات:

المثال الأول: قصر العدوان على الظالمين.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {البقرة: ١٩٣}

القصر: قصرت الآية العدوان على الظالمين. قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"﴿فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ بمعنى فلا عدوان على غير الظالمين المكنى به عن المنتهين، أو جعل اختصاص العدوان بالظالمين كناية عن عدم جواز العدوان على غيرهم وهم المنتهون، واعترض بأنه على التقدير الأول: يصير الحكم الثبوتي المستفاد من القصر زائدًا، وعلى التقدير الثاني: يصير المكنى عنه من المكنى به، وجوز أن يكون المذكور هو الجزاء، ومعنى ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ المتجاوزين عن حد حكم القتال، كأنه قيل: فإن انتهوا عن الشرك فلا عدوان إلا على المتجاوزين عما حده الله تعالى للقتال، وهم المتعرضون للمنتهين، ويؤول المعنى إلى أنكم إن تعرضتم للمتقين صرتم ظالمين، وتنعكس الحال عليكم، وفيه من المبالغة في النهي عن قتال المنتهين ما لا يخفى"(١).

الغرض الحجاجي: إلزام المخاطبين بالبعد عن العدوان على غير الظالمين، وتمكين المعنى وتقريره في أذهانهم. إن التعبير عن المعنى السابق بجملة (فاعتدوا على الظالمين) مثلًا، قد يفهم منها المخاطب جواز الاعتداء على غيرهم، ولكن توظيف القصر بالنفي والاستثناء في هذه الآية وجّه المعنى وجهة محدودة، لا تجّوز بحال من الأحوال الاعتداء على غير الظالمين.

المثال الثاني: قصر ضرر اليهود على الأذى.

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ﴾ {آل عمران: ١١١}

القصر: قصرت الآية ضرر اليهود على الأذى على طريقة الاستثناء المنقطع. قال الأخفش (٢١٥هـ):"استثناء يخرج من أول الكلام. وهو كما روى يونس عن بعض العرب أنه قال: ما أشتكي شيئًا إلا خيرًا"(٢).

الغرض الحجاجي: تبشير المؤمنين بحفظ الله لهم من ضرر أهل الكتاب، حتى تقوى قلوبهم على جهادهم.

المثال الثالث: قصر النصر على أنه من عند الله.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۗ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ {آل عمران: ١٢٦}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {الأنفال: ١٠}

القصر: قال أبو زهرة (١٣٩٤هـ) في بيان أسلوب القصر في الآية:"قصر النصر مهما تتوافر أسبابه على أنه

---

(١) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٤٧٢/١.

(٢) الأخفش: معاني القرآن، ت: هدى قراعة، ٢٢٩/١.

من عند الله فلا نصر إلا منه، والقصر بالنفي والإثبات فنفي وجود أي نصر إلا أن يكون من عند الله، ووصفه سبحانه وتعالى بما يزكي هذا القصر، فهو العزيز الذي لَا يغلب، وهو الحكيم الذي يدبر الأمور بحكمته ومن مقتضاها أن ينصر الحق ويخذل الباطل، فهو وحده ناصر الحق دائما"(١).

الغرض الحجاجي: بيان أهمية الاعتماد والتوكل على الله وحده بعد أخذ الأهبة وإعداد العدة، إذ النصر منه وحده. ووظف لذلك أسلوب القصر بالنفي والاستثناء حتى لا تتعلق قلوب المؤمنين بغيره سبحانه، ولو كانت الملائكة.

المثال الرابع: قصر متاع الدنيا بالنسبة للآخرة على أنه قليل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ {التوبة: ٣٨}

القصر: قال أبو زهرة (١٣٩٤هـ) في بيان القصر في الآية:"في النفي والإثبات في قوله تعالى:﴿فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ فإنه يفيد قصر متاع الدنيا، مهما يكن من إحساس وراحة بالنسبة للآخرة ما هو إلا قليل. ولم يذكر متاع الآخرة لكثرته؛ لأن الإيمان بها في ذاته سعادة غير محصورة، فهي علو في إدراك النعيم المقيم الثابت الدائم"(٢).

الغرض الحجاجي: تنبيه المخاطَبين إلى حقارة الدنيا وقلة متاعها مقارنة بالآخرة، حتى يكون دافعًا للمؤمنين على الجهاد في سبيله، والبعد عن معوقات الجهاد.

١. ٢. ١. ٢- القصر بـ (إنما):

قال القزويني (٧٣٩هـ) في الكلام عن طرق القصر:"ومنها إنما: كقولك في قصر الموصوف على الصفة: أفرادًا (إنما زيد كاتب)، وقلبًا (إنما زيد قائم) وفي قصر الصفة على الموصوف بالاعتبارين (إنما قائم زيد). والدليل على أنها تفيد القصر: كونها متضمنة معنى ما وإلا، لقول المفسرين في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾ {البقرة: ١٧٣} بالنصب معناه ما حرم عليكم إلا الميتة، وهو المطابق لقراءة الرفع، لما مر في باب (المنطلق زيد). ولقول النحاة: إنما لإثبات ما يذكر بعدها ونفي ما سواه. ولصحة انفصال الضمير معها، كقولك (إنما يضرب أنا)، كما تقول (ما يضرب إلا أنا)"(٣). ومن أمثلة القصر بـ (إنما) في الآيات:

المثال الأول: قصر الإملاء للكافرين على زيادة الإثم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ ۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا ۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ {آل عمران: ١٧٨}

القصر: اشتملت الآية على أسلوبي قصر، الأول قوله تعالى ﴿أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ والأسلوب الثاني

---

(١) أبو زهرة: زهرة التفاسير، ٣٠٧٨/٦.

(٢) المرجع السابق، ٣٣٠٦/٦.

(٣) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد خفاجي، ٢٤/٣-٢٦.

قوله تعالى ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وأنا أرى أنّه يجوز أن يكون (أنّما) من قوله: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ﴾ هي أنّما أخت إنّما المكسورة وأنّها مركّبة من (أنّ) و(ما) الكافّة الزائدة وأنها طريق من طرق القصر عند المحقّقين، وأنّ المعنى: ولا يحسبنّ الذين كفروا انحصار إمهالنا لهم في أنّه خير لهم؛ لأنّهم لما فرحوا بالسلامة من القتل وبالبقاء بقيد الحياة قد أضمروا في أنفسهم اعتقاد أنّ بقاءهم ما هو إلاّ خير لهم؛ لأنّهم يحسبون القتل شرًّا لهم، إذ لا يؤمنون بجزاء الشهادة في الآخرة لكفرهم بالبعث. فهو قصر حقيقي في ظنّهم.

وقوله: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ استئناف واقع موقع التعليل للنهي عن حسبان الإملاء خيرًا، أي ما هو بخير؛ لأنّهم يزدادون في تلك المدّة إثمًا. و(إنما) هذه كلمة مركّبة من (إنّ) حرف التوكيد و(ما) الزائدة الكافّة وهي أداة حصر؛ أي: ما نملي لهم إلاّ ليزدادوا إثمًا؛ أي فيكون أخذهم به أشدّ فهو قصر قلب"(١).

الغرض الحجاجي: الرد على المشركين الذين اعتقدوا أن في إملاء الله لهم خير، وحصر هذا الإملاء في زيادة الذنوب والآثام، حتى إذا أخذهم الله فلا عذر لهم يومئذ.

المثال الثاني: قصر النسيء على أنه زيادة في الكفر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّواْ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُۚ زُيِّنَ لَهُمۡ سُوٓءُ أَعۡمَٰلِهِمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ {التوبة: ٣٧}

القصر: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وصيغة القصر في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ تقتضي أنّه لا يعدو كونه من أثر الكفر لمحبّة الاعتداء والغارات فهو قصر حقيقي، ويلزم من كونه زيادة في الكفر أنّ الذين وضعوه ليسوا إلاّ كافرين وما هم بمصلحين، وما الذين تابعوهم إلاّ كافرون كذلك وما هم بمتّقين"(٢).

الغرض الحجاجي: تحذير المؤمنين من فعال الكافرين من التلاعب بالأشهر الحرم لمحبتهم الاعتداء والقتال لأسباب دنيوية.

المثال الثالث: قصر الاستئذان للقعود عن الجهاد على المنافقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ﴾ {التوبة: ٤٥}

القصر: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وأفادت ﴿إِنَّمَا﴾ القصر. ولما كان القصر يفيد مُفاد خبرين بإثبات شيء ونفي ضدّه كانت صيغة القصر هنا دالّة باعتبار أحدِ مُفادَيها على تأكيد جملة ﴿لَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ {التوبة: ٤٤}"(٣).

---

(١) ينظر: ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٧٦/٤.

(٢) المرجع السابق، ١٩١/١٠.

(٣) نفسه، ٢١٢/١٠.

الغرض الحجاجي: ذم المنافقين والتنويه بفضل المؤمنين، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وقد كانت مغنية عن الجملة المؤكّدة لولا أنّ المراد من تقديم تلك الجملة التنويه بفضيلة المؤمنين، فالكلام إطناب لقصد التنويه، والتنويه من مقامات الإطناب"(١).

المثال الرابع: قصر مبايعة الرسول على أنه مبايعة لله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ {الفتح: ١٠}

القصر: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في بيان أسلوب القصر:"والحصر المفاد من ﴿إِنَّمَا﴾ حَصر الفعل في مفعوله؛ أي لا يبايعون إلا الله، وهو قصر ادعائيّ بادعاء أن غاية البيعة وغرضها هو النصر لدين الله ورسوله، فنزل الغرض منزلة الوسيلة فادعى أنهم بايعوا الله لا الرسول. وحيث كان الحصر تأكيدًا على تأكيد"(٢).

وقال أيضًا:"﴿فَإِنَّمَا﴾ للقصر وهو لقصر النكث على مدلول ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾؛ ليراد لا يضر بنكثه إلا نفسه، ولا يضر الله شيئًا، فإنَّ نكث العهد لا يخلو من قصد إضرار بالمنكوث، فجيء بقصر القلب لقلب قصد الناكث على نفسه دون على النبي ﷺ"(٣).

الغرض الحجاجي: التأكيد على عظيم قدر مبايعة الرسول على الجهاد، والتحذير من خطورة نكث تلك البيعة.

المثال الخامس: قصر الإيمان على من وردت أوصافهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ {الحجرات: ١٥}

القصر: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في بيان القصر في الآية:"و﴿إِنَّمَا﴾ للحصر، و(إنّ) التي هي جُزء منها مفيدة أيضًا للتعليل وقائمة مقام فاء التفريع، أي إنما لم تكونوا مؤمنين؛ لأن الإيمان ينافيه الارتياب. والقصر إضافي؛ أي المؤمنون الذين هذه صفاتهم غير هؤلاء الأعراب. فأفاد أن هؤلاء الأعراب انتفى عنهم الإيمان؛ لأنهم انتفى عنهم مجموع هذه الصفات. وإذ قد كان القصر إضافيًا لم يكن الغرض منه إلاّ إثبات الوصف لغير المقصور؛ لإخراج المتحدث عنهم عن أن يكونوا مؤمنين"(٤).

الغرض الحجاجي: التنويه بفضل المجاهدين وتحريض المؤمنين على الجهاد، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في بيان الغرض الحجاجي:"وليس بمقتضٍ أن حقيقة الإيمان لا تتقوم إلا بمجموع تلك الصفات؛ لأن عد الجِهاد في سبيل

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢١٢/١٠.

(٢) المرجع السابق، ١٥٧/٢٦.

(٣) نفسه، ١٦٠/٢٦.

(٤) نفسه، ٢٦٧/٢٦.

الله مع صفتي الإيمان وانتفاء الريب فيه يمنع من ذلك؛ لأن الذي يقعُد عن الجهاد لا ينتفي عنه وصف الإيمان، إذ لا يكفَّر المسلم بارتكاب الكبائر عند أهل الحق. وما عداه خطأ واضح، وإلا لانتقضت جامعة الإسلام بأسرها إلا فئة قليلة في أوقات غير طويلة. والمقصود من إدماج ذكر الجهاد التنويه بفضل المؤمنين المجاهدين وتحريض الذين دخلوا في الإيمان على الاستعداد إلى الجهاد"(١).

المثال السادس: قصر النهي عن الموالاة على من وردت أوصافهم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ {الممتحنة: ٩}

القصر: تضمنت الآية قصر نهي الموالاة على الذين وردت أوصافهم في الآية، وجواز صلة غيرهم وبرهم والقسط إليهم، وهو قصر قلب.

الغرض الحجاجي: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في بيان غرضه الحجاجي:"لرد اعتقاد من ظن أو شكَّ في جواز صلة المشركين على الإطلاق. والذين تحققت فيهم هذه الصفات يوم نزول الآية هم مشركو أهل مكة"(٢).

١. ٢. ١. ٣- القصر بالعطف:

قال القزويني (٧٣٩هـ):"ولقصر طرق: منها العطف. كقولك: في قصر الموصوف على الصفة. أفرادًا (زيد شاعر لا كاتب)، أو (ما زيد كاتبًا بل شاعر) وقلبًا (زيد قائم لا قاعد) و(ما زيد قاعدًا بل قائم). وفي قصر الصفة على الموصوف -أفرادًا أو قلبًا بحسب المقام- (زيد قائم لا عمرو) أو (ما عمرو قائمًا بل زيد)" (٣).

ومن القصر بالعطف في الآيات:

١. ٢. ١. ٣. ١- بل:

قال المرادي (٧٤٩هـ):"حرف إضراب. وله حالان: الأول: أن تقع بعده جملة. والثاني: أن يقع بعده مفرد. فإن وقع بعده جملة كان إضرابًا عما قبلها، إما على جهة الإبطال، وإما على جهة الترك للانتقال، من غير إبطال"(٤).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾ {البقرة: ١٥٤}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ {آل عمران: ١٦٩}

القصر: في الآية قصر بالعطف، وفيه إضراب على جهة الإبطال في قوله ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ﴾.

الغرض الحجاجي: إبطال المفهوم الخاطئ عن الشهداء وزعم أنهم أموات، وإثبات الحياة لهم، تحريضًا للمؤمنين على الجهاد وطلب الشهادة.

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٦٧/٢٦.

(٢) المرجع السابق، ١٥٣/٢٨.

(٣) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد خفاجي، ٢١/٣و٢٢.

(٤) ينظر: المرادي: الجني الداني في حروف المعاني،ت: فخر الدين قباوة ومحمد فاضل، ص٢٣٥.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ {آل عمران: ١٥٠}

القصر: في الآية قصر بالعطف، وفيه إضراب على جهة الترك في قوله ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ﴾.

الغرض الحجاجي: تحذير المؤمنين من طاعة الكافرين، وأمرهم بقصر توكلهم على الله وحده مولاهم الحق وهو خير الناصرين.

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًاۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ {الفتح: ١١}

ومثلها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ {الفتح: ١٢}

القصر: في الآية قصر بالعطف، وفيه إضراب على جهة الترك في قوله ﴿بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ وقوله ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾.

الغرض الحجاجي: الرد على أكاذيب المنافقين وأعذارهم الواهية، وبيان أن الله خبير بما يعملون، وفضح حقيقة فرارهم من الجهاد.

١. ٢. ١. ٣. ٢- لكن:

قال المرادي (٧٤٩هـ):"حرف استدراك. ومعنى الاستدراك أن تنسب حكماً لاسمها، يخالف المحكوم عليه قبلها. كأنك لما أخبرت عن الأول، بخبر، خفت أن يتوهم من الثاني مثل ذلك، فتداركت بخبره، إن سلبًا، وإن إيجابيًا. ولذلك لا يكون إلا بعد كلام، ملفوظ به، أو مقدر. وقال وقال بعضهم: لكن للاستدراك، والتوكيد"(١).

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ جَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ {التوبة: ٨٨}

القصر: في الآية قصر بالعطف، وفيه استدراك، قال البقاعي (٨٨٥هـ):"«لكن» واقعة موقعها بين متنافسين؛ لأن ما مضى من حالهم كله ناطق بأنهم لم يجاهدوا"(٢).

الغرض الحجاجي: بيان حال الرسول ﷺ والمؤمنين، وأنها أكمل الأحوال بعد ذكر حال المنافقين وما هم عليه

(١) المرادي: الجني الداني في حروف المعاني،ت: فخر الدين قباوة ومحمد فاضل، ص٦١٥.

(٢) البقاعي: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٨/٥٧١.

من صفات النقص[١].

١. ٢. ١. ٤– القصر بالتقديم:

قال القزويني (٧٣٩هـ) في ذكر طرق القصر:"ومنها التقديم: كقولك في قصر الموصوف على الصفة: أفرادًا (شاعر هو) لمن يعتقده شاعرًا وكاتبًا، وقلبًا (قائم هو) لمن يعتقده قاعدًا. وفي قصر الصفة على الموصوف أفرادًا (أنا كفيت مُهِمَّك) بمعنى وحدي لمن يعتقد أنك وغيرك كفيتما مهمه، وقلبا (أنا كفيت مهمك) بمعنى لا غيري لمن يعتقد أن غيرك كفى مهمه دونك"[٢].

ومن أمثلته في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ {التوبة: ٥١}

القصر: في الآية أسلوب قصر بالتقديم في قوله ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ يوضحه أبو السعود (٩٨٢هـ) بقوله:"قُدّم الظرفُ على الفعل لإفادة القصْر، ثم أُدخل الفاءُ للدَلالة على استيجابه تعالى للتوكل عليه"[٣].

الغرض الحجاجي: إلزام المخاطبين وهم المؤمنون بالتوكل على الله وحده لا على غيره.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ {التوبة: ٦٥}

القصر: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وتقديم المعمول وهو ﴿أَبِٱللَّهِ﴾ على فعله العامل فيه لقصد قصر التعيين".

الغرض الحجاجي: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"لأنّهم لما أتوا في اعتذارهم بصيغة قصر تعيين جيء في الردّ عليهم بصيغة قصر تعيين لإبطال مغالطتهم في الجواب، فاعلمهم بأنّ لعبهم الذي اعترفوا به ما كان إلاّ استهزاء بالله وآياته ورسوله لا بغير أولئك، فقصْر الاستهزاء على تعلّقه بمن ذكر اقتضى أنّ الاستهزاء واقع لا محالة؛ لأنّ القصر قيد في الخبر الفعلي، فيقتضي وقوعَ الفعل، على ما قرّره عبد القاهر في معنى القصر الواقع في قول القائل: أنَا سعيتُ في حاجتك وأنّه يؤكّد بنحو: وحدي، أوْ لا غيري، وأنّه يقتضي وقوع الفعل فلا يقال: ما أنا قلت هذا ولا غيري؛ أي ولا يقال: أنا سعيت في حاجتك وغيري، وكذلك هنا لا يصحّ أن يفهم أبالله كنتم تستهزئون أم لَمْ تكونوا مستهزئين. والاستهزاء بالله وبآياته إلزام لهم؛ لأنّهم استهزأوا برسوله وبدينه، فلزمهم الاستهزاء بالذي أرسله بآيات صدقه"[٤].

---

(١) ينظر: أبو بكر الجزائري: أيسر التفاسير، ٤٠٩/٢.

(٢) القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ت: محمد خفاجي، ٢٨/٣و٢٩.

(٣) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٧٣/٤.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٥١/١٠.

١. ٢. ١. ٥- ضمير الفصل:

قال السيوطي (٩١١هـ):"ضمير الفصل: ضمير بصيغة المرفوع مطابق لما قبله تكلما وخطابا وغيبة إفرادا وغيره وإنما يقع بعد مبتدأ أو ما أصله المبتدأ وقبل خبر كذلك"(١).

ومن أمثلته في الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ {الأنفال: ٧٤}

القصر: في الآية قصر بضمير الفصل في قوله ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وهذه الصيغة صيغة قصر، أي قصر الإيمان عليهم دون غيرهم ممن لم يهاجروا، والقصر هنا مقيد بالحال في قوله: حقا"(٢).

الغرض الحجاجي: بيان أهمية الإيمان والهجرة والجهاد في سبيل الله وإيواء المؤمنين ونصرتهم، وحث المؤمنين على التحلي بتلك الصفات والقيام بتلك الأفعال.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَرۡقُبُونَ فِي مُؤۡمِنٍ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾ {التوبة: ١٠}

القصر: في الآية قصر بضمير الفصل في قوله ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُعۡتَدُونَ﴾، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"والقصر إما أن يكون للمبالغة في اعتدائهم؛ لأنه اعتداء عظيم باطني على قوم حالفوهم وعاهدوهم، ولم يلحقوا بهم ضر مع تمكنهم منه، وإما أن يكون قصر قلب، أي: هم المعتدون لا أنتم؛ لأنهم بدأوكم بنقض العهد في قضية خزاعة وبني الديل من بكر بن وائل مما كان سببًا في غزوة الفتح"(٣).

الغرض الحجاجي: في قصر وصف الاعتداء على المشركين تحريض للمؤمنين على قتالهم.

---

(١) السيوطي: الإتقان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل، ٣٣٩/٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٨٩/١٠.

(٣) المرجع السابق، ٢٥١/١٠.

١. ٣- الرد على المغالطات الحجاجية:

قال ابن فارس (٣٩٥هـ):"(غلط) الغين واللام والطاء كلمة واحدة، وهي الغلط: خلاف الإصابة. يقال: غلط يغلط غلطًا. وبينهم أغلوطة، أي شيء يغالط به بعضهم بعضًا"(١).

قال ابن منظور (٧١١هـ):"وقال الليث: الغلط كل شيء يعيا الإنسان عن جهة صوابه من غير تعمد. وقد غالطه مغالطة. والمغلطة والأغلوطة: الكلام الذي يغلط فيه ويغالط به؛ ومنه قولهم: حدثته حديثا ليس بالأغاليط"(٢).

ومن المغالطات التي حذرت منها الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ كَانُواْ غُزّٗى لَّوۡ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجۡعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسۡرَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾ {آل عمران: ١٥٦}

المغالطة
- قول المنافقين للمؤمنين إنهم لو بقوا عندنا ما أصابهم الموت ولا القتل.

وتسمى هذه المغالطة العلاقة المسببة أو السبب الخاطيء، وفي هذه المغالطة الشائعة يقوم المغالط بالبحث عن علاقة بين أمرين ويفسّر الأمر الأول على أنّه المسبب للثاني، فقد ربطوا الخروج للجهاد أو السفر للتجارة بالموت والقتل، وأن البقاء دون فعل ذلك هو سبب الحياة، وكل منهما أمر مختلف، ومع وجود رابط شكلي، فليس بالضرورة أن يكون أحدهما مسببًا للآخر.

قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وكان قولًا باطلًا واعتقادًا فاسدًا نهى تعالى المؤمنين أنْ يكونوا مثلهم في هذه المقالة الفاسدة والاعتقاد السيىء. وهو أن من سافر في تجارة ونحوها فمات، أو قاتل فقتل، لو قعد في بيته لعاش ولم يمت في ذلك الوقت الذي عرض نفسه للسفر فيه أو للقتال"(٣).

رد المغالطة: لقد أجابهم القرآن أن الموت والحياة بيد الله سبحانه وليست للسفر أو الغزو، وأن مقالتهم تلك سيجعلها الله حسرة في قلوبهم.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴾ {آل عمران: ١٦٧}

المغالطة
- سبب رجعوهم أنهم غير متيقنين من وقوع القتال ذلك اليوم، أو أن هذا الخروج إلقاء للنفس في التهلكة.

---

(١) ابن فارس: مقاييس اللغة، ت: عبد السلام هارون، (غ-ل-ط)، ٤/ ٣٩٠.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، (غ-ل-ط)، ٣٦٣/٧.

(٣) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٤٠٠/٣.

وتدخل هذه المغالطة أيضًا تحت العلاقة المسببة أو السبب الخاطيء، إذ يبرر المنافقون خذلانهم للمسلمين بأسباب خاطئة، وهي عدم علمهم بأنه سيقع قتال. قال سيد قطب (١٣٨٧هـ):"وهم غير صادقين في احتجاجهم بأنهم يرجعون؛ لأنهم لا يعلمون أن هناك قتالًا سيكون بين المسلمين والمشركين. فلم يكن هذا هو السبب في حقيقة الأمر"(١).

قال الرازي (٦٠٦هـ) في بيان ما احتج به المنافقون:"وهذا هو الجواب الذي ذكره المنافقون وفيه وجهان:

الأول: أن يكون المراد أن الفريقين لا يقتتلان ألبتة، فلهذا رجعنا.

الثاني: أن يكون المعنى لو نعلم ما يصلح أن يسمى قتالًا لاتبعناكم، يعني أن الذي يقدمون عليه لا يقال له قتال، وإنما هو إلقاء النفس في التهلكة؛ لأن رأي عبد الله كان في الإقامة بالمدينة، وما كان يستصوب الخروج"(٢).

رد المغالطة: ثم يبطل الرازي (٦٠٦هـ) احتجاجهم، ويبين مغالطاتهم بقوله:"واعلم أنه إن كان المراد من هذا الكلام هو الوجه الأول فهو فاسد؛ وذلك لأن الظن في أحوال الدنيا قائم مقام العلم، وأمارات حصول القتال كانت ظاهرة في ذلك اليوم، ولو قيل لهذا المنافق الذي ذكر هذا الجواب: فينبغي لك لو شاهدت من شهر سيفه في الحرب أن لا تقدم على مقاتلته؛ لأنك لا تعلم منه قتالًا، وكذا القول في سائر التصرفات في أمور الدنيا، بل الحق أن الجهاد واجب عند ظهور أمارات المحاربة، ولا أمارات أقوى من قربهم من المدينة عند جبل أحد، فدل ذكر هذا الجواب على غاية الخزي والنفاق، وإنه كان غرضهم من ذكر هذا الجواب إما التلبيس، وإما الاستهزاء.

وأما إن كان مراد المنافق هو الوجه الثاني فهو أيضا باطل؛ لأنّ الله تعالى لما وعدهم بالنصرة والإعانة لم يكن الخروج إلى ذلك القتال إلقاء للنفس في التهلكة"(٣).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ {آل عمران: ١٦٨}

المغالطة

- ادعاء المنافقين أن المؤمنين لو أطاعوهم في عدم الخروج ما أصابهم القتل.

وهي قريبة من المغالطة التي سبق وحذرت منها الآيات، وتدخل تحت التصنيف ذاته؛ وهو العلاقة المسببة أو السبب الخاطيء. والفرق بين هذه المغالطة والمغالطة الأولى، أن المغالطة الأولى أعم من الثانية، فالأولى قيلت لمن خرج مجاهدًا أو متاجرًا، أما الثانية فقيلت لمن خرج مجاهدًا في غزوة أحد.

قال السعدي (١٣٧٦هـ):"جمعوا بين التخلف عن الجهاد، وبين الاعتراض والتكذيب بقضاء الله وقدره"(٤).

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ٥١٥/١.

(٢) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٢٣/٩.

(٣) المرجع السابق، ٤٢٣/٩.

(٤) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق، ص١٥٦.

رد المغالطة: وقد رد عليهم القرآن مغالطتهم، وألزمهم بما زعموه، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"ولزوم هذه الحجة هو أنكم أيها القائلون: إنّ التوقي واستعمال النظر يدفع الموت، فتوقوا وانظروا في الذي يغشاكم منه حتف أنوفكم، فادفعوه إن كان قولكم صدقًا، أي إنما هي آجال مضروبة عند الله"(١).

لم يتوقف رد القرآن على مغالطة المنافقين، بل أتبع ذلك بالخطاب للمؤمنين يبشرهم بمصير إخوانهم الذين قتلوا في سبيل الله، حتى لا يبقى لهذه المغالطة في نفوسهم أثر، قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"لما أزاح سبحانه وتعالى العلل، وشفى الغلل، وختم بأنه لا مفر من القدر، فلم يبق عند أهل الإيمان إلا ما طبع عليه الإنسان من الأسف على فقد الإخوان، وكان سرور المفقود يبرد غلة الموجود، بشّرهم بحياتهم وما نالوه من لذاتهم"(٢).

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ {النساء: ٧٢ – ٧٣}

المغالطة

• يعدُّ المنافق تخلفه عن القتال مع المسلمين إذا هُزموا إنعامًا من الله عليه إذ لم يُقتل.

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"﴿أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيَّ﴾ الإنعام بالسلامة: فإن كان من المنافقين فوصْفُ ذلك بالنعمة ظاهر؛ لأنّ القتل عندهم مصيبة محضة إذ لا يرجون منه ثوابًا؛ وإن كان من ضعفة المؤمنين فهو قد عَدَّ نعمة البقاء أولى من نعمة فضل الشهادة لشدّة الجبن، وهذا من تغليب الداعي الجبليّ على الداعي الشرعي"(٣).

قال الطبري (٣١٠هـ):"لأنه من أهل الشكّ في وعد الله الذي وعد المؤمنين على ما نالهم في سبيله من الأجر والثواب وفي وعيده، فهو غير راجٍ ثوابًا ولا خائف عقابًا"(٤).

يغالط هذا المنافق ويعد جبنه وفراره من الجهاد وعدم نيله للشهادة إنعامًا من الله عليه وأن المصيبة في ضد ذلك، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"وإنما هي مصيبة بحسب اعتقاد المنافقين ونظرهم الفاسد، أو على أن الموت كله مصيبة كما شاءه الله تعالى، وإنما الشهادة في الحقيقة نعمة لحسن مآلها"(٥).

رد المغالطة: ومغالطته هذه هي قول الكاذب أو الشامت إذ كيف يكون إنعامًا من الله، وهو لم يستجب لأمر الله بالخروج للجهاد؟

المثال الخامس:

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥٤٠/١.

(٢) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ١٢٠/٥.

(٣) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١١٩/٥.

(٤) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٥٣٨/٨.

(٥) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٧٧/٢.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ {الأنفال: ٤٨}

المغالطة
- وعدهم الشيطان بالنصر والإجارة، ثم تبرأ منهم، مدعيًا أنّ الحجة في هذا هو خوفه من الله.

رد المغالطة: نقل الطبري عن قتادة:"وكذب والله عدوّ الله، ما به مخافة الله، ولكن علم أن لا قوّة له ولا منعة له، وتلك عادة عدوّ الله لمن أطاعه واستعاذ به، حتى إذا التقى الحقّ والباطل أسلمهم شرّ مُسْلَم وتبرأ منهم عند ذلك"(١).

المثال السادس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ {التوبة: ٦٥}

المغالطة
- جعلوا استهزاءهم بما وعد به من النصر والتمكين للمؤمنين مجرد خوض ولعب يقصر السفر أثناء العودة من غزوة تبوك.

رد المغالطة: قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"وتقديم المعمول وهو ﴿أَبِٱللَّهِ﴾ على فعله العامل فيه لقصد قصر التعيين؛ لأنّهم لما أتوا في اعتذارهم بصيغة قصر تعيين جيء في الردّ عليهم بصيغة قصر تعيين لإبطال مغالطتهم في الجواب، فاعلمهم بأنّ لعبهم الذي اعترفوا به ما كان إلاّ استهزاء بالله وآياته ورسوله لا بغير أولئك، فقصْر الاستهزاء على تعلّقه بمن ذكر اقتضى أنّ الاستهزاء واقع لا محالة؛ لأنّ القصر قيد في الخبر الفعلي، فيقتضي وقوعَ الفعل، على ما قرّره عبد القاهر في معنى القصر الواقع في قول القائل: أنا سعيتُ في حاجتك وأنّه يؤكّد بنحو: وحدي، أوْ لا غيري، وأنّه يقتضي وقوع الفعل فلا يقال: ما أنا قلت هذا ولا غيري؛ أي ولا يقال: أنا سعيت في حاجتك وغيري، وكذلك هنا لا يصحّ أن يفهم أبالله كنتم تستهزِئون أم لَمْ تكونوا مستهزئين. والاستهزاء بالله وبآياته إلزام لهم؛ لأنّهم استهزأوا برسوله وبدينه، فلزمهم الاستهزاء بالذي أرسله بآيات صدقه"(٢).

المثال السابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓاْ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُواْ لَا تَنفِرُواْ فِي ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُواْ يَفْقَهُونَ ٨١﴾ {التوبة: ٨١}

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٩/١٣.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٥١/١٠.

المغالطة

- احتجوا على تخلفهم عن رسول الله ﷺ والخروج للجهاد بشدة الحر.

واستخدم المتخلفون في مغالطتهم فعلا كلاميًا مباشرًا وهو النهي عن النفير للجهاد الموجه لغيرهم، فلم يكتفوا بقعودهم وفرحهم بذلك، بل أضافوا إلى ذلك نهي غيرهم عن الجهاد بحجة الحرّ، قال أبو السعود (٩٨٢هـ):"فقد جمعوا ثلاث خصال من خصال الكفر والضلال: الفرح بالقعود، وكراهية الجهاد، ونهي الغير عن ذلك"(١).

رد المغالطة: وقد رد عليهم القرآن حجتهم وأبطل مغالطتهم، قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"فأقيمت عليهم الحجة بأن قيل لهم: فإذا كنتم تجزعون من حر القيظ، فنار جهنم -التي هي أشد- أحرى أن تجزعوا منها لو فهمتم"(٢).

قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا﴾ استجهال لهم؛ لأنّ من تصوّن من مشقة ساعة، فوقع بسبب ذلك التصوُّن في مشقة الأبد، كان أجهل من كل جاهل"(٣).

المثال الثامن:

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ {الفتح: ١١}

المغالطة

- احتجوا بأن سبب تخلفهم هو انشغالهم بالأموال والأهل، طالبين الاستغفار من النبي ﷺ.

وهذا النوع من المغالطات يدخل تحت باب (الوهميات) وهي القضايا الكاذبة التي يحكم بها الوهم في الأمور غير المحسوسة.

قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وهذا اعتلال منهم عن تخلفهم، أي لم يكن لهم من يقوم بحفظ أموالهم وأهليهم غيرهم، وبدأوا بذكر الأموال؛ لأن بها قوام العيش، وعطفوا الأهل؛ لأنهم كانوا يحافظون على حفظ الأهل أكثر من حفظ المال"(٤).

رد المغالطة: وقد رد القرآن عليهم مغالطتهم، وكشف زيف معتقدهم بأن التخلف عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر ويعجل لهم النفع، مستخدمًا في ذلك فعلا كلاميًا غير مباشر، وهو الاستفهام الذي جاءت قوته الإنجازية للنفي، وفي الجلالين:"﴿قُلْ فَمَن﴾ استفهام بمعنى النفي أي لا أحد"(٥).

---

(١) أبو السعود: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ٨٨/٤.

(٢) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٦٥/٣.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٤٤.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٤٨٨/٩.

(٥) المحلي والسيوطي: تفسير الجلالين، ص٦٨٠.

قال الرازي (٦٠٦هـ):"معناه أنكم تحترزون عن الضرر. وتتركون أمر الله ورسوله، وتقعدون طلبا للسلامة، ولو أراد بكم الضرر لا ينفعكم قعودكم من الله شيئًا، أو معناه أنكم تحترزون عن ضرر القتال والمقاتلين، وتعتقدون أن أهليكم وبلادكم تحفظكم من العدو، فهب أنكم حفظتم أنفسكم عن ذلك، فمن يدفع عنكم عذاب الله في الآخرة؟ مع أن ذلك أولى بالاحتراز"(١).

المثال التاسع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ {الفتح: ١٥}

المغالطة

- اتهام المخلفين للمؤمنين بالحسد لما منعوهم من الخروج معهم للقتال.

ويمكن تصنيف هذه المغالطة تحت نوع (الاحتكام إلى التفسير الخاطئ) إذ كذّب المخلفون قول المؤمنين وردّوا قولهم أن الله أمر أن لا يتبعوهم، وفسروا قول المؤمنين تفسيرًا خاطئًا بأنه حسد.

رد المغالطة: وقد رد عليهم القرآن اتهامهم ومغالطتهم وبين جهلهم وعدم فقههم، قال الطبري (٣١٠هـ):"ما الأمر كما يقول هؤلاء المنافقون من الأعراب من أنكم إنما تمنعونهم من اتباعكم حسدًا منكم لهم على أن يصيبوا معكم من العدوّ مغنمًا، بل كانوا لا يفقهون عن الله ما لهم وعليهم من أمر الدين إلا قليلًا يسيرًا، ولو عقلوا ذلك ما قالوا لرسول الله والمؤمنين به، وقد أخبروهم عن الله تعالى ذكره أنه حرمهم غنائم خيبر، إنما تمنعوننا من صحبتكم إليها؛ لأنكم تحسدوننا"(٢).

وقد وُظّف الرابط الحجاجي ﴿بَلْ﴾ في المغالطة وفي الرد عليها وكان للحرف في كلا الموضعين دوره الحجاجي، قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"فإن قلت: ما الفرق بين حرفي الإضراب؟ قلت: الأوّل إضراب معناه: ردّ أن يكون حكم الله أن لا يتبعوهم وإثبات الحسد. والثاني إضراب عن وصفهم بإضافة الحسد إلى المؤمنين، إلى وصفهم بما هو أطم منه، وهو الجهل وقلة الفقه"(٣).

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٧٤/٢٨.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٢١٨/٢٢.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص١٠٢٦.

١. ٤– القيمة الحجاجية في الآيات المتشابهات:

جاءت كل كلمة في القرآن الكريم في موضعها الذي يليق بها باختيار وترتيب معجز؛ فكانت لكل كلمة قوتها الحجاجية في التأثير، كما كان للتركيب وما به من خصائص تميزه عن غيره دوره الحجاجي كذلك، يقول عبد الله صولة:"إن انتقاء اللفظ لذو قيمة حجاجية ثابتة بحيث يبدو القول بالترادف في اللغة قولًا لا يخلو من شطط، صحيح أن بعض الدارسين وبعض الاتجاهات في دراسة الشعر ترى أن اختيار لفظة دون مرادفها قد يكون على أساس شكلي، فهو لغاية إحداث التنغيم أو الإيقاع، بحيث تبدو قيمة اللفظ قيمة شكلية محضة، لكن الخطاب الحجاجي لما كان مرتبطًا دائمًا بالمقام الذي يقال فيه إنما يعمد إلى استخدام هذه الكلمة دون مرادفها في اللغة لكونها أنسب منه في ذلك المقام.. ولا يصح التفريق بين الخطاب الوصفي المحايد والخطاب العاطفي بعدّ الأول ليس حجاجيًا والثاني له بعد حجاج، فكلاهما له بعد حجاجي"(١).

وقد اهتم علماء التفسير بدراسة الآيات المتشابهات، وحاولوا التدبر في أسباب اختيار القرآن لهذه الكلمة دون غيرها، ولهذا التركيب في هذا الموضع دون غيره، فظهر لنا من خلال دراسة أقوال العلماء في الجواب عن هذا التشابه في تلك الآيات مراعاتهم للسياق اللفظي والسياق الخارجي وأحوال المخاطبين، وغير ذلك من المعطيات التداولية، التي تشير إلى توظيفهم العملي لمتطلبات هذا المنهج في تحليل الخطاب القرآني، واستكشاف أسراره وقوته الحجاجية وطرق تأثيره في المخاطَبين.

ونعرض لبعض الأمثلة لهذه المتشابهات وأجوبة العلماء عليها.

المثال الأول:

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ {البقرة: ١٥٤}.
﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ {آل عمران: ١٦٩}.

قال في البقرة ﴿وَلَا تَقُولُوا۟﴾ وفي آل عمران ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾ وختمها في البقرة بقوله ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ وختمها في آل عمران بقوله ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

بالنظر إلى سياق الآيتين فإن الراجح أن آية البقرة نزلت في قتلى بدر، أما آية آل عمران فنزلت في قتلى أحد(٢)، وقد نهاهم في آية البقرة عن القول، وفي آل عمران عن الحِسبان، والفرق بينهما أن القول هو الكلام على الترتيب واللفظ الموضوع لمعنى، والحسبان هو الظن، والله ﷻ نهاهم في البقرة عن قول (هم أموات) لمن يقتل في سبيل الله، وقد يتبادر إلى الذهن أن النهي مختص بالتلفظ دون الاعتقاد، فجاءت آية آل عمران تنهى عن الظن أيضًا، فاجتمع النهي عن القول باللسان والاعتقاد بالجنان.

واقتصرت آية البقرة على ذكر أنهم أحياء ولكننا لا نشعر بحياتهم، وبسطت آية آل عمران جانبًا من هذه الحياة

(١) ينظر: عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبيرلمان وتيتيكا، ص٣١٩و٣٢٠.

(٢) ينظر: البَغَوِيّ: معالم التنزيل، ت: محمد عبد الله النمر وآخرون، ١٦٨/١.

أنها حياة عند الله يرزقون فيها من نعيم الجنة، وزاد بعدها وصف فرحهم واستبشارهم، وقد قيل: إن الاختصار في البقرة لأن الآية لم يسبقها ذكر أذى الكافرين ولا المنافقين، بينما الآية في آل عمران سبقها ذكر المعوقات من قتال الكافرين وصد المنافقين؛ فناسبها التحفيز ببسط ثواب الشهداء، فلم يكتف بذكر الحياة كالبقرة، وإنما ذكر النعيم من رزق وفرح واستبشار.

إضافة إلى ذلك أن آية البقرة مرتبطة بنصر بدر، أما آية آل عمران فمرتبطة بهزيمة أحد؛ فناسبها زيادة في وصف ثواب الشهادة مواساة للمؤمنين وتسلية لأحزانهم.

المثال الثاني:

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡ﴾ {البقرة: ١٩١}
﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ {النساء: ٨٩}
﴿فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ {النساء: ٩١}

وظف لفظ ﴿ثَقِفۡتُمُوهُمۡ﴾ في الأولى والثالثة، و﴿وَجَدتُّمُوهُمۡ﴾ في الثانية.

نجد أن معنى ثقف: ظفر به وأخذه، ولا تستعمل ثقفتموهم إلا في القتال والخصومة ومعناها أشمل من الإيجاد، وعندما لا يكون السياق في مقام الحرب يستعمل (وجدتموهم)(١).

المثال الثالث:

﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ {البقرة: ١٩١}
﴿وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ {البقرة: ٢١٧}

استخدم لفظ ﴿أَشَدُّ﴾ في الأولى و﴿أَكۡبَرُ﴾ في الثانية.

وذلك لأن الكلام في الآية الثانية على كبيرات الأمور فقد مر فيها قوله: ﴿قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞ﴾ {البقرة: ٢١٧} وقوله: ﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ {البقرة: ٢١٧} فناسب ذكر (أكبر) فيها. وليس السياق كذلك في الآية الأولى، وإنما هي في سياق الشدة على الكافرين فقد قال فيها: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ {البقرة: ١٩١} وهذه شدة ظاهرة فناسب ذكر (أشد) فيها بخلاف الآية الثانية(٢).

المثال الرابع:

﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {البقرة: ١٩٣}
﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ

(١) فاضل السامرائي: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، (موقع المكتبة الشاملة على الإنترنت).

(٢) فاضل السامرائي: أسرار البيان في التعبير القرآني، (موقع المكتبة الشاملة على الإنترنت) .

﴿بَصِيرٌ﴾ {الأنفال:٣٩}

تخصيص آية الأنفال بالتأكيد الحصري، فقيل: ﴿كُلُّهُ﴾ تأكيدًا للدين، ولم يرد ذلك في آية البقرة، كذلك تعقيب آية البقرة بقوله: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ وتعقيب آية الأنفال بقوله: ﴿فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الجواب عن الأول: "إن آية البقرة نزلت في مخصوصين، فالأمر فيها بقتال المشركين الذين كانوا بمكة، وقد كانت في بداية الأمر بالقتال، والكلام مقيد فلم يكن ليناسبه الإطلاق والتعميم الحاصل من التأكيد بـ (كل) المحرزة للعموم، والمقتضية الإحاطة والاستغراق؛ لأنه لا يحصل بقتل مشركي مكة الدين في كل البلاد، أما آية الأنفال فالأمر ورد عامًا في قتال كل الكافرين، وقد نزلت في المرحلة الأخيرة من مراحل تشريع القتال؛ فلما اقتضت الآية الاستغراق والعموم ناسب ذلك التأكيد المعمم"(١).

الجواب عن الثاني: "اختلف المقصد في الآيتين فأعقبت كل واحدة منهما بما يناسب مقصودها على ما يجب، فآية البقرة تبين أن قتال مشركي مكة كان جزاء ما فعلوه في المسلمين، من فتنتهم للمسلمين في دينهم، وإخراجهم لهم من أرضهم، وتعذيبهم بحرم الله وبيته، فإن انتهوا عن ظلمهم وعدوانهم على المسلمين وكفرهم بالله؛ فلا عدوان إلا على الظالمين منهم، أما آية الأنفال تبين أن عموم الكفار إن انتهوا عن كفرهم بالله ﷻ فأسلموا ولو إسلامًا ظاهرًا دون رسوخ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي لا تخفى أعمالهم، وليس لك أن تنقب عن قلوبهم، فإن الله يعلم أعمالكم وأعمالهم على القراءتين (يعملون وتعملون)، فيكون الخطاب للمقاتِلين، ولفظ المغايبة للمقاتَلين، ويمكن أن يقال إن الخطاب للكل فكلهم قد صاروا مؤمنين والله ﷻ مجازيهم على عملهم مطلع على سرائرهم يعلم من كان انتهاؤه عن الكفر لرغبة من رغائب الدنيا ومن كان انتهاؤه عنه للتبصر"(٢).

المثال الخامس:

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ۗ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ {البقرة: ٢١٤}.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ {آل عمران: ١٤٢}

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ {التوبة: ١٦}

قوله ﴿أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾ في البقرة وآل عمران و﴿أَن تُتْرَكُوا﴾ في التوبة.

قد جاء ورودها أعقاب قصص مختلفة وقضايا متغايرة، فآية البقرة واردة على ما تقدمها من خطاب المؤمنين

---

(١) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، ت: محمد مصطفى آيدين، ٣٣١/١و٣٣٤. وينظر: ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، تحقيق: عبد الغني محمد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، ٦٣و٦٤.

(٢) ينظر: الخطيب الإسكافي: درة التنزيل وغرة التأويل، ٣٣١/١و٣٣٤. وينظر: ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص٦٣و٦٤.

على العموم والتسوية لم يقع فيها تخصيص بغير المستجيبين المحسنين في إجابتهم، لا من جهة اللفظ ولا من وجهة المعنى، فناسبها الإطناب وذكر حال من تقدم من الأمم في ابتلائهم، وفي آية آل عمران فخوطب بها أهل أحد تسلية فيما أصابهم، وخص فيها ذكر الجهاد والصبر ولم يقصد في الآية إخبار بغير ذلك؛ لأنها ترتيب واقعة مخصوصة، فهذا وجه ما انفردت به واختصت عن آية البقرة، فلم يذكر هنا غير الجهاد والصبر. أما آية براءة فخطاب للمؤمنين ممن شهد فتح مكة وإعلام لهم بأنهم لا يكمل إيمانهم إلا بمطابقة ظواهرهم بواطنهم، وتحويم الآية على ذم من اتصف بصفة النفاق فأظهر خلاف ما أبطن، فحُذِّر المؤمنون من هذه الصفة، وعُرِّفوا أنه لابد من ابتلائهم واختبارهم لتخلص أحوالهم وتمتاز من أحوال المنافقين، ولم تتعرض الآيتان من سورة البقرة وآل عمران لذكر نفاق بالإفصاح أو بإيماء بخلاف آية براءة، فلما اختلفت المقاصد اختلفت العبارات في مطلع الآي وختامها بحسب ذلك، والله أعلم(١).

المثال السادس:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ {البقرة: ٢١٨}.
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ ﴾ {الأنفال: ٧٢}.
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ {الأنفال: ٧٤}.
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ أَعۡظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴾ {التوبة: ٢٠}.

تقديم ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ على قوله ﴿فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ في الآيات الثلاث الأول، وتأخيرها في الآية الرابعة.

آية الأنفال مقصود فيها مع المدحة تعظيم الواقع منهم من الإيمان والهجرة والجهاد بالأموال والأنفس، وتغبيطهم بما من الله عليهم به من ذلك، وتفخيم فعلهم الموجب لموالاة بعضهم بعضا؛ فقدم ذكر الأموال والأنفس تنبيهًا معرفًا بموقع ذلك من النفوس، وأنهم بادروا بها على حبها وشح الطباع بها كقوله: ﴿وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ {البقرة: ١٧٧} وليس تأخير هذا المجرور كتقديمه؛ لأنه إنما يقدم حيث يقصد اعتناء وتخصيص وتنبيه على موقعه، ومن نحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾ {الإخلاص:٤} وقد تقدم هنا فإنما قدم هذا تغبيطا لهم وإعظاما لفعلهم.

أما آية براءة فتعريف بأمر قد وقع مبنى على التعريف بالمفاضلة بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام وبين من آمن وهاجر وجاهد فى سبيل الله بماله ونفسه، بقصد رد من ظن أن السقاية وعمارة المسجد الحرام أفضل، وعرف أن الإيمان وما ذكر معه أعظم درجة عند الله، فلم يعرض هنا داع إلى تقديم ما قدم فى الأخرى؛ فتمخضت فضيلة ذلك المجرور هنا فأخر. وقد نص سيبويه رحمه الله على أن المجرور إنما يقدم حيث يكون مستقرًا، ويعنى بذلك

---

(١) ينظر: ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص٦٤-٦٦.

الخبر نحو: عندك مال، ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرٌّ﴾ {البقرة:٣٦}، والقصد تخصيص كناية الإخلاص، والتخصيص مقصود فى آية الأنفال، ولم يقصد ذلك فى براءة، ولا وقع المجرور فيها خبرًا؛ فوجب بمقتضى اللسان أن يقدم فى آية الأنفال قوله: ﴿بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ﴾ ويؤخر فى سورة براءة، وقد وقع فى كل واحدة من الآيتين فى كل من السورتين ما استدعى اتصال ما بعده به، ولم يكن يىناسب لورود العكس، فوضح وجه تخصيص الواقع فى كل من السورتين بموضعه والله أعلم(١).

المثال السابع:

﴿يُمِدَّكُمۡ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ﴾ {آل عمران: ١٢٤}.
﴿يُمۡدِدۡكُمۡ رَبُّكُم بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ {آل عمران: ١٢٥}.
﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ {الأنفال: ٩}.

قوله في الآية الأولى وفي الثانية ﴿يُمِدَّكُمۡ﴾ و ﴿يُمۡدِدۡكُمۡ﴾ بالفعل وفي الثالثة ﴿مُمِدُّكُم﴾ بالاسم، كذلك في الأولى ﴿بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٖ﴾ وفي الثانية ﴿بِخَمۡسَةِ ءَالَٰفٖ﴾ وفي الثالثة ﴿بِأَلۡفٖ﴾.

ذكر اللغويون أن الفعل يدل على التجدد والحدوث، واسم الفاعل يدل على الثبات، وهذا لا يصدق تمامًا في جميع الأفعال والصفات إلا على الفعل المضارع غالبًا عند موازنته باسم الفاعل؛ لذلك جاء التعبير باسم الفاعل (ممدكم) وليس بالفعل (أمدكم) دلالة على الثبات.

أما الجواب عن الثاني: قال الطبري (٣١٠هـ):"وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبرَ عن نبيه محمد ﷺ أنه قال للمؤمنين: ألن يكفيَكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة ؟ فوعدهم الله بثلاثة آلاف من الملائكة مددًا لهم، ثم وعدهم بعد الثلاثة الآلاف، خمسة آلاف إن صبروا لأعدائهم واتقوا الله. ولا دلالة في الآية على أنهم أُمدوا بالثلاثة الآف، ولا بالخمسة آلاف، ولا على أنهم لم يمدوا بهم. وقد يجوز أن يكون الله ﷻ أمدهم، على نحو ما رواه الذين أثبتوا أنه أمدهم، وقد يجوز أن يكون لم يمدهم على نحو الذي ذكره من أنكر ذلك. ولا خبر عندنا صحَّ من الوجه الذي يثبت أنهم أُمِدوا بالثلاثة الآلاف ولا بالخمسة الآلاف. وغير جائز أن يقال في ذلك قولٌ إلا بخبر تقوم الحجة به. ولا خبر به كذلك، فنسلم لأحد الفريقين قوله. غير أنّ في القرآن دلالةً على أنهم قد أمدوا يوم بدر بألف من الملائكة، وذلك قوله: ﴿إِذۡ تَسۡتَغِيثُونَ رَبَّكُمۡ فَٱسۡتَجَابَ لَكُمۡ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلۡفٖ مِّنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ مُرۡدِفِينَ﴾ {الأنفال: ٩}(٢).

المثال الثامن:

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشۡرَىٰ لَكُمۡ وَلِتَطۡمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦۗ وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ {آلعمران:١٢٦}

---

(١) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص٢٢٥.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٨٠/٧و١٨١.

﴿وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ {الأنفال: ١٠}

زيادة ﴿لَكُمْ﴾ في آية آل عمران ولم ترد في الأنفال، وتقديم ﴿قُلُوبُكُم﴾ في آل عمران وتأخيرها في الأنفال، وختام الآيتين بطريقة مختلفة.

قدّم القلب على الجار والمجرور في الآية الأولى، وأخّرها عنه في الآية الثانية علمًا بأن الكلام على معركة بدر في الموطنين غير أن الموقف مختلف. ففي آل عمران ذكر معركة بدر تمهيدًا لذكر موقعة أحد وما أصابهم فيها من قرح وحزن والمقام مقام مسح على القلوب وطمأنة لها، فذكر أن البشرى (لهم) وقدم (قلوبهم) على الإمداد بالملائكة، كل ذلك من قبيل المواساة والتبشير والطمأنة.

ولما لم يكن المقام في الأنفال كذلك، وإنما المقام ذكر موقعة بدر وانتصارهم فيها ودور الإمداد السماوي في هذا النصر وقد فصل في ذلك أكثر مما ذكر في آل عمران، فلما كان المقام مختلفًا خالف في التعبير، ففي الأنفال مقام الانتصار وإبراز دور الإمداد الرباني فقدم (به) على القلوب، والضمير يعود على الإمداد. ولما كان المقام في آل عمران هو الطمأنينة وتسكين القلوب قدمها على الإمداد، وزاد كلمة ﴿لَكُمْ﴾ زيادة في المواساة والمسح على القلوب فجعل كلًا في مقامه(١).

المثال التاسع:

﴿سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ {آل عمران: ١٥١}.
﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ {الأنفال: ١٢}.
﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا﴾ {الأحزاب: ٢٦}.
﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ {الحشر: ٢}.

في الآية الأولى ﴿سَنُلْقِى﴾ والثانية ﴿سَأُلْقِى﴾ وفي الثالثة والرابعة ﴿وَقَذَفَ﴾.

نجد أنه في الآية الأولى لم يرد فيها ذكر الملائكة فلا مجال للتوهم فيها أن إلقاء الرعب من فعل الملائكة فقال ﴿سَنُلْقِى﴾ بنون العظمة، أما الآية الثانية فمبدوءة بقوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ﴾ قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ) في تفسيرها: "لم يسند إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا إلى الملائكة بل أسنده الله إلى نفسه وحده بقوله: ﴿سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ﴾ لأن أولئك الملائكة المخاطبين كانوا ملائكة نصر وتأييد فلا يليق بقواهم إلقاء الرعب؛ لأن الرعب خاطر شيطاني ذميم، فجعله الله في قلوب الذين كفروا بواسطة أخرى غير الملائكة. ولم يقل سنلقي لئلا يتوهم أن للملائكة المخاطبين سببًا في إلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا"(٢).

أما عن القذف والإلقاء فالإلقاء حقيقته رمي شيء على الأرض، والقذف هو الرمي بقوة والإلقاء السريع، وقد استعير فعل القذف في الآيتين الأخيرتين والمتعلقتين باليهود لحصول الرعب بقوة وبسرعة في قلوب اليهود دفعة

(١) فاضل السامرائي: أسرار البيان في التعبير القرآني، (المكتبة الشاملة على الإنترنت).
(٢) ابن عاشور: تفسير التحرير والتنوير، ٢٨٢/٩.

واحدة، دون سابق تأمل، إذ باغتهم المسلمون في حصونهم لخيانتهم العهد. واستعير فعل الإلقاء في الآيتين الأوليين والمتعلقتين بمشركي مكة الذين اجتمعوا لقتال المسلمين في بدر وأحد وتجهزوا لذلك؛ لجعل الرعب في قلوب الذين كفروا مستقبلًا؛ ولهذا قال تعالى:﴿سَنُلْقِي﴾ بالسين الدالة على الاستقبال والتأكيد بحصول الرعب في قلوب الذين كفروا، وقد حدث بعد انتهاء المعركة يوم أحد إذ قذف الله في قلب أبي سفيان الرعب لما فكر في العودة للمسلمين ليستأصلهم.

المثال العاشر:

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ {الأنفال: ٤١}.

﴿مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ {الحشر:٧}.

الفرق بين (الغنيمة) و(الفيء). قال الطبري (٣١٠هـ):"(الغنيمة) المال يوصل إليه من مال من خوّل الله مالَه أهلَ دينه، بغلبة عليه وقهرٍ بقتال. فأما (الفيء) فإنه ما أفاء الله على المسلمين من أموال أهل الشرك، وهو ما ردّه عليهم منها بصلح، من غير إيجاف خيل ولا ركاب. وقد يجوز أن يسمى ما ردّته عليهم منها سيوفهم ورماحهم وغير ذلك من سلاحهم فيئًا؛ لأن (الفيء) إنما هو مصدر من قول القائل: (فاء الشيء يفيء فيئًا) إذا رجع، و(أفاءه الله) إذا ردّه. غير أن الذي ردّ حكم الله فيه من الفيء بحكمه في سورة الحشر، إنما هو ما وصفت صفته من الفيء، دون ما أوجف عليه منه بالخيل والركاب .. وأما قول من قال: الآية التي في سورة الأنفال، ناسخةٌ الآيةَ التي في سورة الحشر، فلا معنى له، إذ كان لا معنى في إحدى الآيتين ينفي حكم الأخرى. وقد بينا معنى النسخ، وهو نفي حكم قد ثبت بحكمٍ خلافه، في غير موضع"(١).

المثال الحادي عشر:

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ {التوبة: ٨٧}.

﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ {التوبة: ٩٣}.

حذف الفاعل في الآية الأولى ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ بينما ذكر في الثانية ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾. وختام الآية الأولى بقوله ﴿فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ وختام الثانية بقوله ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

الجواب عن الأول:"إن مطلع الآية قبلها قوله تعالى:﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ على بناء الفعل للمفعول فجاء قوله على ذلك، ونوسب بختام هذه الآية بداءة ما قبلها، وأما الثانية فلم يقع قبلها فعل بني للمفعول، وقد ذكر الفاعل فيها فجرى الكلام على ما يجب"(٢).

يقول ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"أسند الطبع على قلوبهم إلى الله في هذه الآية بخلاف ما في الآية السابقة

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٣/٥٤٦و٥٤٧.

(٢) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص٢٣٣.

﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ لعله للإشارة إلى أنه طبع غير الطبع الذي جبلوا عليه، بل هو طبع على طبع أنشأه الله في قلوبهم؛ لغضبه عليهم فحرمهم النجاة من الطبع الأصلي وزادهم عماية، ولأجل هذا المعنى فرع عليه ﴿فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ لنفي أصل العلم عنهم، أي يكادون أن يساووا العجماوات"[١].

الجواب عن الثاني: "إن قوله ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ﴾ {التوبة: ٨٦} لما اجتمع ذكر إنزال السورة والإشارة إلى ذكر المراد بها، استدعى ذلك نظر من بلغه هذا المنزل واعتباره وتفهم المقصود به إلى الكمال ليقع الامتثال على وجهه، فلما تراموا إلى الخلود إلى الراحة وترك الجهاد الذي تحملت الآية الأمر به، ناسب ذلك أن ينفي عنه الفهم والتدبر فقيل: ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ والتفقه: التفكر والاعتبار، ولما لم يقع في الآية بعدُ ذكر ما يحتاج إلى ذكر تدبره وتفهمه لقرب المعنى المراد منه، وذلك قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ﴾ صرف النفي إلى الحاصل على التفهم وهو العلم فقيل: ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾"[٢].

المثال الثاني عشر:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ﴾ {محمد: ٢٠}.

ورد الفعل أولًا مضعفًا ﴿نُزِّلَتْ﴾ وثانيًا غير مضعف ﴿أُنزِلَتْ﴾.

الجواب: "إن المؤمنين هم الذين يودون نزول السورة، وطلبهم نزولها إنما هو على ما اعتادوه جاريًا في غيرها من التنجيم تفصيل النزول، فالملائم هنا عبارة التضعيف، وقوله: ﴿فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ﴾ إنما المراد تحصيلها بجملتها بعد كمالها وذلك مفهوم من سياق الكلام، والملائم لما تحصل وتم عبارة الإنزال من غير تضعيف"[٣].

المثال الثالث عشر:

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ {الفتح: ٤}.
﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ {الفتح: ٧}.

ختام الآية الأولى بقوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ والثانية بقوله ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.

الجواب: "إن الآية الثانية لما تقدمها ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ {الفتح: ٥-٦} ناسب

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٦/١١.

(٢) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص٢٣٣.

(٣) المرجع السابق، ص٤٤٣و٤٤٤.

هذا المتقدم، من فعله تعالى بالفريقين، من مجازاة المؤمنين بالنعيم المقيم، وتعذيب المنافقين وغضبه عليهم ولعنهم وإعداده لهم جهنم، وصفه تعالى بالعزة؛ ليعلم أنه سبحانه لا مغالب له وأن الكل تحت قهره، إذ لعزته يفعل في الكل ما يريده وما تقتضيه حكمته، إذ هو العزيز في ملكه الحكيم في أفعاله، ولما لم يتقدم الآية المتقدمة ما يقتضي القصر كهذه، وإنما قبلها قوله سبحانه ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ {الفتح: ٤} وهذا تعريف بإنعامه سبحانه ورحمته، فأعلم سبحانه أنه العليم بمن يرحمه"(١).

المثال الرابع عشر:

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا﴾ {الفتح: ١١}.
﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ {الفتح: ١٥}.

ذكر في الآية الأولى ﴿لَكَ﴾ ولم تأت هذه الزيادة في الآية الثانية.

الجواب:"إن المخبر عنهم من المخلفين طلبوا منه ﷺ الاستغفار لهم لتخلفهم عنه، وأفردوه بخطابهم إذ ليس ذلك من مطلوبهم لغيره؛ فوردت العبارة عن ذلك بإفراد الخطاب، وأعلم تعالى نبيه ﷺ بنفاقهم وكذبهم في اعتذارهم فقال تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ {الفتح: ١١} وأما الآية الثانية فليس قولهم ﴿ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ﴾ خطابًا خاصًا له ﷺ بل هو خطاب له وللمؤمنين، والسياق يفصح بذلك، وما أمره به ﷺ من مجاوبتهم في قوله لهم ﴿لَّن تَتَّبِعُونَا﴾ {الفتح: ١٥} فلم يرد هنا إفراده ﷺ بخطابهم له كما ورد في الأولى، وجاء كل على ما يناسب"(٢).

المثال الخامس عشر:

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا﴾ {الفتح: ١١}.
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ {الفتح: ٢٤}.

اختلاف الوصفين الواقع بهما ختام الآيتين وهما ﴿خَبِيرًۢا﴾ في الأولى و﴿بَصِيرًا﴾ في الثانية.

الجواب:"إنه قد تقدم قبل الآية الأولى قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ {الفتح: ١١} فناسب هذا وصفه تعالى بالخبير؛ لأنّ الخبير هو العليم بما خفي وبطن، فتأمل مناسبة هذا لقوله: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ وأما الآية الثانية فتقدمها قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ {الفتح: ٢٤} وليس في هذا إبطان شيء أظهر خلافه، فكان إيراد وصفه سبحانه ببصير أنسب، وورد كل على ما يجب"(٣).

---

(١) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص٤٤٥.

(٢) المرجع السابق، ص٤٤٦.

(٣) ابن الزبير الغرناطي: ملاك التأويل، ص٤٤٦.

٢- آليات الحجاج في اللسانيات الغربية:

إن تطبيق آليات النظريات الغربية على الخطاب القرآني ليس أمرًا يسيرًا، نظرًا لقداسة النص القرآني وخصوصيته، وبين مجيز ومانع آثرت أن أقف موقفًا وسطًا بين القولين، فملت إلى جانب تطبيق الآليات التي لا أرى فيها تعارضًا مع قداسة النص القرآني، والتي تظهر لي وجودها في كثير من الآيات، انطلاقًا من تأكيد العلماء على أن النص القرآني اشتمل على جميع أنواع البراهين والأدلة ولكن أورده على طريقة اللسان العربي، كما ذكر الزركشي (٧٩٤هـ):"قال العلماء: قد اشتمل القرآن العظيم على جميع أنواع البراهين والأدلة، وما من برهان ودلالة وتقسيم وتحذير يبنى من كليات المعلومات العقلية والسمعية إلا وكتاب الله قد نطق به، لكن أورده على عادات العرب دون دقائق طرق المتكلمين لأمرين:

أحدها: بسبب ما قاله ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡ﴾ {إبراهيم: ٤}

والثاني: أن المائل إلى دقيق المحاجة هو العاجز عن إقامة الحجة بالجليل من الكلام، فإن من استطاع أن يفهم بالأوضح الذي يفهمه الأكثرون لم ينحط إلى الأغمض الذي لا يعرفه إلا الأقلون، ولم يكن ملغزًا فأخرج تعالى مخاطباته في محاجة خلقه في أجلى صورة، ليفهم العامة من جليها ما يقنعهم وتلزمهم الحجة وتفهم الخواص من أثنائها ما يربى على ما أدركه فهم الخطباء"(١).

٢. ١- الوصل والفصل:

التقنيات الاتصالية والانفصالية هي تلك التقنيات الحجاجية التي ذكرها بيرلمان وتيتكاه في نظريتهما للحجاج، وإذا كان بعض الباحثين يرون أن هذا النوع من الحجاج لا يمت للسانيات أو للتداولية بصلة، وأنه أقرب إلى المنطق، بخلاف نظرية الحجاج عند ديكرو مثلاً التي نبعت من نظرية الأفعال الكلامية، ولا أتفق مع هذا الرأي فنظرية بيرلمان هي التي أحيت الدرس الحجاجي في البلاغة الجديدة، والتقنيات التي ذكرها لا تختلف كثيرًا عن مثيلاتها في البلاغة القديمة، وكثير منها نجده بصورة أو أخرى في البلاغة العربية.

والطرائق الاتصالية هي تلك الحجج التي تقرب بين العناصر المتباينة في أصل وجودها؛ فتتيح بذلك قيام ضرب من التضامن بينها، وذلك لتحقيق أمرين:

أ- إبراز تلك العناصر في بنية واضحة.

ب- تقييم أحد هذه العناصر بواسطة الآخر تقييمًا إيجابيًا أو سلبيًا.

ومن تلك الطرائق الاتصالية: الحجج شبه المنطقية، والحجج المؤسسة على الواقع، والحجج التي تؤسس للواقع.

٢. ١. ١- الحجج شبه المنطقية:

يستمد هذا النوع من الحجج قوّته الإقناعيّة من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة، ووصفت هذه الحجج بأنها "شبه منطقية" لأنها غير ملزمة كما هو الأمر بالنسبة إلى قرينتها المنطقية، إذ إن الطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية متعلقة بالقضايا القطعية، فلا مجال للاختلاف، أما في الحجج شبه المنطقية فمجال

---

(١) الزركشي: البرهان في علوم القرآن، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ٢/٢٤.

الاختلاف والأخذ والرد فيها متاح.

إنها نوع من الحجج التي تهدف إلى التأثير في المخاطب فيما يتعلق بصحة الموضوع المطروح ومشروعيته، وذلك بفضل البعد العقلي الذي تستمده من علاقتها ببعض الصيغ المنطقية، مثل: التعارض، التماثل، التبادل، التعدية. ومن بعض العلاقات الرياضية، مثل: التعميم، والتقسيم.

٢. ١. ١. ١- حجة التعارض:

يميز الباحثون بين التناقض والتعارض، فينسبون الأول للاستدلال أو البرهان في المنطق الصوري، وأما الثاني فمجاله الحجاج في اللغة الطبيعية(١).

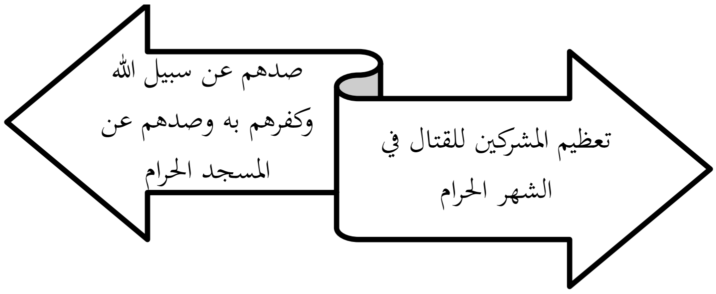
والهدف من هذا النوع من الحجاج هو كشف التعارض في كلام المخاطَب، فيغير قناعاته إلى القضية المراد دعوته إليها، وقد يكون الهدف إقامة الحجة عليه؛ فينكشف زيف ادعائه. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ {البقرة: ٢١٧}

الحجة: احتج المشركون بما وقع من المسلمين من قتال في الشهر الحرام؛ ليعيبوا عليهم ويذموهم بأنهم لا يعظمون شعائر الله.

التعارض: الحقيقية أن المشركين وقعوا في التعارض عندما أعظموا ما حدث من قتال المسلمين لهم في الشهر الحرام، ولم يعظّموا كفرهم وإجرامهم وهو أولى، فرد عليهم القرآن وكشف تناقضهم.



قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"هذه الآية رد على المشركين حين أعظموا على النبي ﷺ القتال والحماية في الشهر الحرام؛ فقال الله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ﴾ -وهي الكفر- في الشهر الحرام ﴿أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾؛ فإذا فعلتم ذلك كله في الشهر الحرام تعيّن قتالكم فيه"(٢).

ويقول سيد قطب (١٣٨٦هـ):"فسقطت حجتهم في التحرز بحرمة البيت الحرام وحرمة الشهر الحرام. ووضح موقف المسلمين في دفع هؤلاء المعتدين على الحرمات؛ الذي يتخذون منها ستارًا حين يريدون، وينتهكون قداستها

(١) ينظر: الحسين بنو هاشم: نظرية الحجاج عند بيرلمان، ص٥٩.

(٢) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ١/٢٠٧.

حين يريدون.. لقد كانت كلمة حق يراد بها باطل. وكان التلويح بحرمة الشهر الحرام مجرد ستار يحتمون خلفه؛ لتشويه موقف الجماعة المسلمة، وإظهارها بمظهر المعتدي، وهم المعتدون ابتداءً، وهم الذين انتهكوا حرمة البيت ابتداءً"(١).

وقد استخدم المشركون في حجاجهم فعلا كلاميًا غير مباشر وهو الخبر الذي يدل على الاستفهام وقوته الإنجازية الإنكار، قال الشوكاني (١٢٥٠هـ):"السؤال منهم المذكور في هذه الآية هو سؤال إنكار لما وقع من السرية التي بعثها النبيّ ﷺ"(٢).

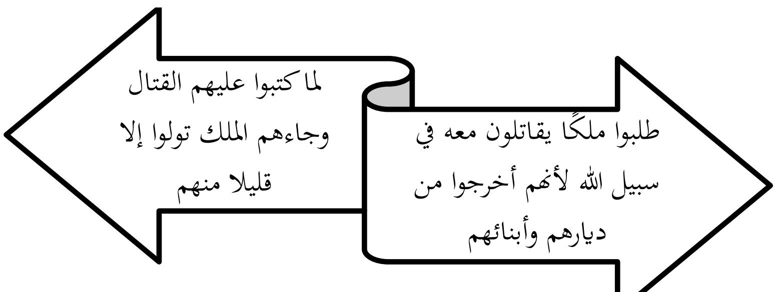
وجاء رد القرآن عليهم مبينًا لهذا التعارض الذي وقعوا فيه، فأخبر أن القتال في الشهر الحرام أمر كبير، ولكن الأكبر منه الصد عن سبيل والكفر به سبحانه والصد عن المسجد الحرام، وأن الشرك الذي وقعوا فيه أعظم من القتل.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {البقرة: ٢٤٦}

الحجة: احتج الملأ على نبيهم بأنهم أخرجوا من ديارهم وأبنائهم فما الذي يجعلهم يعرضون عن القتال؟

التعارض: كشفت الآية عن موقف الملأ من بني إسرائيل المتعارض بين القول والفعل.



لقد كشفت الآية التعارض الذي وقع فيه بنو إسرائيل تحذيرًا لأمة محمد من الوقوع فيما وقعوا فيه، وغايات أخرى بينها البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ) بقوله:"ولما كان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يتمنون في مكة المشرفة الإذن في مقارعة الكفار؛ ليردوهم عما هم عليه من الأذى والغي والعمى، عجب من حال بني إسرائيل حيث سألوا الأمر بالقتال، ثم لم ينصفوا إذ أمروا، تحذيرًا من مثل حالهم، وتصويرًا لعجيب قدرته على نقض العزائم وتقليب القلوب، وإعلامًا بعظيم مقادير الأنبياء"(٣).

المثال الثالث:

---

(١) ينظر: سيد قطب: في ظلال القرآن، ١/٢٢٦.

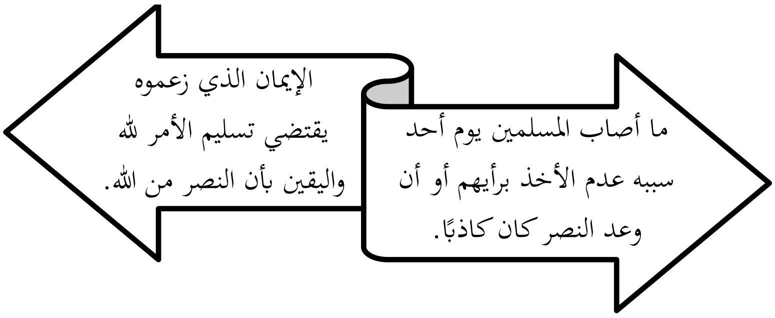
(٢) الشوكاني: فتح القدير؛ الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، ١/٢٥٠.

(٣) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣/٤٠٥.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ {آل عمران: ١٥٤}

الحجة: احتج المنافقون بأن ما أصاب المسلمين يوم أحد سببه عدم طاعة الرسول ﷺ لهم لما أشاروا عليه بالبقاء في المدينة وعدم الخروج لملاقاة المشركين، أو على القول الثاني كان الاستدلال بذلك على أن محمدًا ﷺ كان كاذبًا في ادعاء النصرة والعصمة من الله تعالى لأمته[1].

التعارض: هذه الحجة تعارض الإيمان الذي زعموه فالمؤمن يسلم أمره لله، ويعلم يقينًا أن الأمر كله لله، وأن النصر منه وحده، والله ورسوله في غنى عن رأيهم ومشورتهم.



وقد استخدموا في مغالطتهم فعلا كلاميًا غير مباشر، وهو الاستفهام الذي جاءت قوته الإنجازية للنفي والإنكار.

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"و﴿هَل﴾ للاستفهام الإنكاري بمعنى النفي، بقرينة زيادة ﴿مِنَ﴾ قبل النكرة، وهي من خصائص النفي، وهو تبرئة لأنفسهم من أن يكونوا سببًا في مقابلة العدوّ. حتَّى نشأ عنه ما نشأ، وتعريض بأنّ الخروج للقتال يوم أُحُدُ خطأ وغرور، ويظنّون أنّ محمدًا ﷺ ليس برسول إذ لو كان لكان مؤيّدًا بالنصر"[2].

وقد كشف القرآن زيفهم وأبطل حجتهم. فاستخدم وصف الجاهلية في وصف ظنونهم وأوهامهم، قال الطبري (٣١٠هـ):"يظنون بالله الظنون الكاذبة، ظنّ الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكًّا في أمر الله، وتكذيبًا لنبيه ﷺ، وَمَحْسَبَةً منهم أن الله خاذل نبيه، ومعلٍ عليه أهل الكفر به"[3]. وجاء الرد أيضًا موظفًا المذهب الكلامي في قوله ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ كما سبق بيانه.

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ

(١) ينظر: الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣٩٥/٩.

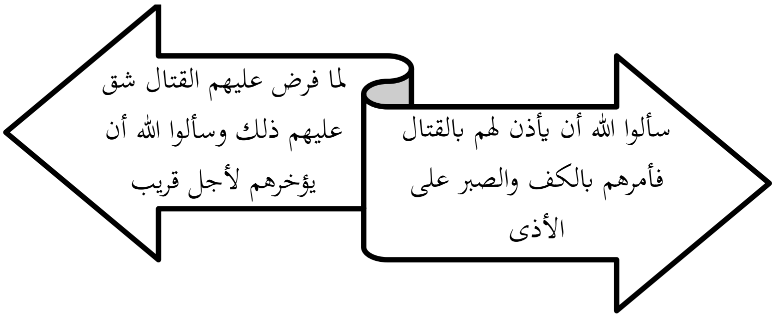
(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٣٥/٤.

(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٣٢٠/٧.

﴿لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ {النساء: ٧٧}

الحجة: كانت حجة المستدلين: لولا أخرتنا حتى نموت على فرشنا بغير قتال.

التعارض: بينت الآية التعارض الذي وقع فيه المستدلون بين موقفهم السابق حينما طلبوا القتال لرد اعتداء الكفار فأمروا بكف الأيدي والصبر على الأذى، وموقفهم بعدما فرض القتال.



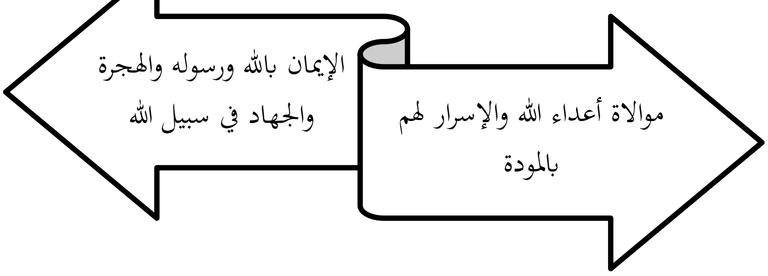
وفي بيان الآية لهذا التعارض والرد عليه بالاحتجاج العقلي ﴿قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ الذي جاء على هيئة الفعل الكلامي المباشر وقوته الإنجازية التوجيه بالأمر للنبي ﷺ ليرد عليه بهذا الرد، وذلك "ترغيبًا فيما عند الله، وتزهيدًا في الدنيا، ودعاءً إلى الرضا بحكم الله تعالى فيما خف وثقل"(١).

المثال الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ {الممتحنة: ١}

الحجة: لم تصرح الآيات بحجة المستدل وإن وردت في سياقات أخرى، ففي البخاري قال حاطب رضي الله عنه في تبرير هذا الفعل:"فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب أن أتخذ فيها يدًا يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفرًا، ولا ارتدادًا عن ديني، ولا رضًا بالكفر بعد الإسلام"(٢).

التعارض: كشف القرآن التعارض بين موالاة أعداء الله وبين الإيمان به سبحانه؛ وبيان هذا التعارض هدفه التأثير في المخاطبين من المؤمنين للبعد عن هذا الفعل الشنيع.



قال دروزة: (١٤٠٤هـ)"تضمنت تنبيهًا لهم بأن فعل ما فيه مودة للكفار وبخاصة بصورة سرية متناقض مع

---

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٢٦٢/٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الفتح وما بعث حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة يخبرهم بغزو النبي ﷺ، رقم (٤٢٧٤)، ١٤٥/٥.

الإخلاص في الإيمان، إذا كانوا حقًّا مخلصين فيه، وإذا كانوا حقًّا قد هاجروا من وطنهم ابتغاء وجه الله وجهادًا في سبيله"(١). وقال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"بكّت هنا من اتصف بالإيمان وقرعه ووبخه على السعي في موادتهم والتكلف لتحصيلها، فإن ذلك قادح في اعتقاد تفرده سبحانه بالعزة والحكمة .. فقال معلمًا إن ولايته سبحانه لا تصح إلا بالإيمان، ولا يثبت الإيمان إلا بدلائله من الأعمال، ولا تصح الأعمال إلا بالإخلاص، ولا يكون الإخلاص إلا بمباينة الأعداء"(٢).

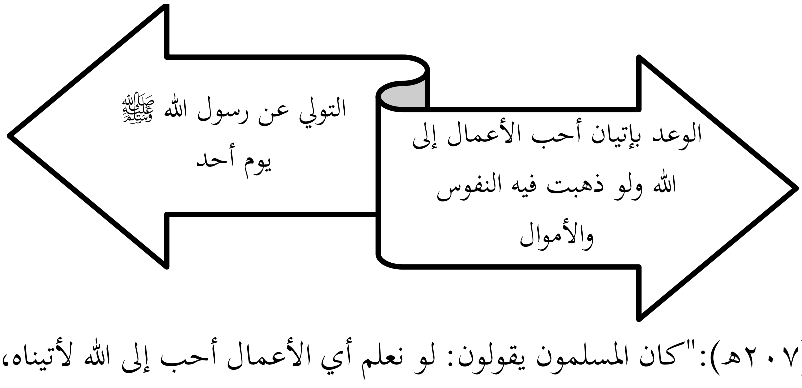
جاء الرد القرآني في هذه الآية والآيات التي تليها على صورة الفعل الكلامي المباشر المتمثل في النهي الصريح ﴿لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ والذي هو جواب متقدم للشرط ﴿إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَـٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى﴾ ثم لحقه أفعال كلامية مباشرة جاءت على صورة الخبر ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ﴾ تزيد من قوة الإقناع والتأثير في المخاطبين، والتي تبين صورًا من أفعال أعداء الله بالمؤمنين، وذلك زيادة في تنفير المؤمنين من موالاتهم حتى ولو كانوا أولي قربى، فيظهر التناقض واضحًا جليًا بين مقتضيات الإيمان بالله ورسوله وبين موالاة هؤلاء الأعداء.

المثال السادس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾
{الصف: ٢ – ٣}

الحجة: لم تصرح الآيات بحجة المستدل، وإن جاء ذكرها في سياقات أخرى، وتتمثل في قول بعض المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد:"لوددنا أن الله دلنا على أحبّ الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحبّ الأعمال إليه إيمان بالله لا شكّ فيه، وجهاد أهل معصيته الذين خالفوا الإيمان ولم يقرّوا به فلما نزل الجهاد، كره ذلك أُناس من المؤمنين، وشقّ عليهم أمره"(٣).

التعارض: أشارت الآيات إلى تعارض الفعل مع القول، وذلك لما خالف فعلهم قولهم في وقعة أحد إذ تولوا عن رسول الله ﷺ حتى شُجّ وكسرت رباعِيَته.



قال الفراء (٢٠٧هـ):"كان المسلمون يقولون: لو نعلم أي الأعمال أحب إلى الله لأتيناه، ولو ذهبَتْ فيه أنفسنا

(١) محمد عزة دروزة: التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، ٢٦٨/٩.
(٢) ينظر: البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤٨٥/١٩-٤٨٧.
(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٣٥٤/٢٣.

وأموالنا، فلما كانت وقعة أحد فتولوا عن رسول الله ﷺ حتى شُجّ وكسرت رباعِيَتُه فقال:﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ لذلك"[1].

قال المكي الناصري (١٤١٤هـ):"يتجه الخطاب فيها إلى فريق من المؤمنين يعدون ولا يفون بوعدهم، ويقولون ولا يلتزمون بقولهم، فينكر عليهم كتاب الله هذا الموقف المتناقض"[2].

ووظفت الآيات في إظهار التعارض فعلًا كلاميًا غير مباشر وهو الاستفهام، وقوته الإنجازيه الإنكار والتوبيخ.

قال القرطبي (٦٧١هـ):"استفهام على جهة الإنكار والتوبيخ، على أن يقول الإنسان عن نفسه من الخير ما لا يفعله. أما في الماضي فيكون كذبًا، وأما في المستقبل فيكون خُلْفًا، وكلاهما مذموم"[3].

ويفرق أبو حيان (٧٤٥هـ) بين القوة الإنجازية لهذا الفعل الكلامي تبعًا لنوع المخاطَب، فيقول:"النداء بـ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إن كان للمؤمنين حقيقة، فالاستفهام يراد به التلطف في العتب، وإن كان للمنافقين، فالمعنى ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي بألسنتهم، والاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ وتهكم بهم في إسناد الإيمان إليهم"[4].

إن حجة التعارض تتنوع قيمتها الحجاجية حسب السياق، فقد تأتي لكشف زيف حجج الخصم وبيان بطلان حجته كما في المثالين الأول والثاني، وقد تأتي لبيان خطأ المخاطب وحثه للبعد عن هذه المخالفات الشرعية التي تتعارض مع حقيقة الإيمان، كما في المثالين الثالث والرابع.

١. ١. ٢- حجة التماثل (التعريف):

من أنواع الحجج شبه المنطقية التماثل بين طرفين، أو بعبارة أخرى تعريف شيء بشيء، ولا يمكن عدّهما شيئًا واحدًا. وهي طريقة تستخدم في تقويم شيء ما تقويمًا إيجابيًا أو سلبيًا، ففي هذا نجد اللفظ الثاني دائمًا هو الذي يحمل القيمة الدلالية شأن ما يحدث في ظاهرة التكرار.

ومثال ذلك: (الرجل رجل) أو (الأب يبقى دائمًا أبًا) وهو من قبيل تحصيل الحاصل، لا تجد فيه معنى الطرف الثاني (المعرِّف) وهو رجل أو أب، هو نفسه معنى الطرف الأول (المعرَّف) وهو الرجل والأب؛ لهذا قيل عن مثل هذه القضايا أن أحد ركنيها أو لفظيها ورد على الحقيقة والآخر على وجه المجاز. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ {الأنفال: ٧٤}

التماثل: تظهر الآية حقيقة الإيمان، وكأنها تضع تعريفًا للإيمان الحقيقي، فالمؤمنون الذين حققوا إيمانهم بأعمالهم،

---

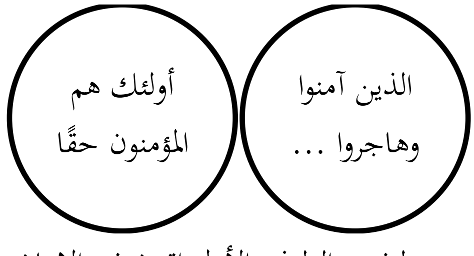
(١) الفراء: معاني القرآن، أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ١٥٣/٣.

(٢) محمد المكي الناصري: التيسير في أحاديث التفسير، ٢٢٤/٦.

(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٨٠/١٨.

(٤) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ١٦٤/١٠.

هم المؤمنون على الحقيقة.



نجد في هذه الآية التماثل بين طرفين، الطرف الأول اقترن فيه الإيمان بالعمل، والطرف الثاني شهادة له بحقيقة الإيمان، فهو كأنه يعرف هذا بذاك، فالآية تقوّم عمل هؤلاء تقويمًا إيجابيًا. وتؤكد على تحقيقهم الإيمان بأعمالهم، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"حققوا إيمانهم بأعمالهم؛ لأنهم هاجروا من بلادهم وأهلهم وأموالهم؛ إشفاقًا على دينهم واستسلامًا له، وأجابوا رسول الله، وأطاعوه في ذلك"(١).

والغاية من هذا الحجاج التأثير في المخاطبين وحثهم على الوصول لحقيقة الإيمان الذي يتمثل في تحقيق الاستقامة على مراد الله ﷻ، قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"وإذا كان الإيمان في القلب حقًّا ظهر ذلك في استقامة الأعمال بامتثال الأمر. واجتناب النهي، وإذا كان مجازًا قصرت الجوارح في الأعمال؛ إذ لم تبلغ قوته إليها"(٢).

واستخدمت الآية فعلًا كلاميًا يدخل في باب التبيينات وقوته الإنجازية مدح المؤمنين والتأكيد على تعظيم شأنهم وعلو درجاتهم. قال الخازن (٧٤١هـ):"﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗا﴾ وهذا يفيد الحصر، وقوله سبحانه وتعالى حقًا يفيد المبالغة في وصفهم، بكونهم محقين في طريق الدين، وتحقيق هذا القول أنَّ من فارق أهله وداره التي نشأ فيها وبذل النفس والمال كان مؤمنًا حقًّا"(٣).

٢. ١. ١. ٣- حجة التبادل:

تقوم حجة التبادل على معاملة القضايا المتشابهة المعاملة نفسها، وتسمى أيضًا قاعدة العدل بحيث إن العدل يقتضي التعامل المشابه مع القضايا المتشابه في الغالب، ومخالفة ذلك يعد مخالفة لقاعدة العدل.

ومن أمثلة ذلك قول النبي ﷺ:"لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"(٤)، وقد تظهر في المواقف المعكوسة من قبيل قوله تعالى: ﴿وَيَصۡنَعُ ٱلۡفُلۡكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيۡهِ مَلَأٞ مِّن قَوۡمِهِۦ سَخِرُواْ مِنۡهُۚ قَالَ إِن تَسۡخَرُواْ مِنَّا فَإِنَّا نَسۡخَرُ مِنكُمۡ كَمَا تَسۡخَرُونَ﴾ {هود: ٣٨}. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول: قتال من يقاتل المسلمين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٥/٢٧٦.

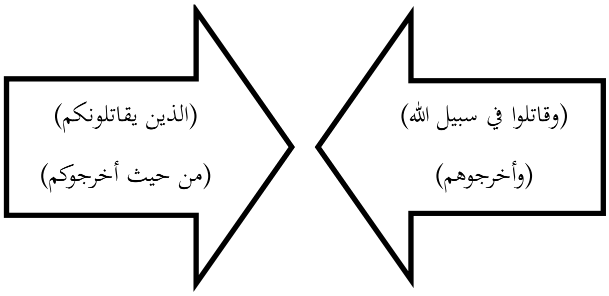
(٢) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ٢/٤٤٢.

(٣) الخازن: لباب التأويل في معاني التنزيل، ت: عبد السلام شاهين، ٢/٣٣٠.

(٤) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم (١٣)، ١/١٢. وأخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من خصال الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه من الخير، رقم (٧١)، ١/٦٧.

كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٩١ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣ ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ {البقرة: ١٩٠ – ١٩٤}

التبادل: في الآية تظهر حجة التبادل أو قاعدة العدل واضحة، فقد أمر الله المسلمين بقتال من يقاتلهم، وإخراجهم من حيث أخرجوهم، وإباحة حرمات الزمان (الشهر الحرام) والمكان (البيت الحرام) إذا استباحها المعتدون، ومقابلة الاعتداء بالاعتداء.



قال ابن كثير (٧٧٤هـ):" ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ أمْر بالعدل حتى في المشركين"(١).

قال أبو زهرة (١٣٩٤هـ):"وهنا يثير العلماء بحثا لفظيًّا: كيف يُسمى المقابلة بالمثل اعتداء؟ إن الاعتداء هو الابتداء، أما العقوبة أو المقاومة فهي عدل وانتصار؛ لأن مقاومة الظلم هي عين العدل، فكيف تسمى اعتداء؟ وقد أجابوا عن ذلك بأن المشاكلة في الفعل التي تقتضيها المماثلة سوغت أن يسمى الفعل باسم نظيره، كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ {الشورى: ٤٠} وإن ذلك لا يمنع الحقيقة؛ لأنه وإن تشاكلت الأفعال والأوصاف المنبعثة من الفاعل مختلفة، فالفعل الأول اعتداء؛ لأنه صدر عن ظالم، وكان ظالمًا، والثاني ليس في حقيقته اعتداء؛ لأنه انبعث عن عادل، وكان عدلًا"(٢).

المثال الثاني: الوهن في لقاء أعداء الله.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ {النساء: ١٠٤}

التبادل: وظفت الآية حجة التبادل في التأثير على المؤمنين لحثهم على الجهاد وقتال الأعداء، وذلك ببيان التساوي في الألم، مع أفضلية المؤمنين في ابتغاء الثواب.

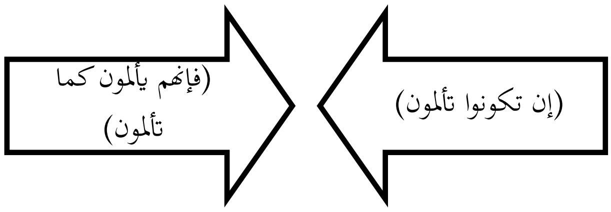
قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"أي لا عذر لكم في تألمكم أن تهنوا في ابتغائهم؛ فإنهم يألمون كما تألمون، ولا يضعفون

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ت: سامي محمد السلامة، ٥٢٧/١.

(٢) أبو زهرة: زهرة التفاسير، ٥٩١/٢.

في ذلك، وترجون أنتم العاقبة من الثواب الجزيل ما لا يرجون"(١).

قال طنطاوي (١٤٣١هـ):"ثم رغبهم سبحانه في مواصلة طلب أعدائهم بأسلوب منطقي رصين"(٢).

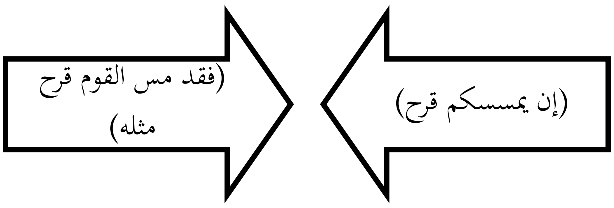


وجاءت الحجة على صورة الشرط الجازم وفعله ﴿إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ﴾ والتعليل الذي سد مسد جواب الشرط ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ﴾ وجاء الفعل المضارع في ركني الشرط الدال على الاستمرار والتجدد مناسبًا للغاية من الحجاج، وهي الحث على قتال القوم حتى وإن استمر الألم فألمهم مستمر كذلك.

المثال الثالث: القرح الذي أصاب المسلمين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ {آل عمران: ١٤٠}

التبادل: وظفت حجة التبادل في الآية لغرض التخفيف من الآلام النفسية التي أصابت المسلمين بعد أحد. قال القيسي (٤٣٧هـ):"تعزية للمسلمين فيما أصابهم من الجراح والقتل يوم أحد، وأنهم إن كان أصابهم ذلك فقد أصاب المشركين مثله يوم بدر"(٣).



وجاءت الحجة على صورة الشرط الجازم وفعله ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ﴾ وجوابه محذوف دل عليه الجملة الفعلية المؤكد فعلها الماضي بقد ﴿فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾، قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"وأما استعمال إن فبتقدير كان، أي إن كان مسكم قرح، و إن لا تتصرف في كان لقوة دلالته على المضي، أو على ما قيل: إنّ {إنْ} قد تجيء لمجرد التعليق من غير نقل فعله من الماضي إلى المستقبل، وما وقع في موضع جواب الشرط ليس بجواب حقيقة لتحققه قبل هذا الشرط بل دليل الجواب، والمراد إن كان مسكم قرح فذلك لا يصحح عذركم وتقاعدكم عن الجهاد بعد لأنه قد مس أعداءكم مثله وهم على ما هم عليه، أو يقال: إن مسكم قرح فتسلوا فقد مسّ القوم قرح مثله"(٤).

---

(١) الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٣/٣٥٢.

(٢) محمد سيد طنطاوي: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٣/٢٩٤.

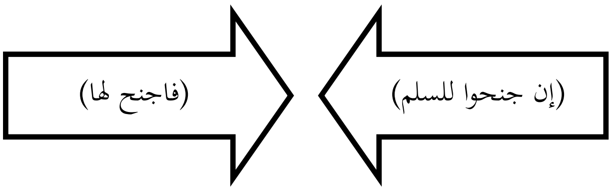
(٣) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٢/١١٣٥.

(٤) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٢/٢٨٢.

المثال الرابع: الجنوح للسلم.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ {الأنفال: ٦١}

التبادل: وظفت الآية حجة التبادل في معاملة الأعداء إن جنحوا للصلح مع المسلمين فامرت المسلمين في شخص النبي ﷺ إلى قبول الصلح.

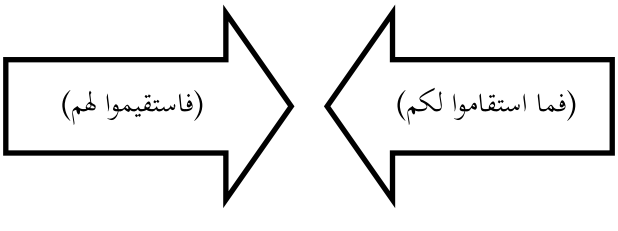


قال الطبري (٣١٠هـ) في تفسيرها:"وإن مالوا إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح ﴿فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ يقول: فمل إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه"(١).

المثال الخامس: الاستقامة على العهد.

قَالَ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُواْ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُواْ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ {التوبة: ٧}

التبادل: أمرت الآية بمبادلة المشركين الاستقامة على العهد طالما التزموا به. وفي ذلك توظيف لحجة التبادل ومعاملة القضايا المتشابهة معاملة واحدة.



وجاءت الحجة على صورة الفعل الكلامي المباشر وقوته الإنجازية التوجيه بالوفاء بالعهد. وقالوا في (ما):"وجهان: أحدهما: أن تكون زمانية وهي المصدرية على التحقيق أي استقيموا لهم مدة استقامتهم لكم. الثاني: شرطية أي إن استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله"(٢).

إن لهذا النوع من الحجج قيمتها الحجاجية البينة في التأثير على المخاطبين، فهي دعوة لمعاملة المواقف المتشابهة معاملة عادلة، وهذا مقبول شرعًا وعقلًا وفطرةً، مما يرفع الحرج عن المخاطَب في الإقدام على الفعل (القتال) كما في

---

(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٤/٤٠.

(٢) النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ت: زكريا عميرات، ٣/٤٣٥.

المثال الأول والأخير (الجنوح للسلم). أو حث على المبادرة للاستجابة للمتكلم كما في المثال الثاني استنادًا إلى الحال المتشابهة في الأمور الدنيوية (الألم) وافتراقها في الأمور الدينية (ابتغاء الثواب). أو لغرض التعزية والتخفيف من الآلام النفسية كما في المثال الثالث؛ ببيان أن الإصابة بالقرح متبادلة بين الفريقين.

٢. ١. ١. ٤- حجة التعدية:

تهدف هذه الحجة إلى إثبات العلاقة بين القضايا المختلفة من خلال توظيف الاستلزام، فإذا كانت العلاقة الموجودة بين (أ) و(ب) من ناحية، و(ب) و(ج) من ناحية أخرى، هي علاقة واحدة، فإن هذا يستلزم أن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و (ج).

ومن أنواع العلاقات التي تقوم على خاصية التعدية، علاقات التساوي والتفوق والتضمن، ومثال ذلك (عدو عدوي صديقي) فيستلزم من ذلك أن (صديق عدوي عدوي). أيضًا قولنا (سننتصر؛ لأننا الأقوى) يتستلزم الحجة التالية (الأقوى ينتصر) وهكذا. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول: تعدي العقوبة.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ {الأنفال: ٢٥}

التعدية: نلمح في الآية توظيفًا لحجة التعدية، فالقضية الأولى أن مرتكب المنكر مستحق للعقوبة، والقضية الثانية المستلزمة أن الذي يرى المنكر علانية فيقرّه ولا ينكره يستوي مع من ارتكبه، فتكون النتيجة استحقاقهما معًا للعقوبة؛ فنستنتج من ذلك أن الراضي بمنزلة العامل. قال الرازي (٦٠٦هـ):"والمعنى: واحذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة، بل تتعدى إليكم جميعًا وتصل إلى الصالح والطالح"(١).



وقد فسرت الفتنة بأقوال كثيرة يجمعها أنها كل منكر، أو أنها العذاب المترتب على فعل المنكر علانية دون نكير، ومما قيل في معناها أنها في هذا الموضع ترك الجهاد. قال المظهري (١٢١٦هـ):"وعندي أن المراد بالفتنة المذكورة ترك الجهاد خصوصًا عند النفير العام إذا دعاهم الإمام إليه والتولي يوم الزحف، بقرينة سياق القصة .. والمراد من إصابة الوبال للظالم وغيره وصول المكروه لجميعهم، ألا ترى أن ترك القتال يوجب غلبة الكفار وقتل المسلمين ونهب أموالهم من الصغار والكبار والنساء، والفرار من الزحف يوجب قتل المجاهدين الصابرين، ألا ترى أن المسلمين إذا استزلهم الشيطان يوم أحد نال وباله سائر المسلمين حتى نال بعض المكروه للنبي المعصوم شج وجهه وكسر رباعيته والله أعلم"(٢).

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٧٣/١٥.

(٢) المظهري: التفسير المظهري، ت: غلام نبي التونسي، ٤٩/٤.

وقد جاءت الحجة على صورة الطلب، قال الفراء (٢٠٧هـ):"أمرهم ثم نهاهم، وفيه طَرَف من الجزاء وإن كان نهيًا. ومثله قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ {النمل: ١٨} أمرهم ثم نهاهم، وفيه تأويل الجزاء"[١].

المثال الثاني: الإذن بالقتال لمن ظلم.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ {الحج: ٣٩}

التعدية: أشارت الآية إلى حجة من حجج الوصل السببي سيأتي تفصيلها، وهي (أذن الله للذين يُقاتلون بالقتال؛ لأنهم ظُلموا)، ومن خلال حجة التعدية يمكننا أن نستنتج من الآية أنه (يحق للمظلوم أن ينتصر لنفسه). فهي إذن لا تختص بمن نزلت فيهم الآيات، بل تتعدى إلى كل من وافق حاله حالهم.



وجاءت الحجة على صورة الفعل الكلامي المباشر وقوته الإنجازية الإعلان عن إباحة القتال.

ويمكن القول إن حجة التعدية من أكثر الحجج استخدامًا، إذ يميل الناس إلى عدم الاقتصار على المعنى الظاهر، وإعمال الفكر في النصوص، واستنباط الحجج المتضمنة فيها والقياس عليها.

٢. ١. ١. ٥- حجة التعميم:

ويسميها بعض الباحثين حجة إدماج الجزء في الكل، واخترت لها اسم (التعميم)؛ لما فيه من اختصار وتناسب مع أسماء الحجج الأخرى، بالإضافة إلى دلالته على المطلوب.

وفي هذه الحجة يربط المتكلم بين الأجزاء التي تكون كيانًا واحد، فالكل يحتوي الجزء، وما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء، فتعم أحكامه أحكام الأجزاء المكونة له. مثال ذلك الحديث الشريف (ما أسكر كثيره فقليله حرام). ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول: صفات الأعراب.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ {التوبة: ٩٧}

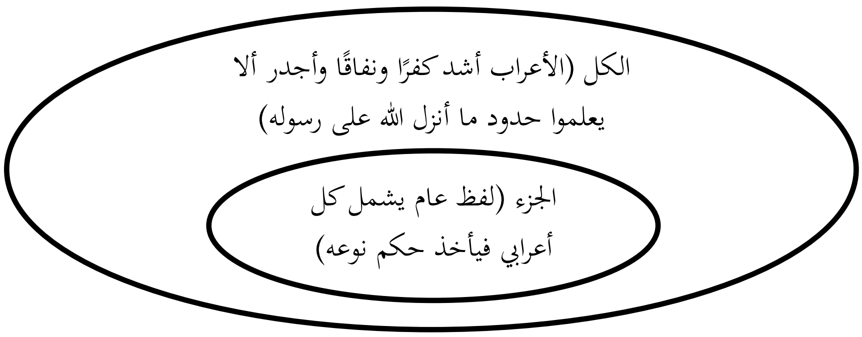
تتمثل علاقة الآية بآيات الجهاد في تفسير العلماء لقوله تعالى ﴿حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾: قال الماوردي (٤٥٠هـ):"وجهان: أحدهما: فروض العبادات المشروعة. الثاني: الوعد والوعيد في مخالفة الرسول ﷺ والتخلف عن الجهاد"[٢].

التعميم: الكل في هذه الآية هو لفظ (الأعراب)، وهذه الأوصاف التي وُصفوا بها تعم كل أفراد هذا الكل،

(١) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ٤٠٧/١.

(٢) الماوردي: النكت والعيون، ت: السيد عبد المقصود، ٣٩٣/٢.

ولا ينفي هذا وجود بعض الاستثناءات جاء في الآيات بعدها.



ويبين الطبري (٣١٠هـ) سبب وصفهم بتلك الأوصاف فيقول:"الأعراب أشدّ جحودًا لتوحيد الله، وأشدّ نفاقًا من أهل الحضر في القرى والأمصار. وإنما وصفهم جلّ ثناؤه بذلك لجفائهم وقسوة قلوبهم وقلة مشاهدتهم لأهل الخير، فهم لذلك أقسى قلوبًا وأقلّ علمًا بحقوق الله"(١).

ويشير سيد قطب (١٣٨٧هـ) إلى الدور الدلالي لهذا التعميم فيقول:"والتعبير بهذا العموم يعطي وصفًا ثابتًا متعلقًا بالبدو وبالبداوة. فالشأن في البدو أن يكونوا أشد كفرًا ونفاقًا، وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله. والجدارة بعدم العلم بما أنزل الله على رسوله ناشئة من ظروف حياتهم، وما تنشئه في طباعهم من جفوة، ومن بعد عن المعرفة وعن الوقوف عند الحدود، ومن مادية حسية تجعل القيم المادية هي السائدة. وإن كان الإيمان يعدل من هذه الطباع، ويرفع من تلك القيم، ويصلهم بالأفق الوضيء المرتفع على الحسية"(٢).

وجاءت الحجة على صورة الفعل الكلامي المباشر وقوته الإنجازية الإخبار عن صفات الأعراب.

٢. ١. ١. ٦- حجة التقسيم:

أي تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له، إن تصور الكل على أنه مجمل أجزائه تبنى عليه طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم Division أو التوزيع Partition كقولنا: الكلام اسم وفعل وحرف.

ويسميها علماء الأصول (السبر والتقسيم)، وعند علماء المنطق (الشرطي المنفصل)، وعند علماء الجدل (الترديد والتقسيم).

والغاية الأساسية من المحاجة بالتقسيم حسب بيرلمان البرهنة على وجود المجموع، ومن ثَمّ تقوية الحضور بمعنى إشعار الغير بوجود الشيء موضع التقسيم من خلال التصريح بوجود أجزائه.

ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول: تصحيح مفهوم البر.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ

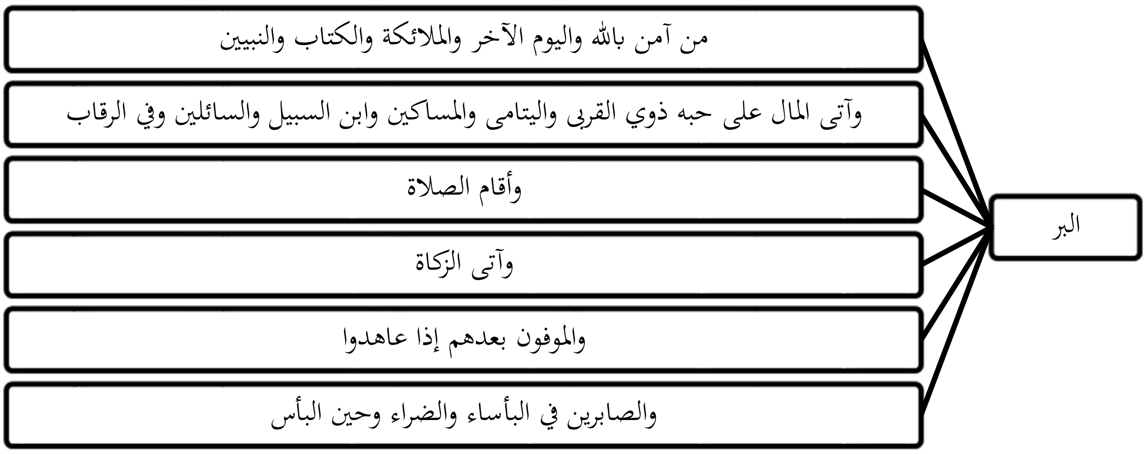
(١) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٤٢٩/١٤.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ١٦٩٩/٣.

وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴾ {البقرة: ١٧٧}

علاقة الآية بآيات الجهاد ما تضمنته من مدح للصابرين حين البأس وهو شدة القتال كما مر ذكره.

التقسيم: ذكرت الآيات جملة من الأفعال، عدتها الآية هي المفهوم الحقيقي للبر. وهي حسب التقسيم التالي:



قال الرازي (٦٠٦هـ):"بين أن البر ليس بأن تولوا وجوهكم شرقًا وغربًا، وإنما البر كيت وكيت، وهذا أشبه بالظاهر إذ لا تخصيص فيه فكأنه تعالى قال: ليس البر المطلوب هو أمر القبلة، بل البر المطلوب هذه الخصال التي عدها ... البر اسم جامع للطاعات، وأعمال الخير المقربة إلى الله تعالى"[١].

وجاءت الحجة على صورة الفعل الكلامي المباشر وقوته الإنجازية الإخبار عن معنى البر، تضمن نفيًا للمفهوم غير الصحيح للبر، ثم استدراكًا لمعناه الصحيح.

وجاءت كلمة ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾ معطوفة على موضع رفع ولكنها جاءت منصوبة، قال البَغَوِيّ (٥١٦هـ):"قال الخليل:نصب على المدح، والعرب تنصب على المدح والذم، كأنهم يريدون إفراد الممدوح والمذموم، فلا يتبعونه أول الكلام وينصبونه"[٢].

إن القوة الحجاجية لحجة التقسيم هي تأكيد معنى الكل المقسّم وهو(البر)، وتقوية حضوره في ذهن المخاطَب، وذلك من خلال بيان أجزاءه المكونة له، أو صفاته الدالة عليه.

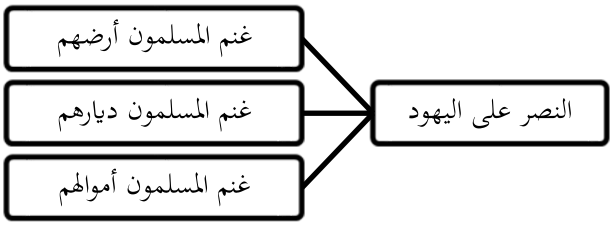
المثال الثاني: نصر الله للمسلمين على اليهود.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ {الأحزاب: ٢٧}

التقسيم: عددت الآية ما تحقق للمسلمين من نصر على اليهود على النحو التالي:

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٥/٢١٣.

(٢) البغوي: معالم التنزيل، ت: عبد الرزاق المهدي، ٢٠٦/١.



وهذا التقسيم جاء تأكيدًا للنصر الذي حققه المسلمون على اليهود، فهو مما يقوي حضور هذا النصر في ذهن المخاطَب ومن ثم شكر الله عليها، وذلك بتعداد الغنائم والمكاسب التي تحققت بفضل الله ﷻ.

٢. ١. ٢- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

تستخدم هذه الحجج القائمة على بنية الواقع الحجج شبه المنطقية للربط بين أحكام مُسلَّم بها وأحكام يسعى الخطاب إلى تأسيسها وتثبيتها، وذلك بجعل الأحكام المسلم بها والأحكام غير المسلم بها عناصر تنتمي إلى كل واحد يجمع بينها، بحيث لا يمكن التسليم بأحدها دون أن يسلم بالآخر، ومن هنا جاء وصفها بكونها حججًا اتصالية أو قائمة على الاتصال.

ومن أنواع هذه الحجج الاتصالية القائمة على بنية الواقع:

٢. ١. ٢. ١- حجج الاتصال التتابعي:

ويكون بين ظاهرة ما ونتائجها أو مسبباتها، ويكون الترتيب الزمني أساسي فيه. والانتقال في هذه الحجج قد يكون من السبب إلى النتيجة (اجتهد فنجح) أو العكس (نجح لأنه اجتهد).

ومن تلك الحجج:

٢. ١. ٢. ١. ١- حجة الوصل السببي:

وهذا النوع من الاتصال التتابعي له عدة أنواع، وهي:

الأول: حجاج يربط بين حدثين متتابعين بواسطة رابط سببي، مثل: اجتهد فنجح.

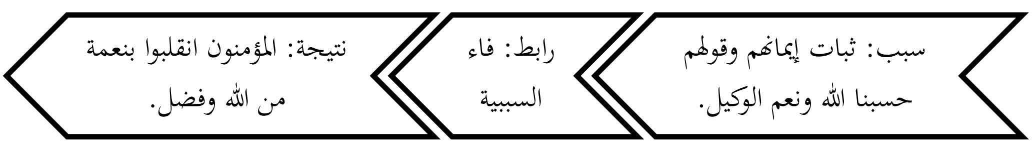
ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴾ {آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤}

السبب: ثبات إيمانهم وقولهم حسبنا الله ونعم الوكيل.

النتيجة: المؤمنون انقلبوا بنعمة من الله وفضل.

الرابط: فاء السببية.



فثبات المؤمنين أمام تخويف الشيطان وأعوانه لهم، وتوكلهم على الله وحده كان سببًا في فوزهم بنعمة الله وفضله.

قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"قوله:﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ تعقيب للإخبار عن ثبات إيمانهم وقولِهم:﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ وهو تعقيب لمحذوف يدل عليه فعل ﴿فَٱنقَلَبُواْ﴾ لأنّ الانقلاب يقتضي أنَّهم خرجوا للقاء العدوّ الذي بلغ عنهم أنّهم جمعوا لهم ولم يَعبأوا بخويف الشيطان، والتقدير: فخرجوا فانقلبوا بنعمة من الله. والباء للملابسة أي ملابسين لِنعمة وفضل من الله. فالنعمة هي ما أخذوه من الأموال، والفضلُ فضل الجهاد. ومعنى لم يمسسهم سوء لم يلاقوا حربًا مع المشركين"(١).

الثاني: حجاج يرمي إلى أن يستخلص من حدث ما وقع سببًا أحدثه وأدى إليه، مثل: نجح؛ لأنه اجتهد.

ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ﴾ {آل عمران: ١٩٥}

السبب: الله لا يضيع أعمال المؤمنين.

النتيجة: استجابة الله للمؤمنين.

الرابط: مضمر تقديره (بأني).



جاء الربط بين الحجة والنتيجة في الآية محذوفًا، قال الألوسي (١٢٧٠هـ):"أي بأني، وهكذا قرأ أبيّ، واختلف في تخريجه فخرجه العلامة شيخ الإسلام على أن الباء للسببية، كأنه قيل: فاستجاب لهم بسبب أنه لا يضيع عمل عامل منهم؛ أي سنته السنية مستمرة على ذلك، وجعل التكلم في ﴿أَنِّي﴾ والخطاب في ﴿مِّنكُم﴾ من باب الالتفات، والنكتة الخاصة فيه إظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة وتشريف الداعين بشرف الخطاب والتعرض لبيان السبب لتأكيد الاستجابة، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء لا مجرد الدعاء"(٢).

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ {الحج: ٣٩}

السبب: ما وقع على المسلمين من ظلم.

النتيجة: الإذن للمسلمين بالقتال.

الرابط: باء السببية.



فالظلم الذي تعرض له المسلمون في مكة كان سببًا في الإذن لهم بالقتال عند هجرتهم للمدينة، قال الزمخشري

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٧١/٤.

(٢) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ت: علي عبد الباري عطية، ٣٧٨/٢.

(٥٣٨هـ):"﴿بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾ أي بسبب كونهم مظلومين"(١).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ {الأنفال: ٧ – ٨}

السبب: ذكرت الآيتان حجتين؛ الحجة الأولى: الله يريد إحقاق الحق بتحقيق وعده وصدق كلمته للمؤمنين بالنصر يوم بدر وقطع دابر الكافرين، الحجة الثانية: الله يريد هذا النصر أن يتحقق؛ لإحقاق الحق وهو الإسلام، وإبطال الباطل وهو الشرك.

النتيجة: وقوع القتال يوم بدر على غير رغبة من المؤمنين في القتال ورغبتهم في الفوز بالعير. قال الطبري (٣١٠هـ):"تودّون أن تكون لكم العير التي ليس فيها قتال لكم دون جماعة قريش الذين جاءوا لمنع عيرهم الذين في لقائهم القتال والحرب"(٢).

الرابط: لام التعليل.



وإحقاق الحق الثاني غير الأول فهما حجتان. قال الرازي (٦٠٦هـ):"أليس أن قوله: ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ ثم قوله بعد ذلك: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ﴾ تكرير محض ؟ والجواب: ليس ههنا تكرير؛ لأن المراد بالأول سبب ما وعد به في هذه الواقعة من النصر والظفر بالأعداء، والمراد بالثاني تقوية القرآن والدين ونصرة هذه الشريعة؛ لأن الذي وقع من المؤمنين يوم بدر بالكافرين كان سببًا لعزة الدين وقوته، ولهذا السبب قرنه بقوله: ﴿وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ﴾ الذي هو الشرك، وذلك في مقابلة الحق الذي هو الدين والإيمان"(٣).

المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ {الأنفال: ١١}

السبب: الحجة الأولى: تطهير المؤمنين، الحجة الثانية: إذهاب رجز الشيطان عنهم، الحجة الثالثة: الربط على قلوبهم، الحجة الرابعة: تثبيت الأقدام.

النتيجة: نزول الماء من السماء وقت الحرب.

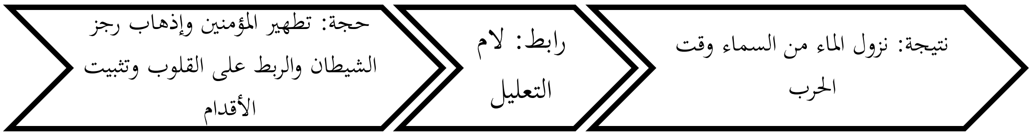
---

(١) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٦٩٧.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٣٩٨/١٣.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٥٨/١٥.

الرابط: لام التعليل.



بينت الآيات السباب التي من أجلها أنزل الله المطر، قال الرازي (٦٠٦هـ):"والمراد أن بسبب نزول هذا المطر قويت قلوبهم وزال الخوف والفزع عنهم"(١).

واستخدم في هذا الحجاج لام التعليل، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"وانظر إلى فصاحة مجيء هذه التعليلات بدأ أولًا منها بالتعليل الظاهر وهو تطهيرهم من الجنابة، وهو فعل جسماني أعني اغتسالهم من الجنابة، وعطف عليه بغير لام العلة ما هو من لازم التطهير وهو إذهاب رجز الشيطان حيث وسوس إليهم بكونهم يصلون ولم يغتسلوا من الجنابة ثم عطف بلام العلة ما ليس بفعل جسماني، وهو فعل محله القلب، وهو التشجيع والاطمئنان والصبر على اللقاء وعطف عليه بغير لام العلة ما هو من لازمه وهو كونهم لا يقرّون وقت الحرب فحين ذكر التعليل الظاهر الجسماني والتعليل الباطن القلبيّ ظهر حرف التعليل وحين ذكر لازمها لم يؤكد بلام التعليل وبدأ أولًا بالتطهير؛ لأنه الآكد والأسبق في الفعل، ولأنه الذي تؤدي به أفضل العبادات وتحيا به القلوب"(٢).

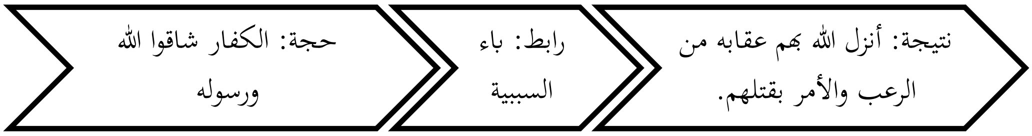
المثال الخامس:

قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ۝١٢ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ {الأنفال: ١٢ – ١٣}

السبب: الكفار شاقوا الله ورسوله ﷺ.

النتيجة: أنزل الله بهم عقابه.

الرابط: باء السببية.



بينت الآية أن سبب العقاب الذي حل بالمشركين هو معاداتهم لله ولرسوله ﷺ. قال الزمخشري (٥٣٨هـ):"أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب مشاقتهم"(٣).

واستخدم في هذا الحجاج حرف الباء، قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"الباء في قوله ﴿بِأَنَّهُمْ﴾ باء السببية فهي تفيد معنى التعليل؛ ولهذا فُصلت الجملة"(٤).

الثالث: حجاج بما سيترتب على حدث ما من نتائج، مثل: هو يجتهد فسينجح.

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٤٦٢/١٥.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٢٨٤/٥.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٠٧.

(٤) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ٢٨٣/٩و٢٨٤.

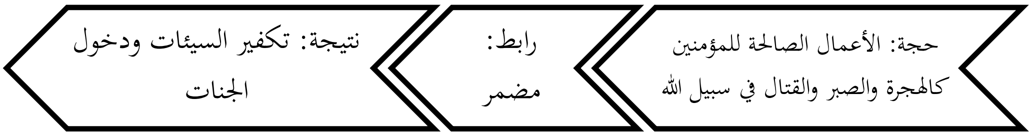
ومن أمثلة ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ﴾ {آل عمران: ١٩٥}

السبب: أعمال المؤمنين كالهجرة، وصبرهم على إخراجهم من ديارهم، والإيذاء الذي لاقوه في سبيل الله وقتالهم وقتلهم.

النتيجة: تكفير السيئات، ودخول الجنات.

الرابط: مضمر.



جاء الربط بين الحجة والنتيجة في الآية مقدرًا

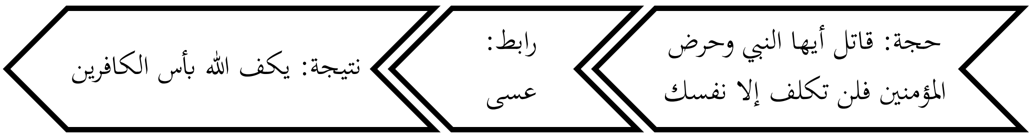
المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفۡسَكَۚ وَحَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأۡسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأۡسٗا وَأَشَدُّ تَنكِيلٗا﴾ {النساء: ٨٤}

السبب: قاتل أيها النبي وحرض المؤمنين على القتال فلن تكلف إلا نفسك.

النتيجة: يكف الله بأس الكافرين.

الرابط: عسى.



قال ابن عاشور (١٣٩٣هـ):"أمر للقدوة بما يجب اقتداء الناس به فيه. وبيّن لهم علّة الأمر وهي رجاء كفّ بأس المشركين، فـ﴿عَسَى﴾ هنا مستعارة للوعد"(١).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ {المائدة: ٣٥}

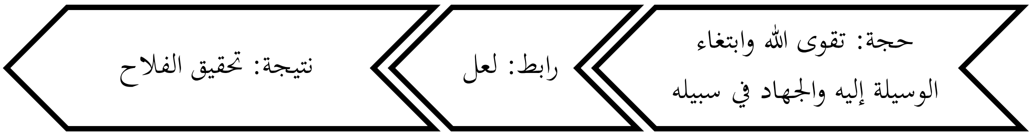
السبب: تقوى الله وابتغاء الوسيلة إليه والجهاد في سبيله.

النتيجة: تحقيق الفلاح.

الرابط: لعل.

---

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٤٣/٥.



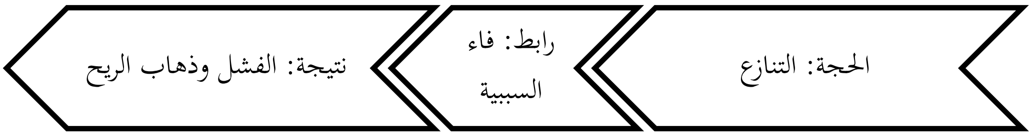
المثال الرابع:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ {الأنفال: ٤٦}

السبب: التنازع.

النتيجة: الفشل وذهاب الريح.

الرابط: فاء السببية.



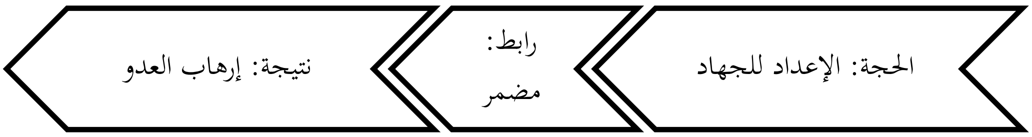
المثال الخامس:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ {الأنفال: ٦٠}

السبب: الإعداد للجهاد.

النتيجة: إرهاب العدو.

الرابط: مضمر.



ففي الآية حجة الوصل السببي التي تربط نتيجة إرهاب العدو بالسبب الموصل لها وهو الإعداد الجيد للأعداء، قال الماتريدي (٣٣٣هـ):"وأمر ﷻ بالإعداد لهم ما استطاعوا من الأسباب؛ لما أن ذلك أرهب للعدو من ترك الاستعداد، وإن كان ﷻ قادرًا أن ينصرهم على عدوهم بلا سبب يجعله لأنفسهم .. فأمر الله بالأسباب في الحروب، وإن كان قادرًا على نصر أوليائه على عدوه بلا سبب"(١).

وجاءت الحجة على صورة الفعل الكلامي المباشر وقوته الإنجازية التوجيه بالأمر، وهو طلب وجوابه

ويبين البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ) دور هذه الحجة في السياق القرآني إذ جاءت بعد الحديث عن نصر بدر فيقول:"ولما كان هذا ربما أدى إلى ترك المناصبة والمحاربة والمغالبة اعتمادًا على الوعد الصادق المؤيد بما وقع لهم في بدر من عظيم النصر مع نقص دعوى العِدة والعُدة، أتبعه ما يبين أن اللازم ربط الأسباب بمسبباتها، وليتبين الصادق في دعوى

---

(١) ينظر: الماتريدي: تأويلات أهل السنة، ت: مجدي باسلّوم، ٢٤٨/٥.

الإيمان من غيره"(١).

٢. ١. ٢. ٢- حجة التبذير:

هي من الحجج التي تقوم على الاتصال والتتابع، وتهدف إلى إقناع المخاطب بمواصلة العمل حتى لا يضيع ما قدّمه من أجله، كأن تقول للمخاطَب مثلًا (بما أنك قد شرعت في إنجاز هذا العمل، وضحيت في سبيله بما لو أعرضت عن تمامه لكان مضيعة للجهد؛ فعليك مواصلة إنجازه). ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ {محمد: ٣٥}

حجة التبذير: تتمثل حجة التبذير في التالي:

بما أنكم أيها المؤمنون الغالبون لهم والظاهرون عليهم والله معكم بالنصر والمعونة.

← فلا تضيعوا جهدكم بدعوة المشركين إلى الصلح والمسالمة وعليكم مواصلة الجهاد حتى تحقيق الغاية منه.

قال القيسي (٤٣٧هـ) في تفسيرها: "ولا تضعفوا أيها المؤمنون عن قتال عدوكم، وتدعوهم إلى الصلح والمسالمة، وأنتم الغالبون لهم الظاهرون عليهم، والله معكم بالنصر والمعونة عليهم"(٢).

وقال ابن العربي (٥٤٣هـ) في حديثه عن حكمة النهي عن الصلح مع الأعداء، والمسلمون في حال الغلبة: "وقد نهى اللَّه تعالى [هاهنا] عنه مع القهر والغلبة للكفَّار، وذلك بَيِّنٌ، وإنَّ الصُّلح إنَّما هو إذا كان له وجه يحتاج فيه إليه، ويفيد فائدة"(٣).

فالصلح في هذه الحال لا فائدة منه ولا حاجة إليه وإنما هو تضييع للجهد المبذول في الجهاد؛ وكأنه يعطي الفرصة للأعداء حتى يستعدوا لقتال المسلمين، لذلك نهى الله ﷻ المؤمنين عن الدعوة إليه، وأمرهم بمواصلة جهادهم حتى تحقيق الغاية التي من أجلها جاهدوا.

٢. ١. ٢. ٣- حجة الاتجاه:

وفيها يسلك المتكلم مسلك تحذير المخاطَب من الاستمرار في فعل معين، إذ يؤدي الوقوع في هذا الفعل إلى الاستمرار فيه دون توقف، مثل: (إن تنازلت هذه المرة وجب عليك أن تتنازل أكثر في المرة القادمة)، ويدخل تحت هذا النوع أنماط مختلفة من الحجج من قبيل: حجة الانتشار، وحجة العدوى. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ {التوبة: ٤٧}

---

(١) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣١٤/٨.

(٢) القيسي: الهداية إلى بلوغ النهاية، مجموعة رسائل علمية، ٦٩١٩/١١.

(٣) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ١٣٤/٤.

حجة الاتجاه: جاء الحجاج في هذه الآية لتحذير المؤمنين من وجود المنافقين في صفوفهم عند الخروج للجهاد.

خروج المنافقين مع المؤمنين للجهاد

⇩

يزيدهم خبالا ويسبب الفتنة

فكأنهم عدوى في صفوف المجاهدين يتسببون في أذيتهم واضطراب صفوفهم وإلحاق الهزيمة بهم. قال القشيري (٤٦٥هـ) في تفسيرها:"ولو ساعدوكم في الخروج لكان ما يلحقكم من سوء سيرتهم في الفتنة بينكم، والنميمة فيكم، والسعي فيما يسوؤكم أكثر مما نالكم بتخلُّفِهم من نقصان عددكم. ومَنْ ضررُه أكثرُ من نفعِه فَعَدَمُهُ خيرٌ مِنْ وجودِه، ومَنْ لا يحصل منه شيء غيرُ شرورِهِ فتخَلُّفُه أَنْفَعُ مِنْ حضوره"[1].

– وجوه الاتصال التواجدي:

٢. ١. ٢. ٤– الشخص وأفعاله:

إن أفعال الشخص أحيانًا تكشف جوهره وتفسره، وأحيانًا يحدث العكس فمعرفتنا بشخص ما هي التي تفسر لنا ما يقع منه من أفعال، فالشخص في هذه الحال يمثل السياق الذي يساعد على الفهم.

وقد يقع الحجاج بأفعال الشخص لإصدار حكم عليه، أو إصدار الحكم ومن ثم الاحتجاج على صحته بأفعاله. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول:

قَالَ تَعَالَى:﴿ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴾ {التوبة: ٧ – ١٠}

حجة الشخص وأعماله: حكمت الآيات على الكفار بأنهم لا عهد لهم، إذ كشفت الأعمال التي ارتكبوها فاستحقوا بها ذلك الحكم، وهي:

المشركون لا عهد لهم ولا ذمة عند الله وعند رسوله

- لا يحفظون فيكم قرابة ولا عهدا
- يحسنون القول للمؤمنين وفي قلوبهم غير ذلك
- باعوا إيمانا بالقرآن بعرض من الدنيا فصدوا عن سبيل الله
- أكثرهم فاسقون وهم المعتدون بنقض العهد

(١) القشيري: لطائف الإشارات، ت: إبراهيم البسيوني، ٢/٣٢.

قال القرطبي (٦٧١هـ):"﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ﴾ أعاد التعجب من أن يكون لهم عهد مع خبث أعمالهم"(١).

لقد وظفت الآية أعمال هؤلاء المشركين في الحجاج، فبرزت القوة الحجاجية في التأثير على المخاطَبين وهم المؤمنون؛ لتحقيق غاية الحجاج والتي تتمثل في نبذ هذا العهود مع هؤلاء المشركين إلا من استقام منهم على العهد.

٢. ١. ٢. ٥- حجة السلطة:

في بعض أنواع الحجج القائمة على الاتصال المبني على الواقع تقوم هيبة المتكلم ونفوذه وسلطته بدور كبير في تحقيق الاقتناع لدى المخاطَب، ومن تلك الحجج حجة السلطة التي يوظف فيها المتكلم أعمال شخص أو مكانته للاحتجاج على صحة ما يطرحه، من قبيل (أجمع الفقهاء على ..، قال العلماء .. ، قال الفلاسفة .. إلخ). ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول: تقسيم الأنفال.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ {الأنفال: ١}

حجة السلطة: في الآية توظيف لحجة السلطة، سلطة الأمر الإلهي والأمر النبوي التابع له، في الرد على سؤال المؤمنين عن أمر الأنفال وتقسيمها واختلافهم في أمرها كما ذكرت الروايات، فكان أن نزع الله أمر تقسيمها من أيديهم، ورد ذلك له سبحانه وللرسول ﷺ، والمسلمون بعد سماعهم هذا الرد ليس لهم إلا التسليم والاستسلام لذلك الأمر، وذلك وفق مقتضى الإيمان، الذي يلزمهم بالسمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ وأن يكونوا على يقين أن الله العدل الحكيم يضع الأمور في مواضعها الصحيحة.

قال الفراء (٢٠٧هـ):"نزلت في أنفال أهل بدر، وذلك أن النبي ﷺ لما رأي قِلّة الناس وكراهيتهم للقتال قال: من قتل قتيلا فله كذا، ومن أسر أسيرًا فله كذا، فلما فرغ من أهل بدر قام سعد بن مُعَاذ فقال: يا رسول الله إن نفَّلت هؤلاء ما سمَّيت لهم بقى كثير من المسلمين بغير شيء، فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يصنع فيها ما يشاء، فسكتوا وفي أنفسهم من ذلك كراهية"(٢).

ثم أتبع الله ﷻ ذلك بتذكير المؤمنين بمقتضى إيمانهم وهو طاعة الله ورسوله ﷺ فأمرهم بتقوى الله وإصلاح ذات البين والطاعة لما أُمروا به، قال الطبري (٣١٠هـ):"قال ابن زيد: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ فسلموا لله ولرسوله يحكمان فيها بما شاءا، ويضعانها حيث أرادا"(٣).

٢. ١. ٢. ٦- حجة الرمز:

(١) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ٧٨/٨.

(٢) الفراء: معاني القرآن، ت: أحمد يوسف النجاتي وآخرون، ٤٠٣/١.

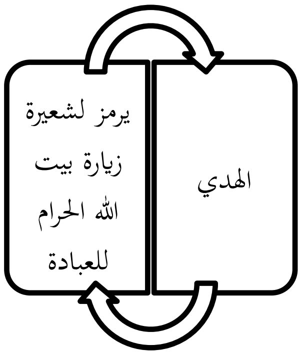
(٣) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ٣٨١/١٣.

في حجة الرمز يهدف المتكلم إلى التأثير في المخاطَبين عبر توظيف العلاقة الوجدانية القائمة بين الرمز وما يرمز إليه في نفوس المخاطَبين، مثل العلاقة بين الراية وما ترمز إليه في الجهاد من اتحاد الكلمة واتحاد القلوب، وحرص المؤمنين على بقائها مرفوعة، وذلك حال فهم المخاطبين لتلك العلاقة، وإلا فالحجة لن تؤتي أكلها حينئذ. ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول: الهدي المعكوف.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ {الفتح: ٢٥}

الرمز: تحدثت الآية عن سبب كف الله ﷻ للمؤمنين عن قتال مشركي قريش، مع كفرهم وصدهم عن المسجد الحرام، وذلك في الحديبية، وقد جاء في هذا السياق الحديث عن (الهدي) وهو رمز لشعيرة من شعائر الله ﷻ مرتبطة بزيارة بيت الله الحرام للعبادة.



لقد ساق النبي ﷺ الهدي حتى يعلم الناس أنه ما جاء لقتال ولكنه جاء لزيادة بيت الله متعبدًا، وقد كان الناس يُعظِّمون الهدي حتى في الجاهلية، وقد جاء في قصة الحديبية:" .. فقال رجل مِنْ بني كِنانة: دَعُونِي آتِيهِ [يعني النبي ﷺ] فَقَالُوا: ائْتِهِ. فلمَّا أَشْرَفَ على النبي ﷺ وأصحابه، قال رسول الله ﷺ: هذا فلان، وهو من قوم يُعَظِّمون الْبُدْنَ فابعثوها له، فَبُعِثَتْ له، واستقبله النَّاس يُلَبُّون، فلمَّا رأى ذلك قال: سبحان اللَّه! ما ينبغي لهؤلاء أنْ يُصَدُّوا عن البيت، فلمَّا رجع إلى أصحابه قال: رأيتُ الْبُدْنَ قد قُلِّدَتْ وَأُشْعِرَتْ، فما أرى أَنْ يُصَدُّوا عن البيت"(١).

إنَّ توظيف هذا الرمز في هذا السياق يحمل قوة حجاجية، تسهم مع غيرها من الحجج في بيان عظيم جرم المشركين وسوء أفعالهم مع المؤمنين، لما يرمز إليه من شعيرة من الشعائر المقدسة عند المسلمين وعند العرب، فيتأكد للمخاطَب ممن يقدس هذه الشعائر أن هؤلاء المشركين لا يؤتمنون على بيت الله الحرام، إذ يصدون العابدون عنه، ومن ثم وجوب قتالهم.

٢. ١. ٣- الاتصال المؤسس لبنية الواقع:

٢. ١. ٣. ١- تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة:

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٧٣١)، ١٩٣/٣.

والمقصود بذلك توظيف حالات خاصة في الحجاج وذلك لتأسيس قاعدة عامة أو تقرير قاعدة قائمة بالفعل.

ومن حجج الحالات الخاصة: حجة المثل، وحجة البينة أو الاستشهاد، حجة النموذج وغير النموذج.

والفرق بين هذه الأنواع يتمثل في التالي:

حجة المثل: تعمل على تأسيس قاعدة ما، من خلال قياس حالة خاصة على أخرى مشابهة، أو توظيف حالات خاصة لتأسيس قاعدة عامة.

حجة البينة أو الشاهد: تعمل على تقوية قاعدة موجودة بالفعل، وذلك من خلال تقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام، وتقوي حضوره في الذهن.

حجة النموذج وغير النموذج: أو يمكن أن نسميها القدوة وغير القدوة، وفيها يحض المتكلم المخاطَب على الاقتداء بالقدوة أو النموذج المحتج به، وقد يكون العكس مع غير القدوة بالتحذير من الاقتداء به. وفي هذه الحجة لا يكون الغرض تأسيس قاعدة عامة فحسب وإنما دعوة للاقتداء بها والسير على نهجها.

ومن أمثلة ذلك في الآيات:

المثال الأول: نصر الله للمؤمنين يوم بدر.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ {آل عمران: ١٣}

حجة البينة أو الشاهد: جاءت الآية تقص على المخاطَبين بينة وشاهدًا على قاعدة عامة من قواعد هذا الدين:

القاعدة العامة: النصر من عند الله وحده فالله ينصر من يشاء من عباده.	
الشاهد	ما حدث للمؤمنين يوم بدر على قلتهم وضعفهم.

قال ابن عطية (٥٤٢هـ) في بيان وجوه المخاطبين بهذه الآية، وإيضاح الدور الحجاجي لها:"الآية تحتمل أن يُخاطب بها المؤمنون، وأن يُخاطب بها جميع الكفار، وأن يُخاطب بها يهود المدينة، وبكل احتمال منها قد قال قوم، فمن رأى أن الخطاب بها للمؤمنين؛ فمعنى الآية تثبيت النفوس وتشجيعها؛ لأنه لما قال للكفار ما أمر به أمكن أن يستبعد ذلك المنافقون وبعض ضعفة المؤمنين، كما قال قائل يوم الخندق: يعدنا محمد أموال كسرى وقيصر، ونحن لا نأمن على أنفسنا في المذهب، وكما قال عدي بن حاتم حين أخبره النبي عليه السلام بالأمنة التي تأتي، فقلت في نفسي: وأين دعار طيىء الذين سعروا البلاد؟ الحديث بكماله، فنزلت الآية مقوية لنفوس المؤمنين ومبينة صحة ما أخبر به بالمثال الواقع"(١).

ويشير ابن عاشور (١٣٩٣هـ) إلى دور هذا الشاهد في السياق بقوله:"الخطاب في قوله: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٤٠٧/١.

ءَايَةٌ﴾ خطاب للذين كفروا، كما هو الظاهر؛ لأنّ المقام للمحاجّة، فأعقب الإنذار والوعيد بإقامة الحجّة؛ فيكون من جملة المقول. ويجوز أن يكون الخطاب للمسلمين، فيكون استئنافًا ناشئًا عن قوله ستُغلبون؛ إذ لعلّ كثرة المخاطبين من المشركين، أو اليهود، أو كليهما، يثير تعجّب السامعين من غلبهم فذكرهم الله بما كان يوم بدر"(١).

فالآية وظفت حالة خاصة وهي ما حدث من نصر الله للمؤمنين يوم بدر على قلتهم وضعف حيلتهم، في حجاج المشركين عامة أو اليهود خاصة أنهم سيغلبون وسينتصر عليهم المؤمنون حتى لا يغتروا بقوتهم.

المثال الثاني: صبر السابقين.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ {آل عمران: ١٤٦}

حجة المثل: ذكرت الآية ما يجب على المؤمنين وقت القتال في سبيل الله من الصبر والثبات حتى لو قُتل النبي ﷺ نفسه؛ لأن هذا مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر، وضربت لهم مثلًا من الأمم السابقة:

المثل	صبر وثبات الأنبياء السابقين وأتباعهم وقت الشدائد والمصائب حتى لو قتل نبيهم.
القاعدة العامة: الصبر والثبات وقت الشدائد عمل واجب يقتضيه الإيمان ويحبه الله ورسوله.	

قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب (قُتِل)، والباقون (قَاتَلَ)(٢).

ويوضح ابن عطية (٥٤٢هـ) المثل الذي ضربته الآية بقوله:"ثم ضرب تعالى المثل للمؤمنين بمن سلف من صالحي الأمم الذين لم يثنهم عن دينهم قتل الكفار لأنبيائهم فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ﴾ الآية"(٣).

ويبين الشعراوي (١٤١٩هـ) بعض الغايات الحجاجية من ضرب هذا المثل للمؤمنين من أمة محمد ﷺ بقوله:"إن الحق يعطيهم المثل وفيه تعريض بهم وعتاب لهم، وفي هذا القول تعليم أيضًا"(٤).

وظفت الآية حجة المثل الذي ضربه الله ﷻ للمؤمنين بمن سلف من صالح الأمم الذين لم يثنهم عن دينهم قتل الكفار لأنبيائهم، في تأسيس قاعدة يهتدي بنورها المؤمنون من أمة محمد ﷺ وهي أن الإيمان بالله ورسوله يقتضي الثبات على الدين مهما حدث.

المثال الثالث: المسيح والحواريون.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ {الصف: ١٤}

(١) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٧٦/٣.

(٢) ينظر: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، ص٦٨.

(٣) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٥١٨/١.

(٤) الشعراوي: تفسير الشعراوي؛ الخواطر، ١٨٠٦/٣.

حجة القدوة أو النموذج: القدوة التي تحدثت عنها الآية تتمثل في:

القدوة	الحواريون في نصرتهم للمسيح عليه السلام
القاعدة العامة: يجب على المؤمنين نصرة الرسول ونصرة الدين.	

قال ابن عطية (٥٤٢هـ):"ضرب تعالى لهم المثل بقوم بادروا حين دعوا، وهم الحواريون"[١].

ويشير السعدي (١٣٧٦هـ) إلى ملمح الاقتداء الذي تضمنته الآية بقوله:"هيج الله المؤمنين بالاقتداء بمن قبلهم من الصالحين بقوله:﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾"[٢].

يقوم الحجاج في هذه الآية على تقديم القدوة والنموذج من صالحي الأمم السابقة وهم في هذا الموضع الحواريون أتباع عيسى عليه السلام، ويهدف هذا الحجاج لتأسيس قاعدة إيمانية يجب أن يتمسك بها المؤمنون، وهي تقوم على وجوب نصرة النبي ﷺ ونصرة دين الله ﷻ كما تتضمن دعوة للاقتداء بالنموذج المذكور في نصرتهم للمسيح عليه السلام.

المثال الرابع: المنافقون.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ إِذَا ضَرَبُواْ فِي ٱلْأَرْضِ أَوْ كَانُواْ غُزًّى لَّوْ كَانُواْ عِندَنَا مَا مَاتُواْ وَمَا قُتِلُواْ لِيَجْعَلَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْۗ وَٱللَّهُ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ {آل عمران: ١٥٦}

حجة غير القدوة أو غير النموذج: عرضت الآية لنموذج سيء تنهى عن الاقتداء به يتمثل في:

غير القدوة	المنافقون في تثبيطهم للمسلمين حال خروجهم في سبيل الله وإساءتهم للشهداء.
القاعدة العامة: الإيمان بقضاء الله وقدره وعدم الشك.	

قال الرازي (٦٠٦هـ):"اعلم أن المنافقين كانوا يعيرون المؤمنين في الجهاد مع الكفار بقولهم: لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا، ثم إنه لما ظهر عن بعض المؤمنين فتور وفشل في الجهاد حتى وقع يوم أحد ما وقع وعفا الله بفضله عنهم، ذكر في هذه الآية ما يدل على النهي عن أن يقول أحد من المؤمنين مثل مقالتهم"[٣].

يتمثل الحجاج بالحالات الخاصة في هذه الآية في تقديم هذا النموذج السيء من المنافقين وما ينطقون به مما يعبر عن خبث طويتهم وكفرهم بالله ﷻ وجحدهم لنبوة محمد ﷺ، في صورة منفرة تنهى المؤمنين عن الاقتداء بهم وبأقوالهم، وذلك لترسيخ قاعدة مهمة من قواعد الدين وهي الإيمان بقضاء الله وقدره والرضا بذلك.

المثال الخامس: الخروج للقتال يوم بدر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ

---

(١) ابن عطية: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، ٣٠٥/٥.

(٢) السعدي: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق، ص٨٦٠.

(٣) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٣٩٩/٩.

﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ﴾ {الأنفال: ٥ – ٦}

حجة البينة أو الاستشهاد: ذكرت الآية شاهدًا ليقوي من القاعدة المراد تثبيتها يتمثل في:

القاعدة العامة: وجوب التسليم المطلق لإرادة الله الشرعية فقد يكون فيما يكرهه المؤمن الخير كله.	
الشاهد	ما حدث للمؤمنين من نصر يوم بدر رغم كراهيتهم للقتال.

أشرنا فيما سبق إلى التشبيه التمثيلي في الآية، وأنها تشبه حال المؤمنين في أمر الغنائم بحالهم في أمر الخروج لبدر وقتال المشركين، قال السمعاني (٤٨٩هـ) في بيان معنى التشبيه:"واختلفوا في أن قوله:﴿كَمَآ أَخْرَجَكَ﴾ إلى ماذا ترجع كاف التشبيه؟ قال المبرد: تقديره: الأنفال لله وللرسول وإن كرهوا، كما أخرجك ربك من بيتك وإن كرهوا. وقول الفراء قريب من هذا، وهكذا قول الزجاج؛ فإنهما قالا: تقديره: امض لأمر الله في الأنفال وإن كرهوا كما مضيت لأمر الله عند إخراجك من بيتك وإن كرهوا"(١).

نجد في الآية توظيفًا لحجة الشاهد ودورها الحجاجي التأكيد على القاعدة التي تؤسس لها، وهي وجوب التسليم للأمر الشرعي ففيه الخير كله. فالآيات بدأت بالحديث عن الأنفال وتقسيمها فكان الفعل الإنجازي الإعلاني بأن أمر تقسيمها لله وللرسول، وكما سبق أن أشرنا أن في ذلك توظيف لحجة السلطة، التي تدعو المخاطَب للتسليم المطلق للأمر الشرعي لأنه من الله ورسوله، ثم تأتي حجة الشاهد هنا تبين أن حال المؤمنين في خلافهم حول الغنائم مثل حالهم عندما أمر اللهُ بالخروج من المدينة لقتال المشركين ببدر. يومئذ كانوا يجادلون الرسول، في لقاء قريش وقتالهم. ولقد آثروا لقاء العِير لأن فيها الأموال، ولأنّ حراسها قليلون. فكان الخير والنصر والتمكين في الأمر الذي كرهه بعضهم في الحال الأولى، فكذلك الخير كله في التسليم لأمر الله في تقسيم الغنائم.

المثال السادس: نصر الله للمؤمنين.

قَالَ تَعَالَى:﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ {الأنفال: ٢٦}

حجة البينة أو الشاهد: ذكرت الآية شاهدًا على القاعدة المراد تأكيدها يتمثل في:

القاعدة العامة: طاعة الله ورسوله حياة للعبد تهوّن عليه مشقة التكليف وتجلب له السعادة.	
الشاهد	ما حدث للمؤمنين من بداية الرسالة من المشاق والآلام حتى مكن الله لهم ونصرهم في يوم بدر.

سبق هذه الآية نداء من الله ﷻ للمؤمنين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ وتأكيدا على مضمون هذا النداء جاء الشاهد الذي بين أيدينا؛ ليذكر المؤمنين بما كانوا عليه وما صاروا

---

(١) السمعاني: تفسير القرآن، ت: ياسر إبراهيم وغنيم عباس، ٢/٢٤٩.

إليه بفضل طاعتهم لله ولرسوله ﷺ.

قال المكي الناصري (١٤١٤هـ) في الربط بين هذه الآية وما قبلها:"وليعطي كتاب الله شاهدًا حيًّا على صدق محتوى هذه الآية الكريمة، وعلى كون الدعوة الإسلامية كانت فعلا نقطة الانطلاق لإقامة حياة عزيزة الجانب موفورة البركات، جاء قوله تعالى في هذا السياق بعد بضع آيات:﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فمن القلة إلى الكثرة، ومن الضعف إلى القوة، ومن الخوف إلى الأمن، ومن الحجر إلى الرشد، ومن الضيق والخصاصة إلى السعة والغنى عن الناس، ومن الانكسار إلى الانتصار"(١).

فالشاهد الذي جاء في الآية هو حالة خاصة تمثل حجة جاءت مؤكدة لما أشار إليه القرآن من أن في الاستجابة لله ولرسوله حياة، والغاية من توظيف هذه الحجة هي تقوية حضور هذا المعنى في أذهان المخاطَبين حتى لا يغيبوا عنه، عاملين بمقتضاه، سائرين على هداه.

المثال السابع: النصر يوم بدر.

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ ۙ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ {الأنفال: ٤٢}

حجة البينة أو الشاهد: ذكرت الآية شاهدًا للقاعدة المراد تثبيتها، ويتمثل في:

القاعدة العامة: الأمور كلها بيد الله وبتدبير منه سبحانه لحكمة يعلمها فعلى العباد التسليم له سبحانه والخضوع لحكمته.

الشاهد	ما حدث من التقاء الفريقين يوم بدر على غير موعد.

قال القشيري (٤٦٥هـ) في بيان القاعدة التي ترمي الآية إلى تقوية حضورها في أذهان المخاطَبين:"يخبر سبحانه أنَّ ما جرى يوم بدر من القتال، وما حصل من فنون الأحوال كان بحكم التقدير، لا بما يحصل من الخَلْق من التدبير، أو بحكم تقتضيه رَوِيَّةُ التفكير. بل لو كان ذلك على اختيار وتَوَاعُد، كنتم عن تلك الجملة على استكراه وتَبَاعُد، فجرى على ما جرى ليقضِيَ الله أمرًا كان مقضيًّا، وحصل من الأمور ما سبق به التقدير"(٢).

ويقول سيد قطب (١٣٨٧هـ) عن دقة الوصف في الشاهد:"يعود إلى المعركة، فيعيد عرضها بأسلوب عجيب في استحضار مشاهدها ومواقفها، كما لو كانت معروضة فعلًا، ويكشف عن تدبير الله في إدارتها. حتى ليكاد الإنسان يرى يد الله سبحانه من وراء الأحداث والحركات، كما يكشف عن غاية ذلك التدبير التي تحققت كما

---

(١) محمد المكي الناصري: التيسير في أحاديث التفسير، ٣٢٢/٢.

(٢) القشيري: لطائف الإشارات، ت: عبد اللطيف حسن، ٣٩٦/١.

أرادها الله سبحانه"(١).

إن توظيف حجة الشاهد في هذه الآية بذكر مشاهد وتفاصيل دقيقة من المعركة، له غاية حجاجية تسعى إلى تثبيت أركان قاعدة عامة تقوم على التسليم المطلق لله ﷻ الخالق الرازق المدبر، والسمع له والطاعة حتى في الأمور التي تكرهها النفس، لأن تدبيره ﷻ لحكمة وفيه خير للمؤمنين في الدنيا والآخرة.

٢. ١. ٣. ٢- حجة التمثيل:

التمثيل له مكانته الحجاجية بين الحجج المؤسسة لبنية الواقع، ويستمد قوته ليس من مجرد المشابهة بين العناصر المختلفة كالتشبيه العادي، وإنما من المشابهة بين العلاقات والهيئات والأحوال، كونه تشبيهًا مركبًا، وفيه يحدث تداخل وتقارب بين هذه العلاقات المأخوذة من مجالات مختلفة، وتسعى للحكم على أمر ما بصورة إيجابية أو سلبية.

والفرق بين التمثيل والمثل الذي سبق ذكره في الحجاج بالحالات الخاصة أن في التمثيل تكون العلاقة بين الأحوال المتشابهة من مجالات مختلفة، كأنه يشبه سلوك إنساني في أمر ما بسلوك مستمد من البيئة الطبيعة على سبيل المثال، لكن في المثل يكون من نفس المجال الذي يدور حوله الحجاج، فيأتي لتوضيح وتأكيد وتقوية حضور قاعدة ما لدى المخاطَبين.

وقد تقوى العلاقة بين الموضوع والحامل (أو طرفي التمثيل المشبه والمشبه به) فينصهران في بوتقة واحدة ويتحول التمثيل إلى استعارة، فالاستعارة هي في أصلها تمثيل في صورة مكثفة وموجزة، حتى يبدو طرفا التمثيل وكأنهما شيء واحد، ومن هذا تستمد طاقتها الحجاجية في تحقيق الاقتناع لدى المخاطَبين. ومن أقوى الاستعارات تأثيرًا في المخاطبين تلك التي شاعت وانتشرت حتى تناسى الناس، أو كادوا، أصلها المجازي، فأصبحت جزءًا من ثقافتهم وهويتهم.

وقد ذكرنا سابقًا بعض الأمثلة على حجتي التمثيل والاستعارة، وذلك عند الحديث عن التشبيه التمثيلي وعن الاستعارة في البلاغة العربية ودورهما الحجاجي، بما يغني عن الحاجة لتكراره هنا.

٢. ١. ٤- حجج الفصل:

وإذا كانت الطرائق الاتصالية تسعى للربط بين عناصر غير مترابطة في أصل وجودها من خلال الحجج شبه المنطقية أو المؤسسة على بنية الواقع أو المؤسسة لبنية الواقع، فإن الطرائق الانفصالية هي وسائل حجاجية تعمل على عكس ذلك، فهي تسعى للفصل بين العناصر والمفاهيم في ذهن المخاطَب، وتدعوه للتمييز بين المعنى الحقيقي والمعنى الزائف، وقد ترغبه للتمسك بأحد الطرفين دون الآخر بطريق مباشرة أو غير المباشرة.

٢. ١. ٤. ١- حجة التعريف:

حجة التعريف هي من وسائل الحجاج الاتصالي شبه المنطقي، وتدخل أيضًا في وسائل الحجاج الانفصالي، إذ تحدث فصلًا بين المفاهيم، خصوصًا إذا جاءت حجة التعريف لتقدم معنى للمفهوم الحقيقي، في مقابل المعنى الظاهري. فهي تسعى للتأثير في المخاطَب من خلال تقديم المعنى الحقيقي للشيء المتحدث عنه، فتدعوه للتمسك

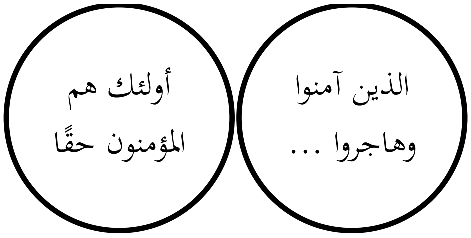
(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣/١٥٢٤.

بذلك المعنى الحقيقي أو التعريف وترك ما سواه.

ومن أمثلة هذه النوع ما سبق وأن ذكرناه في حجة التماثل:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾ {الأنفال: ٧٤}

حجة الانفصال: الآية تظهر حقيقة الإيمان، وكأنها تضع تعريفًا للإيمان الحقيقي، فالمؤمنون الذين حققوا إيمانهم بأعمالهم، هم المؤمنون على الحقيقة.



ونضيف في هذا الموضع أن الدور الحجاجي الذي يقوم به هذا النوع من الحجج يظهر في حمل المخاطَب على تمثل مظهرين اثنين للشيء الواحد، مظهر زائف ومظهر حقيقي، وهو لا يكتفي بذلك بل يدعو المخاطَب إلى التمسك بالحقيقة وترك ما سواها.

إن الآية السابقة تحمل المخاطب على إدراك حقيقة الإيمان، والتفريق بين الادعاء الزائف، وهو ادعاء الإيمان بالقول دون بينة وبرهان عليه، والتمثل الحقيقي للإيمان، من خلال العمل بموجباته في زمن النبي ﷺ من الهجرة والجهاد في سبيل الله في حق المهاجرين، والإيواء والنصرة في حق الأنصار، فيتميز بذلك المؤمن الحقيقي من المؤمن الزائف (المنافق). قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"وإذا كان الإيمان في القلب حقًّا ظهر ذلك في استقامة الأعمال بامتثال الأمر. واجتناب النَّهي، وإذا كان مَجازًا قَصَّرَتْ الجوارح في الأعمال؛ إذ لم تبلغ قوَّته إليها"(١).

٢. ١. ٤. ٢- الفصل بالثنائيات (الأزواج):

تقوم هذه الثنائيات على الفصل بين المفاهيم، للتمييز بينها في ذهن المخاطَب، ولفت انتباهه والتأثير عليه في وجوب التفريق والتمييز بين هذه الثنائيات، فلا يقع في الخلط، والمساواة غير الحقيقة بين المتفرقات، وقد يسعى هذا التفريق إلى ترغيب المخاطب في طرف وتحذيره من الطرف الآخر.

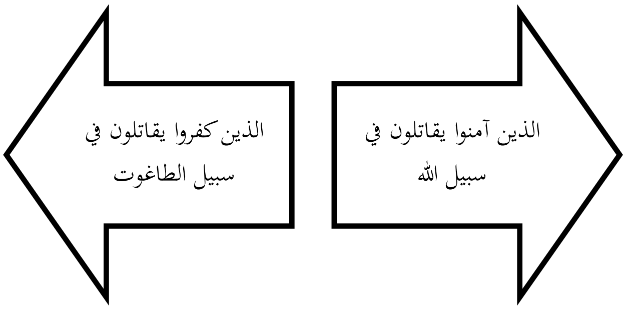
ومن ذلك في الآيات:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ {النساء: ٧٦}

حجة الانفصال: تفصل الآية بين صنفين من الناس على طرفي نقيض:

---

(١) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ٤٤٢/٢.



يقول أبو حيان (٧٤٥هـ):"أخبر في هذه الآية بالتقسيم أن المؤمن هو الذي يقاتل في سبيل الله، وأن الكافر هو الذي يقاتل في سبيل الطاغوت؛ ليبين للمؤمنين فرق ما بينهم وبين الكفار، ويقويهم بذلك ويشجعهم ويحرضهم"(١).

ويقول سيد قطب (١٣٨٧هـ):"وفي لمسة واحدة يقف الناس على مفرق الطريق، وفي لحظة ترتسم الأهداف، وتتضح الخطوط، وينقسم الناس إلى فريقين اثنين؛ تحت رايتين متميزتين:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.. ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾

الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله؛ لتحقيق منهجه، وإقرار شريعته، وإقامة العدل بين الناس باسم الله، لا تحت أي عنوان آخر، اعترافًا بأن الله وحده هو الإله ومن ثم فهو الحاكم.

والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت؛ لتحقيق مناهج شتى، غير منهج الله، وإقرار شرائع شتى غير شريعة الله، وإقامة قيم شتى غير التي أذن بها الله، ونصب موازين شتى غير ميزان الله!"(٢).

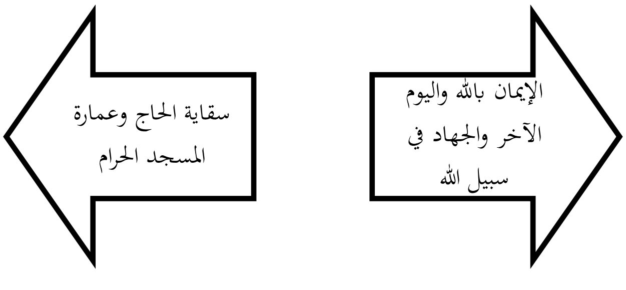
وقد جاءت الحجة خبرًا على صورة الجملة الاسمية التي تدل على الثبات، وجاء خبر المبتدأ في صورة الفعل المضارع دلالة على استمرارية الحكم.

فالغاية من الحجاج بهذه الثنائية وهذا الانفصال بين الفريقين، حتى يكون المؤمنون على بينة من أمرهم في جهادهم، فلا مساواة بين المؤمنين والكافرين، فهو بذلك يحرضهم بذلك على قتال المشركين.

المثال الثاني:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَـٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ {التوبة: ١٩}

حجة الانفصال: تفصل الآية بين صنفين من الناس، وصنفين من العمل:



---

(١) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٧١٢/٣.

(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، ٧٠٩/٢.

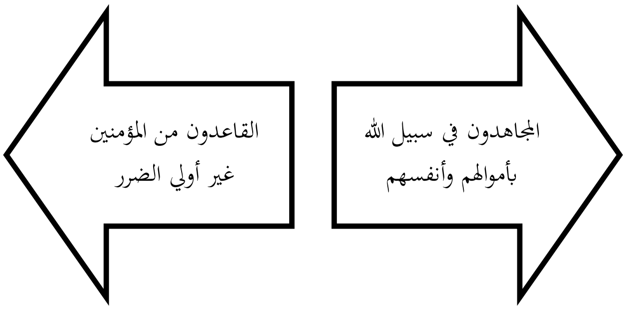
ففي الآية إنكار وتوبيخ لمن يساوي بين الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله وبين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، فلا العملان يستويان ولا العاملان أيضًا. قال البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"أنكر على من لم يفرق بين الصنفين، فقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ أي مجردة عن الإيمان ﴿وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ أي كذلك كالإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد"(١).

إنَّ التأكيد على هذا الانفصال بين مكانة العملين والعاملين وأنهما لا يستويان عند الله، له غاية حجاجية واضحة تتمثل في إرشاد المخاطبين إلى المكانة العظيمة للإيمان بالله والجهاد في سبيله، وحثهم على التمسك بذلك، والعمل بمقتضاه. قال الطبري (٣١٠هـ):"توبيخ من الله تعالى ذكره لقوم افتخروا بالسقاية وسدانة البيت، فأعلمهم جلّ ثناؤه أن الفخر في الإيمان بالله واليوم الآخر والجهاد في سبيله لا في الذي افتخروا به من السدانة والسقاية"(٢).

المثال الثالث:

قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ {النساء: ٩٥ – ٩٦}

حجة الانفصال: تفصل الآيات بين صنفين من المؤمنين:



فالفريقان وإن كانا من المؤمنين ولكل منهما فضله وأجره إلا أنهما لا يستويان عند الله ﷻ. وهذا الفصل والتأكيد على عدم المساواة بين الصنفين جاء لغاية حجاجية يبينها الزمخشري (٥٣٨هـ) بقوله:"فإن قلت: معلوم أن القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان، فما فائدة نفي الاستواء؟ قلت: معناه الإذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد؛ ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته، فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته"(٣).

---

(١) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٤١٦/٨.

(٢) الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ت: شاكر، ١٦٨/١٤.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٢٥٥.

٢. ٢- السلالم الحجاجية:

السلالم الحجاجية -كما ذكر من قبل- مفهوم أدخله اللساني الفرنسي ديكرو، الذي تأثر بنظرية الأفعال الكلامية، واقترح إضافة فعلين هما فعل الاقتضاء وفعل الحجاج، وهو ينظر إلى اللغة أنها تحمل بصفة طبيعية وظيفة حجاجية تنبع من الأقوال نفسها، وأن الحجاج يتمثل في إنجاز متواليات من الأقوال أو العناصر الدلالية بعضها حجج لغوية والآخر نتائج، ويربط بينها رابط حجاجي، وكل عنصر من هذه العناصر قد يظهر في الخطاب أو يستنبط منه.

في السلالم الحجاجية تُقدم الحجج المتفاوتة في قوتها الحجاجية مرتبة من الأدنى إلى الأعلى، ويقول الباحثون إن كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، كما أن كل قول كان في السلم دليل على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلًا أقوى منه.

وفي السلام الحجاجية ما يعرف بالراوبط والعوامل الحجاجية، والفرق بينهما أن الروابط الحجاجية تربط بين حجتين أو أكثر، وتسند لكل قول دورًا محددًا داخل الإستراتيجية الحجاجية العامة. ويمكن التمثيل للروابط بالأدوات التالية: بل، لكن، حتى، لا سيما، إذن، لأن، بما أن، إذ....

أما العوامل الحجاجية فهي لا تربط بين متغيرات حجاجية؛ أي بين حجة ونتيجة أو بين مجموعة حجج، ولكنها تقوم بحصر وتقييد الإمكانات الحجاجية التي تكون لقول ما، وتضم مقولة العوامل أدوات من قبيل: ربما، تقريبًا، كاد، قليلًا، كثيرًا ، ما...إلا، وجل أدوات القصر[١].

---

(١) ينظر: العزاوي: اللغة والحجاج، ص٢٧.

إذا تأملنا في آيات الجهاد نجد بعض الآيات قد تضمنت حججًا جاءت متتالية وفق ترتيب يلفت الانتباه، بهدف التأثير في المخاطَبين وزيادة الاقتناع عندهم.

المثال الأول: (فرض القتال على المؤمنين)

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾ {النساء: ٧٧ – ٧٨}

في هذه الآيات اجتمعت عدة حجج، جاءت مرتبة بهدف الوصول إلى نتيجة تسعى إلى إقناع المخاطبين بخطأ ما يعتقدونه في التمسك بالدنيا ونعيمها والرغبة عن القتال، وهذه الحجج هي:

السلم الحجاجي:

ن	عدم التمسك بالدنيا والاستجابة للأمر بالقتال
ج٤	أينما تكونوا يدرككم الموت
ج٣	لا تظلمون فتيلا
ج٢	الآخرة خير لمن اتقى
ج١	متاع الدنيا قليل

الحجة الأولى ﴿مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾

الحجة الثانية ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى﴾

الحجة الثالثة ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾

الحجة الرابعة ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾

الاستلزام وقوة الدلالة: إن الحجج السابقة جاءت في السلم الحجاجي مرتبة بحيث تستلزم كل حجة ما تحتها في السلم الحجاجي وتكون أقوى منها في الدلالة على نتيجة السلم، فحتمية الموت تستلزم أن يكون هناك حساب لا ظلم فيه، وهذا الحساب يستلزم أن يكون هناك ثواب للمحسن وعقاب للمسيء، وهذا الثواب والعقاب يستلزم النظر إلى الدنيا نظرة احتقار إلى متاعها فهو مهما بلغ قليل مقارنة بما في الآخرة.

الروابط والعوامل الحجاجية:

الواو: عرض حمدي بخيت آراء النحاة والأصوليين في معنى واو العطف، ونلخص ما ذكره في التالي(١):

يرى النحاة أن معناها مطلق الجمع بين المتعاطفين من غير دلالة على ترتيب وعدمه على الصحيح؛ فتعطف

---

(١) حمدي بخيت: أثر واو العطف في الاستنباطات الفقهية، بحث منشور على شبكة الألوكة، ٢٠٠٨م
http://www.alukah.net/sharia/0/2293/#_ftnref5
وينظر: محمد سامي الطويل: دلالة حروف العطف وأثرها في اختلاف الفقهاء، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٩م.

الشيء على مصاحبه وسابقه ولاحقه.

وذهب الكسائي (١٨٩هـ)، وقطرب (٢٠٦هـ)، والفراء (٢٠٧هـ)، وهشام (٢٠٩هـ)، وأبو جعفر أحمد بن جعفر الدينوري (٢٨٩هـ)، وثعلب (٢٩١هـ)، وغلام ثعلب أبو عمر الزاهد (٣٤٥هـ)، وابن درستويه (٣٤٧هـ)، والربعي (٤٢٠هـ) إلى أنها تفيد الترتيب.

وقال ابن كيسان (٢٩٩هـ) هي للمعية حقيقة، واستعمالها في غيرها مجاز؛ لأنها لما احتملت الوجوه الثلاثة، ولم يكن فيها أكثر من جمع الأشياء كان أغلب أحوالها أن تكون للجمع في كل حال حتى يكون في الكلام ما يدل على التفرق.

ويذكر ابن مالك (٦٧٢هـ) أن الواو تنفرد بكون متبعها في الحكم محتملًا للمعية برجحان، وللتأخر بكثرة، وللتقدم بقلة.

وذهب الرضي (٦٨٨هـ) إلى أن استعمال الواو فيما لا ترتيب فيه مجاز، وهي في أصل الوضع للترتيب، ولما الثاني فيه قبل الأول، والأصل في الاستعمال الحقيقة.

ويرجح الأصوليون كذلك معنى (مطلق الجمع) على غيره من المعاني، ذكر السرخسي (٤٩٤هـ) أنهم وضعوا الفاء للوصل مع التعقيب، وثم للتعقيب مع التراخي، ومع للقران، فلو قلنا بأن الواو توجب القرآن أو الترتيب كان تكرارًا بالنظر إلى أصل الوضع، ولو قلنا: إنه يوجب العطف مطلقًا لكان لفائدة جديدة بالنظر إلى أصل الوضع، ثم يتنوع هذا العطف أنواعًا، لكل منوع منه حرف خاص، ونظيره من الأسماء الإنسان فإنه للآدمي مطلقًا، ثم يتنوع أنواعًا لكل منه اسم خاص بأصل الوضع، والتمر كذلك. وهو نظير [ما قلنا] في اسم الرقبة إنه للذات مطلقًا من غير أن يكون دالًّا على معنى التقييد بوصف، فكذلك الواو للعطف مطلقًا بالنظر إلى أصل الوضع.

ويذكر الآمدي (٦٣١هـ) اتفاق جماهير أهل الأدب على أنها للجمع المطلق غير مقتضية ترتيبًا ولا معية، ونقل عن بعضهم أنها للترتيب مطلقًا، ونقل عن الفراء أنها للترتيب حيث يستحيل الجمع، ثم يرجح الرأي الأول بعد ذكر أدلة الفريقين.

وقد اشتهر الترتيب ونقل عن الشافعية، على خلاف في ذلك، ونسب إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وقد نسبت المعية إلى الصاحبين أبي يوسف ومحمد بن الحسن الشيباني رحمهما الله.

والذي يظهر لي أنها للترتيب في هذا الموضع، مما يعني أن الحجج في السلم الحجاجي مرتبة.

المثال الثاني: (تأجيل قتال مشركي قريش في الحديبية)

قَالَ تَعَالَى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡهَدۡيَ مَعۡكُوفًا أَن يَبۡلُغَ مَحِلَّهُۥۚ وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ لَّمۡ تَعۡلَمُوهُمۡ أَن تَطَـُٔوهُمۡ فَتُصِيبَكُم مِّنۡهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوۡ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ {الفتح: ٢٥}

اشتملت الآية على سلمين حجاجيين:

السلم الأول: اشتمل على ثلاث حجج وهي كفرهم بالله، وصدهم عن المسجد الحرام، ومنعهم الرسول ﷺ والمؤمنين من العمرة رغم كونهم جاؤوا مسالمين، وهذه الحجج تخدم نتيجة السلم الحجاجي وهي استحقاقهم للقتال وهي نتيجة مضمرة.

السلم الحجاجي الأول:

ن ↑	استحقاق مشركي قريش للقتال (مضمرة)
ج٣	والهدي معكوفا أن يبلغ محله
ج٢	صدوكم عن المسجد الحرام
ج١	كفروا

السلم الثاني: ولكن هذا القتال يستلزم السماح بدخول المؤمنين مكة للقتال وهي بلد حرام، وهذه نتيجة مضمرة أيضًا وممتنعة في ذلك الوقت، وحجج المنع: الحجة الأولى وجود رجال مؤمنين ونساء مؤمنات بين كفار قريش لا يعلمهم المؤمنون، والحجة الثانية ربما يقتل بعضهم إذا حدث قتال بين المؤمنين والمشركين فتصيب المؤمنين معرة قتل إخوانهم في الدين، والحجة الثالثة أن الله بإمهاله لكفار قريش وقتًا قبل السماح للمؤمنين بدخول مكة للقتال قد يدخل بعضهم في الإسلام، والحجة الرابعة لو حصل التمايز بين المؤمنين والكافرين ومفهومها أن هذا التمايز غير موجود.

السلم الحجاجي الثاني:

ج١	رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم
ج٢	أن تطؤوهم فتصيبكم منهم معرة
ج٣	ليدخل الله في رحمته من يشاء
ج٤	لو تزيلوا
ن ↓	مضمرة: عدم السماح بدخول مكة للقتال أو ظاهرة: (لعذبنا الذين كفروا..)

الاستلزام وقوة الدلالة: جاءت الحجج مرتبة في السلم الحجاجي من الأدنى للأعلى لتخدم نتيجة السلم، ففي السلم الأول نجد أن منع المؤمنين من أداء العمرة يستلزم صدهم عن المسجد الحرام، وصد المؤمنين عن المسجد

الحرام يستلزم كفر فاعله بالله.

كذلك في قوة الدلالة فالكفر بالله وحده لا يستوجب القتال، فجاءت الحجة الثانية أقوى في الدلالة وهي الصد عن المسجد الحرام، ثم الأقوى منهما صد رسول الله ﷺ والمؤمنين صدًا مباشرًا ومنعهم من العمرة. كل حجة أقوى من سابقتها في الدلالة على استحقاق هؤلاء القوم للقتال.

وفي السلم الثاني نجد أن عدم تمايز المؤمنين من الكافرين يستلزم الإمهال حتى يحدث ذلك التمايز وربما يدخل في الإسلام بعض المشركين في أثناء ذلك الإمهال، وعدم التمهل يستلزم حدوث المعرة للمؤمنين حيال قتلهم لإخوانهم في الدين، وهذا القتل الخطأ يستلزم عدم معرفة المؤمنين بإخوانهم هنالك بين كفار قريش.

الروابط والعوامل الحجاجية:

لولا: قال المبرد (٢٨٥هـ):"و(لَوْلَا) حرف يُوجب امتناع الفعل لوُقُوع اسم، تقول: لولا زيد لكان كذا وكذا فقوله: لكان كذا وكذا، إنَّما هو لشئ لم يكن من أجل ما قبله، و(لولا) إنَّما هي (لو) و(لا) جعلتا شيئًا واحدًا وأوقعتا على هذا المعنى، فإن حذفت لا من قولك (لولا) انقلب المعنى فصار الشَّيء في (لو) يجب لوُقُوع ما قبله"[1].

وقد قام هذا الحرف بدوره الحجاجي في إقناع المؤمنين بصواب منع السماح لهم بدخول مكة للقتال، رغم استحقاق كفار قريش للقتال بسبب الجرائم التي ارتكبوها.

الواو: سبق ذكر الدور الحجاجي لهذا الحرف.

الفاء: فاء السببية في قوله ﴿فَتُصِيبَكُم﴾ ما قبلها قتل المؤمنين لإخوانهم المستضعفين في مكة حجة لما بعدها وهو أن تصيبهم المعرة من هذا الفعل.

اللام: لام التعليل في قوله ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ وهي عكس الفاء فما بعدها إدخال الله لبعض مشركي قريش في الإسلام حجة لما قبلها وهو نتيجة مضمرة منع السماح للمؤمنين بدخول مكة للقتال.

لو: في قوله ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا﴾ وهو حرف شرط غير جازم يفيد امتناع الجواب لامتناع الشرط. أو بصيغة حجاجية يفيد امتناع النتيجة وهي وقوع عذاب الله للمشركين بقتال المؤمنين لهم لامتناع الحجة وهي تمايز المؤمنين المستضعفين في مكة من المشركين.

(١) المبرد: المقتضب، ت: محمد عبد الخالق عضيمة، ٣/٧٦.

المثال الثالث: (قتال مشركي العرب)

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوۡمٗا نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٍۚ أَتَخۡشَوۡنَهُمۡۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَوۡهُ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ {التوبة: ١٣}

قدمت الآية جملة من الحجج التي تسعى للوصول إلى نتيجة واضحة وهي تحريض المؤمنين على قتال المشركين والبراءة من عهودهم، وهو أمر ثقيل على النفس، التي تركن إلى المسالمة والموادعة ونبذ القتال، وربما ترى أن غايات الجهاد قد تتحقق بغير قتال؛ فتضافرت تلك الحجج في بناء محكم لإقناع المخاطَبين بوجوب قتال المشركين والبراءة من عهودهم.

السلم الحجاجي:

ن	التحريض على قتال المشركين.
ج٤	أتخشونهم ؟ فالله أحق أن تخشوه.
ج٣	بدأوا بالاعتداء.
ج٢	هموا بإخراج الرسول.
ج١	نكثوا أيمانهم.

قال أبو حيان (٧٤٥هـ) في إشارة للحجج التي وظفتها الآية:"ولما أمر تعالى بقتل أهل الكفر أتبع ذلك بالسبب الذي يبعث على مقاتلتهم وهو ثلاثة أشياء جمعوها، وكل واحد منها على انفراده كاف في الحض على مقاتلتهم"(١). وقريب من ذلك قول البِقَاعِيّ (٨٨٥هـ):"ولما نفى أيمانهم بنفي إيمانهم، شرع يقيم الدليل على ذلك بأمور ارتكبوها، كل منها بسبب باعث على الإقدام عليهم، ويحث على قتالهم في صورة تعجيب ممن يتوانى فيه"(٢). ويضيف رشيد رضا (١٣٥٤هـ):"هذا تحريض على قتالهم بأوجه وجوه الأدلة وأقواها، وأوضح أساليب البيان وأسماها، وهو أن الاستفهام للإنكار الذي يحيل النفي إثباتًا كما يحول الإثبات إلى النفي، وقد دخل هنا على نفي القتال فكان دليلًا على إثباته ووجوبه، وأقام على هذا الوجوب ثلاث حجج"(٣).

بدأ السلم بذكر النتيجة التي يرمي إليها السلم الحجاجي، ثم قدّم ثلاث حجج من أفعال المشركين، وواحدة متعلقة بالمخاطَبين، وهي:

الحجة الأولى: قوله ﴿نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ﴾ نقضوا عهدهم حين أعانوا كنانة بالسلاح على خزاعة، وهم صلح النبي ﷺ(٤).

والحجة الثانية: ﴿وَهَمُّواْ بِإِخۡرَاجِ ٱلرَّسُولِ﴾ يعنى النبي ﷺ قيل: إخراجه من مكة حين هموا في دار الندوة

(١) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣٨١/٥.
(٢) البِقَاعِيّ: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، ٣٩٢/٨.
(٣) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ١٧٤/١٠.
(٤) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٥٩/٢.

بقتل النبي ﷺ، أو بوثاقه أو بإخراجه(١). وقيل: إخراج الرسول من المدينة، أي نفيه عنها؛ لأن إخراجه من مكّة أمر قد مضى منذ سنين، ولأنّ إلجاءه إلى القتال لا يعرف إطلاق الإخراج عليه فالظاهر أنّ همّهم هذا أضمروه في أنفسهم وعلمه الله تعالى ونبّه المسلمين إليه(٢).

والحجة الثالثة: ﴿وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ بالقتال حين ساروا إلى قتالكم ببدر(٣).

الحجة الرابعة: جاء بعد هذه الحجج الاستفهام ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ﴾ على سبيل الاحتجاج، وهي أشبه بحجة مستقلة عن الحجج السابقة، فهي هنا لا تتعلق بالأفعال التي ارتكبها المشركون فاستحقوا بذلك القتال، وإنما تتعلق بالمخاطَبين أنفسهم، ومقتضى إيمانهم بالله ﷻ وتوكلهم عليه، بقد يعترف المخاطَب بكل ما ارتكبه المشرك من جرائم تجعله مستحقًا للأمر الإلهي بقتاله، إلا أن سبب امتناعه عن القتال يعود لأسباب تخصه هو، فلم تغفل الآية هذا الجانب.

قال رشيد رضا (١٣٥٤هـ):"قيل: إن هذا الاستفهام للإنكار والتوبيخ للمؤمنين، وهذا لا يصح .. وإنما هذا احتجاج آخر على جماعة المسلمين الذين لا يخلون من المنافقين ومرضى القلوب والسماعين لهم من المؤمنين، الذين كانوا يعظمون ما عظم الله ورسوله من أمر الوفاء بالعهد، ويكرهون القتال لذاته إذا لم توجبه الضرورة كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ {البقرة: ٢١٦} الآية، أو لرجاء انتشار الإسلام بدونه بعد فتح مكة والطائف وهدم دولة الشرك، فهذا الذي اقتضى كل هذه الحجج والبينات على كون نبذ عهود جمهور المشركين دون من وفى منهم بعهده حقًا وعدلًا، لا يتضمن خيانة ولا غدرًا، وأن بقاءهم على حريتهم -وهذه حالهم- خطر لا تؤمن عاقبته"(٤).

ويفصل الرازي (٦٠٦هـ) في بلاغة هذه الحجة، ودورها في السلم الحجاجي فيقول:"ولما شرح تعالى هذه الموجبات الثلاثة زاد فيها، فقال:﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ وهذا الكلام يقوي داعية القتال من وجوه: الأول: أن تعديد الموجبات القوية وتفصيلها مما يقوي هذه الداعية، والثاني: أنك إذا قلت للرجل: أتخشى خصمك؟ كان ذلك تحريكا منه لأن يستنكف أن ينسب إلى كونه خائفًا من خصمه، والثالث: أن قوله: ﴿فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ﴾ يفيد ذلك كأنه قيل: إن كنت تخشى أحدا فالله أحق أن تخشاه لكونه في غاية القدرة والكبرياء والجلالة، والضرر المتوقع منهم غايته القتل. أما المتوقع من الله فالعقاب الشديد في القيامة، والذم اللازم في الدنيا، والرابع: أن قوله:﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ معناه: أنكم إن كنتم مؤمنين بالإيمان وجب عليكم أن تقدموا على هذه المقاتلة، ومعناه أنكم إن لم تقدموا عليها وجب أن لا تكونوا مؤمنين، فثبت أن هذا كلام مشتمل على سبعة

(١) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٦٠/٢.

(٢) ابن عاشور: التحرير والتنوير، ١٣٣/١٠.

(٣) مقاتل: تفسير مقاتل بن سليمان، ت: عبد الله شحاته، ١٦٠/٢.

(٤) محمد رشيد رضا: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، ١٧٦/١٠.

أنواع من الأمور التي تحملهم على مقاتلة أولئك الكفار الناقضين للعهد"[١].

وإذا نظرنا ترتيب هذه الحجج وفي الشرطين الملازمين للسلم الحجاجي، وهما:

الاستلزام وقوة الدلالة: نجد أن الهم بالإخراج يستلزم نقض العهد، والبدء بالقتال يستلزم الهم بالإخراج وكذلك نقض العهد؛ أي أن هذه الحجج مرتبة من الأدنى إلى الأعلى، وكل حجة تستلزم ما دونها في السلم.

كما نجد أن دلالة إخراج الرسول ﷺ والمؤمنين على العداء للدين، أقوى من دلالة نقض العهد، ودلالة البدء بالقتال أقوى من دلالة الهم بالإخراج؛ أي كل حجة في السلم الحجاجي أقوى دلالة على النتيجة من الحجج التي دونها.

وبذلك تكون الحجج مرتبة من الأدنى إلى الأعلى، وأنّ كل حجة يلزم عنها ما قبلها، إضافة إلى أنّ الحجة الأعلى أقوى في الدلالة على المراد منها مما دونها من الحجج. وقد تضافرت هذه الحجج بهذا الترتيب للتأثير في المخاطبين لإقناعهم بقتال المشركين.

الروابط والعوامل الحجاجية:

من الروابط الحجاجية في تلك الآية:

ألا: بدأ هذا السلم الحجاجي بحرف الإغراء ﴿أَلَا﴾، قال أبو حيان (٧٤٥هـ):"ألا حرف عرض، ومعناه هنا الحض على قتالهم. وزعموا أنها مركبة من همزة الاستفهام، ولا النافية، فصار فيها معنى التخصيص"[٢]. وقال الزمخشري (٥٣٨هـ):"دخلت الهمزة على (لا تقاتلون) تقريرًا بانتفاء المقاتلة، ومعناه: الحض عليها على سبيل المبالغة"[٣].

الواو: سبق ذكر الدور الحجاجي لهذا الحرف، والراجح أنها جاءت في الآية للترتيب، أي ترتيب أفعال المشركين التي استحقوا بها هذا الحكم الإلهي بقتالهم. ولكن هل المقصود أنها مرتبة ترتيبًا زمنيًا من حيث تاريخ وقوعها؟ أم ترتيبًا حسب قوة دلالتها على النتيجة التي يسعى السلم الحجاجي للوصول إليها؟ الذي يظهر أنها جاءت للأمرين معًا.

الفاء: قال النيسابوري (٨٥٠هـ):"وفي الفاء نوع من تعليل؛ لأن الاستفهام في معنى النهي، كأنه قيل: لا تخشوهم؛ لأن الله أحق بالخشية وأحرى بالطاعة، وفيه نوع مجازاة كأنه قيل: إن صح أنكم مؤمنون فلا تخشوا إلا الله"[٤]. وقال المظهري (١٢١٦هـ):"والفاء للسببية فإن كون الله تعالى أحق أن يخشى سبب للإنكار على الخشية من غيره"[٥].

---

(١) الرازي: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ٥٣٦/١٥.

(٢) أبو حيان: البحر المحيط، ت: صدقي محمد جميل، ٣٨١/٥.

(٣) الزمخشري: الكشاف، ت: خليل مأمون شيحا، ص٤٢٥.

(٤) النيسابوري: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ت: زكريا عميرات، ٤٣٧/٣.

(٥) المظهري: التفسير المظهري، ت: غلام نبي التونسي، ١٤٥/٤.

المثال الرابع: (قتال أهل الكتاب)

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ {التوبة: ٢٩}

تأمر الآية الكريمة أمرًا مباشرًا وصريحًا بقتال أهل الكتاب من غير أهل الذمة أو المعاهدين، وكان من الممكن أن تكتفي بذلك الأمر، ولكنها ذكرت أوصافًا تمثل ثلاث حجج، تضافرت تلك الحجج للوصول للنتيجة المطلوبة من هذا الحجاج، يعبر عن ذلك السلم الحجاجي التالي:

السلم الحجاجي:

ن	قتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.
ج٣	لا يدينون دين الحق.
ج٢	لا يحرمون ما حرم الله ورسوله.
ج١	لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر.

الحجة الأولى ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾

الحجة الثانية ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾

الحجة الثالثة ﴿وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ﴾

قال ابن العربي (٥٤٣هـ):"الشرع لم يعلق الأحكام الشرعية على كل ما ينطلق عليه اسم كفر، وإنما علقه على بعضها، وهي الكفر بالله وصفاته وأفعاله.

فقوله: ﴿لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ نصٌّ في الكفر **بذاته** يقينًا، وفي الكفر بالصفات ظاهرًا: لأن الله هو الموجود الذي له الصفات العلا والأسماء الحسنى؛ فكل من أنكر وجود الله فهو كافر.

وقوله: ﴿وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ نصٌّ في **صفاته**، فإن اليوم الآخر عرفناه بقدرته وبكلامه؛ فأما علمنا له بقدرته فإن القدرة على اليوم الأول دليل على القدرة على اليوم الآخر. وأما علمنا له بالكلام فبإخباره أنه فاعله، فإذا أنكر أحد البعث فقد أنكر القدرة والكلام، وكفر قطعًا بغير كلام.

وقوله: ﴿وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ نصٌّ في **أفعاله** التي من أمهاتها إرسال الرسل، وتأييدهم بالمعجزات النازلة منزلة قوله: صدقتم أيها الرسل، فإذا أنكر أحد الرسل أو كذَّبهم فيما يخبرون عنه من التحليل والتحريم، والأوامر والندب، فهو كافر"(١).

وإذا نظرنا في الشرطين اللازمين للسلم الحجاجي في ترتيب هذه الحجج، وهما:

الاستلزام وقوة الدلالة: نجد أنها مرتبة من الأدنى إلى الأعلى، وكل حجة تستلزم ما دونها في السلم، فعدم

---

(١) ابن العربي: أحكام القرآن، ت: محمد عبد القادر عطا، ٤٧٤/٢.

تحريم ما حرمه الله ورسوله ﷺ تستلزم عدم الإيمان بالله ولا باليوم الآخر وإن ادعى الإيمان ظاهرًا، وعدم التدين بدين الحق يستلزم عدم تحريم ما حرمه الله ورسوله ﷺ، وكذلك يستلزم عدم الإيمان بالله ورسوله ﷺ.

كما نجد أن هذه الحجج دلت مرتبةً دلالة قوية على اتصاف هؤلاء بالكفر بذات الله وصفاته وأفعاله، وهذا هو مناط الأحكام الشريعة، وليس كل ما يطلق عليه كفر، كما مرّ.

وبذلك نجد أنّ الحجج مرتبة من الأدنى إلى الأعلى، وأنّ كل حجة يلزم عنها ما قبلها، إضافة إلى أنّ الحجة الأعلى أقوى في الدلالة على المراد منها مما دونها من الحجج. وقد تضافرت هذه الحجج بهذا الترتيب للتأثير في المخاطبين لإقناعهم بقتال المشركين.

الروابط والعوامل الحجاجية:

الواو: سبق ذكر الدور الحجاجي لهذا الحرف، والراجح أنها جاءت في الآية للترتيب.

حتى: حرف غاية تبين الغاية التي يتوقف عندها قتال أهل الكتاب، وهي أداة حجاجية تربط الحجج بالنتيجة.

الخاتمة

حاولتْ هذه الدراسة أن تسلط الضوء على آيات الجهاد في القرآن الكريم، وتكشف عن بعض قضاياها وأغراضها الإنجازية، ومعانيها الصريحة والضمنية، وبيان الوسائل التي احتوتها الآيات للتأثير في المخاطَبين، على اختلاف درجات هذا التأثير وتنوعه بتنوع المخاطَبين، وذلك من خلال توظيف المنهج التداولي وآلياته في تحليل الخطاب، ومحاولة الاستفادة من ثمرات الفكر اللساني العربي والغربي في تحقيق أهداف البحث والوصول لغاياته.

وفي سعيها لما سبق حاولتْ الدراسة الوقوف على مفاهيم متعددة، مثل مفهوم التداولية، وظروف نشأتها، وأشهر نظرياتها، وأبرز مصطلحاتها في الفكر اللساني الغربي، والتأصيل لها في الفكر اللساني العربي، كذلك الوقوف على مفهوم الجهاد وأنواعه، ومراحل تشريعه وغاياته، ونبذة عن أهم آدابه وأحكامه، بالإضافة إلى تتبع آيات الجهاد في القرآن وبيان مواضعها، وسياق نزولها، والنظر في أوجه القراءات ذات التأثير في المعاني، وأقوال المفسرين في الآيات.

وكانت للدراسة عدة نتائج، والتي أوجزها على النحو التالي:

في التمهيد:

- اللسانيات عمومًا والتداولية خصوصًا أداة من الأداوات المهمة لإعادة قراءة التراث العربي، لذا تعارض الدراسة القول المنسوب لتشومسكي أن التداولية هي مزبلة اللسانيات، بل على العكس من ذلك فإن التداولية أخذت موقعًا مهمًا في الدرس اللساني الحديث، وفرضت أطروحاتها احترامها على كثير من المهتمين باللسانيات، وإن كانت التداولية بشكلها الحالي مثلها مثل أي عمل بشري يشوبه النقص، ويتطلب المراجعة المستمرة والنقد المتواصل.
- الجهاد له مفهومان: مفهوم عام واسع يشمل الدين كله، ومفهوم خاص وهو القتال في سبيل الله بالضوابط والأحكام التي قررتها الشريعة، له مكانة عظيمة في الإسلام فهو ذروة سنامه، وترى الدراسة أهمية تصحيح المفاهيم المغلوطة عن الجهاد في سبيل الله دون إفراط أو تفريط، كما ترفض قصر الجهاد في سبيل الله على جهاد الدفع الذي لا ينازع في مشروعيته عاقل.
- آيات الجهاد في القرآن ما بين مائتين وأربعمائة آية، وتقارب نصف القرآن المدني، أغلبها في سورتي الأنفال والتوبة، وتوزعت في بقية السور في بناء قرآني محكم، وتناسب ظاهر، وتمثل كل مجموعة من الآيات مرحلة من مراحل التشريع التي مرت بها هذه الفريضة العظيمة.

في مبحث الأفعال الكلامية في اللسانيات العربية والغربية:

- اهتم العرب بدراسة أقسام الكلام من خلال نظرية الخبر والإنشاء، ووضعوا معايير مختلفة للتمييز بينهما، ولم يقتصر الاهتمام على النحاة والبلاغيين بل تعداه إلى الأصوليين الذين كانت لهم بصمتهم الواضحة، وظهر الاهتمام بالمتكلم والمخاطب وسياق الحال وعناصر الخطاب التي اهتمت بها التداولية في بيان معنى الكلام وأغراضه.
- ظهرت في الغرب نظرية الأفعال الكلامية لأوستن وسيرل التي رفضت التقسيمات القديمة للكلام وما ينبني عليها من نتائج، وانطلقت من فكرة أننا نتكلم لنؤثر ونحدث تغييرًا في العالم، ووضعت مفهومها للفعل

الكلامي ومستوياته والتي كان أهمها الفعل الإنجازي، ووضعت تصنيفات مختلفة له، كما حددت شروطًا ووسائل لتحديد نوع كل فعل وقوته الإنجازية، فكانت تلك النظرية لبَّ التداولية ونقطة انطلاقتها الحقيقية.

في مبحث تحليل الأفعال الكلامية في آيات الجهاد:

- أظهرت الدراسة تنوع أصناف الكلام في آيات الجهاد، من الإعلانيات والطلبيات والتبيينات والالتزاميات والإخباريات، وإن كان الحظ الأوفر منها للتوجيهيات؛ لطبيعة الموضوع محل الدراسة، ومثلت آليات تحليل مستويات الفعل الكلامي مفتاحًا لفهم الآيات وبيان أغراضها الإنجازية، كما اتضحت الممارسة الفعلية للمنهج التداولي –من الاهتمام بتحديد أطراف الخطاب والسياق والإحالات وغير ذلك من المعطيات التداولية– التي قام بها المفسرون في تفاسيرهم المختلفة، وإن اختلفت درجة هذه الممارسة من مفسر لآخر، بل أحيانًا للمفسر ذاته من آية لأخرى.

في مبحث المتضمنات في اللسانيات العربية والغربية:

- كانت الدلالة وأقسامها المختلفة محط اهتمام العلماء العرب انطلاقًا من الرغبة في فهم مراد القرآن والسنة، وكان للأصوليين النصيب الأكبر من الحديث عن تقسيم الدلالة، إذ إنهم قد ميزوا بين أنواع مختلفة من دلالة الألفاظ مثل المطابقة والتضمن والالتزام، كما تحدثوا عن دلالة المنطوق ودلالة المفهوم (الموافقة–المخالفة) ودلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء وفق تصنيف الجمهور، كما كان للنحويين والبلاغيين جهودهم في تقسيم الدلالة كذلك.

- اهتم الغربيون بأقسام الدلالة، ووضع جرايس نظريته للمحادثة، وتكلم من خلالها عن مبدأ التعاون بين المتكلم والمخاطب وما يتضمنه من مبادئ فرعية، وما ينشأ عن مخالفته من استلزمات حوارية، ودلالات غير منطوقة، وميز بين الدلالات المختلفة المباشرة منها وغير المباشرة، ودفعت جهوده مجموعة من الباحثين الغربيين لوضع تصورات مشابهة أو مغايرة لما توصل إليه جرايس.

في مبحث تحليل المتضمنات في آيات الجهاد:

- من الأمور الواضحة الجليَّة في آيات الجهاد –وفي القرآن عمومًا كما ذكر العلماء– استثمار أقل ما يمكن من الألفاظ في توليد أكثر ما يمكن من المعاني، وقد ساعدتْ آليات التحليل التداولي في إظهار ذلك، وكشفتْ عن بعض المعاني المتضمَّنة فيها. وأبانتْ عن مدى القصد في اللفظ والوفاء في المعنى في الأمثلة المقدمة.

في مبحث الحجاج في اللسانيات العربية والغربية:

- اهتم العرب قديمًا بدراسة الحجاج ووسائله، وتوزع هذا الاهتمام بين الفقهاء والأصوليين والبلاغيين وغيرهم، وكانت لهم جهود واضحة، فالجاحظ والسكاكي والجرجاني والقرطاجني رواد هذا الباب، كما كان للمعاصرين من الباحثين العرب في المشرق والمغرب أيضًا جهودهم التي أسهمت في تجديد الدماء للبلاغة العربية، وأصبح لبلاغة الحجاج مكانتها في البحوث العلمية المعاصرة.

- مرَّ الحجاج في الثقافة الغربية بمراحل متنوعة من التأسيس والنضوج إلى الانحطاط ثم مرحلة التجديد

في العصر الحالي، وظهرت في الغرب نظريات حجاجية مختلفة من أشهرها نظرية الخطابة الجديدة لبيرلمان وتيتيكا، ونظرية الحجاج في اللغة لديكرو وأنسكومبر، وبدا كيف أن للظروف السياسية والاجتماعية دورها المؤثر في ازدهار الحجاج وانحطاطه تنظيرًا وتطبيقًا.

في مبحث تحليل آليات الحجاج في آيات الجهاد:

- بالرغم من التعارض الذي قد يظهر بين المسلكين: مسلك الدعوة إلى القتال، ومسلك الحوار والإقناع، لم يقتصر الخطاب القرآني في آيات الجهاد على التوجيه المباشر، وإلزام المخاطَبين بما نزلت به الآيات من أحكام وتشريعات، بل حفلت الآيات بخطاب العقل ووسائل الإقناع؛ واشتملت على صور شتى من الحجج، وقد أظهرت الدراسة جانبًا يسيرًا من الآليات الحجاجية اللغوية والبلاغية والعقلية التي وظفتها الآيات للتأثير في المخاطَبين على اختلافهم وتنوعهم، وتظهر للمخاطَبين العامة والخاصة في عصرهم وعصرنا مدى أهمية هذا القتال وعقلانيته.

كما خرجت الدراسة ببعض التوصيات، وهي:

- تحتاج اللسانيات العربية في عصرنا الحالي إلى نظرية خاصة بها في تحليل الخطاب، تقوم على تنظير سليم وآليات واضحة، وتراعي خصوصية الوحي الإلهي، وقصور النص البشري شعره ونثره، وذلك من خلال الإفادة من الجهودة اللغوية التراثية المفرَّقة بين الأصوليين والبلاغيين والنحاة والمفسرين والفلاسفة، ولا تهمل كذلك الانتفاع من الجهود اللسانية غير العربية قديمها وحديثها.
- لا يجب أن تقتصر الإفادة من الجهود غير العربية على الغربيين فقط، بل من الأفضل أن تشمل الجهود اللسانية في مختلف الثقافات العالمية شرقًا وغربًا، قديمًا وحديثًا، وكما قيل أفتح نوافذي لكل رياح العالم ولكن دون أن تقتلعني من جذوري.
- الإفادة من الجامعات العربية في بلاد المغرب العربي ومجهوداتها الملحوظة في تدريس اللسانيات، وتوفيرها الرسائل العلمية على مواقعها الإلكترونية، وفرق البحث المشكلة لديهم في التداولية والحجاج، بجانب المختبرات المختلفة.
- الإفادة من المنهج التداولي وآلياته في تدريس النصوص في مراحل التعليم المختلفة، والاهتمام بتدريس الحجاج ووسائل الإقناع والإستراتيجيات الخطابية وآداب الحوار للطلاب بما يناسب مستوياتهم، فالتداولية ليست علمًا لغويًا محضًا بل علم للتواصل الإنساني.
- رغم أن هذه الدراسة في القرآن الكريم لكنني أنصح بقصر الرسائل التي تتناول القرآن الكريم بالدراسة والتحليل على الدكتوراه، فإن للقرآن قدسية خاصة، ويحتاج لاطلاع على كثير من العلوم ولأدوات وملكات بحثية خاصة، قد لا تتوفر في الطلاب الذين يخطون خطواتهم الأولى في البحث العلمي.

ثبت المصادر والمراجع

أولًا– الكتب العربية:

- **إبراهيم بن عبد العزيز الزيد:** البلاغة القرآنية في الآيات المتشابهات؛ من خلال كتاب (ملاك التأويل) لابن الزبير الغرناطي، دار كنوز إشبيليا، الرياض، ط١، ٢٠١٠م.

- **أبو بكر العزاوي:**

  - الخطاب والحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

  - اللغة والحجاج، الأحمدية للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ٢٠٠٦م.

- (**ابن الأَثِير**) المبارك بن محمد بن محمد (٦٠٦هـ): النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: محمود أحمد الطناحي، والطاهر أحمد الزاوي، المكتبة العلمية، بيروت–لبنان.

- **أحمد المتوكل**: الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٨٥م.

- **أحمد مختار عمر**: علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة–مصر، ط٥، ١٩٩٨م.

- (**البَغَوِيّ**) أبو محمد الحسين بن مسعود (٥١٦هـ): معالم التنزيل، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرون، دار طيبة، الرياض–السعودية، ط١، ١٤٠٩هـ.

- (**البِقَاعِيّ**) أبو الحسن إبراهيم بن عمر (٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة–مصر، ١٩٨٤م.

- (**البُهُوتِيّ**) منصور بن يونس بن صلاح الدين (١٠٥١هـ): كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: إبراهيم أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتب، الرياض–السعودية، ٢٠٠٣م.

- (**التفتازاني**) سعد الدين مسعود بن عمر (٧٩٢هـ):

  - المطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط٣، ٢٠١٣م.

  - تهذيب المنطق والكلام، تحقيق: عبد القادر الكردي، مطبعة السعادة، القاهرة–مصر، ط١، ١٩١٢م.

- (**الثعلبي**) أبو إسحاق أحمد (٤٢٧هـ): الكشف والبيان، تحقيق: محمد الطاهر بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

- (**الجاحظ**) عمرو بن بحر (٢٥٥هـ):

  - البيان والتبيين، تحقيق: علي بو ملحم، دار الهلال، بيروت–لبنان، ٢٠٠٢م.

  - رسائل الجاحظ، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، ١٩٦٤م.

- (**الجرجاني**) أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧١هـ): دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة–مصر، ط٣، ١٩٩٢م.

- (**الجرجاني**) علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (٨١٦هـ): التعريفات، تحقيق: مجموعة من العلماء، دار

الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٣.

- (**الجزائري**) أبو بكر جابر (١٤٣٩هـ): أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، راسم للدعاية والإعلان، جدة، ط٣، ١٩٩٠م.

- (**ابن جُزَيّ**) أبو القاسم محمد بن أحمد (٧٤١هـ): التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥م.

- (**الجصَّاص**) أحمد بن علي (٣٧٠هـ): أحكام القرآن، تحقيق: محمد صادق القمحاوي، دار إحياء التراث العرب، بيروت، ١٩٩٢م.

- **جمال الدين محمد شرف**: مصحف الصحابة في القراءات العشر المتواترة من طريق الشاطبية والدرة، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ٢٠٠٤م.

- (**ابن جني**) أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (٣٩٢هـ): الخصائص، تحقيق: محمد علي النجار، سلسلة الذخائر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة-مصر، ٢٠٠٦م.

- (**الجويني**) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله (٤٧٨هـ): متن الورقات، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٩٩٦م.

- (**الجوهري**) إسماعيل بن حماد (٣٧٠هـ): الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٩٠م.

- (**ابن أبي حاتم**) عبد الرحمن بن محمد (٣٢٧هـ): تفسير القرآن العظيم مسندًا عن رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار، الرياض، ط١، ١٩٩٧م.

- (**ابن حَجَر العسقلاني**) أبو الفضل أحمد بن علي (٨٥٢هـ): فتح الباري شرح صحيح البخاري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة السلفية.

- (**ابن حِجَّة الحموي**) تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله (٨٣٧هـ): خزانة الأدب وغاية الأرب، ت: عصام شقيو، دار ومكتبة الهلال، بيروت-لبنان، ط٤ ٢٠٠٤م.

- (**ابن حَزْم الأندلسي**) أبو محمد علي بن أحمد (٤٥٦هـ):

  - الإحكام في أصول الأحكام، دار الآفاق الجديدة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٣م.

  - المحلى بالآثار، تحقيق: عبد الغفار النداري، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

- (**الحطاب الرعيني**) أبو عبد الله محمد بن محمد المغربي (٩٥٤هـ): مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥م.

- (**أبو حيان الأندلسي**) محمد بن يوسف بن علي (٧٤٥هـ):

  - البحر المحيط، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

  - البحر المحيط، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط١٤٢٠هـ.

- **خالد ميلاد**: الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة؛ دراسة نحوية تداولية، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط١،

٢٠٠١م.

– **(الخطّابي)** أبو سليمان حمد بن محمد (٣٨٨هـ): العزلة، تحقيق: ياسين محمد السواس، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٩٩٠م.

– **(الخطيب الإسكافي)** أبو عبد الله محمد بن عبد الله (٤٢٠هـ): درة التنزيل وغرة التأويل، تحقيق: محمد مصطفى آيدين، جامعة أم القرى، السعودية، ط١، ٢٠٠١م.

– **خليفة بوجادي**: في اللسانيات التداولية؛ مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط١، ٢٠٠٩م.

– **(درْوزة)** محمد عزة (١٤٠٤هـ): التفسير الحديث؛ ترتيب السور حسب النزول، دار الغرب الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٠م.

– **درويش الجندي**: علم المعاني، دار نهضة مصر، القاهرة.

– **(الرازي)** محمد بن عمر (٦٠٦هـ): مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.

– **(الراغب الأصفهاني)** أبو القاسم الحسين بن محمد (٥٠٢هـ): معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت–لبنان،

– **رافع بن طه الرفاعي العاني**: الأمر عند الأصوليين، دار المحبة، دمشق–سوريا، ط١، ٢٠٠٦م.

– **(ابن رشد الجد)** أبو الوليد محمد بن أحمد (٥٢٠هـ): المقدمات الممهدات، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ١٩٨٨م.

– **(ابن الزبير الغرناطي)** أحمد بن إبراهيم (٧٠٨هـ): البرهان في تناسب سور القرآن، تحقيق: سعيد بن جمعة الفلاح، دار ابن الجوزي، الدمام–السعودية، ط١، ١٤٢٨هـ.

– **(الزركشي)** بدر الدين محمد بن عبد الله (٧٧٢هـ): البرهان في علوم القرآن، تحقيق: أحمد علي، دار الحديث، القاهرة–مصر، ٢٠٠٦م.

– **(الزمخشري)** أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ): الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط٣، ٢٠٠٩م.

– **(ابن زنجلة)** أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد (٤٠٣هـ): حجة القراءات، تحقيق: سعيد الأفغاني، دار الرسالة، بيروت–لبنان، ط٥، ١٩٩٧م.

– **الزواوي بغوره**: الفلسفة واللغة؛ نقد "المنعطف اللغوي" في الفلسفة المعاصرة، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

– **(الزيلعي)** أبو عمرو عثمان بن علي (٧٤٣هـ): تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الأميرية، القاهرة–مصر، ط١، ١٣١٣هـ.

- (**السرخسي**) أبو بكر محمد أحمد بن أبي سهل (٤٨٣هـ): المبسوط، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ١٩٩٣م.

- (**السعدي**) عبد الرحمن بن ناصر (١٣٧٦هـ): تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ت: عبد الرحمن اللويحق، مكتبة العبيكان، الرياض–السعودية، ط١، ٢٠٠١م.

- (**السمرقندي**) أبو الليث نصر بن محمد (٣٧٣هـ): بحر العلوم، تحقيق: علي محمد معوض وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

- (**السمعاني**) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (٤٨٩هـ): تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض–السعودية، ط١، ١٩٩٧م.

- (**ابن سلام**) يحيى بن سلام التيمي (٢٠٠هـ): تفسير يحيى بن سلام، تحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

- (**سيبويه**) عمرو بن عثمان (١٨٠هـ): الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، ط٣، ١٩٨٨م.

- **سيد قطب** (١٣٨٧هـ): في ظلال القرآن، دار الشروق، القاهرة–مصر، ط٣٢، ٢٠٠٣م.

- (**الشاطبي**) إبراهيم بن موسى (٧٩٠هـ): الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن، دار ابن عفان، السعودية، ط١، ١٩٩٧م.

- (**الشافعي**) محمد بن إدريس (٢٠٤هـ):

  - أحكام القرآن، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ١٩٧٥م.

  - الأم، تحقيق: محمد زهري النجار، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط٢، ١٩٧٣م.

- (**الشربيني**) شمس الدين محمد بن الخطيب (٩٧٧هـ): مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، تحقيق: محمد خليل عيتاني، دار المعرفة، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

- **شكري المبخوت**: نظرية الحجاج في اللغة، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج بإشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة–تونس، ١٩٩٨م.

- (**الشوكاني**) محمد بن علي بن محمد (١٢٥٠هـ): فتح القدير؛ الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق–سوريا، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٤هـ.

- (**شهاب الدين**) أحمد بن يحيى (٣٤٩هـ): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، المجمع الثقافي، أبو ظبي–الإمارات، ط١، ١٤٢٧هـ.

- **صابر الحباشة**: التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، دمشق–سوريا، ط١، ٢٠٠٨م.

- **صبحي عبد الرؤوف عصر**: المعجم الموضوعي لآيات القرآن الكريم، دار الفضيلة، القاهرة–مصر، ١٩٩٠م.

- **صلاح إسماعيل عبد الحق**: التحليل اللغوي عند مدرسة اكسفورد، دار التنوير، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

- **صلاح فضل**: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٩٢م.

- **طالب سيد هاشم طبطبائي**: نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، منشورات جامعة الكويت، الكويت، ١٩٩٤م.

- **(الطبري)** أبو جعفر محمد بن جرير (٣١٠هـ):

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة–مصر، ط١، ٢٠٠١م.

- **(طنطاوي)** محمد سيد (١٤٣١هـ): التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف، ١٩٩٢م.

- **طه عبد الرحمن**:

- البحث اللساني والسيميائي، ندوة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط–المغرب، ١٤٠١هـ.

- تجديد المنهج في تقويم التراث، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط٢، ٢٠٠٥م.

- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط٢، ٢٠٠٠م.

- اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء–المغرب، ط١، ١٩٩٨م.

- **(ابن عاشور)** محمد الطاهر (١٣٧٣هـ): التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

- **(ابن عادل)** أبو حفص عمر بن علي (٨٨٠هـ): اللباب في علوم الكتاب، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٨م.

- **(عبد الرزاق الصنعاني)** أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع (٢١١هـ): تفسير عبد الرزاق، تحقيق: محمود محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٤١٩هـ.

- **عبد الحميد السيد**: دراسات في اللسانيات العربية؛ التراكيب النحوية والتداولية، دار الحامد، عمّان–الأردن، ٢٠٠٣م.

- **عبد العزيز عتيق**: في البلاغة العربية؛ علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٩م.

- **عبد الله صولة**:

- الحجاج أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال "مصنف في الحجاج – الخطابة الجديدة" لبرلمان وتيتيكا، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، فريق البحث في البلاغة والحجاج بإشراف حمادي صمود، كلية الآداب، منوبة–تونس، ١٩٩٨م.

- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت–لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

- **عبد المتعال الصعيدي**: بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،

- **عبد المنعم أحمد تعيلب**: فتح الرحمن في تفسير القرآن، دار السلام، القاهرة–مصر، ط١، ١٩٩٥م.

- **عبد الهادي الشهري**: استراتيجيات الخطاب؛ مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

- (**أبو عبيد**) القاسم بن سلام (٢٢٤هـ): الناسخ والمنسوخ في القرآن العزيز وما فيه من الفرائض والسنن، تحقيق: محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد، الرياض–السعودية.

- (**أبو عبيدة**) معمر بن المثنى (٢١٠هـ): مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سَزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة–مصر، ط١٣٨١هـ.

- **عثمان بن طالب**: البراغماتية وعلم التركيب، الملتقى الدولي الثالث في اللسانيات، الجامعة التونسية، مركز الدراسات والأبحاث الاقتصادية، المطبعة العصرية، تونس، ١٩٨٥م.

- (**ابن عثيمين**) محمد بن صالح (١٤٢١هـ): تفسير القرآن الكريم، دار ابن الجوزي، الدمام–السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.

- (**ابن العربي**) أبو بكر محمد بن عبد الله (٥٤٣هـ):

- أحكام القرآن، تحقيق: على محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت–لبنان.

- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم، تحقيق: عبد الكبير العلوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة–مصر.

- (**ابن عرفة**) أبو عبد الله محمد بن محمد (٨٠٣هـ): تفسير ابن عرفة، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٨م.

- (**ابن عطية الأندلسي**) أبو محمد عبد الحق بن غالب (٥٤٢هـ): المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

- (**الغزّالي**) أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد (٥٠٥هـ):

- الحكمة في مخلوقات الله، تحقيق: محمد رشيد قباني، مطبعة فينوس، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٧٨م.

- القسطاس المستقيم، تحقيق: محمود بيجو، المطبعة العلمية، دمشق–سوريا، ط ١٩٩٣م.

- (**ابن فارس**) أبو الحسين أحمد بن فارس (٣٩٥هـ):

- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٧م.

- معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت–لبنان، ١٩٧٩م.

- (**الفرّاء**) أبو زكريا يحيى بن زياد (٢٠٧هـ): معاني القرآن، تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١.

- (**ابن الفرس الأندلسي**) أبو محمد عبد المنعم بن عبد الرحيم (٥٩٥هـ): أحكام القرآن، تحقيق: طه بن علي بو سريح وآخرون، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

- (**القاسمي**) محمد جمال الدين (١٣٣٢هـ): محاسن التأويل، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م.

- (**ابن قدامة**) أبو محمد عبد الله بن أحمد (٦٢٠هـ): المغني، دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان، ١٩٨٣م.

- (**القرافي**) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس (٦٨٤هـ): أنوار البروق في أنواء الفروق، دار النوادر، الكويت، ط١، ٢٠١٠م.

- (**القرضاوي**) يوسف عبد الله: فقه الجهاد؛ دراسة مقارنة لأحكامه وفلسفته، مكتبة وهبة، ط٤، ٢٠١٤م.

- (**القرطبي**) أبو عبد الله محمد بن أحمد (٦٧١هـ): الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٦م.

- (**القزويني**) محمد بن عبد الرحمن (٧٣٩هـ):

  - تلخيص المفتاح، مكتبة البشرى، كراتشي-باكستان، ط١، ٢٠١٠م.

  - الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط٣، ١٩٨٩م.

- (**القسطلاني**) أحمد بن محمد بن أبي بكر (٩٢٣هـ): إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة-مصر، ط٦، ١٣٠٤هـ.

- (**القشيري**) أبو القاسم عبد الكريم بن هَوازن (٤٦٥هـ):

  - لطائف الإشارات، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣.

  - لطائف الإشارات، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

- (**القيسي**) أبو محمد مكي بن أبي طالب (٤٣٧هـ): الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق: مجموعة من الباحثين، كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، جامعة الشارقة، الإمارات، ط١، ٢٠٠٨م.

- (**ابن قيم الجوزية**) أبو عبد الله محمد بن أبي بكر (٧٥١هـ):

  - إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ١٩٩٦م.

  - زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان، ط٣، ١٩٩٨م.

- (**الكاتبي**) نجم الدين بن عمر (٦٧٥هـ): الشمسية في القواعد المنطقية، تحقيق: مهدي فضل الله، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء-المغرب، ط١، ١٩٩٨م.

- (**الكاساني**) أبو بكر بن مسعود بن أحمد (٥٨٧هـ): بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، تحقيق: على محمد معوض وعادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٣م.

- **كامل سلامة الدقس**: آيات الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة موضوعية وتاريخية وبيانية، دار البيان، الكويت.

- (**ابن كثير**) إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي محمد سلامة، دار طيبة، الرياض- السعودية، ط٢، ١٩٩٩م.

- **لجنة القرآن والسنة في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة**: المنتخب في تفسير القرآن الكريم، دار الثقافة، الدوحة.

- (**الماتريدي**) أبو منصور محمد بن محمد (٣٣٣هـ): تأويلات أهل السنة، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

- (**الماوردي**) علي بن محمد (٤٥٠هـ): النكت والعيون، تحقيق: السيد بن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.

- (**ابن المبارك**) عبد الله بن المبارك (١٨١هـ): الجهاد، تحقيق: نزيه حماد، دار المطبوعات الحديثة، السعودية، ١٤٠٣هـ.

- (**المباركفوري**) صفي الرحمن (١٤٢٧): الرحيق المختوم؛ بحث في السيرة النبوية، دار السلام، الرياض-السعودية.

- (**مجاهد**) أبو الحجاج مجاهد بن جبر (١٠٤هـ): تفسير مجاهد، تحقيق: محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٩٨٩م.

- **مجمع اللغة العربية**: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط٤، ٢٠٠٤م.

- **مجيد الماشطة**: شظايا لسانية ، مطبعة السلام، البصرة-العراق، ط١، ٢٠٠٧م.

- (**المحلي**) جلال الدين محمد بن أحمد (٨٦٤هـ):

  - شرح الورقات في أصول الفقه، تحقيق: حسام الدين عفانة، جامعة القدس، ط١، ١٩٩٩م.
  - تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهر-مصر، ط١. (أتمَّه السيوطي)

- **محمد بن إبراهيم التويجري**: موسوعة الفقه الإسلامي، بيت الأفكار الدولية، السعودية، ط١، ٢٠٠٩م.

- **محمد خير هيكل**: الجهاد والقتال في السياسة الشرعية، دار البيارق، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٩٦م.

- **محمد رشيد رضا** (١٣٥٤هـ):

  - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، دار المنار، القاهرة-مصر، ط٢، ١٩٤٧م.
  - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة-مصر، ط١٩٩٠م.

- **محمد صلاح الدين الشريف**: الشرط والإنشاء النحوي للكون، كلية الآداب، منوبة-تونس، ط٢٠٠٢م.

- **محمد محمد يونس**:

  - المعنى وظلال المعنى؛ أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.
  - مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

- **محمد محمد حسن جبل** (١٤٣٦هـ): المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم؛ مؤصل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط١، ٢٠١٠م.

- **محمد مصطفى الزحيلي**: الوجيز في أصول الفقه الإسلامي، دار الخير، دمشق-سوريا، ط٢، ٢٠٠٦م.
- **محمد نعيم ياسين**: افتراءات حول غايات الجهاد، دار الأرقم، الكويت، ط١، ١٩٨٤م.
مروان عطية: المعجم المفهرس لمواضيع القرآن الكريم، على هامش القرآن الكريم، دار المعرفة، دمشق-سوريا، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- **محمود أحمد نحلة**: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية-مصر، ٢٠٠٦م.
- **محمود صافي**: الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه، مؤسسة الإيمان، بيروت-لبنان، ط٣، ١٩٩٥م.
- **(مخلوف)** حسنين محمد مخلوف (١٤١٠هـ): صفوة البيان لمعاني القرآن، وزارة العدل والشؤون الإسلامية والأوقاف، الإمارت، ط١، ١٩٨١م.
- **(المرادي)** أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم (٧٤٩هـ): الجني الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٢م.
- **(المراغي)** أحمد مصطفى (١٣٧١هـ): تفسير المراغي، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٩٤٦م.
- **(المرداوي)** علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان (٨٨٥هـ): التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، ت: عبد الرحمن الجبرين وعوض القرني وأحمد السراح، مكتبة الرشد، الرياض-السعودية، ط١، ٢٠٠٠م.
- **مسعود صحراوي**: التداولية عند العلماء العرب؛ دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، دار الطليعة، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- **(المظهري)** محمد ثناء الله (١٢١٦هـ): التفسير المظهري، ت: غلام نبي التونسي، مكتبة الرشدية، باكستان، ط١٤١٢هـ.
- **(ابن المعتز)** أبو العباس عبد الله بن محمد (٢٩٦هـ): البديع في البديع، دار الجيل، ط١، ١٩٩٠م.
- **(مقاتل)** مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ): تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله شحاتة، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت-لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.
- **مكتب الدراسات والأبحاث**: القاموس (فرنسي- عربي)، مجموعة من الباحثين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٤م.
- **(ابن منظور)** محمد بن مكرم بن علي (٧١١هـ): لسان العرب، دار صادر، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤١٤هـ.
- **(الموصلي)** عبد الله بن محمود بن مودود (٦٨٣هـ): الاختيار لتعليل المختار، تحقيق: محمود أبو دقيقة، مطبعة الحلبي، القاهرة-مصر، ١٩٣٧م.
- **ناصر بن عبد الرحمن الخنين**: النظم القرآني في آيات الجهاد، مكتبة التوبة، الرياض-السعودية، ط١، ١٩٩٦م.
- **(الناصري)** محمد المكي الناصري (١٤١٥هـ): التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٨٥م.
- **نعمان بو قرة**: المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب، القاهرة-مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

- **نوزاد حسن أحمد**: المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي–ليبيا، ط١، ١٩٩٦م.
- (**النووي**) يحيى بن شرف (٦٧٦هـ): المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المطبعة المصرية بالأزهر، القاهرة–مصر، ط١، ١٩٣٠م.
- (**النيسابوري**) نظام الدين الحسن بن محمد (٥٥٣هـ): غرائب القرآن ورغائب الفرقان، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٦م.
- **وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية**: الموسوعة الفقهية، ذات السلاسل، الكويت، ط٢، ١٩٨٩م.
- **وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد**: التفسير الميسر، إعداد نخبة من العلماء، السعودية، ط٢، ٢٠٠٩م.
- (**الهاشمي**) أحمد بن إبراهيم بن مصطفى (١٣٦٢هـ): جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تحقيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت–لبنان.
- (**ابن هبيرة الشيباني**) أبو المظفر يحيى بن محمد (٥٦٠هـ): اختلاف الأئمة العلماء، تحقيق: السيد يوسف أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

ثانيًا– الكتب والمقالات المترجمة:

- (**أرمينكو**) فرانسواز: المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط–المغرب، ط١، ١٩٨٦م.
- (**أوجرادي**)، ويليام: علم الدلالة، ترجمة: عبد الكريم جبل، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة–مصر، ٢٠٠٦م.
- (**أوستن**) جون لانجشو: نظرية أفعال الكلام العامة؛ كيف ننجز الأشياء بالكلام، ترجمة: عبد القادر قينيني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء–المغرب، ١٩٩١م.
- (**إيكو**) إمبرتو: السيميائية وفلسفة اللغة، ترجمة: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.
- (**بافو**) ماري آن و(**سرفاتي**) جورج إليا: النظريات اللسانية الكبرى؛ من النحو المقارن إلى الذرائعية، ترجمة: محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠١٢م.
- (**بلانتان**) كريستيان: الحجاج، ترجمة: عبد القادر المهيري، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، ط٢، ٢٠١٠م.
- (**بلانشيه**) فيليب: التداولية من أوستين إلى جوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار، اللاذقية–سوريا، ط١، ٢٠٠٧م.
- (**دايك**) فان: النص والسياق؛ استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.
- (**دي سوسير**) فرديناند: علم اللغة العام، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية، الأعظمية–بغداد، ١٩٨٥م.
- (**ديكرو**) أزفالد و(**سشايفر**) جان ماري: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز

الثقافي العربي، بيروت–لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م.

– **(سيرل)** جون رودجر:

– الأعمال اللغوية؛ بحث في فلسفة اللغة، ترجمة: أميرة غنيم، مراجعة: محمد الشيباني، دار سيناترا، تونس، ط١، ٢٠١٥م.

– العقل واللغة والمجتمع؛ الفلسفة في العالم الواقعي، ترجمة: سعيد الغانمي، منشورات الاختلاف وآخرون، الجزائر، ط١، ٢٠٠٦م.

– **(شارودو)** باتريك و**(منجنو)** دومينيك: معجم تحليل الخطاب، ت: عبد القادر المهيري وحمادي صمود، دار سيناترا، تونس، ٢٠٠٨م.

– **(فيليب)** بروتون و**(جيل)** جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد الغامدي، مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز، جدة–السعودية، ط١، ٢٠١١م.

– **(ليش)** جيفري و**(توماس)** جيني: البرغماتية؛ المعنى في السياق، الموسوعة اللغوية، تحرير: ن.ي.كولنج، ترجمة: محيي الدين حميدي وعبد الله الحميدان، جامعة الملك سعود، الرياض–السعودية، ٢٠٠٠م.

– **(مارتان)** روبير: مدخل لفهم اللسانيات؛ إيبستيمولوجيا أولية لمجال علمي، ترجمة: عبد القادر المهيري، مراجعة: الطيب البكوش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٧م.

– **(منجنو)** دومينيك: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

– **(موشلار)** جاك و**(ريبول)** آن:

– التداولية اليوم؛ علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، مراجعة: لطيف زيتوني، المنظمة العربية للترجمة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت–لبنان، ط١، ٢٠٠٣م.

– القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة مجموعة من الباحثين، المركز الوطني للترجمة، دار سيناترا، تونس، ط٢، ٢٠١٠م.

– **(هالين)** فرناند: التداولية، ترجمة: زياد عز الدين، مجلة الآداب العالمية، العدد ١٢٥، ٢٠٠٦م.

– **(هلبش)** جرهارد: تطور علم اللغة منذ عام ١٩٧٠م، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة–مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

ثالثًا– الرسائل العلمية:

– **آمنة لعور**: الأفعال الكلامية في سورة الكهف؛ دراسة تداولية، ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة–الجزائر، ٢٠١١م.

– **ابتسام بن خراف**: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م.

- **أم الخير سلفاوي**: البعد التداولي في البلاغة العربية من خلال مفتاح العلوم للسكاكي، ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ٢٠٠٩م.

- **بريشان تاج الدين عتم**: المعطيات التداولية في كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي، ماجستير، جامعة صلاح الدين، أربيل، العراق،٢٠٠٩م.

- **تهاني جبر شعث**: ألفاظ الجهاد في القرآن الكريم؛ دراسة دلالية، ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، ٢٠١١م.

- **حسين بوبلوطة**: الحجاج في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي، ماجستير، جامعة الحاج لخضر، الجزائر، ٢٠١٠م.

- **ابتسام بن خراف**: الخطاب الحجاجي السياسي في كتاب (الإمامة والسياسة) لابن قتيبة، دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، الجزائر، ٢٠١٠م.

- **عبد الله حسن طودي**: التركيب الخبري أنماطه ووظائفه بين البلاغة العربية واللسانيات التداولية، ماجستير، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية، ٢٠٠٧م.

- **عمر بلخير**: معالم لدراسة تداولية وحجاجية للخطاب الصحافي الجزائري المكتوب ما بين ١٩٨٩ و٢٠٠٠م، دكتوراه، جامعة الجزائر، الجزائر، ٢٠٠٦م.

- **مؤيد عبيد آل صوينت**: الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، دكتوراة، الجامعة المستنصرية، العراق، ٢٠٠٩م.

- **محمد سامي الطويل**: دلالة حروف العطف وأثرها في اختلاف الفقهاء، ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٩م.

- **محمد مدور**: الأفعال الكلامية في القرآن الكريم؛ سورة البقرة دراسة تداولية، دكتوراه، جامعة الحاج لحضر، باتنة-الجزائر، ٢٠١٤م.

- **ياسة ظريف**: الوظائف التداولية في المسرح؛ مسرحية "صاحب الجلالة" لتوفيق الحكيم نموذجًا، ماجستير،جامعة منتوري، قسنطينة-الجزائر، ٢٠١٠م.

رابعًا- المجلات والدوريات:

- **باديس لهويمل**: التداولية والبلاغة العربية، مجلة المخبر؛ أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، العدد السابع، ٢٠١١م، ص١٥٥.

- **عمر بلخير**: نحو قراءة جديدة للتراث العربي والإسلامي بالوقوف على تداولية الأفعال الكلامية، بحث مقدم للمؤتمر الدولي: خطاب التجديد في الدراسات العربية بين النظرية والتطبيق، سومطرة الغربية-إندونيسيا، ٢٠١٣م.

- **عيد بلبع**: التداولية؛ البعد الثالث في سيميوطيقا موريس، مجلة فصول، القاهرة-مصر، ربيع ٢٠٠٥م.

- **العيد جلولي**: نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل، مجلة الأثر، العدد الخاص: أشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة-الجزائر.

- **محروس بريك**: التأويل التداولي في كتاب سيبويه، مجلة دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، العدد ٨٧، ٢٠١٦م.

- **محمد سويرتي**: اللغة ودلالاتها، تقريب تداولي للمصطلح البلاغي (مقال)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد ٢٨، عدد ٣، ٢٠٠٠م.

- **محمد العبد**: النص الحجاجي العربي؛ دراسة في وسائل الإقناع، مجلة فصول، العدد ٦٠، القاهرة-مصر، خريف ٢٠٠٢م.

- **ملاوي صلاح الدين**: نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة-الجزائر، العدد الرابع، ٢٠٠٩م.

- **نعمان عبد الحميد بوقرة**: ملامح التفكير التداولي البياني عند الأصوليين، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، سنة ١٤، عدد ٥٤، ٢٠٠٨م.

خامسًا- المقالات المنشورة على المواقع الإلكترونية والبرامج الحاسوبية:

- **حمدي بخيت**: أثر واو العطف في الاستنباطات الفقهية، بحث منشور على شبكة الألوكة، ٢٠٠٨م.

- **الجامع التاريخي لتفسير القرآن الكريم**: إشراف: الشاهد البوشيخي، مؤسسة البحوث والدراسات العلمية، فاس-المغرب، الإصدار الأول، ٢٠١١م

- **المكتبة الشاملة**، إشراف: المكتب التعاوني للدعوة بالروضة، السعودية، الإصدار الثالث.

سادسًا- الكتب الأجنبية:

1- J. L. Austin : How To Do Things With Words, Oxford University, Press 1962, P. 5.

2- David Crystal: A dictionary of Linguistics and Phonetics, Blackwell Publishing, 6th ED, 2008.

3- N.S. Doniach: Oxford English Arabic Dictionary, Oxford University, 1981.

4- George yule: Pragmatics,

5- Jacob L. mey: pragmatics; An Introduction, Blackwell Publishing, USA, 2th ED, 2004.

6- Keith Brown & Jim Miller: The Cambridge dictionary of Linguistics,

7- Laurence R. Horn & Gregory Ward: The Handbook of Pragmatics, Blackwell Publishing, USA, 2th ED, 2006.

المصطلحات الأجنبية

م	المصطلح	الترجمة	م	المصطلح	الترجمة
		المصطلحات الإنجليزية			
١	Assertive	الإخباريات	٣٩	Mood	صيغة الفعل
٢	Behabitives	أفعال السلوك	٤٠	Natural Language	اللغة الطبيعية
٣	Collaborative	التعاون	٤١	Non-factive Presupposition	افتراض غير واقعي
٤	Commissives	أفعال التعهد	٤٢	Performative	(جمل) إنشائية
٥	Commissives	الالتزاميات	٤٣	Perlocutionary Act	الفعل التأثيري
٦	Common Content	محتوى مشترك	٤٤	Phatic Act	الفعل التركيبي
٧	Competitive	التنافس	٤٥	Phonetic Act	الفعل الصوتي
٨	Conflictive	التعارض	٤٦	Potential Presupposition	افتراض سابق محتمل
٩	Constative	(جمل) خبرية أو وصفية	٤٧	Pragmatics	التداولية
١٠	Conventional Implicature	استلزام عرفي	٤٨	Predication	المتحدَّث به أو الخبر
١١	Conversational Implicature	الاستلزام الحواري	٤٩	Predication Act	الفعل الإسنادي
١٢	Convivial	المناسبات	٥٠	Preparatory	(الشرط) التمهيدي
١٣	Cooperative Principle	مبدأ التعاون	٥١	Presupposition	الافتراض السابق
١٤	Declaratives	الإعلانيات	٥٢	Counter-factual Presupposition	افتراض مناقض للواقع
١٥	Descriptive Fallacy	المغالطة الوصفية	٥٣	Primary Performatives	إنشائيات أولية
١٦	Direction of Fit	اتجاه المطابقة	٥٤	Proposition	قضية
١٧	Directives	الطلبيات	٥٥	Propositional Act	الفعل القضوي
١٨	Entailment	التضمين	٥٦	Propositional Content	(شرط) المحتوى القضوي
١٩	Essential	(الشرط) الأساسي	٥٧	Propositions	القضايا

٢٠	Exercitives	أفعال القرارات	٥٨	Punctuation	علامات الترقيم
٢١	Exitential Presupposition	افتراض وجودي	٥٩	Reference	مرجع أو مشار إليه
٢٢	Explicit Performatives	إنشائيات صريحة	٦٠	Reference Act	الفعل الإحالي
٢٣	Expositives	أفعال الإيضاح	٦١	Rhetic Act	الفعل الدلالي
٢٤	Expressive	التبيينات	٦٢	Semantics	علم الدلالة
٢٥	Factive Presupposition	افتراض واقعي	٦٣	Sense	معنى
٢٦	Felicity Conditions	شروط الملاءمة	٦٤	Sincerity	(شرط) الإخلاص
٢٧	Illocutionary Act	الفعل الإنجازي	٦٥	Speech Acts	الأفعال الكلامية
٢٨	Illocutionary Force	القوة الإنجازية	٦٦	Stress	النبر
٢٩	Illocutionary Force Indicator	دليل القوة الإنجازية	٦٧	Structural Presupposition	افتراض بنيوي
٣٠	Illocutionary Point	الغرض الإنجازي	٦٨	Syntax	علم النحو (والصرف)
٣١	Implicature	استلزام	٦٩	The Maxim of Manner	مبدأ الطريقة
٣٢	Intention	القصدية	٧٠	The Maxim of Quality	مبدأ الكيف
٣٣	Intonation	التنغيم	٧١	The Maxim of Quantity	مبدأ الكم
٣٤	Languag games	ألعاب اللغة	٧٢	The Maxim of Relevance	مبدأ المناسبة
٣٥	Lexical Presupposition	افتراض معجمي	٧٣	Transformational Grammar	النحو التحويلي
٣٦	Linguistics	اللسانيات	٧٤	Utterance act	الفعل النطقي
٣٧	Locutionary act	فعل القول	٧٥	Verdictives	أفعال الأحكام
٣٨	Logical Positivism	الوضعية المنطقية	٧٦	Word Order	نظام الجملة

المصطلحات الفرنسية					
م	المصطلح	الترجمة	م	المصطلح	الترجمة

١	Anti-modèle	(حجة) عكس النموذج	٢٤	Lieux	مواضع
٢	Argumentation	حجاج	٢٥	Lieux de Qualité	مواضع الكيف
٣	Augmenter la présence	تقوية الحضور	٢٦	Lieux de Quantité	مواضع الكم
٤	Autorité	(حجة) السلطة	٢٧	Lieux d'existant	مواضع الموجود
٥	Connecteurs	روابط (حجاجية)	٢٨	Modalité Assertive	توجيه إثباتي
٦	Contagion	(حجة) العدوى	٢٩	Modalité Injonctive	توجيه إلزامي
٧	Contradiction	تناقض	٣٠	Modalité Interrogative	توجيه استفهامي
٨	Conviction	اقتناع	٣١	Modalité Optative	توجيه بالتمني
٩	Démontration	استدلال	٣٢	Modèle	(حجة) النموذج
١٠	Direction	(حجة) الاتجاه	٣٣	Opérateurs	عوامل (حجاجية)
١١	Dissociation	الوصل	٣٤	Partition	توزيع
١٢	Division	تقسيم	٣٥	Persuasion	إقناع
١٣	Évidence	فلسفة الوضوح	٣٦	Pragmatique Intégrée	تداولية مدمجة
١٤	Exemple	(حجة) المثل	٣٧	Présomption	افتراضات
١٥	Faits	وقائع	٣٨	Propagation	(حجة) الانتشار
١٦	Gaspillage	(حجة) التبذير	٣٩	Régle de Justice	قاعدة العدل
١٧	Hiérarchies	هرميات	٤٠	Supériorité	تفوق
١٨	Illustration	(حجة) البينة	٤١	Symétriques	متماثل
١٩	Inclusion	تضمين	٤٢	Topoi	مبادئ (حجاجية)
٢٠	Incompatibilité	عدم الاتفاق	٤٣	Transitivité	التعدية
٢١	L'argument Pragmatique	الحجة النفعية	٤٤	Univoque	أحادية المعنى
٢٢	Liaison	الفصل	٤٥	Valeurs	قيم
٢٣	Liaison Symbolique	اتصال رمزي	٤٦	Vérités	حقائق

فهرس الموضوعات

ملخص الرسالة

التداولية هي نظرية لسانية تقوم على دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل، وتهتم بالعناصر التي أهملتها بعض النظريات اللسانية من قبيل المتكلم والمخاطب والسياق؛ لما لهذه العناصر من أهمية كبير في الكشف عن مقاصد الكلام، وتعد نظرية الأفعال الكلامية من أشهر نظريات التداولية، وهذه النظرية التي أسسها أوستن وطورها سيرل تجاوزت مرحلة تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء، وعدت الكلام قولًا وعملًا، وقسمت الفعل الكلامي إلى مستويات: الفعل القولي والفعل الإنجازي والفعل التأثيري عند أوستن، وأضاف سيرل بعض التعديلات فقسم الفعل القولي إلى نطقي وقضوي، وعدّل تصنف الأفعال الإنجازية إلى أصناف خمسة وهي: الإعلانيات ، الطلبيات، الالتزاميات، التبيينات، الإخباريات.

كما تهتم التداولية بدراسة المعاني المتضمنة في الكلام مثل الافتراض السابق والاستلزام الحواري عند جرايس والذي ينشأ من وجهة نظره من خلال عدم الالتزام بمبدأ التعاون الذي وضعه، وقامت مبادئ حوارية أخرى مستفيدة من جهوده.

وتقوم التداولية أيضًا على دراسة الحجاج ومعرفة الوسائل المنطقية واللغوية والبلاغية المستخدمة في إقناع المخاطبين والتأثير عليهم من خلال نظريات الحجاج المختلفة.

وتحاول هذه الدراسة تطبيق هذا المنهج في تحليل الخطاب على نصوص قرآنية مختارة وهي آيات الجهاد في القرآن الكريم، وتسعى من خلال توظيف آلياته في الوصول إلى مقاصد الآيات وتصنيفها، والبحث عن المعاني المتضمنة فيها، ودراسة الآليات الحجاجية المختلفة التي جاءت في الآيات وبيان أغراضها الحجاجية.

وقد بدأت الدراسة بمقدمة تناولت التعريف بالبحث وأهدافه وخطته وأهم الدراسات السابقة فيه، ثم تمهيد ناقش مفهوم التداولية ونشأتها وأهم مصطلحاتها ونظرياتها، ومفهوم الجهاد العام والخاص وتعريف مختصر به، وعن مادة البحث عددها ومواضعها في القرآن الكريم، ثم جاء البحث في ثلاثة فصول، الفصل الأول عن الأفعال الكلامية، والفصل الثاني عن المعاني المتضمنة والفصل الأخير عن الحجاج، وفي كل فصل مبحثان أحدهما للتأصيل للنظرية محل الدراسة في اللسانيات الغربية والعربية، ثم مبحث تطبيقي على مدونة البحث، وبعد ذلك جاءت الخاتمة تحمل أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة والتوصيات المقترحة.